الرحمة المهداة ﷺ

الطبعة الأولى

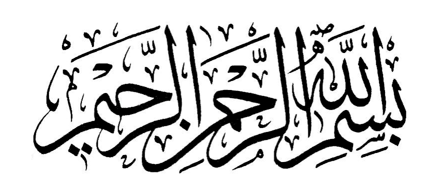
١٤٢٨هـ

المدرسة المدنية
(٢٤)

الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الأستاذ الدكتور
خليل بن إبراهيم ملّا خاطر العزّامي
أُستاذ الحديث وعُلُومهِ ، بجامعة طيبة
بالمدينةِ المنوَّرة


بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب هو للمسلمين ولغير المسلمين

هو للمسلمين ليعلموا :

ـ أن الله تعالى رحمٰنٌ رحيمٌ ، وهو أرحمُ الراحمين .

ـ وأن الإسلامَ هو دينُ الرحمة ، فلا يقاربه أو يدانيه دين .

ـ وأنه تعالى جعل نبيَّه الكريمَ ﷺ رحمةً ، ونبيَّ الرحمة ، وأرسله بالرحمة .

ـ ليتّبعوه ﷺ ، وليتَّصفوا بذلك ؛ في أخلاقهم وأحوالهم وأعمالهم ،... فينعكس ذلك على البشر والحيوان والنبات ،... فينالوا رحمةَ الرحيم الرحمٰن ، كما قال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمٰن ».

هو لغير المسلمين ليعلموا :

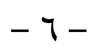
ـ أن الإسلامَ دينُ الرحمة ، فلا عنف ولا تطرف ولا غلو ، مع كونه دين الجهاد والحدود .

ـ وأنه تعالى جعل رسولَه المصطفى الكريمَ ﷺ رحمةً مهداةً ، ونبيَّ الرحمة ، وأرسله بالرحمة ، وهي شاملةٌ لجميع الخلق .

ـ ولو علموا ما عنده لزاحموا محبّيه ﷺ على محبته وطاعته ، لأنه رحمةٌ مهداةٌ من الله تعالى ، كما قال تعالى عنه ﷺ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

ـ فمن تنكَّب من الفريقين فنا ل جزاءَه ، فلا يلومنَّ إلا نفسَه .

*****



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحيم الرحمٰن ، مالك يوم الدين ، ذي الفضل والإحسان ، مقسِّم الرحمة بين خلقه من حيوان وإنس وجان .

والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان ، على سيد الأكوان ، وفخر ولد عدنان ، وعلى آله الكرام ، وصحابته المتّقين الأخيار .

أما بعد :

فكم كنتُ أمنِّي نفسي منذ كتبتُ كتابَ (مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام)[1]. أن أكتب بحثاً مختصراً عن (الرحمة المهداة ﷺ) أبيِّن فيها سعةَ هذه الرحمة المهداة ، التي خصَّ الله تعالى بها نبيَّه وصفيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ ، فجعله رحمةً ، وسماه رؤوفاً رحيماً ، وجعله نبيَّ الرحمة ، وأرسله بالرحمة ، وجعله قاسماً لما يعطيه ،... لكن الأمور كما يقال : مرهونة بأوقاتها ، وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له .

حتى كانت هذه الليلة ـ ليلة الاثنين (١ شعبان) ـ وأنا ذاهب إلى الحرم النبوي الشريف لصلاة العشاء ، إذ سمعت مذيعاً في إذاعة لندن يذكر عن أحد رجال الدِّين النصارى في أمريكا : يتهم النبيَّ المصطفى الكريمَ ﷺ ـ نبيَّ الرحمة ، الذي لم تعرف البشرية ولن تعرف : أرحمَ منه ـ يتهمه بالعنف والإرهاب .

وحالُ هذا المجرم الدَّعِي كحال ما قال العرب قديماً : رمتني بدائها

(١) لقد كتبته عام (١٤١٨ هـ) وطُبع بمطابع الرشيد ، بالمدينة المنورة ، عام (١٤٢٠ هـ).

وانسلت ، ولو سكتَ لكان خيراً له ، ولا أريد أن أكشف حال النصارى ؛ بدءاً من الحواريين ؛ الذين تعنتوا مع عيسى عليه السلام ، فطلبوا منه شهادةً على صدقه ؛ حتى تطمئن قلوبهم ، وذلك بإنزال مائدة لهم من السماء ، وهل يستطيع الله تعالى أن ينزلها !!! وكيف لم يسمعوا قولَه حينما طلب منهم أن يذهبوا إلى البلدان فأصبحوا وكلٌّ واحد منهم يتكلم بلغة ما أُمر بالذهاب إليهم ، وكيف أن أحدَهم خانه عليه السلام ، فتواطأ مع اليهود على قتله ، ولكن الله عز وجل سلَّمه منهم ، ورفعه إليه ،... وانتهاءاً بالنصارى الحاضرين ، الذين دمَّروا العبادَ والبلادَ ،... بقنابلهم ودباباتهم وصواريخهم ، ولم يسْلم منهم صغيرٌ ولا كبيرٌ ، ولا إنسان ولا حيوان ولا نبات ،...

كما لا أحب أن أبيِّن حالَ اليهود من زمن نبيِّ الله وكليمِه موسى عليه السلام ؛ من تكذيبهم له ولربه تعالى ، وطعنهم فيه ، وقتلهم الأنبياء عليهم السلام بغير حق ، وهم يعرفون هذا جيّداً ، وهو مكتوب في كتابهم الموسوم بالمقدس ،... وانتهاء بما فعله ويفعله اليهود في العصر الحاضر ، سواء على المستوى الدولي ، أو في فلسطين .

كما أني لست بصدد كتابة التاريخ ، إنما أردت أن أكتب بحثاً مختصراً عن النبيِّ الكريمِ ﷺ ، أُبيِّن فيه أنه ﷺ رحمةٌ مهداةٌ من الله الكريمِ الرحمٰن ، وأنه تعالى جعله رحمةً ، وسماه تعالى رؤوفاً رحيماً ، وأنه ﷺ نبيُّ الرحمة ، بل جعل الله تعالى رسالتَه رسالةَ الرحمة ، وأنه تعالى ما أرسله إلا رحمةً للعالمين ، فالله تعالى ربُّ العالمين ، وجعل نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ رحمةً للعالمين ، لتشمل كلَّ المخلوقات ؛ على اختلاف أنواعها وأصنافها ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وقد برزت مظاهر تلك الرحمة المهداة لتشمل كلَّ الخلق ؛ من أمته ﷺ في الدنيا ؛ إلى الخلق كلهم يوم القيامة ، كيف وقد جعله الله تعالى أماناً للناس في الدنيا ، فشملت تلك الرحمةُ : العصاةَ ، والجهّالَ ، والنساءَ ، والأطفالَ والصبيان ، والأيتامَ ، والمرضى ، والضعفاء ، والعبيدَ والإماءَ ، والفقراءَ والمساكين ، والأراملَ ، بل شملت الأموات ولو كانوا كفاراً ، كما شملت الحيوان والنبات ، بل شملت الكفار في الدنيا والآخرة ، بل شملت الأعداء والمعاندين في ساحة المعركة ،... فهي شاملةٌ للإنس والجن ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وقبل الشروع في بيان هذه الرحمة ومظاهرها ،... أذكر مبحثين :

الأول : عن سعة رحمة الله سبحانه وتعالى ، ومنها أن جعل تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ رحمةً ، وأهداها إلى مخلوقاته ، وأنه تعالى يعطي ، ونبيُّه الكريمُ ﷺ يَقسِم ،...

والثاني : عن الخصائص التي انفرد بها النبيُّ المصطفى الكريمُ ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام ـ إجمالاً ـ ومنها : أن جعله الله عز وجل أماناً ورحمةً للخليقة كلها ؛ في الدنيا والآخرة :

* أما في الدنيا ؛ فلن يُعذَّبوا ـ بعد بعثته ﷺ ـ عذاباً يستأصل شأفتهم ، كما كان في الأمم السابقة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾(١).

وكيف يعذبهم الله تعالى ، وقد جعل نبيَّه الكريمَ ﷺ رحمةً ، وأهداها

(١) سورة الأنفال (٣٣).

للعالمين، وأرسله بذلك؟ بل حصر الله تعالى رسالةَ نبيه الكريم ﷺ بالرحمة، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

* وأما في الآخرة؛ فقد جعله الله عز وجل شفيعاً للخلق جميعاً ـ لبدء الحساب ـ وإخراج العصاة والمذنبين من أمته من النار إلى الجنة.

لذا فمن الخصائص التي انفرد ﷺ بها عن سائر الخلق: كونُه رحمةً للعالمين، وأن رسالتَه رحمةٌ لهم جميعاً، وأنه ﷺ رؤوف رحيم بالمؤمنين.

لذا لا أعلم ـ وقد أكرمني تعالى ـ بفضله وكرمه ـ بتدريس السيرة النبوية الشريفة ـ في المسجد، وفي مرحلتي الدراسات العليا، والجامعية، منذ أكثر من أربعين سنة، وكتبت عنه ﷺ نحواً من ثلاثين كتاباً ـ أن النبيَّ الكريمَ ﷺ قَتَل أحداً بيده الكريمة إلا شخصاً واحداً فقط، مع أنه ﷺ غزا سبعاً وعشرين غزوة، وباشر القتال بتسع منها ـ وهو أُبيُّ بنُ خلف، وإن كان قتلُه يعتبر معجزةً للنبيِّ الكريم ﷺ.

ذلك أن أُبيَّ بن خلف قال للنبي الكريم ﷺ في مكة: إنه يعلف فرسه ليقتله عليها، فقال النبي الكريم ﷺ: أنا أقتلك إن شاء الله تعالى.

فلما كانت غزوة أحد، وجاء أُبيُّ بنُ خلفٍ يبحث عن النبي الكريم ﷺ، وهو يقول: أين محمد، لا نجوتُ إن نجا. تناول ﷺ الحربةَ من الحارث ابن الصِّمَّة رضي الله تعالى عنه فطعنه بها في عنقه، فتدأدأ عن فرسه، ثم رجع إلى قريش، وهو يقول: قتلني محمد. فقالوا: ذهب والله فؤادُك، والله إن يكن بك بأس. فقال: إنه قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدوُّ الله بسَرِف.

(١) سورة الأنبياء (١٠٧).

فواضح أن قتلَه ـ أبعده الله تعالى ـ كان دفاعاً عن النفس ، وإن كان معجزةً للنبي المصطفى الكريم ﷺ .

وكيف يَقتل ﷺ وهو الرحمةُ المهداةُ ، ثم لا يريد أن يشقى أحدٌ ، ولا يشتَدَّ غضبُ الله تعالى على أحد بسببه ، وهو القاتل : « ...اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله عز وجل »[1].

ومما يدل على عفوه ورحمته وكرم خلقه ،... ﷺ : أنه لم يعامل من حاول قتلَه بمثل ما أراد ، بل عفا عنهم ، وتركهم ،...

ـ كما فعل ﷺ بالأعرابي الذي اخترط سيفَه خلسةً ، يريد قتله ﷺ وهو نائم ، فاستيقظ ﷺ وهو فوق رأسه ، وهو يقول له : من يمنعك مني ؟ فقال ﷺ : « الله » فسقط السيف من يده ، فأخذه ﷺ ، ثم قال له : « من يمنعك مني ؟ »[2]. ثم عفا ﷺ عنه .

ـ كما عفا ﷺ عن اليهودي الذي سحره ، واليهودية التي سَمَّتْه ، ولم يقتلهما . كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، في معاملته لأعدائه .

فكل ذلك وغيره كثير ـ كما سيأتي بعضُه إن شاء الله تعالى ـ يدل على مدى رحمته ﷺ ، وإحسانه وعطفه على العباد ، الذي لم تعرفه البشرية اليوم ، إذ لو حصل بعضُ ذلك في هذا الزمان فماذا ستكون العقوبة ؟ أليست هي الإعدام ؟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب ما أصاب رسول الله ﷺ من الجراح يوم أحد . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ ، رقم (١٠٦).

(٢) سيأتي بيان ذلك كله في بيان رحمته ﷺ لأعدائه .

ثم إن هذا الدَّعِيَّ ليس هو أول من تكلم في النبي الكريم ﷺ ، ولن يكون آخرَهم ، فالعداءُ للنبي الكريم ﷺ من الكفار والمعاندين والملحدين قديم ، منذ بدء الرسالة ، ولكن ذلك العداء لن يؤثر ، ولن يغير شيئاً ، لأن الله تعالى تكفّل بظهور نبيه المصطفى الكريم ﷺ ، وكبتِ عدوه وبتره ، وأن هذا الدين سيظهر على كل الأديان ، وأنه سيسود الأرضَ كلها ، ولن يبقى سواه ، بإذن الله تعالى .

إن الإسلام دينٌ متوازن ، فهو دينُ السلام ، لأن الله تعالى هو السلام ، والجنةَ هي دار السلام ، وتحيةَ المسلم السلام ،... وهو بنفس الوقت : دينُ الجهاد والسيف ، لكن لا يعتدي أحدٌ على أحد ،... ولو نظرنا في كتاب الله تعالى إلى الآيات القرآنية التي تتحدّث عن الرحمة بمشتقاتها ، وإلى الآيات التي تتحدَّث عن الجهاد والقتال بمشتقاتها ،... نجد الفارق الكبير بينهما ، فالتي تتحدَّث عن الرحمة زادت على (٣٠٠) آية ، بينما التي تتحدَّث عن القتال والجهاد بلغت نحواً من (٢٠٠) آية .

ثم لو نظرنا إلى جانب الشدّة والقوة والجهاد والسيف ،... لرأيناه ﷺ غاية الرفق والرحمة والشفقة على عباد الله ، ذلك لو قارنّا بينه ﷺ في معاركه التي خاضها جميعاً وبين معركة واحدة خاضها نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل وجدنا الفارق الكبير .

لقد غزا ﷺ (٢٧) غزوة ، وباشر القتال في (٩) تسع منها ، ومع هذا فإنه ﷺ لم يَقتل في جميع تلك الغزوات بمجموعها ما يعادل (١٠ ٪) من مجموع ما قتله يوشع عليه السلام ، في معركة واحدة ، سواء بأريحا أو عند

فتح بيت المقدس[1][2].

ومع ذلك لم تقع ولم تسجّل حادثةٌ واحدةٌ فيها قسوةٌ أو ظلم على أحد من رسول الله ﷺ ، فلقد كان رؤوفاً رحيماً نبيلاً شهماً متسامحاً شجاعاً كريماً ، لذا استحق أن يكون هو (ابن الإنسان) الذي بشّرت به الكتب السابقة ، كما سيأتي في آخر الكتاب .

لقد كان رسول الله ﷺ يحمل بيده السلام والرحمة والمحبة والوئام ،... ويحمل السيفَ لمن عاند واستكبر وأبى أن يعم الإسلام والسلام ويسود .

نبيُّ الله ﷺ هو رسول الله تعالى ، أرسله وأمره بتبليغ دينه ، وأمره أن ينشر هذا الدين ، وهو خاتمة الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وجعله تعالى رحمةً مهداة للخلق جميعاً ، فمن أطاعه واتّبعه وانطوى تحت لوائه : شملته

---

(١) انظر : قصص الأنبياء لابن كثير (٤٤١) ومحمد في الكتاب المقدس (٢٦٢).

واسمع ما جاء في سفر الملوك الأول / الإصحاح العشرين ، فقرة (٢٧ ـ ٣١) ما يلي :

(وعند تمام السنة عدَّ ينهدد الآراميين ، وصعد إلى أُفيق ليحارب إسرائيل * وأُحصي بنو إسرائيل وتزودوا وساروا للقائهم فنزل بنو إسرائيل مقابلهم نظير قطيعين صغيرين من المِعزى . وأما الآراميون فملأوا الأرض * فتقدَّم رجُل الله وكلَّم مَلِكَ إسرائيل وقال : هكذا قال الرب من أجل أن الآراميين قالوا : إن الرب إنما هو إلهُ جبال وليس هو إلهَ أودية ، ادفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك فتعلمون أني أنا الرب * فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام **وفي اليوم السابع اشتبكت الحربُ فضرب بنو إسرائيل من الآراميين مائة ألف راجل في يومٍ واحد * وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجلٍ الباقين ،...** *) هكذا قتلوا في يوم واحد ، فمن هو الإرهابي والمتطرِّف ؟؟؟ .

(٢) لا يرد علينا ما فعله ﷺ بيهود بني قريظة ، لأن عقوبتهم كانت وفق ما في التوراة ، كما نقلته ، من سفر التثنية الإصحاحين (١٣ ، ٢٠) وسيأتيان في حاشية صفحة (٤٩٩ ـ ٥٠٠).

الرحمة ، في الدنيا والآخرة ، ومن عصاه وتنكب عن دينه ، ولم يتبعه : فهو بين أمرين ؛ إما أن يرضى بالرعاية ، وإما أن يعاند ، وهذا مصيره الإزاحة ، فهو ﷺ غاية الاعتدال والتوازن ، فهو الرحيم في قوته ، والقوي في رحمته .

لا يقاتل عدواناً ، ولا يريد إبادةً لعدو ، ولا رغبةً في إسالة الدماء ، إنما لحملهم على الإسلام ، فمن أسلم فهو الأخ الحبيب .

وهذه الرسالة بيان الجانب الأول من شخصيته ﷺ وحاله (**الرحمة**) .

أسأله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ويجعله عنده مقبولاً ، ويرزقني الصدق في القول ، والإخلاصَ في العمل ، وأن يثيبني على ما أكرمني به ، ويجعلني ومن يلوذ بي ؛ من والد وجد وولد وزوج وحفيد وأخ وشيخ وتلميذ ، من خيار عِباده وعُبّاده ، ويحفظنا فيما بقي من العمر ، ويتولانا بما تولى به عباده الصالحين ، ويكرمنا جميعاً برضاه ، ويحسن ختامَنا من غير ابتلاء ولا محنة ، ويجعل مثوانا الأخير في بلد نبيه الكريم ﷺ ، والحشر منه مع أهله ، ويشملنا بتلك الرحمة ، إنه على كل شيء قدير .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الكرام المبجَّلين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً . والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة / ١/ شعبان/ ١٤٢٣هـ وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم مُلّا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة

الفصل الأول
سعة رحمة الله تعالى

إن رحمة الله جل وعز واسعة ، شملت كلَّ شيء ، لأنه تعالى كتبها على نفسه ، ولكن الله تعالى لن يكرم بها من كفر به وجحد ، وإن كان يرحمهم في الدنيا ـ بالرزق والمال والولد ... الخ ـ لذا على العباد أن يفرحوا بها ، ولا يقنطوا منها ، لأنه لا يقنط منها إلا الكفار .

والنصوص في بيان رحمته تعالى كثيرةٌ جدّاً ؛ سواء في القرآن الكريم ، أو في السنة النبوية الشريفة ، لذا فإني سأقتصر ـ بإذن الله تعالى ـ على ذكر بعضها ، كما سأجعل ذلك تحت عناوين صغيرة ، لمعرفتها ويسر حفظها ، كما سأجعل في نهاية هذا الفصل عنواناً لمظاهر تلك الرحمة ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

ـ الله تعالى كتب على نفسه الرحمة :

لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه كتب على نفسه المقدسةِ الرحمةَ

فقال جل شأنه : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ﴾(١).

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنعام (١٢).

(٢) سورة الأنعام (٥٤).

فقد أوجبها تعالى على نفسه العليَّة ؛ تفضُّلاً منه تعالى ، وإحساناً ، وامتناناً على خلقه .

ـ الله تعالى هو ذو الرحمة :

لقد أخبرنا الله تعالى أنه الغني عن خلقه ، ومع هذا فإنه هو ذو الرحمة ، وهو الرحيم بهم ، وأنه ذو رحمة واسعة .

فقال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾[1] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾[2] فقد جاء لفظ (الرحمة) معرفاً بالألف واللام ، ليُعلم أنه تعالى مالكها كلّها ، والله تعالى أعلم .

ـ الله تعالى هو مالك الرحمة :

ومن مظاهر سعة رحمة الله عز وجل أنه هو الراحم ، وهو مالك الرحمة لا سواه ، ولا يملك خزائنَها إلا هو تعالى ، وأنه يختص بها ؛ لا ينازعه فيها أحد ،... وقد كثرت الآيات القرآنية في ذلك ، ومنها :

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾[3] .

فكما أنه لا يملك خزائنَها إلا هو تعالى ، فإنه جل شأنه يختص بها من يشاء من عباده أيضاً ، لذا أضافها تعالى إليه .

قال الله تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[4] .

---

(١) سورة الأنعام (١٣٣).

(٢) سورة الكهف (٥٨).

(٣) سورة ص (٩) وانظر سورة الإسراء (١٠٠) وسورة الزخرف (٣٢).

(٤) سورة البقرة (١٠٥) وانظر سورة الأنبياء (٨٤) وسورة مريم (٢ ، ٢١ ، ٥٠ ، ٥٣) =

قال الله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[1] .

ـ يرحم من يشاء :

ولما كان الله تعالى هو المالك للرحمة فإنه جل شأنه يرحم من يشاء من عباده ، ويحجبها عمن يشاء ، لأنه تعالى هو المتصرف في الكون لا سواه ، وكل ذلك مبني على حكمة يعلمها جل وعز .

قال الله تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ ﴾[2] .

وقال جل شأنه : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾[3] .

ـ الله تعالى هو الرحمٰن الرحيم :

ومن بيان سعة رحمة الله تعالى أن من أسمائه جل شأنه : الرحمٰن ، والرحيم .

وإذا كان الله تعالى وصف نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ بالرحيم ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ ووصف غيرَه من الناس ، فإنه تعالى اختص باسم الرحمٰن ، فلا يشاركه فيه أحد . وقد كثرت الآيات القرآنية في بيان هذين الاسمين الكريمين .

فقد ورد اسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ في القرآن الكريم مفرداً (٥٧) مرة ، وورد اسم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ في القرآن الكريم مفرداً (٩٥) مرة ، و ﴿رَّحِيمًا﴾ (٢٠) مرة ، وأما ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقد وردا (١١٣) مرة بعدد سور القرآن عدا سورة التوبة .

= وسورة الفتح (٢٥) وسورة الإنسان (٣١).

(١) سورة فاطر (٢) وانظر سورة الأحزاب (١٧).

(٢) سورة الإسراء (٥٤).

(٣) سورة العنكبوت (٢١).

فكيف إذا ضُم إلى ذلك لفظ الرحمة ومشتقاتها ، فإن العدد يزيد ، وكل ذلك دلالة على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى .

بل لو أقبل العباد على ربهم تعالى لوجدوه غفوراً رحيماً .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

ـ الله تعالى هو أرحم الراحمين :

ومن بيان سعة رحمة الله تعالى أنه أرحم الراحمين ، فلا أرحم منه تعالى ، وكيف يوجد ، وهو الذي خلق الخلق ، ووصف من وصفهم بها ، وأنزل فيهم جزءاً من مائة جزء من رحمته ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ ليتراحموا بها .

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2].

وقد بيَّن الأنبياءُ والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ذلك ، لذا خاطبوه تعالى بذلك ، وقد كثرت الآيات الكريمة في ذلك .

قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3].

وقال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة النساء (١١٠) وانظر (٢٩ ، ١٢٩ ، ١٥٢) من السورة نفسها ، وسورة الإسراء (٦٦) وسورة الفرقان (٧٠) وسورة الأحزاب (٤٣) وغيرها كثير .

(٢) سورة المؤمنون (١١٨) وانظر الآية (١٠٩) من السورة نفسها .

(٣) سورة الأعراف (١٥١) وانظر سورة يونس (٨٦).

(٤) سورة يوسف (٦٤) وانظر الآية (٩٢) من السورة نفسها .

وقال تعالى عن أيوب عليه السلام : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1].

وقد بيَّن النبي المصطفى الكريم ﷺ سعة هذه الرحمة ، وأنه تعالى أرحم الراحمين .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ في رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة ، وشفاعتهم لإخوانهم الذين في النار ، وفي آخر الحديث ـ « فيقول الله عز وجل : شفَعَت الملائكةُ ، وشفع النبيُّون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

كما قرَّب لنا النبيُّ المصطفى الكريمُ ﷺ رحمةَ الله عز وجل ، وأنه أرحم بخلقه من الأم بولدها .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قدم على رسول الله ﷺ بسبيٍ ، فإذا امرأة من السبي تبتغي ، إذا وجدت صبيّاً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأةَ طارحةً ولدَها في النار ؟ ». قلنا : لا والله ، وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول الله ﷺ : « للهُ أرحمُ بعباده من هذه بولدها ». متفق عليه[3].

والمراد بعباده ـ والله تعالى أعلم ـ عباده المؤمنون ، لما ورد عن أنس رضي الله تعالى عنه في هذا الحديث ، وفيه قوله ﷺ : « ولا الله بطارحٍ حبيبَه

---

(١) سورة الأنبياء (٨٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٣٠٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . وصحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبَه ، رقم (٢٢).

في النار »رواه أحمد والبزار وأبو يعلى برجال الصحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1]. وهناك عدة نصوص بنحوه .

فالتعبير بحبيبه يُخرج الكافر ، لأنه ليس حبيباً لله تعالى ، والله تعالى أعلم .

ـ رحمة الله واسعة ، وشاملة لكل شيء :

لقد أخبرنا الله تعالى أن رحمته وسعت كل شيء في الوجود ، من عاقل وغير عاقل ، من حيوان وإنسان ومَلَكٍ وجان .

قال الله تعالى : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[2].

وقال تعالى على لسان الملائكة : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[3].

فهي واسعة بأوسع من مخلوقاته ، لذا وسعتهم جميعاً .

فكما وسع عز وجل خَلْقَه علماً ؛ كذلك وسعهم رحمة ، وسيأتي زيادة بيان إن شاء الله تعالى بعد قليل .

مضاعفة الله تعالى الرحمة للمؤمنين :

إن الله سبحانه وتعالى يكرم عباده المؤمنين الذين اتقوه وآمنوا برسوله الكريم ﷺ ، فيضاعف لهم من رحمته .

قال الله جل شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٠٤ ، ٢٣٥) وكشف الأستار (٣ : ١٧٤) ومسند أبي يعلى (٦ : ٣٩٧ ، ٣٩٨) والمستدرك (١ : ٥٨) (٤ : ١٧٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٨٣).

(٢) سورة الأنعام (١٤٧).

(٣) سورة غافر (٧).

(٤) سورة الحديد (٢٨).

حيث فضّل الله تعالى هذه الأمة بالنور والمغفرة .

ـ دعاء الأنبياء عليهم السلام أن يشملهم الله تعالى برحمته :

إن الأنبياء عليهم السلام هم أعرف الناس بربهم تعالى ، وبسعة رحمته ، لذا دعوا أن يشملهم الله تعالى بها ، وقد استجاب الله تعالى لهم فنالوها .

قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1].

وقال تعالى عن أيوب عليه السلام : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2].

وقال الله تعالى ـ على لسان سليمان عليه السلام ـ : ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3].

وقال عز وجل عن بعض رسله : ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[4].

ـ من الذين كُتبت لهم الرحمة :

إن الله جلت قدرته ـ مع أن رحمته وسعت كلَّ شيء خَلَقَه ، وأنه تعالى أرحم بخلقه منهم بأنفسهم ، وأنه تعالى أَنزل جزءاً من مائة جزء من الرحمة ليتراحم بها الخلق ،... لكن بنفس الوقت فإن الله تعالى ـ أمر الناس بأوامر ،

---

(١) سورة الأعراف (١٥١) وانظر سورة يونس (٨٦).

(٢) سورة الأنبياء (٨٣).

(٣) سورة النمل (١٩).

(٤) سورة الأنبياء (٨٦) وانظر لبعض الرسل : سورة هود (٥٨ ، ٦٦ ، ٩٤).

ونهاهم عن مناه ، فمن أطاعه تعالى : استحق الرحمةَ ، والمغفرةَ - فيما إذا قصَّر - ومن خالفه وعصى أمره وتكبر ، وكفر به - والعياذ بالله تعالى - فإن هؤلاء لا يستحقون الرحمة في الآخرة ، بل يستحقون العقوبةَ لعصيانهم وكفرهم عمداً واستكباراً .

قال الله جل وعز : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾ الآية[1].

لقد استشرف إبليس لما سمع قولَه تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لأنه شيء ، وقد وسعته الرحمة ، فتطاول لها لينالها ، ولكن البساط سُحب من تحت قدميه ، لوجود القيد الثاني . فهو لم يتق ، ولم يؤمن .

واستشرف اليهود والنصارى لَـمّا سمعوا قولَه تعالى : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ لزعمهم أنهم يتقون ويزكّون ويؤمنون ، فتطاولوا لها ، فسُحب البساط من تحت أرجلهم أيضاً ، بوجود القيد الثالث ؛ وهو الإيمان برسول الله ﷺ واتباعه .

فنالتها هذه الأمة ، لاتباعها رسول الله ﷺ ، حيث قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ...﴾ فذكر الله تعالى لرسوله ﷺ - في هذه الآية - تسع صفات . كما بينته في غير هذه الرسالة .

فالذين سيُرحمون يوم القيامة وتنالهم هذه الرحمة : هم من يؤمن بهذا

---

(١) سورة الأعراف (١٥٦ - ١٥٧).

النبي المصطفى الكريم ﷺ ، ويتبعه ، وهم هذه الأمة ، والله تعالى أعلم . وسيأتي مزيد لذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى .

وذلك لأن الله تعالى أخذ العهدَ والميثاق على جميع الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام : إن بُعث النبي المصطفى الكريم ﷺ ؛ وأحدٌ منهم على قيد الحياة : يلزمه أن يؤمنَ به ويتبعه وينصرنه ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1] .

وقد أمرهم الله تعالى أن يأخذوا هذا الميثاق على أممهم ، بحيث إن بُعث النبي المصطفى الكريم ﷺ فإنه يلزم كلُّ من أدركه منهم أن يؤمن به ويتبعه ، وإلا كان كافراً بدينه ، مكذِّباً وعاصياً لرسوله الذي يتّبعه ، ثم للعهد الرباني الذي أُخذ عليهم[2] .

وقد بقي الأنبياء عليهم السلام يتناقلون هذا العهد حتى عيسى عليه السلام ، حيث بشَّر بالنبي المصطفى الكريم ﷺ ، كما قال تعالى على لسانه : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[3] .

وهذا النص الكريم موجود في الإنجيل ، مع كثرة التحريفات فيه .

---

(١) سورة آل عمران (٨١).

(٢) انظر عظيم قدره ﷺ (٢٩ ـ ٣٣).

(٣) سورة الصف (٦).

من الذين يرحمهم الله تعالى :

لقد ذكرت في الفقرة السابقة أن الذين كُتبت لهم الرحمة هم الذين يتبعون النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وأزيد هنا : أن الذين يرحمهم الله تعالى هم الذين يرحمون الناس ، لأن الله تعالى جعلها في قلوب عباده الرحماء .

وأذكر بعض الأحاديث الشريفة الدّالة على من يرحمهم الله تعالى .

فعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة وفاة ابن بنت النبي الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهما ـ وفي آخره : فرفع الصبيُّ في حِجْر رسول الله ﷺ ، ونفْسُه تقعقع ؛ كأنها شن ، ففاضت عينا النبي ﷺ فقال سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة ، وضعها الله في قلوب من شاء من عباده ، ولا يرحم من عباده إلا الرحماء ». متفق عليه[1].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرحمُ الله مَن لا يرحمُ الناسَ ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قبَّل رسولُ الله ﷺ الحسنَ ابنَ عليٍّ ـ وعنده الأقرعُ بنُ حابس التميمي جالساً ـ فقال الأقرع : إن لي عشرةً من الوَلَد ، ما قبَّلتُ منهم أحداً . فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « مَن لا يَرحم لا يُرحم ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب عيادة الصبيان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب البكاء على الميت ، رقم (١١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ، رقم (٦٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، وفي غيرهما . وصحيح =

وعن عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمٰن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والحميدي وأبو داود والبيهقي ، وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي[1].

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، وما ذكرته كاف للتدليل .

ـ الفائز من رحمه الله تعالى :

لما كان الخلقُ جميعاً عبيداً لله تعالى ، وهو المتصرِّف فيهم ؛ لأنهم عبيده ، وكان قد أمرهم بأمور ، ونهاهم عن أمور ، فالمعصوم من شملته الرحمة ، فكان السعيدَ الفائزَ ، ولا يكون ذلك إلا برحمته جل شأنه ، والعاصي من حاد عن ذلك فلا تشمله ، فكان الخاسر .

قال الله تعالى على لسان الملائكة : ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2].

وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام ـ وهو يخاطب ابنه وهو في حال الغرق ـ : ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾[3].

= مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٥).

(١) مسند أحمد (٢ : ١٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٦) ومسند الحميدي (٢ : ٢٦٩ رقم ٥٩١) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤١) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة المسلمين ، رقم (١٩٢٤) وتاريخ بغداد (٣ : ٢٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٤١) والأسماء والصفات (٤٢٣) وفتح الباري (١٣ : ٣٥٩) وهذا هو المسلسل بالأولية .

(٢) سورة غافر (٩).

(٣) سورة هود (٤٣).

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾[١].

وقال الله تعالى على لسان امرأة العزيز : ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

بل إن الزحزحة عن العذاب يوم القيامة هو من الرحمة التي يرجوها الناس كلهم .

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾[٣].

فنلاحظ أن المواضيع التي ذكرتها الآيات مختلفةٌ في جزئياتها ؛ لكنها تشترك في أمر واحد ؛ وهو أن الفائز السعيد من شملته رحمةُ الله تعالى ، وأن الإنسان لا يملك التصرف ، إلا برحمة الله تعالى .

ـ الفرح برحمة الله تعالى :

لقد طلب الله جل شأنه من عباده السعداء الذين أكرمهم برحمته وفضله : أن يفرحوا برحمة الله تعالى التي نالتهم ، وأن ذلك خيرٌ من حطام الدنيا وما فيها .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة هود (١١٨ ـ ١١٩).

(٢) سورة يوسف (٥٣).

(٣) سورة الأنعام (١٥ ـ ١٦).

(٤) سورة يونس (٥٨).

ـ الذين تشملهم هذه الرحمة :

إن رحمة الله تعالى تشمل كثيراً من الأصناف من الخلق ؛ تشمل الصغير ، كما تشمل الكبير ، وتشمل الحيوان كما تشمل الإنسان ، وتشمل الصالحين بدرجاتهم ومراتبهم ، كما تشمل الخليقةَ كلها من الأخطار الداهمة لهم ، وكل ذلك بضوابط وشروط ،...

ولما كان يصعب ذكر كل ذلك ، لذا أقتصر على ذكر بعض النماذج من أصناف المؤمنين للتقريب ، فمنها :

ـ الإيمان والتقوى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

ـ الطاعة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2] .

ـ اتباع القرآن مع تقوى الله تعالى : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3] .

ـ المحسن : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4] .

ـ المؤمن : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[5] .

---

(١) سورة الحديد (٢٨).

(٢) سورة آل عمران (١٣٢).

(٣) سورة الأنعام (١٥٥).

(٤) سورة الأعراف (٥٦).

(٥) سورة الأعراف (٢٠٣) وانظر سورة النحل (٦٤) وسورة الأعراف (٤٩).

ـ **المؤمن المعتصم بالله تعالى** : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(1).

ـ **الذي يتخذ ما ينفق قربة ويبتغي دعاء الرسول ﷺ** : ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(2).

ـ **المصلّي والمزكّي والمطيع للرسول ﷺ** : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(3).

ـ **المتقي لما بين يديه وما خلفه** : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(4).

ـ **المؤمن الذي يعمل الصالحات** : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾(5).

ـ **المستمع للقرآن الناصت له** : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(6).

ـ **المستغفر الله تعالى** : ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(7).

---

(1) سورة النساء (١٧٥).

(2) سورة التوبة (٩٩).

(3) سورة النور (٥٦).

(4) سورة يسٓ (٤٥).

(5) سورة الجاثية (٣٠).

(6) سورة الأعراف (٢٠٤).

(7) سورة النمل (٤٦).

ـ المعترف بخطئه : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١).

ـ المهاجرون المجاهدون المؤمنون : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾(٢).

ـ الشهيد في سبيل الله : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(٣).

ـ الراسخون في العلم : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾(٤).

ـ المصلح بين المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٥).

ـ الصابر عند المصيبة : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾(٦).

---

(١) سورة يوسف (٩٢).

(٢) سورة التوبة (٢٠ ـ ٢١) وانظر سورة البقرة (٢١٨) وسورة النساء (٩٥ ـ ٩٦).

(٣) سورة آل عمران (١٥٧).

(٤) سورة آل عمران (٧ ـ ٨).

(٥) سورة الحجرات (١٠).

(٦) سورة البقرة (١٥٦ ـ ١٥٧).

ـ **من ابيضّت وجوههم :** ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

ـ **أقسام المؤمنين :** ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

ـ ما الذي يثمر الرحمة ؟

إن الذي يستدر رحمةَ الله تعالى أمورٌ كثيرة ، منها طاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ ، وتقوى الله تعالى ، وسماع الإنذار والوقوف عنده ، وقيام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وكثرة ذكر الله تعالى ، واستغفاره ، وقراءة القرآن والاستماع له ، وإصلاح ذات البين ،... لكن أذكر بعضَها ، على قدر هذا المختصر .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3].

وقال الله جل شأنه : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[4].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران (١٠٧).

(٢) سورة التوبة (٧١).

(٣) سورة آل عمران (١٣٢).

(٤) سورة الأعراف (٦٣).

(٥) سورة الأعراف (٢٠٤).

وقال جل شأنه : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وقال الله عز وجل : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

الخاسر من لم تنله الرحمة :

لما كانت الرحمة لله تعالى ، وهو الرحمٰن الرحيم ، وقد وسعت كلَّ شيء ،... لذا فالخاسر الحقيقي هو الذي لم تشمله الرحمة ، لأنه ليس أهلاً لها .

قال الله تعالى ـ على لسان آدم وحواء عليهما السلام ـ : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[5].

وقال تعالى ـ على لسان نوح عليه السلام ـ : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[6].

---

(١) سورة النور (٥٦).

(٢) سورة النمل (٤٦).

(٣) سورة يسٓ (٤٥).

(٤) سورة الحجرات (١٠).

(٥) سورة الأعراف (٢٣) وانظر الآية (١٤٩) من السورة نفسها .

(٦) سورة هود (٤٧).

وقال تعالى : ﴿...فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى ـ مخاطباً أهل الإفك ـ : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

رحمته تعالى منجاة للخلق :

لذا كانت رحمته تعالى منجاةً للخلق ، فمن صُرف عنه العذاب ـ من أي نوع ـ وأُكرِم بها فقد سعد ، وإلا خاب وخسر .

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[3].

وقال جل شأنه : ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾[4].

وقال تعالى ـ على لسان نوح وولده ـ : ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[5].

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[6].

وقال الله تعالى ـ على لسان الملائكة وهم يدعون للمؤمنين ـ : ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة (٦٤) وانظر سورة النساء (٨٣ ، ١١٣).

(٢) سورة النور (١٤) وانظر آية (١٠) من السورة نفسها .

(٣) سورة يوسف (٥٣).

(٤) سورة الأنعام (١٦).

(٥) سورة هود (٤٣).

(٦) سورة هود (١١٨ ـ ١١٩).

(٧) سورة غافر (٩).

دعاء المؤمنين بالرحمة :

طالما أنه لا يستغني مخلوق عن رحمة الله سبحانه وتعالى ، وأن كلَّ الخلق يحتاجونها ـ صرّحوا بذلك ، أم لا ـ لذا كثر دعاء الأنبياء والرسل عليهم السلام والصالحين من بعدهم يسألون الله تعالى الرحمةَ .

قال الله تعالى ـ على لسان موسى عليه السلام ـ : ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[1] .

وقال الله تعالى ـ على لسان المؤمنين ـ : ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2] .

وقال جل شأنه ـ مخاطباً الولد البار بوالديه ـ : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[3] .

وقال تعالى ـ مخاطباً أهلَ النار ـ : ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4] .

وقال جل شأنه ـ مخاطباً نبيَّه الكريم ﷺ ـ : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[5]. لكنه إرشاد لكل المؤمنين ، والله تعالى أعلم .

من الذي يقنط وييأس من الرحمة ؟

لما كانت رحمة الله تعالى وسعت كلَّ شيء ، وهو الرحمٰن الرحيم ،... لذا

---

(١) سورة الأعراف (١٥٥).

(٢) سورة البقرة (٢٨٦).

(٣) سورة الإسراء (٢٤).

(٤) سورة المؤمنون (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٥) سورة المؤمنون (١١٨) وانظر الآية (١٠٩) من السورة نفسها .

فلا ييأس ولا يقنط منها إلا الكافرون، والعياذ بالله تعالى.

قال الله تعالى - على لسان إبراهيم عليه السلام -: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

لذا أخبر الله تعالى عباده المسرفين على أنفسهم - فضلاً عن الصالحين - ألّا يقنطوا من رحمة الله تعالى.

قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

الكافر لا تصلح له الرحمة:

لـمّا تحمل الإنسان الأمانة، وتعهد بالميثاق، وشهد أمام ربِّه تعالى أن يكون مؤمناً،... وأقام الله تعالى الدلائل على وجوده ووحدانيته، وأرسل من يذكِّر الإنسان بالعهد والأمانة والإيمان،... حتى لا تكون لأحد حجة، لذا فمن كفر بعد ذلك فلا يستحق الرحمة، لأنه هو الذي أوقع نفسه في التهلكة بعد قيام تلك البراهين.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الحجر (٥٦).

(٢) سورة العنكبوت (٢٣).

(٣) سورة الزمر (٥٣).

(٤) سورة المؤمنون (٧٤ - ٧٥).

وقال تعالى : ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ﴾[1].

ـ مظاهر سعة رحمة الله تعالى :

إن مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى كثيرةٌ جدّاً يصعب حصرها في مثل هذا المختصر ، لذا فإني سأقتصر على عشرة مظاهر ؛ للدلالة على الباقي ، وليكن بغاية الاختصار ، من غير تطويل ، والله تعالى الموفق والمعين .

ـ فمن تلك المظاهر :

أ ـ أن علَّق الله تعالى العذابَ والعقوبةَ على بعثة الرسل .

فقال جل شأنه : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2].

وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾[3].

لذا ذهب الجمهور إلى نجاة من لم تبلغه الدعوة[4].

ب ـ ومن مظاهر رحمته تعالى : **أنه لم يكلِّف الإنسان إلّا بما يطيق ، وتجاوز عنه عما لا يطيق .**

قال الله تعالى : ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾[5].

---

(١) سورة يونس (٢١) وانظر سورة هود (٩).

(٢) سورة الإسراء (١٥).

(٣) سورة القصص (٥٩).

(٤) لقد توسعت في هذه المسألة في (الردّة قديمها وحديثها) أرجو الله تعالى إخراجه عن قريب ، لأني كتبته عام (١٣٨٦ ـ ١٣٨٧ هـ).

(٥) سورة الأنعام (١٥٢) وسورة الأعراف (٤٢) وسورة المؤمنون (٦٢) وانظر سورة البقرة (٢٣٣ ، ٢٨٦).

وقد جاءت كثير من الأحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية ، فيها دلالة هذا التخفيف ، لكني أقتصر على الإشارة إلى بعضها .

مثل : التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله ، وقصر الصلاة وجمعها في السفر ، والصلاة قاعداً لمن لم يستطع القيام ، ووضع الصلاة عن المرأة في الحيض ، والفطر في السفر والمرض ، وجعل وجوب الحج والعمرة على المستطيع ، ورفع الحرج على الأعمى والأعرج والمريض ،...الخ.

قال الله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾(1).

كما رفعها تعالى عن المضطر عموماً ، فقال جل شأنه : ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(2).

بل جعل الله تعالى الدِّينَ كلَّه لا حرج فيه ولا مشقة ، ولا ضيق .

قال تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾(3).

ومن مظاهر رحمته تعالى : **أنه رفع عن الأمة ما حدّثت به أنفسها ، ورفع عنها الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه ، وأنه لا يؤاخذ النائم والصبي والمجنون** ،...الخ، وكل ذلك ثبت في السنة .

ج ـ ومن مظاهر رحمة الله جل شأنه : **أنه يغفر الذنوبَ جميعاً ، باستثناء الكفر والشرك به تعالى .**

قال الله تعالى : ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن

---

(1) سورة النور (٦١) وسورة الفتح (١٧).

(2) سورة البقرة (١٧٣) وانظر سورة الأنعام (١٤٥) وسورة النحل (١١٥).

(3) سورة المائدة (٦) وانظر سورة الحج (٧٨) وسورة البقرة (١٨٥).

رَحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[2].

ومما يدخل في ذلك : قبول توبة التائب إلا أن يكون في السياق ، وأن باب التوبة يبقى مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها ، وأنه جل شأنه يمهل عبدَه ليتوب من أخطائه .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « إن الله يقبل توبةَ العبد ما لم يُغرغر ». رواه أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه ». رواه مسلم[4].

بل إنه سبحانه وتعالى يُمهل المسيءَ لعله يتوب إلى الله عز وجل ، لذا فإنه تعالى يطلب من الملائكة ألّا يكتبوا الإساءةَ من المسيء لعله يتوب ، بخلاف الحسنة ، كما أنه تعالى يبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار .

---

(١) سورة الزمر (٥٣).

(٢) سورة النساء (٤٨ ، ١١٦).

(٣) مسند أحمد (٢ : ١٣٢ ، ١٥٣) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب في فضل التوبة والاستغفار ،... رقم (٣٥٣١) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر التوبة ، رقم (٤٢٥٣) وفيه وهم نبَّه عليه الحافظ المزي في تحفة الأشراف (٥ : ٣٢٨) والمستدرك (٤ : ٢٥٧) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٩٤ ـ ٣٩٥) ومسند ابن الجعد (٤٨٩ رقم ٣٤٠٤) وشرح السنة (٥ : ٩٠ ـ ٩١).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب استحباب الاستغفار ،... رقم (٤٣).

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل يبسط يدَه بالليل ؛ ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يدَه بالنهار ؛ ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمسُ من مغربها ». رواه مسلم[1].

والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في قبول التوبة والحث عليها كثيرة جدّاً .

د ـ ومن تلك المظاهر : **أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أن رحمتَه تعالى سبقت غضبَه** . فيكون ابتداء الأمر بالرحمة ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لما قضى الله الخلقَ ؛ كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي ». متفق عليه[2].

لذا جعل الله سبحانه وتعالى رسولَه الحبيبَ ﷺ خاتمةً على الرحمة لا على العقوبة ، وعلى هذا يكون ابتداءُ الوجود رحمةً ، وآخرُه وخاتمتُه رحمةً ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

هـ ـ ومن مظاهر رحمة الله تعالى بعباده : **رأفتُه بعباده ، وتودُّدُه إليهم** ، ومناداته لهم بالإقبال عليه ، وحثهم على الإنابة والتقرب إليه ، كيف ومن أسمائه تعالى : الرؤوف ، حيث ورد هذا الاسم الكريم في كتاب الله تعالى (١١) مرة ، كما وردت أحاديث كثيرة تبين مدى رأفة الله تعالى ورحمته بعباده ، وأنه

---

(١) صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب قبول التوبة من الذنوب ،... رقم (٣١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه ، رقم (١٤ ـ ١٦).

تعالى أسرع إلى عبده من عبده إليه ، وأنه تعالى يفرح بتوبة عبده أكثر مِن فرح مَن فَقَد راحلتَه في الصحراء ، وعليها متاعه ، فأيس من الحياة ، ثم وجدها .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : مَن يدعوني فأستجيبَ له ، ومن يسألُني فأُعطيَه ، ومن يستغفرني فأغفرَ له ». متفق عليه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم ، وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبتُ إليه ذراعاً ، وإن تقرَّب إلي ذراعاً تقرَّبتُ إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة ». متفق عليه[2].

زاد مسلم[3] في حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه : « ... ومن لقيني بقراب الأرض خطيئةً لا يُشرك بي شيئاً ؛ لقيتُه بمثلها مغفرة ».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لله أفرحُ بتوبة عبده المؤمن مِن رجلٍ نزل في أرضٍ دوِّيَّةٍ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، رقم (١٦٨ ـ ١٧٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب الحث على ذكر الله ، وباب فضل الذكر والدعاء ،... رقم (٢ ـ ٣ ، ٢٠ ـ ٢١) وكتاب التوبة : باب في الحض على التوبة ، رقم (١).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الذكر : باب فضل الذكر والدعاء ،... رقم (٢٢).

مهلكة ، معه راحلتُه عليها طعامه وشرابُه ، فوضع رأسَه فنام نومةً ، فاستيقظ وقد ذهَبَت راحلتُه ، فطلبها ، حتى إذا اشتد عليه الحرُّ والعطشُ - أو ما شاء الله - قال : أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه فأنام ، حتى أموت . فوضع رأسَه على ساعده ليموت ، فاستيقظ ، فإذا راحلتُه عنده ، عليها زاده وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد مِن هذا براحلته وزاده ». متفق عليه[1].

زاد مسلم[2] في حديث أنس رضي الله تعالى عنه : «... فأخذ بخطامها ثم قال - من شدة الفرح - : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح ».

وقد ورد نحو هذا الحديث من طريق عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

و - ومن مظاهر تلك الرحمة الربانية : **أن جعل الله جل وعز الرحمةَ مائة جزء ، أنزل منها جزءاً واحداً إلى الأرض** تتراحم به الخلائق على اختلاف أنواعها ؛ من إنسان وحيوان ، وأن الله تعالى أبقى عنده تسعةً وتسعين جزءاً ، فإذا كان يوم القيامة ضم هذا الجزء إلى التسعة والتسعين ، فتعود مائة ، ليرحم بها خلقه ، كل ذلك دلالة على سعة رحمته سبحانه وتعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمةَ مائة جزء ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائقُ ، حتى ترفعَ الدّابةُ حافرَها عن ولدها ؛ خشيةَ أن تصيبه ». متفق عليه[3]

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب التوبة . وصحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في الحض على التوبة ، رقم (٣ـ ٤).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب جعل الرحمة في مائة جزء ، وفي غيرهما . وصحيح =

وفي رواية لمسلم[1] « إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس والبهائم والهوامِّ ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحشُ على ولدها ، وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمةً ؛ يرحم بها عباده يوم القيامة » .

ورواه مسلم[2] بنحوه من حديث سلمان رضي الله تعالى عنه .

ز ـ ومن مظاهر تلك الرحمة : **أن الله تعالى يضاعف الحسنات أضعافاً كثيرةً ، بينما السيئات تبقى بواحدة** ، بل إن الحسنات يُذهبن السيئات ، وأنّ مَن همَّ بحسنة ولم يعملها كتبها الله تعالى له حسنةً ، فإن عملها كتبها له عشر حسنات إلى سبعمائة ، إلى أضعاف كثيرة ، وأنّ من همَّ بسيئة ولم يعملها كتبها له حسنة ، فإن عملها كتبها عليه سيئة واحدة[3] .

بل إن الله جل شأنه يبدل سيئات المسيء إذا تاب حسنات . وقد توسعت في بيان ذلك في غير هذا الكتاب .

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[4] .

وقال الله تعالى : ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ﴾[5] .

ح ـ ومن مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى : **أن جعل كتابه الكريم كله رحمة ، وهداية ، ونوراً ، وشفاء .**

= مسلم : كتاب التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى ، رقم (١٧ ـ ٢١) .

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩) .

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٠) .

(٣) انظر الأمانة العظمى (٢٣٠ ـ ٢٣٤) والخصائص التي انفرد بها ﷺ عن بقية الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره ﷺ ، وفي غيرها .

(٤) سورة هود (١١٤) .

(٥) سورة الفرقان (٧٠) .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

وقال جل شأنه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

بل جعل الله تعالى التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ـ وليست المحرَّفة ـ : رحمة .

قال الله عز وجل : ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[6].

ط ـ ومن مظاهر تلك الرحمة الربانية : **أنه تعالى لا يحاسب العباد على ما**

---

(١) سورة النمل (٧٦ ـ ٧٧).

(٢) سورة لقمان (١ ـ ٣).

(٣) سورة الأعراف (٥٢) وانظر سورة يوسف (١١١) وسورة يونس (٥٧).

(٤) سورة النحل (٨٩) وانظر (٦٤) من السورة نفسها ، وسورة الأعراف (١٥٧).

(٥) سورة الإسراء (٨٢).

(٦) سورة الأنعام (١٥٤) وانظر سورة الأعراف (١٥٤) وسورة القصص (٤٣) وسورة هود (١٧).

أعطاهم وأكرمهم به ، بل يحاسبهم بمحض فضله تعالى ، لأنه لو طالبهم بما كان قد منحهم لما قام بذلك أحد .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لن يُدخلَ أحداً منكم عملُه الجنةَ » قالوا : ولا أنتَ يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمَّدني الله منه بفضل ورحمة ». متفق عليه[1].

كما أن الله تعالى لا يحاسب العباد على موجب علمه بما عملوا ، وإنما يحاسبهم على وفق تعلق فعلهم بالأمر والنهي ، فمن وافق عملُه الأمرَ الربانيَّ أُكرم ، ومن خالف فعلُه النهيَ الربانيَّ عوقب .

كما أن من رحمته عز وجل بعباده أن من ستره في الدنيا لن يفضحه في الآخرة ، إنما يعاقب المجاهرين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا يستر الله على عبدٍ في الدنيا ؛ إلا ستره يوم القيامة ». رواه مسلم[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلُّ أمتي معافى إلّا المجاهرين . وإن من المجاهرة أن يعمل الرجلُ بالليل عملاً ، ثم يصبح قد ستره الله ، فيقول : يا فلان ؛ عملتُ البارحةَ كذا وكذا ، وقد بات يستره ربُّه ، ويصبح يكشف سترَ الله عنه ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب تمني المريض الموت ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب لن يدخلَ أحدٌ الجنةَ بعمله بل برحمة الله تعالى ، رقم (٧١-٧٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب بشارة من ستر الله عيبَه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة ، رقم (٧١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب ستر المؤمن على نفسه . وصحيح مسلم : كتاب =

ي ـ إن من مظاهر رحمة الله تعالى بخلقه : أن جعل أنبياءه عليهم السلام رحمة بأممهم ، ونجّاهم برحمته جل وعز كما شملت غيرَهم[1]. **لكنه تعالى جعل رسولَه المصطفى الكريم ﷺ رحمةً لجميع الخلق ، وسماه رؤوفاً رحيماً ،** إضافة إلى كونه ﷺ رحمة بأمته ، فكل من كان الله عز وجل له ربّاً جعل نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ له رحمة .

قال الله تعالى عن رسوله الكريم المصطفى ﷺ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقال الله جل وعز : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

لقد جعل الله سبحانه وتعالى رسوله وصفيَّه الحبيبَ الكريمَ ﷺ خاتمةَ الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وجعله جل شأنه رحمةً مهداةً من قِبَلِه تعالى .

وما هذه الرسالة إلا بيان بعض مظاهر تلك الرحمة التي أكرم الله تعالى بها نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ ، وأكرم بها خلقَه ، كما سيأتي بيانها ، إن شاء الله تعالى ، والله تعالى الموفق والمعين .

* * * * *

= الزهد : باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه ، رقم (٥٢).

(١) انظر : سورة هود (٢٨ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٩٤) وسورة مريم (٢ ، ٢١) وسورة الكهف (١٠ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ٩٨) ففيها غير الأنبياء عليهم السلام ، كالخضر ، والطفلين ، وآل البيت النبوي .

(٢) سورة الأنبياء (١٠٧).

(٣) سورة التوبة (١٢٨).

الفصل الثاني
الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام[1].

لله تعالى خواص ؛ في الأمكنة والأزمنة والأشخاص .

لقد خصَّ الله عز وجل من الأمكنة الكثير ؛ خصَّ الحرمين الشريفين ، وخص فيهما الكثير ، خص مسجد قباء ، وخص الروضة الشريفة ، والمنبر الشريف ، والحجر الأسود ، والمقام ، وجبل أُحد ، وخصَّ بيتَ المقدس ، وخص المساجد ،...الخ.

وخصّ الله تعالى من الزمان الكثير : شهرَ رمضان ، وليلةَ القدر ، ويومَ الجمعة ، وليلتَها ، وساعةَ الإجابة فيه ، ويومَ عرفة ، وعشرَ ذي الحجة ، والثلث الأخير من الليل ،...الخ.

وخص البشرَ من سائر المخلوقات ، وخصَّ الأنبياء عليهم السلام من البشر ، وخصَّ الرسل عليهم السلام من الأنبياء ، وخصَّ أولي العزم عليهم السلام من سائر الرسل ، وخصَّ نبينا المصطفى الكريمَ ﷺ من سائر أولي العزم ، كما خصَّ هذه الأمة من سائر الأمم ، وخصَّ قرونَها الأول على سائر القرون ؛ السابقة والتالية ،...الخ.

قال الله تعالى عن تفضيل البشر : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

---

(١) لقد ذكرت هذا الفصل في عدد من كتبي ، لما أرى من ضرورته حتى يُعلم ، فانظر : الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل .

(٢) سورة الإسراء (٧٠).

وقال جل شأنه عن تفضيل الأنبياء عليهم السلام : ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقال جل شأنه عن المفاضلة بين الأنبياء عليهم السلام : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

وقال تعالى عن اصطفاء الرسل : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[3].

وقال تعالى عن المفاضلة بين الرسل عليهم السلام : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4].

وأما بالنسبة للنبي المصطفى الكريم ﷺ :

فعن واثلةَ بنِ الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانةَ من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم[5].

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرُفعت إليه الذراع ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسةً ، وقال : « أنا سيدُ

---

(١) سورة الأنعام (٨٦).

(٢) سورة الإسراء (٥٥).

(٣) سورة الحج (٧٥).

(٤) سورة البقرة (٢٥٣).

(٥) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبي ﷺ ، رقم (١).

الناس يومَ القيامة ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وإذا علمنا أن واثلةَ رضي الله تعالى عنه أسلم والنبيُّ الكريمُ ﷺ يتهيأ لغزوة تبوك ، وأن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه هاجر والنبيُّ المصطفى الكريم ﷺ في خيبر ، وهو هنا يخبر رضي الله تعالى عنه أنه كان مع النبي المصطفى الكريم ﷺ ؛ علمنا أن هذا الإخبار من النبي المصطفى الكريم ﷺ إنما كان في آخر حياته ﷺ ، والله تعالى أعلم .

فهو إذاً : خيارٌ ، من خيارٍ ، من خيارٍ ، من خيارٍ[2].

ثم إن عظمةَ الإنسان ومكانتَه تنبع من أمرين اثنين هما :

١ـ ما يتصف به من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته ، سواء وافقه غيرُه فيها أو في بعضها ، أم لا[3].

٢ ـ ما ينفرد به عن غيره من أقرانه ، من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته[4].

وقد ألّفتُ في كلا القسمين عدداً من الكتب .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧ ، ٣٢٨).

(٢) انظر ما كتبته في (مكانة النبيِّ الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام) مما ظاهره التعارض بين هذه الأحاديث وغيرها .

(٣) لقد كتبت في ذلك : فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم .

(٤) لقد كتبت في ذلك : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام . ومختصر لمائة خصلة منها ، وهو عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، كما ذكرت مقارنة بينه وبين أولي العزم ومعهم آدم عليه السلام ، في مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، وفي غيرها أيضاً .

والنبي المصطفى الكريم ﷺ قد حوى من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته ـ مما انفرد به عن غيره من الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ ما يزيد على (٣٠٠) ثلاثمائة خصلة ، لا يشاركه في واحدة منها أحد منهم .

أما ما يتصف به ﷺ مما يشاركه فيه غيره من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فهو كثير أيضاً ، والله تعالى أعلم .

والخصائص التي ينفرد بها ﷺ عن غيره من الأنبياء عليهم السلام على نوعين :

ـ ما يختص به ﷺ في ذاته ؛ سواء في الدنيا أو في الآخرة .

ـ ما يختص به ﷺ في أمته ؛ سواء في الدنيا أو في الآخرة ، مما تنفرد به عن غيرها من الأمم . ولولاه لما أُعطيت ذلك .

وهذا ما سأذكره على سبيل الإجمال ، على هذا النسق إن شاء الله تعالى . لكن لن أذكر كلَّ تلك الخصائص ، بل أذكر بعضها ، ومن أراد معرفتَها كلَّها فلينظر في كتبي الأخرى[1].

أ ـ فمما خصه الله تعالى به لذاته ﷺ في الدنيا :

أخذ الله تعالى له العهد على جميع الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وكان نبيّاً وآدمُ عليه السلام منجدل في طينته ، وجعل عند أهل الكتاب علماً تامّاً به ، وهو أول المسلمين ، وخاتم النبيين ، وهو نبيُّ الإسلام ،

---

(١) انظر : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، والأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، وفضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم .

وأَوْلى بالأنبياء من أممهم ، وبالمؤمنين من أنفسهم ، وجعل أزواجه رضي الله تعالى عنهن أمهاتٍ للمؤمنين ، وحرّم نكاحهن من بعده ﷺ ، وجعله مِنَّةً يمتنُّ بها على العباد ، وخيرَ الخلائق ، وسيدَ ولد آدم ، وجعل طاعته ﷺ طاعةً لله تعالى ، وجعلها مقرونةً بطاعته تعالى ، ومبايعتَه مبايعةً لله تعالى ، والإيمانَ به مقروناً بالإيمان به تعالى ، وجعله رحمةً للعالمين ، وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، وهو أَمَنَةٌ لأمته ، وعمَّم رسالتَه ، وتكفل تعالى بحفظه وعصمته ، وحفظ دينه ، وكتابه ، وكفاه تعالى المستهزئين ، وأقسم تعالى بحياته ، وببلده ، وبعصره ﷺ .

ولم يناده تعالى باسمه الشريف (يا محمد) ونهى عن مناداته به ، بل يخاطبه بـ يا رسول الله ، يا نبي الله ، وحرّم تعالى رفعَ الصوت فوق صوته ﷺ ، وذكره تعالى في أول مَن ذَكر من الأنبياء عليهم السلام ، وجعله تعالى نوراً ، وفرض بعضَ شرعه في السماء ، وتولّى الإجابةَ عنه ، وجعل تعالى صلاةَ الله وملائكته عليه ﷺ متجددةً باستمرار ، وأعطاه عز وجل من المعجزات ما زاد على معجزات الرسل السابقين عليهم السلام ، وجعل معجزتَه ـ الوحيَ ـ مستمرةً في إعجازها إلى قيام الساعة .

لقد غفر الله سبحانه وتعالى له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأخَّر ، وأخَّر دعوته المستجابة ليوم القيامة ؛ يوم يحتاج إليه الخلق كلهم ، وأعطاه تعالى جوامعَ الكلم ، ومفاتيحَ خزائن الأرض ، ومفاتيح الجنة ، وأكرمه تعالى بإسلام قرينه ؛ فلا يأمره إلا بخير ، ونصره تعالى بالرعب مسيرة شهر ، ونصره بالصَّبا ، وشهد تعالى له بالتبليغ ، والرسالة ، كما شهد له الملائكة بذلك أيضاً ، وخصه تعالى بالإمامة بالأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ؛ بعد

حشرهم له في بيت المقدس .

خصَّه تعالى بالإسراء والمعراج ، وأطلعه على الجنة والنار ، وأراه من آيات ربه الكبرى ، فما زاغ بصرُه وما طغى ، وما كذب فؤاده ما رأى ، وسمع ﷺ صريفَ الأقلام ، ورأى ربَّه تعالى ، وأعطاه انشقاقَ القمر ، ورأى جبريلَ عليه السلام على حقيقته ، وجعل ما بين بيته ومنبره روضةً من رياض الجنة ، وجعل قوائمَ منبره رواتبَ في الجنة ، ومنبرَه على تُرعة من تُرع الجنة ، ومَن صلّى عليه ﷺ صلّى الله تعالى عليه بها عشراً ، وأعطاه الكثيرَ من الخيرات ، ومن سلّم عليه ﷺ سلّم الله تعالى عليه ، ومن سلّم عليه ﷺ مِن قُرب سمعه وردّ عليه ، وإن كان بعيداً أُبلغه وردّ عليه .

جعله تعالى يرى من ورائه كما يرى من أمامه ، كما جعل رؤيتَه ﷺ في المنام حقّاً ، فلا يتمثل به الشيطان ، وأن مَن رآه في المنام فسيراه في اليقظة ، وعَرَض عليه الأنبياءَ عليه وعليهم الصلاة والسلام مع أممهم ، وأطلعه تعالى على المغيَّبات ، وجعل خاتمَ النبوة بين كتفيه ﷺ ، وضاعف أجرَ الكتابيِّ إذا أسلم ، وعقوبتَه إذا تنكب ، ومنحه تعالى بعضَ السور والآيات من كنز تحت العرش ، وتمنى الأنبياءُ عليهم السلام ودعَوا أن يموتوا على دينه الإسلام ، وسماه الله تعالى بأسماء لم تكن معلومةً ، وهي كثيرة .

جعل تعالى دينَه ﷺ حاكماً على جميع الأديان ، ولاطفه في كتابه بما لم يكن لأحد قبله ، وأعطاه ما في سورتي الضحى والانشراح ما لم يعط أحداً من خلقه ، فشرح صدره ، ووضع وزرَه ، ورفع ذكرَه ﷺ ، وجعله أكرمَ الخلق عليه تعالى ، وخصَّه جل شأنه بعدد من السور والآيات ، وجعله عز وجل أكثرَ الأنبياء معجزات ، فسلَّم عليه الحجر ، وحنَّ له الجذع ، وخاطبه

الشجر ، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ ، وكثَّر له الطعامَ ، والماء ، وشهد له الحيوان والنبات والأشجار ، واستجابت لدعوته .

أظلَّته الملائكةُ في سفره ، وكانت نصرةً له ، وحُرست السماء يوم بعثته ، وانقطعت الكهانة ، وفَرض تعالى على العالَم طاعتَه ، وتولّى الردَّ والإجابةَ عنه ، وخاطبه تعالى بألطف ما خاطب به رسلَه ، ولو أدركه نبيٌّ وجب عليه اتباعُه ونصرتُه ، ولن يريه تعالى في أمته ما يسوؤه .

هو ﷺ حبيبُ الله عز وجل ، جمع له بين الخُلة والمحبة ، وبين الكلام والرؤية ، وبين القبلتين ، وبين الظاهر والباطن ، كلَّمه تعالى فوق سدرة المنتهى ، وجعل شرعَه ناسخاً لكل الشرائع ، ينسخ بعضُه بعضاً ، ولا ينسخُه شرعٌ آخر ، وجعل كتابَه مُعجِزاً ، مهيمِناً ، ميسَّراً للحفظ ، نزَّله منجماً ، وعلى سبعة أحرف .

فضَّل تعالى بلده ومهاجَرَه ، وحرَّم مدينتَه وفضَّلها ، وجعل مسجدَه آخرَ مساجد الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وضاعف أجرَ الصلاة فيه ، لا يدخل مدينتَه الدجالُ ولا الطاعونَ ، وصرف تعالى الحُمّى عنها ، وجعل كثيراً منها في الجنة ، مِن روضتها إلى أُحُدِها إلى ثمرها ، وفضَّل عز وجل حجرتها الشريفةَ ، تُعرضُ عليه ﷺ أعمالُ وصلاةُ أمته ، وأحل له مكةَ ساعةً من نهار .

جعله تعالى أجملَ الناس ، وجعل أزواجه رضي الله تعالى عنهن عوناً له ﷺ ، وضاعف أجرهن ، وجعل بناته رضي الله تعالى عنهن أفضلَ النساء ، وذكر اسمه الشريفَ مع اسمه تعالى في الشهادتين ، وفي الأذان ، وجعله تعالى وليّاً للمؤمنين ، ويُخاطَبُ في الصلاة بكاف الخطاب ، ويُسأل الميت

عنه في قبره ، وجعل صلاتَه على المؤمنين سكناً لهم ، ومنوِّرةً لقبورهم ، ووصفه تعالى في كل المقامات العليَّة بالعبديَّة ، وأضافه تعالى إليه ، وجعل تعالى كتابَه شفاءً للمؤمنين ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

ب ـ ومما خصَّه الله تعالى به لذاته ﷺ في الآخرة :

جعله تعالى شاهداً لأمته ، وشهيداً عليها ، كما جعله تعالى شهيداً على الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وأعطاه سبحانه وتعالى من الشفاعات ما لم يعط أحداً من رسله عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ابتداءً من تخفيف العذاب عن العصاة من أمته إلى الشفاعة العظمى ، وجعله تعالى أولَ من يُبعث يوم القيامة ، وأولَ من يُجيز على الصراط ، وأولَ من يقرعُ بابَ الجنة ، وأولَ من يدخلُها ، وأولَ من يؤذنُ له في السجود ، وأولَ من يرفعُ رأسَه ﷺ .

وهو ﷺ إمامُ الأنبياء عليهم السلام ، وقائدُهم ، وخطيبُهم ، يمشي ﷺ ويمشون وراءه ، وكلُّهم يكونون تحت لوائه ﷺ ، ويُكسى أحلى الحلل هو ﷺ سيدُ الأوَّلين والآخِرين ، وأولُ شافع ، وأول مشفَّع ، وهو ﷺ أكثرُهم تَبعاً ، بيده لواءُ الحمد ، ومفاتيح الجنة ، وكلُّ نسب وسبب مقطوعٌ يومئذ إلا نسبه وسببه ﷺ .

أعطاه الله تعالى الوسيلةَ والفضيلةَ ، والمقامَ المحمودَ ، والكوثرَ ، جعل تعالى حوضه ﷺ أكثر الأحواض وروداً ، ويكون منبرُه ﷺ يومئذ على حوضه ، يكون له ﷺ كرسيٌّ عن يمين العرش ، ويفتح الله سبحانه وتعالى عليه ﷺ في سجوده تحت العرش ما لم يفتحه على أحدٍ من قَبل ولا من بعد .

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

ج ـ ومما خصه الله تعالى به في أمته ﷺ في الدنيا :

أن جعلها الله عز وجل خيرَ الأمم ، فسمّاها المسلمين ، وخصَّها تعالى بالإسلام ، فرضيه لها ، وأكمله ، وأتمَّ عليها النعمةَ ، وحطَّ عز وجل عنها الإصرَ ، والأغلالَ التي كانت على من سبقنا ، وأحل لها الغنائمَ ، ولن يُهلكها بجوع أو غرق ، ولا يسلِّط عليها عدوّاً من غيرها فيستبيح بيضتَها .

جعل تعالى صفوفَها في الصلاة كصفوف الملائكة ، وجعل الأرضَ لها طُهوراً ومسجداً ، فيصلي المسلِمُ حيث تدركه الصلاة ، ومن لم يجد الماء ـ أو لم يقدر عليه ـ تيمَّم ، وسيصلّي عيسى عليه السلام خلف إمامها إذا نزل ، جعلها الله عز وجل شاهدةً للأنبياء عليهم السلام على أممهم ، وذكر تعالى أوصافَها ومَثَلها في الكتب السابقة .

خصَّها الله عز وجل بيوم الجمعة ، وبساعة الإجابة فيه ، وبليلة القدر ، وبالأذان ، والإقامةِ ، والتأمين ، وتحيةِ الإسلام ، وصلاةِ الجماعة ، واستقبال القبلة في الصلاة ، وفي القبر ، وعدم استقبالها عند قضاء الحاجة ـ لمن كان في فضاء ـ والمسحِ على الخفَّين ، وإزالةِ النجاسة بالماء ، والجمعِ بين الماء والحجر ، وأن كثرةَ الماء لا تؤثِّر فيه النجاسة ـ ما لم تُغيِّر أحدَ أوصافه ـ وأكرمها تعالى بعدد من الصلوات (صلاة العشاء ، والاستسقاء ، والعيدين ، والكسوف ، والخوف ، والجمع والقصر في السفر ،...الخ).

خصَّها الله تعالى بصيام رمضان ، والسحور ، وتعجيل الفطر ، وكثرة من يُغفر لهم فيه ، وتصفيد الشياطين ، وخُلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى

من ريح المسك ، والنهي عن الوصال ، وإباحة الكلام في الصيام ، وفضّل صوم يوم عاشوراء ، وفضّل يوم عرفة وصومه لمن لم يكن فيه ، وتعجيل المغرب ، والوضوء قبل الطعام ، والاغتسال من العين ، والاسترجاع ، والحوقلة ، والعقيقة عن الذَّكَر والأنثى ، وتضعيف الحسنات مع بقاء السيئات ، وتربة الجنة .

هي آخرُ الأمم ، فأحلَّ الله تعالى لها كثيراً مما شُدِّد على من سبقها ، لم يجعل عليهم في الدِّين من حرج ، رفع عنهم الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه ، أباح لهم الطيبات ، ومخالطةَ الحائض من غير وطء ، وحرَّم عليهم الخبائثَ ، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كُتبت إلى سبعمائة حسنة ، ويُضاعف لمن يشاء ، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كُتبت حسنة ، فإن عملها كُتبت عليه سيئة واحدة ، وخفَّف تعالى عنها القتلَ في التوبة ، فجعل الندمَ توبةً .

لا تجتمع على ضلالة ، ولا يدعو عليها نبيُّها ﷺ فيهلكوا ، لا يعمهم الله تعالى بسنّةٍ عامَّة ، يؤمنون بالأنبياء والرسل عليهم السلام ، ويؤمنون بكتبِهِم ، هم أقلُّ الأمم أعماراً ، وأكثرُهم أجراً ، وصلّى الله تعالى عليهم وملائكتُه ، وأكرمهم تعالى بالمجدِّدين على رأس كل قرن ، فيهم الأولياء ، مصاحفهم في صدورهم ، وتسبيحهم في آخر الزمان يُغني عن الطعام ، حتى يقاتل آخرُهم الدجال ، ويأرز الإيمان بين مسجديه ﷺ ، وجعل تعالى مهاجَرَه آخر قرى الإسلام خراباً .

هي الأمة الوسط ، خوطبوا بما خوطب به الأنبياء عليهم السلام ، ناداهم الله تعالى بيا أيها الذين آمنوا ، ولم ينادهم بالعرب ونحوه ، لا تزال طائفة

منها على الحق ، حفظها تعالى من التنقيص في حق ربها عز وجل ، جعل شهادتهم على من سواهم ، لا العكس ، جعل فيهم من رضي الله تعالى عنه وهم أحياء ، وفيهم من اهتز له عرش الرحمٰن ،...الخ، كل ذلك بسبب رسولها الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

د ـ ومما خصه الله تعالى به في أمته ﷺ في الآخرة :

هي أول من تنشق عنها الأرض ، وأول من يُبعث تبعاً لنبيهم الكريم ﷺ وصاحبيه رضي الله تعالى عنهما ، وأول من يُقضى لهم يوم القيامة ، مع أنهم آخر الأمم في الخلق (الآخِرون ، السابقون) يكونون في الموقف مع رسولهم الكريم ﷺ على كوم عال ، هي شاهدةٌ للرسل عليهم السلام على أممهم ، هم أولُ من يجتاز الصراط ، وأولُ من يدخل الجنة ، وأن الجنة محرَّمةٌ على الناس حتى تدخلها ، وأولُ من يدخل الجنةَ فقراءُ المهاجرين رضي الله تعالى عنهم وقد فعل ، وتنفرد بالباب الأيمن من الجنة ، وهم شركاء الناس في الأبواب الأخرى ، تأتي يوم القيامة غرّاً محجَّلين ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود .

سيفديها تعالى بغيرها من الأمم ، هم أكثرُ أهل الجنة ، وسيُرضي تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ فيها ولا يسوؤه ، هم أقلُّ الأمم أعمالاً وأكثرُها ثواباً ، وكلُّها تدخل الجنة بخلاف الأمم الأخرى ـ قبل بعثته ﷺ ـ إذ بعضُها في الجنة وبعضُها في النار .

أعطاها الله عز وجل الشفاعة ، فيشفع الكثيرُ منهم ، وفيهم من يشفع للطائفة الكبيرة ، فإذا رأى الكفار إكرامَ الله تعالى لهم تمنَّوا لو كانوا مسلمين ،

كما سيدخل الكثيرُ منهم الجنةَ بغير حساب ، جعل الله عز وجل لها علامةً تعرف بها ربَّها تعالى يوم القيامة ، كما جعل فيها سادات أهل الجنة ، وفيها من يدخل من أبواب الجنة الثمانية .

نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، ومنها أول زمرة تدخل الجنةَ ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، وهي أعرف بمنازلها في الجنة منها في الدنيا ، ويكون الكثير منها تحت العرش ، تدعوهم الملائكة للدخول من أبواب الجنة حسب أعمالهم ، ويحاسب العاصي منها حساباً يسيراً ، يعطي الله تعالى لكل من يستحقُّ العقابَ منها واحداً من الكفار يكون فكاكَه من النار ، كما يضع الله تعالى عنهم ذنوبَهم ، ويضعها على اليهود والنصارى ،...الخ. كل ذلك بسبب رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

ومما خص الله تعالى به نبيَّه الكريمَ ﷺ أن جعله رحمة ، ونبيَّ الرحمة ، وأرسله بالرحمة ، ورحمةً مهداةً ، ورحمةً للعالمين ، وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، وما يأتي في الفصول القادمة إنما هو بيان لتلك الرحمة المهداة من رب العباد ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين .

* * * * *

الفصل الثالث

رسول الله ﷺ كله رحمة

لقد أخبرنا الله جل شأنه أنه جعل نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ رحمةً للعالمين ، وأنه رؤوفٌ رحيمٌ ، وأنه ﷺ رافعٌ الإصرَ والأغلالَ التي كانت موجودةً في الأمم السابقة ،... وأن هذه الرحمةَ هي من عند الله تعالى ، وأنه ﷺ غاية الخُلق الرفيع ، والتواضع المتناهي ، ولم يكن ﷺ فظّاً ولا غليظاً ، بل هو خافض الجناح للمؤمنين ،...

كما جعل دينَه رحمةً ، دينَ اليسر والسماحة ، والعفو والصفح ،...

فهو ﷺ رحمة ، ونبيُّ الرحمة ، وبُعث بالرحمة ، وهو الرؤوف الرحيم ، فكان رحمةً للعالمين ؛ مهداةً من رب العالمين ، والله تعالى أعلم .

كما جاءت الأحاديث الشريفة عن النبي الكريم ﷺ في الدلالة على أنه ﷺ رحمة ، وأن الله تعالى أهدى هذه الرحمة لعباده ،...

وأذكر ذلك في فقرات ، لكن بشكل مختصر جدّاً للتقريب ، لأن التطويل في ذلك يخرجنا عن المقصود .

لا يوجد في الأنبياء عليهم السلام من يدانيه في الرحمة :

لا أعلم أحداً من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام من يقارب أو يداني رسولَ الله ﷺ في رحمته بالبشرية بما فيهم الكفار والأعداء المعاندون ، في الدارين ، بل حتى الذين آذوه ، أو حاولوا قتله واغتياله ،...

وأقتصر على أربعة نماذج ، لسادات الرسل عليهم السلام[1] .

---

(١) انظر ما كتبته في (مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام) فقد ذكرت نماذج كثيرة .

أ ـ أما نوح عليه السلام ؛ فقد دعا على قومه الذين لم يؤمنوا به بالهلاك ، فقال تعالى : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1].

فاستجاب الله تعالى له دعوته ، فكان الطوفان .

كما أنه عليه السلام سيتبرأ من الخلق جميعاً يوم الحشر ، ويطلب من الناس أن يذهبوا إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ويسأل هو نجاةَ نفسه فقط ـ كما ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى بعد قليل .

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم ﷺ فعلى العكس تماماً ، لم يَدْعُ على أمته بالهلاك التام ، بل رفض أن يوقع الله تعالى عليهم العذاب ، ورجا أن يبقيهم الله تعالى ، فإن لم يؤمنوا ؛ آمن الجيل الذي يلي المعاندين أو مَن بعدهم .

لما خرج رسول الله ﷺ من الطائف ـ بعد أن فعلوا ما فعلوا ؛ من ضَرْبٍ وسفكِ دم ، جاءه جبريل عليه السلام ، ومعه مَلَكُ الجبال ، وأخبره أن الله تعالى أمر مَلَكَ الجبال أن يطيعه ، وتقدم ملَكُ الجبال وسلَّم ، ثم قال : « **إن الله قد سمع قولَ قومك لك ، وأنا ملَكُ الجبال ، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئتَ ؟ إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلي مكة) ؟ فقال رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يُشرك به شيئاً** ». متفق عليه[2].

---

(١) سورة نوح (٢٦ ـ ٢٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب إذا قال أحدكم : (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى ؛ غُفر له ما تقدّم من ذنبه . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب ما لقي النبيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، رقم (١١١).

وأما الشفاعة في الآخرة فسيأتي ذكرها في آخر الكتاب ، وإن كنت سأشير إليها بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

نعم إنها الرحمة المهداة ، تناسى ما فعله به قومه ، ولم يُرد هلاكَهم ، ورجا أن يهدي الله تعالى أعداءَه ومعانديه الكفار ، وكان ما أراد ﷺ . فقد آمن عامتهم ، فضلاً عن ذرِّياتهم .

ب ـ وأما إبراهيم عليه السلام فقد تبرأ من أبيه آزر بعد أن علم أنه مات كافراً[1] فقال تعالى عنه عليه السلام : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : «يلقى إبراهيمُ أباه آزرَ يوم القيامة ، وعلى وجه آزرَ قترةٌ وغبرةٌ ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا رب ؛ إنك وعدتني أن لا تُخزني يومَ يبعثون ، فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين ،...» الحديث بطوله ، رواه البخاري[3].

ولما خرج عليه السلام من قومه لم يعد إليهم . بل جعل الشامَ مستقرَه ، وإن كان قد سافر إلى مصر ، والحجاز ، ولكنه عاد إلى الشام حتى توفِّي عليه السلام فيها .

ثم إنه عليه السلام قصر دعاءه بالرزق من الثمرات على المؤمنين فقط .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ

---

(١) انظر (بر الوالدين) فقد توسعت في بيان الفرق بين أبيه ووالده .

(٢) سورة التوبة (١١٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، وفي غيرهما .

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ حتى نبّهه الله تعالى أنه يرزق الجميع بما فيهم الكفار ، ثم لهم العذاب الأليم يوم القيامة ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

كما أنه عليه السلام سيتبرأ من الخلق جميعاً يوم الحشر ، ويطلب من الناس أن يذهبوا إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام ؛ حتى يصلوا إلى النبي المصطفى الكريم الرحيم ﷺ فيشفع للخلق جميعاً ، بما فيهم ساداتهم . وهي (الشفاعة العظمى).

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم ﷺ فعلى العكس ، لم يتخلّ عن عمه أبي طالب ، مع أنه رفض أن يقول أمام النبي المصطفى الكريم ﷺ : لا إله إلا الله . وقد برز ذلك في أمرين :

- قوله ﷺ في الدنيا : « أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عن ذلك ». متفق عليه ، من حديث المسيِّب بن حَزْن رضي الله تعالى عنهما[2]. وسيأتي ذكره .

- شفاعته ﷺ له يوم القيامة ، بأن أخرجه من العذاب الشديد .

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أنه قال : يا رسول الله ؛ هل نفعتَ أبا طالب بشيء ؟ فإنه كان يحوطك ويغضبُ لك ؟ قال : « نعم ، هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار». متفق عليه[3].

---

(١) سورة البقرة (١٢٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ،... رقم (٣٩ ـ ٤٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب كنية المشرك ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : =

وفي رواية لمسلم[1]: « نعم ، وجدتُه في غمراتٍ من النار ، فأخرجتُه إلى ضحضاح ».

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، قال ﷺ : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار ...». متفق عليه[2].

لذا صار أهونَ أهل النار عذاباً بشفاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أهونُ أهل النار عذاباً أبو طالب ،... » الحديث ، رواه مسلم[3].

نعم هناك فرق بين آزر وأبي طالب ، فقد كان آزر مع قومه ضد إبراهيم عليه السلام ، وقد هدّده بالرجم ، أما أبو طالب فقد كان مع النبي المصطفى الكريم ﷺ ضد قومه ، يدافع عنه ويحميه ،... وإن كان لم ينطق بالشهادة ، مع اعتقاده بصدق رسول الله ﷺ .

وكذلك لم يترك رسول الله ﷺ مكة حين هاجر إلى المدينة ، بل عاد إليها فاتحاً مطهِّراً ، حتى صارت دارَ إسلام ، ولله الحمد والمنة .

كما أن النبي المصطفى الكريم ﷺ استسقى لكفار قريش ، مع ما فعلوه فيه وفي أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، ولم يقف مكتوفَ اليد وهو يراهم وقد هلكوا ، مع أنهم كفار - كما لم يرض أن يهلكهم ملَكُ الجبال بإطباق الجبلين عليهم .

= كتاب الإيمان : باب شفاعة النبيِّ ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببها ، رقم (٣٥٧-٣٥٩).

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٥٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٦٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أهون أهل النار عذاباً ، رقم (٣٦٢).

كما أنه ﷺ أذن لثمامة بن أثال أن يرسل القوت إليهم عندما منع الميرة عنهم ، حتى يأذن بها رسول الله ﷺ ، كما بينته في رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار .

وأما الشفاعة العظمى . فسيأتي ذكرها عند ذكر عيسى عليه السلام .

ج ـ **أما موسى عليه السلام** ، فقد تبرأ من بني إسرائيل ، مع أنها أمته ؛ في الدنيا ، وسيتبرأ منها في الآخرة ، وحكم عليهم بالفسق .

قال الله تعالى عن تبرؤ موسى عليه السلام من قومه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[1].

وأما في الآخرة فسيأتي الحديث عنها بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم بالخلق والخليقة ﷺ ، فعلى العكس تماماً ، فهو لم يتخلّ عن أمته ، بل لم يتخل عن أحد منها ، وقد كثر قوله ﷺ : « اللهم أمتي ، أمتي » بل حتى الكفار منهم ، لو علم أن الله تعالى يغفر لهم لو زاد من الاستغفار لهم لفعل ، حرصاً منه ﷺ على نجاتهم .

فعن ابن عباس ، عن عمر رضي الله تعالى عنهم ـ في قصة صلاته ﷺ على عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سلول ـ وفيه قوله ﷺ لعمر : « إني خُيِّرتُ ، فاخترتُ [قد قيل لي : ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾] لو أعلم أني إن زدتُ على السبعين يُغفر له لزدتُ عليها ». رواه البخاري[2].

(١) سورة المائدة (٢٥ ـ ٢٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين ، وفي كتاب التفسير : سورة التوبة .

د ـ **أما عيسى عليه السلام** ، فقد عُبد من دون الله عز وجل ، واتُّخذ وأُمُّه إلهين من دون الله تعالى ، وزعم النصارى ـ كذباً وزوراً ـ أنه عليه السلام هو الذي طلب منهم ذلك . فقال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

لذا لعن قومَه من بني إسرائيل ، كما قال الله عز وجل : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾[2].

كما أنه عليه السلام سيتبرأ من قومه يوم القيامة ، كما يأتي في الحديث القادم .

أما النبي المصطفى الكريم الرحيم ﷺ فلم يلعن أمته ، ولم يدع عليها ، كما لم يتبرأ منها ، بل على العكس تماماً ، حيث كان يدعو لها ، ويترك أمر نفسه لربه عز وجل . حتى إن الله تعالى سيرضيه في أمته ، ولا يسوؤه فيها .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾ الآية . وقال عيسى عليه السلام : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه وبكى وقال : « اللهم أمتي أمتي ». فقال الله

(١) سورة المائدة (١١٦ ـ ١١٨).

(٢) سورة المائدة (٧٨).

عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ـ وربُّك أعلم ـ فسله : ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ، فقل : إنا سنرضيك في أمتك ، ولا نسوؤك ». رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل يا رسول الله ؛ ادع على المشركين . قال : « إني لم أُبعث لعّاناً ، وإنما بُعثتُ رحمة ». رواه مسلم[2].

بل كان ﷺ يدعو لقومه الذين آذوه ، وأسالوا دمَه الشريف ، وشجّوا وجنته ، وأرادوا قتله ، بأن يسامحهم الله تعالى ، ويعفو عنهم ، كما في غزوة أُحد ، حيث قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ». متفق عليه[3]. وسيأتي ذكر حديثَي ابن مسعود وسهل بن سعد رضي الله تعالى عنهم .

أما حديث الشفاعة العظمى فأقتصر على ذكر روايتين فقط ، ومن أراد الزيادة فلينظر في كتابي (الشفاعة) وسأذكر بعضها في آخر الكتاب .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أُتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، فرُفعت إليه الذراعُ ـ الحديث في الشفاعة ، وفيه ـ : « فيقول بعضُ الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيقولون : يا آدم ... اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما بلغنا . فيقول آدم : ... نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : ... اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب دعاء النبيِّ ﷺ لأمته ، رقم (٣٤٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، رقم (٨٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب غزوة أحد ، رقم (١٠٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

نحن فيه ؟... فيقول لهم : ... نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ . فيأتون إبراهيم ، فيقولون : ... اشفع لنا إلى ربك ،... فيقول : ... نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى ﷺ ، فيقولون : يا موسى ،... اشفع لنا إلى ربك ،... فيقول لهم موسى ﷺ : نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى ﷺ ، فيأتون عيسى فيقولون : ... اشفع لنا إلى ربك ،... فيقول لهم عيسى ﷺ : ... نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتوني ، فيقولون : يا محمد ؛ أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا عند ربك ،... ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفَّع » الحديث بطوله ، متفق عليه[1]. وسيأتي ذكره فيما بعد .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ... وفي آخره قوله ﷺ : « ... فيُؤتى عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ ، فأُوتى ، فأقول : أنا لها ،...». الحديث بطوله ، متفق عليه[2]. وسيأتي ذكرهما كاملين .

جعله الله تعالى رحمة للعالمين :

إن الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين ، وقد سبقت رحمتُه غضبَه ـ كما سبق بيانه في الفصل الثاني ، ومن رحمته عز وجل أن جعل نبيَّه المصطفى الكريم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الإسراء : باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ...﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (٣٢٧) ومكان النقاط كلام حذفته ، لطول الحديث ، واقتصرت على موطن الشاهد .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢٦).

ﷺ رحمةً للعالمين . لأنه ﷺ هو النبيُّ الوحيدُ الذي أرسل إلى الثقلين ، بخلاف الرسل الباقين عليهم السلام ، حيث كانت رسالاتهم قومية ، خاصة بأقوامهم فقط . كما أوضحت ذلك في الأمانة والخصائص وغيرهما .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. وسيأتي بيان هذه الآية ، وما يؤخذ منها في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى .

جعله الله تعالى نبيَّ الرحمة :

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ نبيَّ الرحمة ، وأرسله إلى خلقه جميعاً .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء ؛ فقال : « أنا محمد ، وأحمد ، والمقفى ، والحاشرُ ، ونبيُّ التوبة ، ونبيُّ الرحمة ». رواه مسلم[2]

بعثه الله تعالى رحمة :

فكما أنه ﷺ نبيُّ الرحمة ، فقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل يا رسول الله ؛ ادع على المشركين . قال : « إني لم أُبعث لعّاناً ، وإنما بُعثتُ رحمةً ». رواه مسلم[3]

وعن سلمان رضي الله تعالى عنه ـ في قصة شرطه ﷺ على ربه تعالى ، وفيه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «...وإنما بعثني رحمةً للعالمين ». رواه أحمد وأبو داود والطبراني[4] برجال ثقات ، وأصل الحديث وارد في الصحيحين

(١) سورة الأنبياء (١٠٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب في أسمائه ﷺ ، رقم (١٢٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدواب ، رقم (٨٧).

(٤) مسند أحمد (٥ : ٤٣٧) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في النهي عن سب أصحاب =

من غير طريقه ، وسيأتي ذكره .الخ ذلك من الأحاديث .

جعله الله تعالى رحمةً مهداة للعالمين :

لقد أخبر رسول الله ﷺ عن نفسه بأنه رحمة مهداة من الله تعالى إلى جميع العالمين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ؛ إنما أنا رحمةٌ مُهداةٌ ». رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، والبزار والطبراني برجال الصحيح ، في آخرين[1].

رحمته ﷺ هي من عند الله تعالى :

إن الرحمة التي أكرم الله تعالى بها رسولَه الكريمَ ﷺ ليست هي مكتسبة ، ولا حصل عليها رسول الله ﷺ عن طريق المجاهدة والتخلق ، إنما هي من الله تعالى ؛ جبله عليها ، وجعلها فيه من يوم خلقه .

قال الله عز وجل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[2].

جعله الله تعالى رحمة للمؤمنين :

إذا كان النبي المصطفى الكريم ﷺ رحمةً للعالمين ، والناس منهم ، وبُعث رحمة ، وبالرحمة ، فكيف هو لأمته ؟

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى ورسولُه الرحيمُ ﷺ لنا ذلك ، وأنه ﷺ

= رسول الله ﷺ ، رقم (٤٦٥٩) والمعجم الكبير (٦ : ٣١٨-٣١٩).

(١) المستدرك (١ : ٣٥) والمعجم الصغير (١ : ١٦٨) والأوسط (٣ : ٢٢٣) وكشف الأستار (٣ : ١١٤) ومسند الشهاب (٢ : ١٨٩ - ١٩٠) والمعجم لابن الأعرابي (٣ : ١١٣٦ - ١١٣٧) ودلائل النبوة (١ : ١٥٧ - ١٥٨) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٧) ومجمع البحرين (٦ : ١٣٢) والأمثال للرامهرمزي (٢٩).

(٢) سورة آل عمران (١٥٩).

رحمة لأمته .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ ﴾[1].

جعله الله تعالى رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين :

بل إن الله سبحانه وتعالى جعله رحيماً بالمؤمنين ، والرحيم : على وزن فعيل . وهو غايةُ المبالغة في الرحمة مع أمته .

كما أضاف الله تعالى وصفاً آخر هو غاية الرحمة أيضاً ، وهو الرؤوف ، لذا سمّاه الله تعالى رؤوفاً رحيماً .

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

فإذا كان رسول الله ﷺ رحمةً للعالمين ، فهو ﷺ رحمةٌ لأمته من باب أولى ، بل هو أكثر إنه رحيمٌ بها ، فلا رحمة فوق هذا الوصف ، ولا غاية فوقها ، وهكذا عُرِف ﷺ بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فعن مالك بن الحُوَيرث رضي الله تعالى عنه قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً ، فظن أنّا قد اشتقنا أهلنا ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[3].

---

(١) سورة التوبة (٦١).

(٢) سورة التوبة (١٢٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب من أحق بالإمامة ، رقم (٢٩٢).

هو ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم :

ومن رحمته ﷺ المتناهية بأمته ؛ كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأن أزواجه رضي الله تعالى عنهن بمنزلة أمهاتهم ، في الحرمة والمكانة ،... والله تعالى أعلم .

قال الله تعالى : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[1].

وإذا كان أزواجه رضي الله عنهن بهذا المقام فهو بمقام الوالد ، فكيف تعامل الأم أولادها ؟ وكيف يعامل الوالد أولاده أيضاً ؟

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ». متفق عليه[2].

وعن جابر رضي الله تعالى عنه ـ في صفة خطبته ﷺ ، وفيه قوله ﷺ : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ». رواه مسلم[3].

وولايته ﷺ للمؤمنين ليست خاصة في الدنيا فحسب ، بل هي مستمرة في الدنيا والآخرة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ،... ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[4].

---

(١) سورة الأحزاب (٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب الدَّين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفرائض : باب من ترك مالاً فلورثته ، رقم (١٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم (٤٣).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الاستقراض : باب الصلاة على من ترك دَيناً . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥ ، ١٦).

وإذا كان ﷺ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الدنيا والآخرة فكيف تكون رحمته بهم ، وحرصه عليهم ، وعنايته بهم ، وشفقته عليهم ، وهو أولى بهم من أنفسهم ؟؟؟

هو ﷺ أولى بالأنبياء عليهم السلام من أممهم :

وإذا كان رسول الله ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإن الله تعالى جعله أولى بالأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام من أممهم ، ومن كان أولى بالأنبياء فماذا يكون ؟؟؟

ولما كان أشهر الأنبياء إبراهيم ثم موسى وعيسى عليهم السلام ، فإني أذكر ما يتعلّق بهم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ المدينةَ ، فوجد اليهودَ يصومون يومَ عاشوراء . فسُئلوا عن ذلك ، فقالوا : هذا اليومُ الذي أظهر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ، فنحن نصومه تعظيماً له .

فقال النبيُّ ﷺ : « نحن [أحقُّ و] أولى بموسى منكم ».

وفي لفظ : « أنا أولى بموسى منهم ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أولى

---

(١) سورة آل عمران (٦٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب صوم يوم عاشوراء ، رقم (١٢٧ ، ١٢٨).

بعيسى ابن مريمَ في الدنيا والآخرة ،...». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

من صفاته ﷺ خفض الجناح :

لقد وصف الله تعالى رسولَه الكريمَ ﷺ بأنه رؤوف رحيم ، وأنه رحمة للعالمين ،... ومع هذا فقد طلب الله سبحانه وتعالى منه أن يخفض جناحه للمؤمنين ، وقد ظهر هذا واضحاً في معاملته ﷺ لهم .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2].

وقال الله جل شأنه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

فحال هاتين الآيتين كحال الآية السابقة في بيان أنه ﷺ رحمة . مع زيادة أمر آخر وهو أنه ﷺ نذير ، والنذير يقتضي وجود الرحمة ، إذ لولا الرحمة عنده ما أنذر قومه ، كما سيأتي بيانه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

كونه ﷺ ليس بفظ ولا غليظ :

لقد أخبر الله تعالى عن نبيِّه المصطفى الكريم ﷺ بأنه لم يكن فظّاً غليظاً ، إذ لو كان كذلك لا نفض الناس من حوله ، وأن هذا الوصف الكريم

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾. وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضائل عيسى ابن مريم عليه السلام ، رقم (١٤٣).

(٢) سورة الحجر (٨٧ ـ ٨٩).

(٣) سورة الشعراء (٢١٤ ـ ٢١٥).

موجود في الكتب القديمة عنه ﷺ . وتظهر مكانة هذا الوصف إذا عرفنا حال القوم الذين بُعث ﷺ إليهم وخاطبهم .

قال الله عز وجل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[1] .

فهذا إخبار من الله تعالى عن رحمة حبيبه وخليله ﷺ ، وكرم أخلاقه ، فهو في غاية التواضع والرحمة .

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ـ وقد سُئل عن وصف النبي ﷺ في التوراة ـ فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ... فأنت عبدي ورسولي ، سمَّيتُك المتوكِّلَ ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا سخّابٍ في الأسواق ، ولا يدفع السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ ، ولكن يعفو ويغفر ،... الحديث ، رواه البخاري[2] .

حرصه ﷺ عليهم :

ومن رحمته ﷺ ـ خاصة بالمؤمنين ـ حرصه عليهم ، وتأثره عليهم إذا ما أصيبوا بمصيبة ، ورأفته بهم ، وما كان يكنه قلبه الشريف على هدايتهم ونجاتهم ، وخلاصهم مما ينتابهم ، حتى إن الله تعالى صار يواسيه ويسلّيه ، بألّا يهلك نفسه الشريفة أو يقتلها حزناً وأسى وحسرةً وجزعاً ،... عليهم .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

---

(١) سورة آل عمران (١٥٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب كراهية السخب في الأسواق ، وفي غيرهما .

(٣) سورة التوبة (١٢٨).

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[1]. أي : فلعلك قاتل نفسك أو مهلكها حزناً وأسفاً .

وقال الله جل شأنه : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[2]. أي : فلا تهلك نفسك عليهم أسى وحزناً وحسرةً ،...

وقال الله تعالى : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[3].

وكل هذا دالٌّ على وجود الرحمة المتناهية ، وإلّا لـما كان منه ﷺ ما كان .

وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى في رحمته ﷺ بأمته .

تخفيفه ﷺ عنهم ما يشق عليهم :

ومن رحمة الله تعالى المتمثلة بالرحمة المهداة ﷺ أن رفع عن هذه الأمة ـ وعن غيرها ممن خاطبها ـ ما كان فيه مشقة في الأمم السابقة .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ...﴾[4].

ويتضح الفارق الكبير ، بين فعله وشرعه ﷺ وبين ما كان عليه الحال في الأمم السابقة ؛ وقد ذكرت نماذج متعددة في : الأمانة العظمى ، ومكانة النبي الكريم ﷺ ، وعظيم قدره ﷺ ،...

(١) سورة الكهف (٦). وانظر : سورة الشعراء (١ ـ ٣).

(٢) سورة فاطر (٨).

(٣) سورة النمل (٧٠) وانظر سورة النحل (١٢٧).

(٤) سورة الأعراف (١٥٧).

مثل : إلغاء عقوبة القتل عن التائب ، والصلاة حيث كان ، ولا يشترط مكان مخصَّص ، ويُكتفى بالتوبة والندم ، ومشروعية التيمم عند فقد الماء أو العجز عن استعماله ، وعقوبة قرض ما أصاب البولُ من ثوب أو جلد الإنسان ، ويُكتفى بغسله بالماء ، ورفع الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، والترخيص في مخالطة الحائض ،... وغير ذلك كثير مما كان محظوراً في الأمم السابقة .

دينه ﷺ دين السماحة واليسر :

ومن رحمته تعالى التي أهداها للعالمين ؛ أن جعل هذا الدين الكريمَ دينَ الرحمة واليسر والسماحة ، فلا عسر فيه ، ولا حرج ولا مشقة ولا غلو ،... بخلاف ما كان في الديانات السابقة .

وقد بيَّن ﷺ أنه بُعِث ميسِّراً ، ولم يُبعث معسِّراً ، والتيسير يقتضي الرحمة ، وإلّا لم ييسِّر ، والله تعالى أعلم .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه ـ في قصة سؤال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن رسول الله ﷺ الزيادة في النفقة ، واعتزاله ﷺ لهن شهراً ، ونزول آية التخيير ، وقراءته ﷺ الآية على عائشة رضي الله تعالى عنها ـ وفي آخره قال ﷺ : « إن الله لم يبعثني معنِّتاً ولا متعنِّتاً ، ولكن بعثني معلِّماً ميسِّراً ». رواه مسلم[1]. وسيأتي ذكره مطوّلاً إن شاء الله تعالى .

وسيأتي في الفصل السابع تتمة البحث ، وفيه ذكر الآيات والأحاديث ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، رقم (٢٩).

جعله الله تعالى أماناً للبشرية :

ومن رحمة الله تعالى التي جعلها في نبيِّه الكريم ﷺ ؛ أن جعله أماناً للبشرية من العذاب ، والهلاك الذي يستأصلهم ، كما حصل في الأمم السابقة ، حيث أُهلكت أقوامٌ بكاملها ؛ نتيجة دعوة أنبيائهم عليهم السلام عليهم ، أو نتيجة تكذيبهم لرسلهم عليهم السلام ، فلما بُعث ﷺ رُفع عذاب الاستئصال ، والله تعالى أعلم .

قال الله جل شأنه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ نزلت عندما قال أبو جهل : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] . كما في حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه[2] .

فقد أعطاهم الله تعالى أمانين ، وجود رسول الله ﷺ ، ومن بعده الاستغفار ، والله تعالى أعلم .

دعواته ﷺ المستمرة لأمته في دنياه وبعد وفاته ﷺ :

لا أعلم رسولاً دعا لأمته ما دعا رسول الله ﷺ ، وقد تشمل بعض دعواته ﷺ البكاء ، دلالة على حرصه ﷺ عليها ، ورحمته بها . والنصوص في دعواته ﷺ لأمته أكثر من أن تحصى .

وقد دعا ﷺ لها بالمغفرة ، والرحمة والنصر والتمكين وعدم الهلاك سواء

---

(١) سورة الأنفال (٣٣ ، ٣٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأنفال : باب ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ...﴾ . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ ﴾ ، رقم (٣٧).

بالغرق أو الجوع ، أو تسلّط الكفار عليها ،... وسيأتي في رحمته ﷺ بأمته ذكر بعض الأحاديث ، إن شاء الله تعالى .

بل يعتذر عما فعله معه كفار قريش يوم أحد « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ».

وقد مر قوله ﷺ - عندما قيل له يا رسول الله ؛ ادع على المشركين - فقال : « إني لم أُبعث لعّاناً ، وإنما بُعثتُ رحمة ». رواه مسلم .

بل دعا لهم بالهداية « اللهم اهد دَوْساً ، وائتِ بها ». رواه مسلم .

بل جعل الله سبحانه وتعالى حياة نبيه الحبيب الرحيم ﷺ كلها خيراً ورحمةً لأمته ، حيث تُعرض أعمالُها عليه ، فإن وجد خيراً حمد الله تعالى ، وإن وجد غير ذلك استغفر الله تعالى لها . كما بينتُه في الكتابَيْن المذكورَين ، والله تعالى أعلم .

كونه ﷺ نذيراً يقتضي الرحمة :

إن الذي ينذر قومه - خاصة من أمر خطير - إنما يبعثه الحرص والرحمة والشفقة عليهم ، حتى لا يصابوا بأذى ، ولو كان غير مبال بما يحدث لهم لم ينذرهم .

ولما كان رسول الله ﷺ رسولاً إلى البشرية كلها ، وهو رحمة للعالمين ، ورؤوف رحيم بالمؤمنين ؛ لذا كان نذيراً وبشيراً للبشرية كلها ، وليس لقومه قريش فقط ، أو للعرب فقط . لذا كان ﷺ يحمل بين طيات جنباته الشريفة الرحمةَ والرِّقةَ والشفقةَ ، والحنو والعطف ، والمسامحة والصفح ، وإغفال الذات ، وحب مصالح الخلق ،...الخ.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة في هذا الباب ، أقتصر على

ذكر بعضها .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ ﴾[2].

وقال جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾[3].

فجعله سراجاً منيراً ، ولم يجعله سراجاً وهّاجاً ـ كما هو وصف الشمس ـ رحمةً بالخلق ، إذ لو كان ﷺ وهّاجاً ـ لكان النفع أقل ، والضرر أكثر ، ولكن الله تعالى اختار له وصفاً من الشمس ـ سراجاً ـ ووصفاً من القمر ـ منيراً ـ ليقع النفع للخلق . وهذا غاية الرحمة ، والله تعالى أعلم .

فقد جعله تعالى للخلق كافة بشيراً ونذيراً ؛ فمن أطاعه بشّره بالجنة والرحمة والمغفرة ،... ومن عصاه أنذره عقاب الله تعالى ونقمته وناره ،... والله تعالى أعلم .

وأقتصر على ذكر حديثين واضحي الدلالة على الموضوع .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي ومثل الناس ؛ كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفَراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يَزَعُهُنَّ

(١) سورة سبأ (٢٨).

(٢) سورة المائدة (١٩).

(٣) سورة الأحزاب (٤٥ ـ ٤٧).

ويغلبنه فيتقَحَّمْنَ فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحَّمون فيها ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً ، فقال : رأيتُ الجيشَ بعَيني ، وإني أنا النذير العُريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفةٌ فأدلجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفة [فأصبحوا مكانهم] فصبَّحهم الجيشُ فاجتاحهم ». متفق عليه[2].

الترابط بين شق الصدر والرحمة :

لقد تواتر شق جبريل لصدر النبي الكريم ﷺ ، سواء وهو طفل في بني سعد ، أو وهو شاب ، أو عند الإسراء والمعراج ،... وثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما ، وفي كل مرة يُخرج جبريل من قلب رسول الله ﷺ علقة أو مضغة ، ويغسل قلبه الشريف بماء زمزم ، ويحشوه إيماناً وحكمة ، وإذا كان لكل مناسبة ما يلائمها ، فإنه ينعكس رحمة وشفقة على الخلق ،... خاصة وفي المرة الثانية ملأه رحمة ، فانكفأ ﷺ راجعاً وكلُّه رحمة للخلق ، على الصغير والكبير ، والجاهل والجافي ، والإنسان والحيوان ، والصالح والطالح ،... كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى .

الترابط بين الرحمة وحسن الخلق :

لقد جمع رسول الله ﷺ بين الرحمة المهداة والخُلق العظيم ، وظهر ذلك

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الانتهاء عن المعاصي . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ، رقم (١٧ ، ١٨).

(٢) صحيح البخاري ، وصحيح مسلم : في الكتابين والبابين السابقين ، ورقمه عند مسلم (١٦).

في حياته ﷺ ، لذا يصعب التفريق بينهما ، هذا الترابط الدقيق المتناهي بين كونه ﷺ رحمة مهداة من الله تعالى وكونه ﷺ على خُلُق عظيم ، جعله ﷺ يحوز على الفضائل كلها ، والمراتب العالية ، لذا كان ﷺ قدوة حسنة لجميع الخلق . فماذا بقي بعد ذلك !!!

من رحمة الله تعالى قبض نبيه الكريم ﷺ قبل أمته :

ومن مظاهر رحمة الله عز وجل بهذه الأمة ، وشمولها برحمته المهداة : أن قبض الله سبحانه وتعالى نبيَّها الكريمَ ﷺ قبلها ؛ ليكون لها فَرَطاً وسلفاً بين يديها . بخلاف ما إذا تُوفي بعدها ، فيشهد عذابَها ، وهذا يتنافى مع الرحمة ، وهذا الحديث من معجزاته ﷺ .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل إذا أراد رحمةَ أمةٍ من عباده ؛ قبض نبيَّها قبلها ، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلَكةَ أمةٍ ؛ عذَّبَها ونبيُّها حيٌّ ، فأهلكها وهو ينظرُ ، فأقَرَّ عينَه بهلَكَتِها ؛ حين كذَّبوه ، وعصوا أمرَه ». رواه مسلم[1].

وسيأتي التعليق على هذا الحديث في رحمته ﷺ بأمته .

شمول رحمته ﷺ الجنَّ :

بل تعدّت رحمته ﷺ الإنسانَ والحيوانَ ـ كما سيأتي تفاصيلها إن شاء الله تعالى في الفصول القادمة ـ لتشمل رحمته ﷺ الجن والنبات والشجر . كل ذلك انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إذا أراد الله سبحانه وتعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها ، رقم (٢٤).

(٢) سورة الأنبياء (١٠٧).

فهو ليس للإنس فحسب ، بل للإنس والجن والحيوان والنبات ،...

وأقتصر هنا على ذكر بعض النصوص ، في بيان شمول رحمته ﷺ للجن ، تتميماً للفائدة .

فعن الشعبي رحمه الله تعالى قال : سألتُ علقمة بنَ قيس : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجن ؟ قال : فقال علقمة : أنا سألتُ ابنَ مسعود ، فقلت : هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجنِّ ؟ قال : لا . ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذاتَ ليلة [بمكة] ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب . فقلنا : استطير أو اغتيل . قال : فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قوم ، فلما أصبحنا ، إذا هو جاءٍ من قِبَل حِراء . قال فقلنا : يا رسول الله ؛ فقدناك فطلبناك ، فلم نجدك ، فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قوم . فقال : « أتاني داعيَ الجن ، فذهبتُ معه ، فقرأتُ عليهم القرآنَ » قال : فانطلق بنا فأرانا آثارَهم وآثارَ نيرانهم .

وسألوه الزاد ، فقال : « لكم كلُّ عَظمٍ ذُكر اسمُ الله عليه ؛ يقع في أيديكم أوفرَ ما يكونُ لحماً ، وكلُّ بَعْرةٍ علفٌ لدوابِّكم »

فقال رسول الله ﷺ : « فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعامُ إخوانكم ». رواه مسلم[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ في قصة مقتل الفتى الأنصاري يوم الخندق ، وفي آخره ـ قال ﷺ : « إن بالمدينة جنّاً قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً ؛ فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك ؛ فاقتلوه ، فإنما هو

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ، رقم (١٥٠).

شيطان ». رواه مالك ومسلم[1].

وفي رواية مسلم ، قال ﷺ : « إن لهذه البيوت عوامِرَ ، فإذا رأيتم شيئاً منها فحرِّجوا عليها ثلاثاً ، فإن ذهبت وإلّا فاقتلوه فإنه كافر ».

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر بقتل الكلاب ، يقول : « اقتلوا الحيّات والكلاب ، واقتلوا ذا الطُّفْيَتَين والأبتر ، فإنهما يلتمسان البصر ، ويستسقطان الحَبالى »

قال عبد الله : فلبثتُ لا أترك حيّةً رأيتُها إلّا قتلتُها . فبينا أنا أطارد حيَّةً من ذوات البيوت ؛ مر بي زيدُ بنُ الخطّاب - أو أبو لبابة - وأنا أطاردها . فقال : مهلاً يا عبد الله . فقلتُ : إن رسول الله ﷺ أمر بقتلهن . قال : إن رسول الله ﷺ قد نهى عن ذوات البيوت . متفق عليه[2].

فإذا كان ﷺ قد منحهم كلَّ عظم ذُكر اسم الله تعالى عليه عند الأكل ، فيعود مكسوّاً لحماً طعاماً لهم ، ومنحهم بعر الإبل والغنم ،... يكون علفاً لدوابِّهم ، فإنه في الحديثين الأخيرين نهى ﷺ عن مبادرة عوامر البيوت بالقتل ، لاحتمال أنهم من المسلمين ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه - في قصة حراسته لصدقة الفطر ، وكان الشيطان يأخذ من الطعام كل ليلة ، ولـمّا يقبض عليه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يعاهده ألّا يعود ، ولكنه يكذب ويعود . فيقول النبيُّ ﷺ لأبي

---

(١) الموطأ : كتاب الاستئذان : باب ما جاء في قتل الحيّات ،... رقم (٣٣) وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب قتل الحيّات ، رقم (١٣٩ - ١٤١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب قول الله تعالى : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾. وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢٨ - ١٢٩).

هريرة : « كذبك ، وسيعود » لذا يرصده ، وفي الليلة الثالثة قال الشيطان لأبي هريرة : دعني أُعلِّمك كلمات ينفعك الله بها . إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آيةَ الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح ،... وفي آخر الحديث . فقال النبيُّ ﷺ : « أما إنه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب مذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ » قال : لا . قال : « ذاك إنه شيطان ». رواه البخاري[1].

وقد تكرر ما في هذا الحديث مع عدد من الصحابة ؛ كأُبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبي أيوب الأنصاري ، وأبي أُسيد الساعدي ، وزيد بن ثابت ، وبُريدة ،... رضي الله تعالى عنهم .

لم يقتله رسول الله ﷺ ، ولم يقطع يده ، لأنه يذكر في كل مرة حاجةً شديدة لأبي هريرة (دعني ، فإني محتاج ، وعليَّ عيال ، ولي حاجة شديدة) فيقبل عذره ويستر عليه ويرحمه ، لمظنة الصدق ، حتى فاتحه رسول الله ﷺ بأنه كذّاب . ومع هذا لم يعاقبه رسول الله ﷺ .

وهناك أمور كثيرة متعلقة بالجن ، وما ذكرته كاف في الدلالة على شمول رحمته ﷺ لهم ، والله تعالى أعلم .

ولما كان رسول الله ﷺ رحمة ، ورؤوفاً رحيماً ، ورسالته كلها رحمة ، وبُعث بالرحمة ... فقد شملت الإنس والجن ؛ مؤمنهم وكافرهم ، صالحهم وفاسقهم ، رجالهم ونساءهم ، كبارهم وصغارهم ، صديقَهم وعدوَّهم ، أحرارهم وعبيدهم ، علماءهم وجهالهم ، مطيعهم وعاصيهم ، مودَّهم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوكالة : باب إذا وكَّل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز ،... وفي غيرهما .

ومُبغضَهم ، حاضرتهم وباديتهم ، حاضرهم وغائبهم ، من وُلد ومن لم يولد ،... بل تعدت الإنسان فشملت الحيوان وغيره .

لذا لو علم الكافر حقيقةَ شمول الرحمة المهداة ﷺ له لعجز عن شكره ، وبادر بالإيمان به ، إذ لو لم تشمله لهلك كما هلك من هو على شاكلته .

لم يدع على الأحزاب يوم الخندق بالهلاك :

ومن مظاهر رحمة الله تعالى بالخلق ، وشمولها برحمته المهداة : أنه ﷺ لم يدع على الأحزاب يوم الخندق بالهلاك ، بل دعا عليهم بالهزيمة والزَّلزلة ، فنَصْره الله تعالى بالصَّبا ـ كما أوضحتُه في دلائل النبوة ـ ولو أراد الله تعالى إهلاكهم لسلط عليهم الدَّبور ، كما في قوم عاد ، مع قلة ما أُخرج منها[1].

لما علم الله تعالى رأفة نبيِّه الكريم ﷺ بقومه ـ رجاء أن يسلموا ـ سلَّط عليهم الصبا ، فلم تستأصلهم ، وكانت سببَ رحيلهم[2] وظهر أثر ذلك في :

ـ حصول المودة ـ بعدها ـ بين المؤمنين وبين زعماء قريش .

فقد تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وبعدها بقليل أم سلمة ، ثم تزوج ﷺ بعدها زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنهن[3].

ـ إسلام جميع من حضر الغزوة من الكفَّار ـ وخاصة كبارهم ـ إلا من مات منهم ، بعد تتبعي لذلك ، ومن هنا تجلَّت رحمة الله تعالى ورحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ التي شملت الجميع .

---

(١) انظر : فتح الباري (٦ : ٣٧٧).

(٢) انظر : فتح الباري (٢ : ٥٢١).

(٣) انظر دلائل النبوة (٣ : ٤٥٩، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥) السيرة لابن كثير (٣ : ٢٧٣ ـ ٢٧٧) وتفسير القرطبي (١٨ : ٥٨).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]: من لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول ، وكون الدَّبور أهلكت أهل الإدبار.اهـ.

وهناك أمور غيرها تركتها مكتفياً بما ذكرت لقصد الاختصار .

وأما ما ورد من أمره ﷺ بقتل بعض الكفار ـ كما سنراه في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى ـ فإنها إما بسبب نقض العهد ـ إذا كان يهوديّاً ـ أو تجميع القبائل العربية لغزو المسلمين في المدينة ـ إذا كان ذا شوكة ـ أو لإعلانه عداوته للإسلام والمسلمين وحرصه على القضاء عليهم ،... أو لهجائه وتكذيبه لرسول الله ﷺ وللإسلام وللمسلمين ، أو مع عداوته وهجائه يُشبّب بنساء المسلمين ،... ونحو ذلك ، وأذكر كل حالة باختصار حتى لا أخرج عن الاختصار ، والله تعالى هو المتفضل والمعين .

تنبيه : إن المراد بالرحمة التي أكرم الله تعالى بها عباده : هي رحمة القوي ، وليست رحمة الخانع الضعيف ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الفصل القادم

لذا تعددت مظاهر هذه الرحمة ، وشملت جميع جزئيات البشر ، من الصغار إلى الكبار ، ومن النساء إلى الرجال ، ومن الضعفاء إلى الأقوياء ، ومن المرضى إلى الأصحاء ، ومن المؤمنين إلى الكافرين ، ومن الأصدقاء إلى الأعداء ، ومن الأمة المحمدية في الدنيا إلى الخلق جميعاً في الآخرة ،...الخ وهذا ما سنراه إن شاء الله تعالى في الفصول القادمة .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

*****

---

(١) فتح الباري (٢ : ٥٢١)

الفصل الرابع
الرحمة إنما هي من القوي

١ـ لقد مر في الفصل الأول بيان أن الله تعالى هو الرحمٰن الرحيم ، وهو مالك الرحمة ، وأن رحمته تعالى وسعت كلَّ شيء ، وأن رحمتَه سبقت غضبَه ، وأنه تعالى أرحم بعباده من الأم بولدها ، وأنه تعالى أنزل جزءاً من مائة جزء من رحمته ليتراحم بها الخلق على اختلاف أصنافهم ، وادّخر تسعة وتسعين ليرحم بها العباد يوم القيامة ،...

ومع هذا فإنه تعالى شديد العقاب على من عصاه ، وأنزل إنذارَه الشديد على المخالفين ؛ مِن عُصاةٍ وكفارٍ ومنافقين ، ووعيدَه بالعقوبة القاسية لهم . وهي نار جهنم ، بما فيها من ألوان وصنوف العذاب .

٢ـ إذا كان من أسماء الله تعالى : الرحمٰن ، الرحيم ، الرؤوف ، الودود ، السلام ، المؤمن ، الغفّار ، الوهاب ، الرّزّاق ، الباسط ، الرافع ، المعز ، اللطيف ، الحليم ، الغفور ، الشكور ، الواسع ، التواب ، العفو ، المغني ، النافع ، الهادي ،... وغيرها من الأسماء الجمالية .

فإن من أسمائه تعالى أيضاً : الملك ، القدّوس ، العزيز ، الجبّار ، المتكبّر ، القهّار ، القابض ، الخافض ، المذِل ، الحكم ، العدل ، العظيم ، العلي ، الكبير ، الرقيب ، القوي ، المانع ، القادر ، المقتدر ، المقدِّم ، المؤخِّر ، المتعال ، الضّار ، المنتقم ، مالك الملك ،... وغيرها من الأسماء الجلالية والقهرية .

٣ـ إذا كان الله عز وجل خلق لمن يرحمهم الجنةَ ، ودعا عبادَه إليها ،

ورغَّبهم فيها ، وأن من دخلها لا يخرج منها ، وأنه تكفّل بملئها ، وفيها من النعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فإنه تعالى ـ بنفس الوقت ـ خلق لمن عصاه وكفر به النارَ ، وحذّرهم منها ، وتكفّل بملئها ، وفيها من ألوان العذاب ما تشيب له نواصي الرّضع.

٤ـ إن الله تعالى جعل الرحمة مائة جزء ، فأنزل جزءاً منها ؛ ليتراحم به الخلائق ، وأبقى عنده تسعة وتسعين ، ويوم القيامة يضم إليها الجزء المنزل ليرحم بالمائة عباده .

فإنه تعالى قد أنزل الحدود والعقوبات ، وهدّد باللعن والطرد ؛ ليرتدع العباد عن مخالفته .

٥ـ إن الله تعالى يتودد إلى عباده ، ويتقرّب إليهم أضعاف ما يتقرّبون إليه ، لذا قدّم محبته على محبّتهم ، ورضاه على رضاهم ،...

ومع هذا فقد حذّرهم الشيطان ، وبين لهم خطورةَ متابعته وعبادته ، وأنه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

ـ والخلاصة : إنه تعالى بقدر ما يعطي من الرحمة ، يخوّف من العذاب ، فهو تعالى في نفس الوقت غفور رحيم ، وهو شديد العقاب ، وعنده من العذاب ما يخيف المؤمن التقي ، وعنده من الرحمة ما يطمع بها الكافر . وإن كانت رحمته قد سبقت غضبه .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لو علم المؤمنُ ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد . ولو علم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد ». رواه مسلم[1].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه ، رقم (٢٣).

فالله عز وجل هو أرحم الراحمين ، وبنفس الوقت هو شديد العقاب .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]...الخ.

وهكذا جعل الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ أيضاً :

٦ـ إن النبي المصطفى الكريم ﷺ هو رحمةٌ مهداة للعالمين ، ونبيُّ الرحمة ، وهو رؤوف رحيم .

ومع هذا فهو القوي الشجاع ، الشديد على المعاند المخاصم ... حتى يؤمن ، وعلى المنتهك لمحارم الله تعالى حتى يؤوب ، فكما أنه ﷺ هو القوي في إيمانه ودينه وفكره ،...والقوي في بدنه وفي نفسه ، هو أرحم المخلوقات.

لذا كان يتودد إلى الناس ، ويتحرَّق على هدايتهم ، ويحرص على إيمانهم ، حتى كاد أن يذهب نفسه حسرات عليهم ،... كما مر .

٧ـ لقد أُعطي ﷺ من الهيبة الظاهرة ما يعجز الإنسان عن وصفه ، ويعجز الرجال الذين عُرفوا بقوة شكيمتهم وقوة نفوسهم النظر إليه ﷺ هيبة وإجلالاً ،... وأذكر بعض النماذج في ذلك .

في قصة صلح الحُدَيْبِيَة ومجيء عروة بن مسعود مفاوضاً عن قريش ، وفيه : ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه . قال :... وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له ،... الحديث بطوله . رواه البخاري[2].

---

(١) سورة المائدة (٩٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .

وعن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : ... وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيق أن أملأ عيني منه ؛ إجلالاً له ، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه ،... الحديث ، رواه مسلم[1].

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة الصدقة على الأقارب والأيتام ـ وفيه ، قالت : وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابة ،... الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

وكان كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم إذا حدثوه ، حدَّثوه كأخي السرار ، وإذا جلسوا عنده ﷺ كأن على رؤوسهم الطير ، ولا يرفعون أصواتهم هيبة له ﷺ[3]. ولهذا ورد وصفه ﷺ وبيانُ شمائله الكريمة عن طريق صغار الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ وليس فيهم صغير ـ ولم يرد عن طريق كبارهم إلّا النادر القليل ، كما بينته في مقدمة الشمائل .

وخلاصة ذلك : ما قاله عليٌّ رضي الله تعالى عنه ـ وهو يصف النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وفيه : من رآه بديهةً هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه . رواه الترمذي ـ وحسنه ـ وابن سعد والآجري والبغوي والبيهقي[4].

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون الإسلام يهدم ما قبله ، وكذا الهجرة والحج ، رقم (١٩٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ،... رقم (٤٥).

(٣) انظر الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان ، ومحبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد . فقد ذكرت نماذج كثيرة في ذلك .

(٤) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب ما جاء في صفة النبي ﷺ ، رقم (٣٦٣٨) والشمائل =

ومع هذا فقد كان ﷺ : متواضعاً ، حليماً ، صبوراً ، شفوقاً ، رؤوفاً رحيماً ، عطوفاً حنوناً ، رقيق القلب ، سريع الدمعة جاريها ، صفي النفس ، نقي السريرة ، رحيماً بالصبيان والعيال والنساء ، ما ضرب بيده امرأة ولا خادماً ، ولا ينتقم لنفسه ، سمحاً سهلاً ، ستّيراً ، أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً ، قريباً من الناس ؛ ليس بفظ ولا غليظ ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ،...الخ.

والخلاصة : فقد اجتمعت فيه ﷺ من الرحمة ما تفرق في الكُمَّل من الرجال ، وزاد عليهم بأنه رحيم ، رحمة مهداة للعالمين .

فالهيبة : ما يقع في قلب الرائي بما فيه ﷺ ؛ من صفات الجمال والجلال والكمال ، أما الرحمة : فهي في ما سكن في قلبه ﷺ ، وفاض على ظاهره ، والله تعالى أعلم .

٨ـ لقد جمع الله عز وجل لرسوله الكريم ﷺ بين ما هو متنافر وجوداً ، ومتناف من حيث الظاهر ، كما هو الحال في كونه ﷺ فرطاً لأمته ، وهو شاهد عليها[(١)].

وفي إقامته ﷺ الحدَّ على مرتكبه ، ومع هذا يكون ﷺ في الباطن غاية الرحمة على من يقام عليه . فقد يأمر بإقامة الحد عليه ـ تنفيذاً لأمر الله تعالى ـ

= له (٤٠ ـ ٤٦ رقم ٧) والطبقات الكبرى (١ : ٤١١ ـ ٤١٢) والشريعة (٤٧٩ ـ ٤٨٠) ودلائل النبوة (١ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠) وأخلاق النبي ﷺ (٥٠ ـ ٥٢ من طرق) وشمائل البغوي (١ : ٣٥٠ ـ ٣٥١) وشرح السنة (١٣ : ٣٨٢ ـ ٣٨٣) وتهذيب تاريخ دمشق (١ : ٣١٥ وما بعد).

(١) انظر ما كتبته حول حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه في الخصائص وعظيم قدره ﷺ ، وانظر قول الحافظ العراقي رحمه الله تعالى في طرح التثريب (٣ : ٢٩٧) حول هذا الموضوع . وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وهو في نفس الوقت غاية الرحمة والشفقة على من أقيم عليه . فلا يرضى أن يُلعن ، أو يسب ، بل يطلب الدعاء له ـ بل أكثر من ذلك فإنه ﷺ قد يبين فضل من يقام عليه الحد وصدق توبته كما في قصة ماعز والغامدية رضي الله تعالى عنهما . وأذكر مثالاً على ذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أُتي النبي ﷺ بسكران ، فأَمر بضربه ، فمنا من يضربه بيده ، ومنا من يضربه بنعله ، ومنا من يضربه بثوبه ، فلما انصرف ؛ قال رجل : مالَهُ ، أخزاه الله . فقال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم ».

وفي رواية : « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان ». رواه البخاري[1].

زاد في رواية أحمد وأبي داود ـ واللفظ له ـ والنسائي والبغوي والبيهقي[2]: « ولكن قولوا : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ».

ونهى ﷺ عن لعنه ، كما في حديث عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، في نفس القصة ، رواه البخاري[3].

فهو أخ . لكن زلَّ قدمُه ، واستهواه الشيطان ، ذلك أن الإنسان العاصي هو ضعيف ، فلو لم يكن أضعف من الشيطان لما وقع في حباله ، لأن كيد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب الضرب بالجريد والنعال ، وباب ما يكره من لعن الشارب ،...

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب الحد في الخمر ، رقم (٤٤٧٨) والسنن الكبرى للنسائي (٣ : ٢٥٢) وشرح السنة (١٠ : ٣٣٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٣١٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب ما يكره من لعن الشارب ، وأنه ليس بخارج من الملة .

الشيطان ضعيف ، فهو يُقام عليه الحد لمخالفته أمر الله تعالى ومعصيته له وارتكابه ما كان قد نُهي عنه ، وهو يُرحم لضعفه ، حتى لا يكون من حزب الشيطان ، الذي يجره إلى النار ، والعياذ بالله تعالى .

يضاف إلى ذلك أن إقامة الحد على مرتكب الجريمة هو كفارة له يوم القيامة ، فلا يحاسب عليها ثانية ، بخلاف ما لم يقم عليه الحد .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ـ في قصة البيعة ، وفيه قوله ﷺ ـ : « ...ومن أصاب من ذلك شيئاً [وفي رواية لمسلم : ومن أصاب منكم حدّاً فأقيم عليه] فعوقب عليه في الدنيا ، فهو كفارة له ». متفق عليه[١] .

٩ـ إن إرسال رسول الله ﷺ بالجهاد لا يتنافى مع الرحمة التي خُص بها . وذلك :

أ ـ إن الأصل في الإنسان : الإيمان والطاعة والفطرة السليمة ،... وأن الكفر والمعصية أمر طارئ .

ب ـ إن الشيطان بعد طرده من الجنة ـ بسبب آدم عليه السلام ـ أقسم لله تعالى أنه سيحتنك ذرية آدم ، وأنه سينتقم منه ومن ذريته[٢] .

ج ـ تحذير الله تعالى وجميع الرسل عليهم السلام من الشيطان وغوايته وعدوانه ، مع بيان خسارة من يتبعه .

د ـ النبي المصطفى الكريم ﷺ هو الوحيد العالمي ، إذ كل الرسل عليهم السلام كانت دياناتهم قومية محلية لأقوامهم فقط ، إلا هو ﷺ فقد كان دينه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب (١١) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب الحدود كفارة لأهلها ، رقم (٤١ ـ ٤٣).

(٢) انظر العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة ، فقد ذكرت تفاصيل ذلك .

عالمياً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2].

هـ ـ كونه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فلا نبيَّ ولا رسول بعده ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3] فإذا كان خاتم النبيين فهو ﷺ خاتم المرسلين أيضاً ، لأن كل رسولٍ نبيٌّ ، فإذا ختم النبوة والأنبياء فقد ختم الرسل أيضاً ، فلا نبيَّ ولا رسول بعده ﷺ .

و ـ كما جعل الله تعالى من مهام رسوله الكريم ﷺ : التبليغ والبشارة والنذارة ، ويذكرهم بالأمانة التي تحمَّلوها ، وبالعهد الذي قطعوه على أنفسهم أمام ربهم تعالى ، وبالميثاق الذي شهدوا به ،...

ز ـ لقد جعل الله تعالى الإسلامَ ناسخاً لجميع الديانات ، وجعل تلك الديانات مقدمة لهذا الدين ، وأخبرنا تعالى أنه أمر الناس بتوحيده وعبادته ، وحرَّم عليهم الكفر والفسوق والعصيان ،... كما حذّرهم تعالى من الشيطان وأساليبه ، لذا أمر تعالى نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ أن يدعو الناس إلى الإيمان بالله تعالى وعبادته ، وترك كل ما يخالف ذلك .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله تعالى عنه إلى اليمن ، قال : « [إنك تأتي قوماً أهل كتاب] ادعهم [وفي رواية : فليكن أول ما تدعوهم إليه] إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني

(١) سورة الأعراف (١٥٨).

(٢) سورة سبأ (٢٨).

(٣) سورة الأحزاب (٤٠).

رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

فإذا أبوا ، ورفضوا الإيمان والطاعة : قوتلوا على ذلك .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله ، ويقيموا الصلاةَ ، ويؤتوا الزكاةَ ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابُهم على الله ». متفق عليه[2].

يعني ليعيد الناس الذين شردوا إلى ربهم تعالى ، ويصحح من فسد حاله ، ويرمم من هوى دارُه . فمن استجاب له شملته الرحمةُ في الدنيا والآخرة ، ومن عصا شملته الرحمةُ في الدنيا ، وعوقب في الآخرة .

ح ـ ثم إن النبي المصطفى الكريم ﷺ لا يقصد من الجهاد العدوانَ ، ولا رغبة في الانتقام ، ولم يكن ﷺ متعطِّشاً لسفك الدماء أبداً ، إذ لو كان كذلك ما نهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال والعُبّاد والرهبان ،... ولَمَا أمر أمراء الجيوش أن لا يقاتلوا حتى يخيروا العدو بين ثلاث ، فمن أسلم قبل القتال ـ بل حتى أثناء القتال ـ يجري عليه حكم المسلمين ، له ما

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب وجوب الزكاة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، رقم (٢٩ ـ ٣١) وفي بعض الروايات : عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ . فتنبه .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب : ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ،... رقم (٣٦).

ورواه مسلم من حديث عمر وأبي هريرة وجابر رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

للمسلمين ، وعليه ما عليهم

وخير دليل على ذلك : لومُه ﷺ أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما ، عندما قتل رجلاً ـ في المعركة ـ بعدما قال : لا إله إلا الله[1].

وأصرح من ذلك : نهيُه ﷺ صراحةً عن قتل من أسلم وقال : لا إله إلا الله ، أثناء المعركة ، ولو قطع يدَ المسلم المقاتل .

فعن المقداد ابن الأسود رضي الله عنه ، قال : يا رسول الله ؛ أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفار ، فقاتلني ، فضرب يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة ، فقال : أسلمتُ لله [وفي لفظ : فقال : لا إله إلا الله] أفأقتُله يا رسول الله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله ﷺ : « لا تقتله » قال : فقلت يا رسول الله ؛ إنه قد قطع يدي ، ثم قال ذلك بعد أن قطعها ، أفأقتله ؟ قال رسول الله ﷺ : « لا تقتُلْه ، فإن قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن تقتلَه ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمتَه التي قال ». متفق عليه[2].

فلو كان الهدفُ من الجهاد العدوانَ لما نهى ﷺ المقدادَ رضي الله تعالى عنه عن قَتل من قطع يده ، ولَمَا لام أسامةَ رضي الله تعالى عنه على قتل من أعلن إسلامه ، مع احتمال كون القائل غير صادق ، والله تعالى أعلم .

١٠ـ الرحمة تقتضي وجودَ قوي يَرحم ، وضعيف يُرحم ، إذ لا يُتصوَّر

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، رقم (١٥٨ ـ ١٥٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب (١٢) حدثنا خليفة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥٥ ـ ١٥٧).

وجود ضعيف يَرحم القويَّ ، لأنه هو الذي يحتاج إلى الرحمة .

أما ترى أن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك من جملة آياته ، فقال جل شأنه : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1]. فالمودة تقتضي التماثل والتقابل بين الاثنين ، أما الرحمة فتقتضي وجود قويٍّ وضعيف .

وقد أوضح النبي الكريم ﷺ ذلك بقوله : « ليس منا من لم يعرف حقَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ». رواه أحمد والحميدي وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود ، وصححه الترمذي والحاكم والإمام النووي ، وأقره الذهبي ، وحسنه العراقي[2]. وله روايات كثيرة .

ويلاحظ أن للكبير التجلة والتوقير ومعرفة حقه ، وللصغير الرحمة .

١١ـ ثم إن القوي لا يحتاج إلى رحمة ، لأن عنده من القوة ما يكفيه ، إنما الذي يحتاج هو الضعيف . أما ترى دعاء الإنسان لوالديه بالرحمة ، مع تقييد ذلك بحال كونه صغيراً ، كما قال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[3].

---

(١) سورة الروم (٢١).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢) ومسند الحميدي (رقم ٥٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) والأدب المفرد (رقم ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤٣) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة الصغار ، رقم (١٩٢٠) والمستدرك (١ : ٦٢) والآداب للبيهقي (رقم ٤٩ ، ٥٠) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٧ ـ ٤٥٨) ورياض الصالحين (١٧٣ رقم ٣٥٣) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١) وانظر ساكن المدينة المنورة ،...

(٣) سورة الإسراء (٢٤) وانظر بر الوالدين ، فقد أطلت النفس في استخراج الدروس والعبر =

١٢ـ لذا فالذي يخالف هو المسؤول عن خطئه وتقصيره . لأن الحجة قد قامت عليه ، بما ذكره الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ من دلائل ، وبما خاطب الله تعالى ورسوله ﷺ العباد بالإيمان به وبرسوله ﷺ ، وبما أنزل من كتابه ، وما بثه من سنة نبيه الكريم ﷺ ، وما بيّن فيهما من فضل الاتباع والطاعة ، وعقوبة العاصي المخالف ، وشمول الرحمة للمطيع ، والعقاب للمتنكّب ، وما أوجد من العلماء العاملين ، والدعاة المخلصين ، الدّالّين على الله تعالى . لذا فمن تنكّب عن ذلك كلّه كان هو السبب في إهلاك نفسه ، والله تعالى أعلم .

وسيأتي في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى بيان مفصّل أيضاً .

*****

= من هذه الآية الكريمة .

الفصل الخامس

رحمته ﷺ للعالمين

لقد جعل الله عز وجل رسولَه المصطفى الكريمَ ﷺ رحمةً للعالمين ـ ولم يجعل هذا لأحد من الخلق سواه ـ وفي هذا دلالةٌ على علوِّ قدره ﷺ ، ورفعة مكانته عند الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1] .

لقد جعل الله سبحانه وتعالى رسولَه المصطفى الكريم ﷺ رحمةً عامةً شاملةً ، كما جعله سبحانه وتعالى رحمةً خاصة أيضاً .

وفي هذا النص الكريم أمورٌ كثيرةٌ تدل على علو مقامه الشريف ، الذي لا يدانيه أحد من الخلق ، ولا يقاربه مخلوق ، حيث بزَّهم جميعاً ، وفاقهم كلهم ، كيف وقد جعله رحمةً للعالمين وليس للبشر فقط ، ولا يمكن استيعاب ذلك كله في هذه الرسالة المختصرة ، لكن حسبي أن أذكر بعضَه ، مما يدل على تلك المكانة العالية ، والمنزلة السامية ، والمرتبة الكاملة الفريدة

فمما يؤخذ من هذه الآية الكريمة :

يُؤخذ من هذه الآية الكريمةِ أمورٌ كثيرةٌ ، وفوائد جليلة ؛ يصعب حصرُها واستيعابها في هذه الرسالة المختصرة ، لذا فإني سأذكر بعضَ تلك الفوائد الدّالة على علو قدره ﷺ ، وسعة رحمته ، وشمولها لجميع الخلق ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

---

(١) سورة الأنبياء (١٠٧).

أ ـ لقد جعل الله جل شأنه كلمة (**رحمة**) نكرةً ؛ لتكون عامةً شاملةً ، فهي عامةٌ في أبعادها ، شاملةٌ في جزئياتها ، لاحقةٌ لكل من يستحقها ممن هو أهل لها من المخلوقات ، وسيأتي إن شاء الله تعالى بعد قليل ذكرُ بعض من تشملهم .

كما أن هذه الكلمة المباركة جاءت بعد نفي ؛ والنكرة بعد النفي تفيد العموم أيضاً .

ب ـ إن هذا النفي ﴿وَمَآ﴾ جاء بعده حصر ﴿إِلَّا﴾ والحصرُ بعد النفي يفيد الاستغراق ، فيكون ما بعد النفي مستغرقاً فيما بعد الحصر أيضاً . فتكون الرحمة مستغرقة كلَّ بعثته ﷺ . والله تعالى أعلم

ج ـ هذه الرحمة المهداة هي من الله جل شأنه ، وليست من صنع البشر ، ولا دخل للبشر فيها ، فلم ينلها ﷺ بمجاهدة ، ولا بتدريب ، وإنما هي هبةٌ من الله تعالى جعلها في رسوله الكريم ﷺ .

قال الله عز وجل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[1].

فقوله تعالى : ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ هذه الليونة منه ﷺ إنما هي رحمة من الله تعالى . يمتن جل شأنه بها على رسوله الكريم ﷺ وعلى أمته من بعده ـ فيما ألان به قلبه على من آمن به واتبع أمره وترك زجره ـ :

قال قتادة رحمه الله تعالى : برحمة من الله تعالى لنتَ لهم .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : هذا خُلق رسول الله ﷺ بعثه الله تعالى به .

---

(١) سورة آل عمران (١٥٩).

فيكون الله سبحانه وتعالى قد جعلها في حبيبه المصطفى ﷺ قبل خلقه ، والله تعالى أعلم .

د ـ هذه الرحمة التي اتصف بها النبي الحبيب ﷺ ليست مختصة في شخص معين ، أو في جماعة معينة ، أو في خَلْق معين ، أو لقوم معينين ،... لكنها في كل المجالات ؛ فكما هي[1]: في الدِّين والدنيا ، هي سببٌ للسعادة في الدارين ، وموجبٌ لصلاح المعاش والمعاد ، هي موجبٌ للثواب لمن أطاع ، ورافعةٌ لعذاب الاستئصال لمن عصى وخاب ، هي هدايةٌ إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ، أو رفعُ ما كانت تُصاب به الأمم السابقة من عذاب الاستئصال ، الذي كان يصيب الأمة كلها ، بل قد يصيب غيرَهم أيضاً ؛ من غَرَقٍ وخسفٍ ومسخٍ وصعق ،...هي لكل فردٍ فردٍ من العالَمين ،...الخ.

هـ ـ إن هذه الرحمة شاملة لكل الخلق ؛ إنسهم وجنهم ، مؤمنهم وكافرهم ، كبيرهم وصغيرهم ، برهم وفاجرهم ، صالحهم وفاسدهم ، عُلْويّهم وسُفلِيهم ، مرئيهم ومَخفِيِّهم ،... وذلك لأن الاستثناء هنا جاء مفرغاً من كل العلل والأحوال ، أي ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة .

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى[2]: أولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي رُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وهو : أن الله أرسل نبيَّه محمداً ﷺ رحمةً لجميع العالَم ؛ مؤمنهم وكافرهم .

---

(١) انظر : تفسير الرازي (٢٢ : ٢٣٠) وتفسير الماوردي (٣ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦) وتفسير الطبري (١٨ : ٥٥٢) وتفسير البغوي (٣ : ٢٧١ ـ ٢٧٢) ونظم الدرر للبقاعي (١٢ : ٥٠٨ ـ ٥٠٩) والدر المنثور (٥ : ٦٨٧) وغيرها .

(٢) تفسير الطبري (١٨ : ٥٥٢).

ـ فأما مؤمنهم ؛ فإن الله هداه به ، وأدخله ـ بالإيمان به ، وبالعمل بما جاء من عند الله ـ : الجنةَ .

ـ وأما الكافر؛ فإنه دُفع به عنه عاجلُ البلاء ؛ الذي كان ينزل بالأمم المكذِّبة رسلها من قبله.اهـ.

قلت : وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو[1] : هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن ، فمن آمن فهو رحمةٌ له في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن فهو رحمةٌ له في الدنيا ، بتأخير العذاب عنهم ، ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم ،...الخ.

وقال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى[2] : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ﴾ أي بعظمتنا على حالة من الأحوال ﴿إِلَّا﴾ على حال كونك ﴿رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾ كلهم ؛ أهل السموات وأهل الأرض ؛ من الجن والإنس وغيرهم ، طائعهم بالثواب ، وعاصيهم بتأخير العقاب ،...الخ.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى[3]: قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ﴾ يخبر الله تعالى أن الله تعالى جعل محمداً ﷺ رحمةً للعالمين ، أي أرسله رحمةً لهم كلهم ، فمن قَبِل هذه الرحمةَ ، وشكر هذه النعمةَ : سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردَّها وجحدها خسر الدنيا والآخرة ،...الخ.

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٨ : ٥٥٢) وتفسير البغوي (٣ : ٢٧١ ـ ٢٧٢) وتفسير الخازن (٤ : ٣٢٦) وإعراب القرآن للنحاس (٢ : ٣٨٦) وتفسير ابن كثير (٣ : ٢٠٢) والدر المنثور (٥ : ٦٨٧).

(٢) نظم الدرر (١٢ : ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٢٠١).

والرحمةُ في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً﴾ إما أن تكون منصوبة على أنه مفعول له ، أي مفعول لأجل الرحمة ، أو تكون منصوبة على الحال ؛ مبالغة في أن جعله الله تعالى نفس الرحمة ، أو على حذف مضاف ، أي ذا رحمة ، أو بمعنى الراحم[1].

قلت : لقد اختلف العلماء في شمول هذه الرحمة على أقوال :

- منهم من يرى شمولها لجميع الخلق ، فهي لمن ما سوى الله تعالى ، فهي شاملة للإنس والجن - مؤمنهم وكافرهم - وللملائكة ، وغيرهم . وسيأتي الاستدلال لهذا الرأي بعد قليل إن شاء الله تعالى .

- ومنهم من يرى شمولَها للإنس والجن لا غير .

- ومنهم من يرى شمولَها لجميع المخلوقات عدا الملائكة .

- ومنهم من يراها خاصة بالمؤمنين فقط . وهذا أضعف الأقوال ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

قلت : وسبب اختلافهم - في ذلك - راجعٌ - والله تعالى أعلم - لمعنى كلمة : ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إضافة لإشكال أذكره إن شاء الله عز وجل في آخر الرسالة . وقد ذكرت معناها في (الخصائص) وَ (عظيم قدره ﷺ) .

و - شمولية ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

إن كلمة ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ شاملة للسموات والأرض وما بينهما ؛ مِن بحار وقفار ، وجبال ووديان ، ونبات وثمار ، وأنهار وأشجار ،... وما بين ذلك من الهواء والطير والماء ، والحيوان والإنس والجان ، والجامد والسائل ، والمتحرك والساكن ، والناطق والساكت ،... وما يحتوي عليه الجو وباطن الأرض ،

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس (٢ : ٣٨٦) والدر المصون للسمين الحلبي (٨ : ٢١٤).

وما نراه وما لا نراه ، وما في السماء وما على الأرض ،... كل ذلك وغيره يشمله لفظ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا هو معناه بالمعنى العام .

ويدل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى لموسى وهرون عليهما السلام : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[1] .

فقوله تعالى : ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وتفسير موسى عليه السلام ذلك بقوله : ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ دلالة على شمول (العالَمِين) لكل المخلوقات ، أو قل : دلالة على شمول هذه الكلمة على كل ما سوى الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته ، ولهذا كثر في كتاب الله تعالى ذكرُ هذه الجملة المباركة ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذ تكررت في المصحف الشريف أكثر من (٤٠) أربعين مرة .

فالله سبحانه وتعالى ربُّ هذه المخلوقات التي خلقها ، كما قال عز وجل : ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وجعل نبيَّه وصفيَّه الحبيبَ ﷺ رحمةً لها جميعاً ، فقال سبحانه وتعالى عنه : ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ فكل من كان الله تعالى له ربّاً جعل الله عز وجل نبيه المصطفى الكريمَ ﷺ له رحمة ، والله تعالى أعلم.

ز ـ لقد عدّى الله تعالى الإرسال باللام ، فقال الله جل شأنه : ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ولم يعدِّها بالباء ، فلم يقل : بالعالمين ، فما هو السرُّ في ذلك ؟

إن اللام ـ من جملة معانيها ـ تفيد الملك ـ كما قال النحاة ـ كما تفيد شبه الملك ، والذي يُعبَّر عنه بالاختصاص ، ومنه ما يُعبَّر عنه باسم الاستحقاق ، فكأن الله عز وجل جعل نبيَّه الكريم ﷺ رحمة ، وجعلها ملكاً للعالَمِين ،

(١) سورة الشعراء (١٦ ـ ٢٤).

مختصين بها ، ومستحقين لها ، يعني : شمولية هذه الرحمة للعالَمين ، فهي ثابتة ثبوت الملك للمالك ، فلا تنفك ، وإن كان المقصود ثبوت المنفعة والمردود ، يعني منفعة الرحمة راجعة لعموم العالَمين ، فهي إذاً عامّةٌ شاملةٌ مستحقَّةٌ للعالمين جميعاً ، والله تعالى أعلم .

بخلاف الباء فإنها لا تفيد ذلك المعنى ، إنما تفيد ـ من جملة معانيها كما يقول النحاة ـ التبعيض ، ومعنى هذا لو كانت (بالعالمين) لكانت لبعض العالمين ـ وهم المؤمنون فقط ، ولا تشمل غيرهم ـ ولا شك فإن شمولها للجميع يتناسب مع سعة رحمة الله تعالى ، وكرمه وجوده ، والله تعالى أعلم[1] .

ومما يدل على المعنى الأول : كون هذه الرحمة مهداة من الله تعالى لخلقه ، حيث قال ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة » كما رواه الحاكم وصححه ، والبزار والطبراني برجال الصحيح . والهدية : هي تمليك الرقبة بدون مقابل ، ولام التمليك كما تكون تمليكَ الرقبة تكون تمليك المنافع ، والأول غير وارد فلم يبق إلا تمليك المنافع والمردود ؛ وهي الرحمة بالخلق ، والله تعالى أعلم .

ح ـ السر في جمع (العالمين) :

لكن من الملاحظ أن الله عز وجل ذكر هذه الكلمة (**العالَمين**) وهي صيغة جَمْع لكلمة (عالَم).

وكلمةُ (عالَم) تُجمع على صيغتين :

ـ صيغة (عوالم) وهي جمع كثرة ، لكنها موضوعة لغير العقلاء .

ـ وصيغة (عالَمين) وهي جمع قلَّة ، لكنها للعقلاء من الخلق .

فلم ذكر الله تعالى (العالَمين) وهي جمعَ قِلَّة ، ولم يذكر (عوالم) وهي جمعَ

---

(١) انظر أوضح المسالك (٣ : ٢٩ ـ ٣٩) لبيان معاني اللام والباء ، لأن لكلٍّ منهما اثني عشر معنى .

كثرة . مع أن ما في الكون ما ظاهره غير العاقل ؟

لقد ذكر الله تعالى تلك الصيغة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تغليباً للأشرف من الخلق على غيرهم ، مع أن غيرَ العاقل ـ من سموات ونجوم وأرضين وجبال وأنهار وبحار وأشجار وحيوان ... ـ أكثر من العاقل ، كما هو معلوم ، والله تعالى ربهم جميعاً ، وذلك راجع ـ والله تعالى أعلم ـ إما لكون الناس والملائكة والجن في جملتهم ، وفي الإنسان الرسل عليهم السلام ، وفي الملائكة الكرام ساداتهم ، كجبريل وميكائيل ،... وغيرهما ، أو لأنه عنى به أصنافَ الخلائق من الملائكة والجن والإنس ، دون غيرها[1] ، والله تعالى أعلم .

ولهذا لا يوجد كلمة (العوالم) في القرآن الكريم .

ط ـ هذه الرحمةُ : شاملةٌ في دعوتها ، واسعةٌ في فروعها ، عامَّةٌ في تعلقاتها ، بارزة في مظهرها ، مفردة في منشئها ،... لكنها مرتبطة بربها جل شأنه الذي خلقها ، وأرسلها ، لهذا قال تعالى في منشئها : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ وأما شمولها واتساعها وعمومها فهذا واضح من قوله تعالى : ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

فإذا كانت كذلك في منشئها ، ثم في مظهرها وتعلقها ، ثم في شمولها وعمومها واتساعها ؛ فكيف يكون ارتباطها بخالقها سبحانه وتعالى ؟ هذا ما أوضحتْه الآيةُ التاليةُ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2].

---

(١) انظر : بصائر ذوي التمييز (٤ : ٩٥) وانظر خاتمة (محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجهاد).

(٢) سورة الأنبياء (١٠٨).

ثم كيف يكون ارتباطها بالخلق الذين أُرسل إليهم ؟ هذا ما أوضحته الآية نفسُها ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ مع التنبه للضمير (اللام) فيها ، الذي يفيد التملك والشمول ، والله تعالى أعلم .

لهذا كانت هذه الرحمةُ المهداةُ ظاهرةً في إنسانية الإنسان الكامل ؛ الذي لم تعرف البشرية له نظيراً ، حيث ذابت فيه جميعُ الفوارق ، ولم تفرِّق بين لون أو جنس أو وطن أو عشيرة أو فوارق أخرى ، وربطتها جميعاً برباط واحد ، هو الرباط بالله تعالى ، لا بسواه . إنها شخصية رسول الله ﷺ ؛ الرحمة التامة الكاملة الشاملة المهداة ، الذي اصطفاه الله تعالى ، وميَّزه على جميع خلقه ، وأفرده بميزات لا توجد عند جميعهم ، فقرَّب بلالاً الحبشي ، وسلمانَ الفارسي ، وصُهيباً الرومي ، وأمثالهم من الموالي ، على أبي لهب الهاشمي ، وأبي جهل القرشي ،... ونحوهم .

ي ـ إن الله سبحانه وتعالى جعل صفيه وحبيبه الكريم ﷺ قاسماً لما يعطيه الله تعالى .

فعن معاوية رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، والله المعطي وأنا القاسم ،... ». متفق عليه[1]. وقد ورد عن غيره أيضاً .

ومن الملاحظ أن قوله ﷺ : « الله المعطي وأنا القاسم »قد تنوع سببه ، فجاء هنا في التفقه في الدِّين ، وفي حديث جابر رضي الله تعالى عنه ـ عندهما ـ

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين ، وكتاب فرض الخمس : باب قول الله تعالى : ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾، وفي غيرها. وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب النهي عن المسألة ، رقم (١٠٠).

في تسمية غلام ، بينما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ عند البخاري ـ في المال والغنائم .

فالله تعالى هو المعطي حقيقةً ، وهو الراحمُ حقيقةً ، والنبيُّ الرحيمُ ﷺ هو الذي يَقسم ، ويضع حيث يُؤمر « إنما أنا قاسم ، أضع حيث أُمرت ». رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والله تعالى أعلم.

ك ـ هذا الترابط بين كونه ﷺ رحمة مهداة من الله تعالى وكونه ﷺ على خُلُق عظيم ، وكونه ﷺ قدوة حسنة . جعله ﷺ قد حاز على الفضائل كلها ، والمراتب العالية ، فماذا بقي بعد ذلك !!!

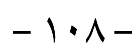
ل ـ إن حسن معاملة المصطفى الكريم ﷺ للكفار المكابرين والأعداء المعاندين في عصره ، وما اتصف به من الرحمة الكاملة التامة ، والأخلاق العالية ، والصفات السامية ،... كل ذلك أثَّر تأثيراً كبيراً فيهم ، فجعلهم ينقادون مرغمين من داخلهم ، فأسلمت جميع تلك القبائل .

فلو نظرنا إلى قريش وما فعلت معه ﷺ ومع أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، رأيناها قد أسلمت ـ إما طواعية ـ بعد ما اتضح لهم الحقُّ ، وبان لهم النور ، وانقدح في نفوسهم اليقين والبرهان ـ وإما رغماً ـ ثم صَدَقوا وأحسنوا ، ولم يُقتل منهم إلا أكثر من مائة نفس بقليل ، من أول الهجرة إلى يوم الفتح ، الذي ظهرت فيه الرحمة بأكمل صورها ، وأجمل مظهرها ، وصار أعداؤُه ﷺ بالأمس أكابرَ أنصاره ، وأعاظمَ أعوانه ، وأشدَّ المدافعين عنه ، والمفدينه ﷺ بكل غال ، بعد طول ضلال ، وغَرَقٍ في بحار الوثنية ، وإيضاع في صنوف العداوة والصد والبهتان ، فعلموا أنه لا ناصر إلا الذي أرسل هذه الرحمة ، التي شملهم بها ، وأيقنوا بجدواها ، لذا سارعوا إلى الانطواء تحت ظلها ، والانضواء تحت جناحها ، والتفيء بظلالها ،...

واستمر ذلك إلى اليوم ، ولله الحمد والمنة ، وسيستمر بإذن الله تعالى ، وما نراه ونسمعه عن هذه الأعداد الكثيرة التي تعلن إسلامَها يومياً ، وفي مناطق مختلفة من العالم ، وتنضم إلى جماعة المؤمنين طواعية ـ مع عدم وجود دعاة كافين ، وبعثات متخصصة ، وعلماء مهتمين ،... بالعدد الكافي ـ إلا برهان على ذلك ، والله تعالى أعلم .

وصلّى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

* * * * *



الفصل السادس
رسولُ الله ﷺ أمانٌ للناس في الدنيا

لقد أخبرنا الله تعالى أنه قد جعل رسولَه المصطفى الكريم ﷺ أماناً للناس ، لذا فلا يصابون بعذاب استئصال ـ كما كان في الأمم السابقة ـ كما جعله تعالى أماناً لأمته ، وأَمَنَةً من العذاب والهلاك لأصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ،...

لذا لم يدع على مخالفيه وأعدائه في أشد لحظات العداوة والصد ، بل لم يتبرأ منهم مع عداوتهم له ﷺ ، وعدوانهم عليه وعلى أصحابه رضي الله تعالى عنهم ،... وكل ذلك بخلاف ما حصل من كثير من الأنبياء السابقين عليهم السلام .

وهذا كله مظهرٌ من مظاهر هذه الرحمة المهداة المتعددة الكثيرة ، ولله الحمد والمنة ، وكلها قد تحققت فيه ﷺ . ومن هذه المظاهر :

١ـ لقد جعله الله تعالى أماناً للناس ، فلا يعذَّبون بعذاب عام ؛ كالغرق والطوفان والزلازل ،... ونحو ذلك ، بخلاف الأمم السابقة ، حيث وقع عليها الهلاك وأنبياؤهم عليهم السلام بين أظهرهم .

ـ فقد حصل الطوفان في قوم نوح ، ونوحٌ عليه السلام حيٌّ ، فهلك جميعُ الناس إلا من آمن ، وهم قلة . بعد أن دعا عليه السلام عليهم . كما قال تعالى : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1]. لذا كانت النتيجة هي الطوفان .

---

(١) سورة نوح (٢٦ ـ ٢٧).

وقال الله جل شأنه على لسانه عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾(1).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(2).

ـ وحل العذابُ بقوم عاد ، وهودٌ عليه السلام حيٌّ . فهلكوا جميعاً إلا من آمن ، وهم قلة .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(3).

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾(4).

ـ وأصابت الرجفةُ قومَ صالح عليه السلام ، وهو حيٌّ ، فهلكوا جميعاً ، إلا من آمن ، وهم قلة .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ

---

(1) سورة الشعراء (١١٧ ـ ١٢٠).

(2) سورة العنكبوت (١٤ ـ ١٥) وانظر الآيات (٣٦ ـ ٤٩) من سورة هود ففيها تفاصيل ما حصل .

(3) سورة الأحقاف (٢١ ـ ٢٥) وانظر سورة الذاريات (٤١ ـ ٤٢) وسورة فصلت (١٦).

(4) سورة هود (٥٨).

﴿مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[1].

ـ وأخذت الصيحةُ قومَ شعيب عليه السلام، وهو حيٌّ، فهلكوا جميعاً، بعد أن أنقذه الله تعالى والذين آمنوا معه وهم قلة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[2].

ـ وخَسف الله تعالى بقوم لوط عليه السلام، وهو حيٌّ، بعد أن أخرجه الله تعالى من بين أظهرهم. فهلكوا جميعاً إلا من آمن وهم قلة.

قال الله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[4].

ـ وأصاب بني إسرائيل التيهُ والمسخُ، وموسى عليه السلام حيٌّ فيهم. وأصاب فرعونَ الغرقُ، وسلَّم موسى عليه السلام وقومه.

قال الله سبحانه وتعالى عن غرق فرعون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

(١) سورة هود (٦٦ ـ ٦٧) وانظر سورة فصلت (١٧ ـ ١٨).

(٢) سورة هود (٩٤ ـ ٩٥).

(٣) سورة الشعراء (١٧٠ ـ ١٧٣) وانظر سورة العنكبوت (٣٦ ـ ٣٧).

(٤) سورة هود (٨٢ ـ ٨٣).

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾(1).

وأما ما حل ببني إسرائيل من المسخ والتيه .

قال الله سبحانه وتعالى ـ على لسان موسى عليه السلام ، وقد تبرأ من بني إسرائيل بعد أن رفضوا القتال ـ : ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(2).

وقال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾(3).

وقد بين الله تعالى أنواع العذاب الذي حل بالأمم السابقة .

قال الله تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(4).

وهكذا حصل مع سائر الرسل عليهم السلام .

---

(1) سورة يونس (٨٨ ـ ٩٠) وانظر سورة الدخان (٢٢ ـ ٢٤) وسورة الشعراء (٥٢ ـ ٦٧) وغيرها .

(2) سورة المائدة (٢٤ ـ ٢٦).

(3) سورة البقرة (٦٥) وانظر سورة المائدة (٦٠) وسورة الأعراف (١٦٦).

(4) سورة العنكبوت (٤٠).

بخلاف رسول الرحمة ﷺ . فلم يَدْع ، ولم يتبرأ حتى من الذين آذوه ، كما سنرى إن شاء الله تعالى .

٢ـ ومن مظاهر هذه الرحمة التي جعلها الله تعالى أماناً للناس ـ خاصة لأمته ـ : أن الله تعالى قبضه ﷺ قبلها .

لأن النبي المصطفى الكريم ﷺ أخبرنا أن الله تعالى إذا أراد رحمةَ أمة قبض نبيَّها قبلها ؛ ليكون لها فرطاً وسلفاً ، وإذا أراد عذاب أمة أهلكها ونبيُّها ينظر ؛ ليقر عينَه بهلكة من كذَّبوه وعاندوه وكفروا به .

فعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا أراد الله عز وجل رحمةَ أمَّة من عباده قبض نبيَّها قبلها ؛ فجعله لها فَرَطاً وسلفاً بين يديها . وإذا أراد هلكةَ أمة ، عذَّبها ونبيُّها حيٌّ ، فأهلكها وهو ينظر ، فأقر عينَه بهلكتها ؛ حين كذَّبوه ، وعصوا أمرَه ». رواه مسلم[1].

٣ـ لقد استُفيض ما فعل كفار قريش برسول الله ﷺ ؛ من صد وكفران ، ومن تعذيب له ولأصحابه رضي الله تعالى عنهم ، حتى قُتل منهم مَن قُتل تحت التعذيب ، وشُوِّه من شُوِّه منهم ، ولم يسلم هو ـ بأبي هو وأمي ـ من العدوان والإهانة والتكذيب ،...

ومع هذا لما خرج ﷺ إلى الطائف ، وأصابه ما أصابه من التعذيب ، وجاءه ملَكُ الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين ، أبى ﷺ أن يخسف بهم ، أو أن يعذَّبوا بسببه ، بل رجا لهم الهداية ، كما سيأتي .

بل لما أصابهم الجوع والفقر ، وخشوا على أنفسهم الهلاك ، دعا ﷺ لهم ، فأُمطروا ، وأنقذوا من الهلاك المحقق ، كما سيأتي .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إذا أراد الله سبحانه وتعالى رحمةَ أمة قبض نبيَّها قبلها ، رقم (٢٤).

ولما فعلوا ما فعلوا به ﷺ وبأصحابه رضي الله تعالى عنهم يوم أُحُد ، ومع هذا سامحهم ، وسأل الله تعالى أن يعفو عنهم ، ولم يرض أن يعذَّبوا مع ما فعلوا ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في معاملة الكفار .

٤ـ ومما يدل على أنه ﷺ جعله الله تعالى أماناً لهذه الأمة : أنه لو ظهر الدجال في زمانه لكان ﷺ حجيجه دون المسلمين ، وبهذا لن يستطيع الدجال أن يغوي أحداً من هذه الأمة ، وأما إذا ظهر بعده ﷺ فالله تعالى خليفته على كل مسلم ، والله تعالى أعلم .

فعن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال : ذكر رسولُ الله ﷺ الدّجّالَ ذاتَ غداةٍ ، فخفَّض فيه ورفَّع ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رُحنا إليه ؛ عرف ذلك منا . فقال : « ما شأنكم ؟ » قلنا : يا رسول الله ؛ ذكرتَ الدّجّالَ غداةً ، فخفَّضتَ فيه ورفَّعتَ ، حتى ظنناه في طائفة النخل .

فقال : « غيرُ الدّجّال أخوفني عليكم ، إن يخرج ، وأنا فيكم ، فأنا حجيجُه دونكم ، وإن يخرج ، ولستُ فيكم ، فامرؤٌ حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ،...» ثم ذكر ﷺ أوصافه ، ومكان خروجه وحاله ، وفتنته ، ومكان مقتله ، ومن الذي يقتله . الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

٥ـ بل لقد جعل الله سبحانه وتعالى نبيَّه الحبيبَ ﷺ أماناً لأمته ، فلا يعذبهم جل شأنه بما عذب به الأمم قبلهم .

قال الله جل شأنه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ نزلت عندما قال أبو جهل : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، رقم (١١٠ ، ١١١).

أَلِيمٍ ﴾[1] كما في حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، المتفق عليه[2].

وقد تكرر ما في هذه الآية الكريمة من النبي الرحيم ﷺ، وفي مواطن مختلفة.

فعن عبد الله بن عَمرِو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ـ في صلاة الكسوف ـ وفيه قوله ﷺ: « أَلَمْ تَعِدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم؟ ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون؟ ».

وفي لفظ قال ﷺ: « لم تعدني هذا وأنا فيهم،... ». رواه أحمد وأبو داود، والترمذي في الشمائل، والنسائي، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ـ ولم يذكره كاملاً ـ وصححوه، وأقره الذهبي[3].

وورد نحو ذلك من حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أيضاً.

٦ـ ومن ذلك أن جعله الله تعالى أَمَنَةً لأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الأنفال (٣٣، ٣٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير: سورة الأنفال: باب ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ... ﴾. وصحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين: باب قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾، رقم (٣٧).

(٣) مسند أحمد (٢ : ١٥٩، ١٨٨) وسنن أبي داود: كتاب الصلاة: باب من قال: يركع ركعتين، رقم (١١٩٤) والشمائل للترمذي (٥٣٠ ـ ٥٣٢رقم ٥٢٤) وسنن النسائي: كتاب الكسوف: باب القول في السجود في صلاة الكسوف، وفي نوع آخر (٣ : ١٣٧، ١٤٩) والسنن الكبرى له: كتاب كسوف الشمس والقمر: باب (١٤) نوع آخر من الكسوف، وباب (٢٠) القول في السجود وفي صلاة الكسوف (١ : ٥٧٤، ٥٧٩ ـ ٥٨٠) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وصحيح ابن حبان (٨ : ٧٩ ـ ٨٠) والمستدرك (١ : ٣٢٩).

«...النجوم أَمَنَةُ السماء ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد ، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون ،... » الحديث ، رواه مسلم[1].

٧ـ ومما يدل على كونه ﷺ أماناً لأمته أن الله تعالى سيرضيه في أمته ، ولا يسوؤه .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[2] ويوضح ذلك :

عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم [عليه السلام] ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ...﴾ الآية[3]. وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4].

فرفع يديه وقال : « اللهم أمتي ، أمتي » وبكى . فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وربك أعلم ـ فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ، فقل : إنّا سنرضيك في أمّتك ، ولا نسوؤك ». رواه مسلم[5].

وانظر ما يأتي في الفصلين التاليين ففيهما زيادة توضيح .

*****

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ،... رقم (٢٠٧).

(٢) سورة الضحى (٥).

(٣) سورة إبراهيم (٣٦).

(٤) سورة المائدة (١١٨).

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب دعاء النبي ﷺ لأمته ، رقم (٣٤٦) وانظر عظيم قدره ﷺ.

الفصل السابع
الإسلام دين السماحة واليسر

١ـ لقد جعل الله عز وجل دينَه الإسلامَ خاتمةَ الديانات السماوية ، كما جعل نبيَّه الكريم ﷺ خاتمَ الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وجعل هذا الدينَ عامّاً شاملاً لجميع مرافق الحياة الدنيوية والأخروية ، وصالحاً لكل زمان ومكان ؛ بما فيه من مقوِّمات الوضوح والشمول ، والقابلية للتطبيق ، والمواءمة للفطرة .

ولهذا كان هذا الدِّينُ ـ الذي رضيه الله تعالى لنفسه عندما قال : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]. ولم يقبل من أحد أن يعتنق سواه ، وإن فعل فهو من الخاسرين ، كما قال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2]ـ : مواكباً ومناسباً للفطرة ، فليس فيه تعقيد ، كما ليس فيه تحمّل ما لا يطاق ، كما ليس فيه تكليف المستحيل .

٢ـ كما جعل الله عز وجل نبيَّه الكريمَ ﷺ رحمةً ، ونبيَّ الرحمة ، وبُعث بالرحمة : جعل دينه الذي بعثه به دِينَ الرحمة ، والسماحة فلا ضيق ، واليسر فلا تعسير ، والتبشير فلا نفور ، والخير فلا شر ، والليونة فلا مشقة ، والخفة فلا إصر ، والإطلاق فلا إغلال ، والوضوح فلا تعقيد ، والرحمة فلا ظلم ، والعدل فلا عدوان ، والهداية فلا كفران ولا نكران ، والاعتدال فلا تطرف ، والوسطية فلا غلو . وكل ذلك بخلاف ما في الديانات السماوية السابقة .

---

(١) سورة آل عمران (١٩).

(٢) سورة آل عمران (٨٥).

٣ـ لهذا رفع الله تعالى الحرجَ والمشقةَ ، وخفَّف عن هذه الأمة ، وأراد تعالى بها اليسر ، ولم يُرد بها العُسر ، وأحلّ لها الطيبات ، ورفع عنها الإصرَ والأغلالَ التي كانت موجودةً على من سبق من الأمم ، وما أمرها به ـ فهو عدا عن كونه في مقدورها ـ فإن فيه الخير كل الخير لها ، وما نهاها عن شيءٍ فهو شرٌّ وخبيث ، وأبدلها بما هو خير منه .

قال الله جل شأنه : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1] .

بل جعل الله تعالى الدّين كلَّه لا حرجَ فيه ولا مشقَّة ، وإنما هو حسب طاقة الإنسان ، كما سيأتي في فقرة تالية إن شاء الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] .

وقال عز شأنه : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] .

كما أنه تعالى لما علم ضعف الأمة ـ لأنها آخر الأمم ـ فإنه تعالى خفّف عنها في التكاليف ، وأسقط عنها ما يعجز عنه .

قال الله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[4] .

وقال جل شأنه : ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾[5] .

٤ـ لقد أخبرنا الله تعالى عن نبيه المصطفى الكريم ﷺ أنه رحمة ، وبُعث

---

(١) سورة البقرة (١٨٥).

(٢) سورة الحج (٧٨) وانظر سورة المائدة (٦).

(٣) سورة المائدة (٦).

(٤) سورة النساء (٢٨).

(٥) سورة الأنفال (٦٦).

بالرحمة ، وهو نبيُّ الرحمة ، بل هو رحمة مهداة من الله تعالى إلى العالمين .

قال الله عز وجل مخاطباً نبيَّه الكريمَ ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]. وهذا بعضُ وصفه ﷺ في التوراة .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ـ وقد سُئل عن وصف النبي ﷺ في التوراة ـ فقال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ... فأنت عبدي ورسولي ، سمَّيتُك المتوكِّلَ ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا سخّابٍ في الأسواق ، ولا يدفع السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئةِ ، ولكن يعفو ويغفر ،... الحديث ، رواه البخاري[2].

كما جعله تعالى رحمة للمؤمنين خاصة .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

بل إن الله سبحانه وتعالى جعل نبيه الكريم ﷺ رحمة للعالمين ، وليس للمؤمنين فحسب . وهذا ما ينفرد به عن جميع الرسل عليهم السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

بل جعله الله تعالى رؤوفاً رحيمًا بالمؤمنين خاصة .

قال جل شأنه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

(١) سورة آل عمران (١٥٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب كراهية السخب في الأسواق ، وفي غيرهما .

(٣) سورة التوبة (٦١).

(٤) سورة الأنبياء (١٠٧).

﴿مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

والأحاديث في ذلك كثيرة، وهي متفرقة في هذه الرسالة.

٥ـ ومن رحمة الله تعالى ـ المتمثِّلة بالرحمة المهداة ـ أنه جعل من مهام النبي الكريم ﷺ أنه رفع عن هذه الأمة ـ وعن غيرها ممن خاطبها ـ الإصر والأغلال والمشقة الموجودة على الأمم السابقة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...﴾[2].

٦ـ لقد بيَّن رسولُ الله ﷺ أنه بُعِث ميسِّراً، ولم يُبعث معسِّراً، والتيسير يقتضي الرحمة، وإلا لم ييسِّر، والله تعالى أعلم.

فعن جابر رضي الله تعالى عنه ـ في قصة سؤال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن رسول الله ﷺ الزيادة في النفقة، واعتزاله ﷺ لهن شهراً، ونزول آية التخيير، وقراءته ﷺ الآية على عائشة رضي الله تعالى عنها ـ وفي آخره قال ﷺ: « إن الله لم يبعثني معنِّتاً ولا متعنِّتاً، ولكن بعثني معلِّماً ميسِّراً ». رواه مسلم[3]. وسيأتي ذكره مطوّلاً إن شاء الله تعالى.

٧ـ لقد نقل لنا الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن من جملة أوصافه

---

(١) سورة التوبة (١٢٨).

(٢) سورة الأعراف (١٥٧).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم (٢٩).

الكريمة أنه كان ميسِّراً ، ولم يكن معسِّراً ، وأنه ﷺ كان يحب التخفيفَ على أمته ، وما ذلك إلا لكونه ﷺ رحمة ، وبُعث بالرحمة ، ودينه دين الرحمة ، التي تقتضي التيسير .

فعن الأزرق بن قيس رحمه الله تعالى قال : كنا بالأهواز نقاتل الحرورية ، الحديث ، وفيه انفلات فرس أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله : وإني غزوت مع رسول الله ﷺ ستَّ غزوات ـ أو سبعَ غزوات وثمان ـ وشهدتُ تيسيره ،... الحديث ، رواه البخاري[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : والذي ذهب به ؛ ما تركهما حتى لقي الله ، وما لقي الله تعالى حتى ثقل عن الصلاة ، وكان يصلّي كثيراً من صلاته قاعداً ـ تعني الركعتين بعد العصر ـ وكان النبيُّ ﷺ يصلِّيهما ، ولا يصلّيهما في المسجد ؛ مخافةَ أن يثَقِّل على أمته ، وكان يحبُّ ما يُخفِّف عنهم . رواه البخاري[2].

٨ـ ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة ، وأنه ﷺ قدوة وأسوة للمؤمنين أنه ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرَهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس عنه .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين ، إلا أخذ أيسرَهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس

(١) صحيح البخاري : كتاب العمل في الصلاة : باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مواقيت الصلاة : باب ما يُصلّى بعد العصر من الفوائت ونحوها .

منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط ، إلا أن تُنتهك حُرمةُ الله ، فينتقم لله بها . متفق عليه[1].

٩ـ ومن مظاهر الرحمة الربانية بالخليقة أن جعل هذا الدينَ دين اليسر والسماحة ، لذا طلب من أتباعه ألّا يشدِّدوا على أنفسهم ، وعليهم بالرفق لأن المتشدد يقطعه الدين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن الدِّينَ يسرٌ ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلّا غلبه ، فسدِّدوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة ، وشيءٍ من الدُّلجة ». رواه البخاري[2].

وعن أبي قتادة ، عن الأعرابي الذي سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن خير دينِكم أيسرُه ، إن خيرَ دِينكم أيسرُه ». رواه أحمد بإسناد صحيح[3].

وعن عروة الفُقيمي رضي الله تعالى عنه قال : كنا ننتظر النبيَّ ﷺ ، فخرج رَجِلاً ؛ يقطر رأسُه من وُضوءٍ أو غسل ، فصلّى ، فلما قضى الصلاةَ ، جعل الناسُ يسألونه : يا رسول الله ؛ أعلينا حرجٌ في كذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا ، أيُّها الناسُ ، إن دين الله في يسر » ثلاثاً يقولها . رواه أحمد وابن أبي عاصم وأبو يعلى والطبراني ، وحسنه الحافظ[4]. وشاهده ما سبق .

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب صفة النبيّ ﷺ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب مباعدته ﷺ للآثام ، رقم (٧٧ ، ٧٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب الدين يسر ، وفي غيرهما .

(٣) مسند أحمد (٣ : ٤٧٩) ومجمع الزوائد (١ : ٦١) وفتح الباري (١ : ٩٤)

(٤) مسند أحمد (٥ : ٦٨ ـ ٦٩) والتاريخ الكبير (٧ : ٣٠ ـ ٣١) والآحاد والمثاني (٢ : ٣٩٧) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٢٧٤) والمعجم الكبير (١٧ : ١٤٦ ـ ١٤٧) ومعجم الصحابة لابن قانع (٢ : ٢٦٢) ومجمع الزوائد (١ : ٦٢) وفتح الباري (١ : ٩٤).

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ...إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن الجارود ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن بُريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم هدياً قاصداً ، عليكم هدياً قاصداً ، عليكم هدياً قاصداً ، فإن من يُشادَّ هذا الدينَ يغلبه ». رواه أحمد والطيالسي ووكيع وابن المنذر في آخرين ، وصححه ابن خزيمة والحاكم وأقره الذهبي[2].

١٠ـ ومن ذلك : إخباره ﷺ بأنه بعث بالحنيفية السمحة ، وأن أحب الدين إلى الله تعالى الحنيفية السمحة .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢١٥ ، ٣٤٧) وسنن النسائي : كتاب الحج : باب التقاط الحصى (٥ : ٢٦٨) والسنن الكبرى (٢ : ٤٣٥) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب قدر حصى الرمي ، رقم (٣٠٢٩) والمنتقى (١٧٠ ـ ١٧١) والطبقات الكبرى (٢ : ١٨٠ ـ ١٨١) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢٧٤) وصحيح ابن حبان (٩ : ١٨٣ ـ ١٨٤) والمستدرك (١ : ٤٦٦) ومسند أبي يعلى (٤ : ٣١٦) والمعجم الكبير (١٢ : ١٥٦ ، ١٥٧) (١٨ : ٢٨٩) والسنن الكبرى (٥ : ١٢٧).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٥٠ ، ٣٦١) ومسند الطيالسي (١٠٩رقم ٨٠٩) والسنة (١ : ٩٦ ـ ٩٧) والزهد لوكيع (٢ : ٤٩٣ ـ ٤٩٤) وشرح مشكل الآثار (٣ : ٢٦٢) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ١٩٩) والأوسط لابن المنذر (٥ : ١٦١ ـ ١٦٢) والمستدرك (١ : ٣١٢) وشرح السنة (٤ : ٥٣) والسنن الكبرى (٣ : ١٨) وانظر : إتحاف الخيرة (١ : ١٢٠ ـ ١٢٢) وفتح الباري (١ : ٩٤) ورواه آخرون .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قيل لرسول الله ﷺ : أيُّ الأديان أحبُّ إلى الله ؟ قال : « الحنيفية السمحة ». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وعبد بن حُميد ، ورواه البخاري تعليقاً ، وحسنه الحافظ[1].

لذا أخبر ﷺ أنه بُعث بالحنيفية السمحة ، وأن في ديننا فسحة . بخلاف ما عند اليهود والنصارى .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ يومئذ : « لتعلم يهودُ أن في ديننا فسحة ، إني أرسلتُ بحنيفية سمحة ». رواه أحمد والحميدي[2].

وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فهو حديث صحيح . وأصل الحديث في الصحيحين في قصة رقص الحبشة في المسجد .

١١ـ ومن مظاهر التيسير والسماحة في الإسلام أن الله تعالى لا يُكلِّف إلّا بما يُطاق ، سواء في العبادات أو المعاملات أو غيرهما .

قال الله تعالى : ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3].

بل جعل مع العسر يسراً ، رحمة بعباده ، وتيسيراً عليهم ، حتى لا يقنطوا .

قال الله عز وجل : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[4]. لذا فلن يغلب

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٣٦) ومسند عبد بن حُميد (١٩٩رقم ٥٦٩) والأدب المفرد (١٠٩ رقم ٢٨٨) وصحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب الدين يسر ، وفتح الباري (١ : ٩٤).

(٢) مسند أحمد (٦ : ١١٦ ، ٢٣٣) ومسند الحميدي (١ : ١٢٣ ـ ١٢٤) وفتح الباري (٢ : ٤٤٤).

(٣) سورة الأنعام (١٥٢) وسورة الأعراف (٤٢) وسورة المؤمنون (٦٢). وانظر سورة البقرة (٢٣٣ ، ٢٨٦) وسورة الطلاق (٨).

(٤) سورة الشرح (٥ ـ ٦).

عسرٌ يُسْرين .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « دعوني ما تركتُكم ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم سُؤالُهم ، واختلافُهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ». متفق عليه[1].

ولهذا كان ﷺ إذا بايع أحداً ؛ من ذكر أو أنثى ، يلقِّنه : ما استطعتم .

فعن عبد الله بنِ عُمر رضي الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعتَ ـ أو قال : استطعتم ـ ». متفق عليه[2].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : بايعتُ النبيَّ ﷺ على السمع والطاعة ، فلقَّنني : فيما استطعتَ ،... متفق عليه[3].

وعن أميمة بنت رُقيقة رضي الله تعالى عنها قالت : أتيتُ رسول الله ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام . فقلن : يا رسول الله ؛ نبايعك على أن لا نشركَ بالله شيئاً ، ولا نسرقَ ، ولا نزني ، ولا نقتلَ أولادَنا ، ولا نأتيَ ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، رقم (١٣٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب كيف يبايع الإمام الناس . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فرض الحج مرة في العمر ، رقم (٤١٢) كتاب الإمارة : باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع ، رقم (٩٠).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أن الدين النصيحة ، رقم (٩٩).

فقال رسول الله ﷺ : « فيما استطعتُنَّ وأطقتُنَّ ».

قالت فقلن : الله ورسولُه أرحمُ بنا من أنفسنا...الحديث ، رواه مالك والحميدي وأحمد والنسائي وابن ماجه في آخرين ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم[1].

والنصوص في ذلك كثيرة ، وكل ذلك يدل على السماحة واليسر والسهولة والرحمة منه ﷺ .

١٢ـ ولذا حث ﷺ أمته على التيسير وعدم التعسير ، والتبشير وعدم التنفير ، وكل ذلك يقتضي وجود الرحمة في القلب . وأذكر بعض الأحاديث ، وإلا فالأحاديث كثيرة ، ولله الحمد والفضل .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يسِّروا ولا تُعسِّروا ، وبشِّروا ولا تُنفِّروا ». متفق عليه[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ بعث معاذاً

---

(١) الموطأ : كتاب البيعة (٢ : ٩٨٢) ومسند الطيالسي (رقم١٦٢١) ومسند الحميدي (١ : ١٦٣) ومسند أحمد (٦ : ٣٥٧ ، ٣٦٥) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء في بيعة النساء ، رقم (١٥٩٧) وسنن النسائي : كتاب البيعة : باب بيعة النساء ، وباب البيعة فيما يستطيع الإنسان (٧ : ١٤٩ ، ١٥٢) والسنن الكبرى له (٥ : ٢١٨) والتفسير (٢ : ٤٢٠ ـ ٤٢١) وسنن ابن ماجه : كتاب الجهاد : باب بيعة النساء ، رقم (٢٨٧٤) والمعجم الكبير (٢٤ : ١٨٦ ـ ١٨٩ من طرق) وسنن الدارقطني (٤ : ١٤٦ ، ١٤٧) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٤١٧) والمستدرك (٤ : ٧١) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٤٨) وانظر الدر المنثور ـ سورة الممتحنة ، فقد عزاه لآخرين .

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ما كان النبيُّ ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ، رقم (٨).

إلى اليمن ، فقال : « يسِّرا ولا تُعسِّرا ، وبشِّرا ولا تُنفِّرا ، وتطاوعا ولا تختلفا ». متفق عليه[1].

وفي رواية عند مسلم عنه رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال : «بشِّروا ولا تُنفِّروا ، ويسِّروا ولا تعسِّروا » بصيغة الجمع . ليشملهم وغيرَهم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ـ وفيه فقال لهم رسول الله ﷺ : « دعوه ، وأهريقوا على بوله سَجْلاً من ماء ـ أو ذَنوباً من ماء ـ فإنما بُعثتم مُيسِّرين ، ولم تُبعثوا مُعسِّرين ». متفق عليه[2].

لو اقتصر ﷺ على قوله : « يسِّروا » لصدق على من يسَّر مرةً وعسَّر كثيراً ، فلما قال : « ولا تعسِّروا » نفى التعسيرَ في جميع الأحوال ، والله تعالى أعلم . أفاده الإمامُ النووي رحمه الله تعالى .

وقد بيَّن رسول الله ﷺ فضيلة الذي ييسِّر على العباد المعسرين ، بأن الله تعالى ييسِّر عليه في الدنيا والآخرة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦ ، ٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب صب الماء على البول في المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ،... رقم (٩٨ ـ ١٠٠).

ومن يسَّر على معسِر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ،...» الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولله الحمد والمنة .

١٣ـ ومن مظاهر تلك الرحمة بهذه الأمة : أمرُه ﷺ بالاعتدال والتيسير ، ونهيُه عن الغُلو والتطرف ، والمغالات في الأمور كلها ،... سواء في العبادات ، أو المعاملات ، أو غير ذلك .

ولهذا كثر عنه ﷺ قولُه : « عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه وإن قلَّ ». متفق عليه[2].

وهذا الحديث في الصلاة والصيام ،... وغيرها .

ولما زوَّج عَمْرو بنُ العاص ولدَه عبدَ الله رضي الله تعالى عنهما كريمةً من كرائم قريش ، ولم يأتها عبد الله رضي الله تعالى عنه ، منشغلاً بعبادته ؛ يقومُ الليل فلا ينام ، ويصومُ النهار فلا يفطر ـ وأَخبر عمرٌو رضي الله تعالى عنه رسولَ الله ﷺ بذلك ـ نهى رسولُ الله ﷺ عبدَ الله ، ودلَّه على الاعتدال والتوسط ، وقال له : « إن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزَوْرِك [أي الضيف] عليك حقاً ،... وقال له ﷺ : إنك لا تدري لعلك يطول بك عُمْرٌ ».

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، رقم (٣٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب أحب الدِّين إلى الله أدومه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، وباب أمر من نعس أو استعجم عليه القرآن ،... رقم (٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢١).

قال عبدُ الله رضي الله تعالى عنه : فلما كبرتُ وددتُ أني كنتُ قبلتُ رخصةَ نبي الله ﷺ . الحديث ، متفق عليه[1].

وقد ورد مثل هذا الحديث المرفوع من حديث سلمان مع أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما ، كما رواه البخاري[2].

ونهى رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ مظعون رضي الله تعالى عنه عن التبتل ، ولم يأذن له فيه .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : ردَّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتلَ ، ولو أذن له لاختصينا . متفق عليه[3].

ورأى ﷺ شيخاً يُهادى بين ابنيه ، فقال : « ما بالُ هذا ؟ » قالوا : نذر أن يمشي ، فقال ﷺ : « إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني » وأمره ﷺ أن يركب . متفق عليه[4].

ولما استفتاه ﷺ عقبةُ بنُ عامر رضي الله تعالى عنه عن أخته التي نذرت أن تحج حافيةً ، قال ﷺ : « لِتَمْش ولتركب » . كما في حديثه ، المتفق عليه[5].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب حق الجسم في الصوم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ،... رقم (١٨١ ـ ١٩٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء .

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب ما يكره من التبتل والخصاء . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ،... رقم (٦ ـ ٨).

(٤) صحيح البخاري : كتاب جزاء الصيد : باب من نذر المشي إلى الكعبة . وصحيح مسلم : كتاب النذر : باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة ، رقم (٩ ، ١٠).

(٥) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١ ، ١٢).

١٤ـ ولهذا أمر رسول الله ﷺ بأخذ الأمور بالرفق واللين والسهولة ، وعدم أخذها بالقوة ، حتى لا يقنط ، وقد نبّه ﷺ على أن لكل عابد أو عمل من شِرّة ، وخير الأمور ما كان حسب سنته ﷺ .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ المسجدَ ، وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : لزينبَ تُصلّي ، فإذا كسِلت أو فترت أمسكت به . قال : « حُلُّوه » ثم قال : « لِيُصلِّ أحدُكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر ؛ فليقعد ». متفق عليه[1].

ومر حديثُ السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في خبرها عن الحولاء بنت تُويت ، وأنها لا تنام الليل ، وفيه قوله ﷺ : « عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه .

كما مر حديثُ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن الدِّينَ يسرٌ ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلّا غلبه ، فسدِّدوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة ، وشيءٍ من الدُّلجة ». رواه البخاري .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الدينَ متين ، فأوغلوا فيه برفق ». رواه أحمد والضياء في المختارة[2]. وشاهده الحديث السابق .

كما مر حديثُ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التهجد : باب ما يكره من التشديد في العبادة . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد ،... رقم (٢١٩).

(٢) مسند أحمد (٦ : ١٩٩) والمختارة ، رقم (٢١١٥).

« ...إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم بالغلو في الدين ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن الجارود ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، في آخرين .

كما مر حديثُ عن بُريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم هدياً قاصداً ، عليكم هدياً قاصداً ، عليكم هدياً قاصداً ، فإن من يُشادَّ هذا الدينَ يغلبه ». رواه أحمد ووكيع والطيالسي ، وصححه ابن خزيمة والحاكم ، في آخرين .

لذا على المسلم ألّا يُبغِّض إلى نفسه عبادةَ الله ، لأن المنبتَّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى ، والله تعالى أعلم .

ولهذا أمر النبي المصطفى الكريم ﷺ القائم بالليل إذا نعس ألّا يستمر في صلاته ، بل يرقد .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن النبيّ ﷺ قال : « إذا نعَس أحدكم في صلاته فليرقد ، حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلّى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه ». متفق عليه ، وروى مسلم نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه(١).

١٥ـ ومن مظاهر التيسير والسماحة في الإسلام : حثُّ النبي المصطفى الكريم ﷺ على التوسط والتوازن والاعتدال في كل أمور الحياة ، ولا يجعل أمراً يغلب على أمر ، مع التوازن في فترات الحياة ، فالشاب يجتهد في أمر ، والشيخ يجتهد في أمر آخر ، والتوازن في الحياتين أمر مطلوب .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب الوضوء من النوم ،... وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد ،... رقم (٢٢٢ ، ٢٢٣).

لقد مر قوله ﷺ لعبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما : « إن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزَوْرِك عليك حقاً ،... ». متفق عليه .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادةِ النبي ﷺ ، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؛ وقد غَفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدُهم : أمّا أنا أصلّي الليل أبداً ، وقال الآخرُ : أنا أصوم الدهرَ ولا أفطر ، وقال الآخرُ : أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلّي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

فقد أرشد ﷺ إلى الاعتدال في الحياة كلها ، والله تعالى أعلم .

١٦ـ ومن مظاهر السماحة واليسر في الإسلام نهيه ﷺ عن التعمُّق والمغالاة وتجاوز الحد في الأقوال والأفعال . وهذا هو التنطع .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هلك المتنطِّعون » قالها ثلاثاً . رواه مسلم[2].

وهذا النص يشعر بالنهي ، حتى لا يقع المسلم بالهلاك ، والله تعالى المعين .

١٧ـ ومن مظاهر السماحة واليسر والرحمة في الإسلام ، أن المسلم إذا

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب الترغيب في النكاح . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ، رقم (٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب العلم : باب هلك المتنطعون ، رقم (٧).

فاته أمر يمكنه أن يتداركه ، طالما لا يلحق بفوته ضياع الحكم أو فوته كلِّيّاً ، ولهذا كثر قوله ﷺ : « افعل ولا حرج ».

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ، فجاء رجلٌ فقال : لم أشعر فحلقتُ قبل أن أذبح ، فقال : « اذبح ولا حرج » فجاء آخر فقال : لم أشعر فنحرتُ قبل أن أرمي ، فقال : « ارم ولا حرج » فما سُئل النبيُّ ﷺ عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال : « افعل ولا حرج ». متفق عليه[1].

وروياه[2] بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

وعن سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى قال : حدَّثَنا ابنُ عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ جمع بين الصلاة في سفرة سافرها ، في غزوة تبوك ، فجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء .

وفي رواية : صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعاً بالمدينة ، في غير خوف ولا سفر .

قال سعيد : فقلت لابن عباس : ما حمله على ذلك ؟ قال : أراد أن لا يُحرِجَ أمته . رواهما مسلم[3].

والنصوص في هذا الباب كثيرة ولله الحمد والمنة .

١٨ـ ومن مظاهر سماحة الإسلام ويسره : نهيُه ﷺ الصحابةَ الكرام رضي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي ، رقم (٣٢٧ـ٣٣٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٣٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الجمع بين الصلاتين في الحضر ، رقم (٤٩ـ٥١).

الله تعالى عنهم عن الوصال في الصوم رحمةً بهم ؛ عندما رأوه ﷺ يواصل ، وبين لهم أنه ليس كهيئتهم ، لأن الله تعالى يطعمه ويسقيه .

وقد تواتر هذا المعنى عنه ﷺ ، فقد ورد في الصحيحين من أحاديث أبي هريرة وابن عمر وعائشة وأنس وأبي سعيد رضي الله تعالى عنهم[1]. أقتصر على رواية واحدة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والوِصال » قالوا : فإنك تواصل ، يا رسول الله ، قال « إني لستُ كهيئتكم ؛ إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون ». متفق عليه .

والوصال : أن يصوم عدة أيام من غير أكل وشرب بينها .

١٩ ـ ومن مظاهر السماحة واليسر في الإسلام والرحمة بالعباد : دعاؤه ﷺ للمسامِح في البيع والشراء والقضاء وسائر التعامل بين الخلق .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى ». رواه البخاري[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً تقاضى رسولَ الله ﷺ فأغلظ له ، فهمَّ به أصحابُه ، فقال : « دعوه ، فإن لصاحب الحق مقالاً ، واشترُوا له بعيراً فأعطوه إياه » وقالوا : لا نجد إلا أفضل من سِنِّه [فقال الرجل : أوفيتني أوفاك الله] قال : « اشترُوه إياه ، فإن خيرَكم أحسنكم قضاءاً ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب الوصال ، وباب التنكيل لمن أكثر الوصال ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن الوصال في الصوم ، رقم (٥٥ ـ ٦١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاستقراض : باب استقراض الإبل ، وفي غيرهما . وصحيح =

وروى مسلم نحوه من حديث أبي رافع رضي الله تعالى عنه .

وقد بيّن رسول الله ﷺ فضل المسامح المتجاوز عن المعسر في الآخرة .

فعن أبي اليَسَرِ رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسِراً أو وضع عنه : أظلَّه الله في ظله ». رواه مسلم[1].

وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من سرَّه أن ينجّيه الله من كُرَب يوم القيامة : فليُنفِّس عن معسر ، أو يضع عنه ». رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « كان رجلٌ يداين الناسَ ، فكان يقول لفتاه : إذا أتيتَ معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله يتجاوز عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه ». متفق عليه[3].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة ولله الحمد والمنة .

ويلتحق بذلك : إباحته لأنواع كثيرة مستثناة من محرمات ، لحاجة الناس إليها ، سواء في المطعومات ؛ كالسمك والجراد ، والكبد والطحال ، أو في العقود ؛ كالعرايا ، وفي الثمر ، كأنواع من المزارعة ، وإحياء الموات ، والبيع بالنسيئة ، والخيار في البيع ، وبيع السلم ، والشفعة ،...الخ.

٢٠ـ ومن مظاهر التيسير والسهولة والسماحة في الإسلام : التيسير في

= مسلم : كتاب المساقاة : باب من استسلف شيئاً فقضى خيراً منه ،... رقم (١٢٠ ـ ١٢٢) ورقم حديث أبي رافع (١١٨ ـ ١١٩).

(١) صحيح مسلم : كتاب الزهد : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليّسَر ، رقم (٧٤).

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب فضل إنظار المعسر ، رقم (٣٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : الباب السابق ، رقم (٣١).

العبادة ، ولما كان يصعب إيراد الأدلة في كل جزئية ، فإني أشير إلى رؤوس المسائل في هذه الفقرة .

ـ ففي الطهارة : أجاز الشارع التطهر بماء البحر وغيره من المياه ، كما أجاز التيمم لمن لم يجد الماءَ ، أو عجز عن استعماله ، كما أجاز المسح على الخفين خشية البرد ونحوه ، وأن المؤمن لا ينجس ولو كان مُحدِثاً ،...الخ.

ـ وفي الصلاة : أجاز القصر والجمع في السفر ، والنافلة على الدابة فيه أينما توجهت ، وأجاز الجمع في الحضر ـ لمطر ونحوه ـ ولا يشترط مكان خاص بها ، بل تصح على الأرض أينما كان ، وأسقطها عن الحائض ،...الخ.

ـ وفي الصوم : أجاز الفطر في السفر ، ولمن عجز عنه لمرض ونحوه في الحضر ، كما أجاز الطعام والشراب والنساء في ليالي الصيام ،...الخ.

ـ وفي الزكاة : لم يوجبها إلا على من ملك نصاباً ، وحال عليه الحول ، وبنسبة قليلة ، وأسقطها عن المستعملات ،...الخ.

ـ وفي الحج : لم يوجبه إلا على المستطيع ، مع أمن الطريق ، وأجاز تقديم وتأخير أعمال يوم النحر ، ولم يوجب من أعماله بيوم معين إلا الوقوف ، وخيَّر من تلزمه كفارةٌ أو هديٌ بين النسك والصوم والإطعام ،...الخ.

٢١ـ ومن مظاهر سماحة الإسلام وسهولته وتيسيره : أن شمل التيسير على الحيوان أيضاً ، والنصوص في رحمة الإسلام وتيسيره في ذلك كثيرة جدّاً ، يأتي ذكر بعضها في مبحث قادم من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى ، كما أفردت له رسالة مستقلة ، بعنوان (الرفق بالحيوان).

٢٢ـ وخلاصة الأمر : إن مظاهر التيسير والسماحة في الإسلام كثيرة جدّاً ، حيث شملت كلَّ أصول الإسلام ، بجزئياته ، ويصعب حصرها ، لأنها تحتاج إلى أكبر من هذه الورقات ، وقد كنت أفردتها في رسالة مستقلة ، لذا

فإني أشير إلى رؤوس بعض المسائل للتقريب .

ـ ففي العقيدة : جاءت نصوص الشريعة واضحةً ، فلا غموض ولا تعقيد ، ولا التواء ولا خفاء ، مع إجراء الأحكام الشرعية على ظاهرها ، وعدم التكليف فوق الطاقة ، عدم الغلو في الدِّين ، ورفع الخطأ والنسيان والإكراه ، وأن الأصل في الأشياء الإباحة ، مع قلة المحرمات بالنسبة للمباحات ،...الخ.

ـ وفي العبادات . استحباب إتيان الرخص كما يستحب إتيان العزائم ، كالقصر والجمع في السفر ، والفطر في السفر والمرض ، والتيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله ، والقراءة على سبعة أحرف ، والتخفيف في الصلاة ، والصلاة قاعداً لمن عجز عن القيام ،...الخ.

ـ وفي مجال الدعوة : حيث تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وسماع رأي الآخر ، وعدم الانفراد ، وعدم تكفير المسلمين أو تبديعهم ،...الخ.

ـ وفي المعاملات : حيث حث على السماحة في البيع والشراء ، ووجود الخيار فيهما ، والتنفيس عن المعسر ، وعدم أكل مال اليتامى ،...الخ.

ـ وفي النكاح : حيث أجاز النظر إلى المخطوبة بقصد الخطبة ، ودعا إلى قلة المهر ، وتيسير النكاح ، وأوجب النفقة على الزوج ، وشرع الطلاق والخلع ،...الخ.

ـ وفي المعاملات الشخصية : فقد أوجب بر الوالدين ، والإحسان إلى الكبير ، وأوجب الميراث ، وإعطاء الطريق حقه ، وأجاز مخالطة الحائض ، وأن ما تفعله فهو جائز ، وأنها لا تُنجِّس البيتَ والفراش والطعام ،...الخ.

ـ وفي المعاملات الدولية : في السلم ، أو في الحرب ، ومعاملة الأسرى ، والنهي عن الإجهاز على الجريح ، وحسن معاملة أهل الكتاب ، والدول

المفتوحة ، وحث على دفن موتاهم ،...الخ.

٢٣ـ ويتضح الفارق الكبير ، بين فعله وشرعه ﷺ وبين ما كان عليه الحال في الأمم السابقة ؛ وقد ذكرت نماذج متعددة في : الأمانة العظمى ، ومكانة النبي الكريم ﷺ ، وعظيم قدره ﷺ ،...الخ.

مثل : إلغاء عقوبة القتل عن التائب ، والصلاة حيث كان ، ولا يشترط مكان مخصَّص ، ووضع القتل في التوبة ، ويُكتفى بالتوبة والندم ، وعقوبة قرض ما أصاب البولُ من ثوب أو جلد الإنسان ، ويُكتفى بغسله بالماء ، ورفع الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، ومشروعية التيمم عند فقد الماء أو العجز عن استعماله ، والترخيص في مخالطة الحائض ،...وغير ذلك كثير مما كان محظوراً في الأمم السابقة .

يضاف إلى ذلك : التخفيف عما كان في الأمم ، عدم كتابة الْهَمِّ السيء في النفوس ، والوساوس في الصدور ، وإباحة الطيبات ، وتحريم الخبائث ،... وذلك كله فضلٌ من الله تعالى .

هذا بعضٌ من كلِّ ما يدل على سماحة الإسلام ويسره ، أرجو أن يكون دالاً على المقصود ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

*****

الفصل الثامن

رحمته ﷺ بأمته في الدنيا

لقد أخبرنا الله تعالى أن رسوله المصطفى الكريمَ ﷺ رحمةٌ للمؤمنين ، وأنه ﷺ رؤوفٌ رحيمٌ بهم ، وهذه الصفة لا رحمةَ فوقها .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

وقال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

لقد ظهرت تلك الرحمة المهداة بمظاهر كثيرة على هذه الأمة ، ويصعب حصرُ تلك المظاهر لكثرتها ، لذا فإني سأقتصر ـ بإذن الله تعالى ـ على ستٍّ وعشرين منها للتقريب :

فمن تلك المظاهر :

١ـ سؤالُه ﷺ المتكرر لأمته ؛ ألّا يعذِّبها الله تعالى بما عذَّب به الأمم السابقة ؛ من السِّنين ، والجوع ، والغرق ، واستباحة العدو لها ،...الخ.

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض ،... الحديث ، وفيه : وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلِكَها بسَنَةٍ

(١) سورة التوبة (٦١).

(٢) سورة التوبة (١٢٨).

عامَّةٍ ، وأن لا يسلِّطَ عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتَهم ، وإن ربي قال : يا محمد ؛ إني إذا قضيتُ قضاءً لا يُرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسَنَةٍ عامَّةٍ ، وأن لا أُسَلِّطَ عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضَتهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها ـ أو قال : مَنْ بَيْن أقطارها ـ ...». الحديث ، رواه مسلم[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ـ في صلاة رسول الله ﷺ في مسجد بني معاوية [مسجد الإجابة] ـ قال ﷺ : « سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني ثنتين ، ومنعني واحدة ، سألتُ ربي : أن لا يُهلك أُمتي بالسَّنَةِ ، فأعطانيها ، وسألته : أن لا يُهلك أمتي بالغرق ، فأعطانيها ،... » الحديث ، رواه مسلم[2].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

٢ـ إلحاحه ﷺ المستمر على ربه تعالى ، وسؤاله المتكرر لربه عز شأنه النجاةَ لأمته ، وأن يغفر الله جل شأنه لهم ويرحمهم ، ولهذا كثر قولُه ﷺ : « اللهم أمتي أمتي» وقولُه ﷺ : « اللهم اغفر لأمتي » مع تفويضه ﷺ الدائم أمرَ نفسه لربه تعالى ، حيث لم يرد أنه ﷺ سأل ربَّه جل وعز ـ في الساعات الحرجة ـ نجاةَ نفسه فقط ، وغفل عن أمته ـ بأبي هو وأمي ـ بل الواردُ المستمر العكسُ ، حيث يسأل ربه تعالى أمرَ أمته ، ولا يذكر نفسه إلا نادراً ؛ ليقتدوا به .

بخلاف ما حصل من الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، حيث كانوا يسألون ربَّهم تعالى أنفسَهم دون غيرها ، كما في أحاديث الشفاعة ـ وسيأتي بيانُها إن شاء الله تعالى في مبحث قادم ـ حيث يقول كل واحد منهم :

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، رقم (١٩).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٠).

(نفسي نفسي) ولا يذكر أمتَه ، والله تعالى أعلم .

٣ـ ادخاره ﷺ دعوتَه المجابةَ لتكون شفاعةً لأمته يوم القيامة ـ كما تكون لغيرها ـ يوم يرغب إليه ﷺ جميعُ الخلق ؛ بما فيهم الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام .

فعن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ـ في قصة قراءة القرآن على سبعة أحرف ـ وفيه قوله ﷺ : « يا أُبَي ، أُرسل إلي : أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددتُ إليه : أن هوِّن على أمتي ، فردَّ إليَّ الثانيةَ : اقرأه على حرفين ، فرددتُ إليه : أن هوِّن على أمتي ، فردَّ إليَّ الثالثةَ : اقرأه على سبعة أحرف ، فلك بكل ردَّةٍ رددتُكها مسألةٌ تسألُنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرتُ الثالثةَ ليومٍ يرغب إليَّ الخلقُ كلهم ، حتى إبراهيم ﷺ ». رواه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ،... ». الحديث ، متفق عليه(٢).

وقد ورد هذا المعنى عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بأمته : اشتراطُه على ربه عز وجل ؛ أن يجعل كلَّ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، رقم (٢٧٣) وانظر مكانة النبي الكريم ﷺ ، لمعرفة التعليق على هذا الحديث الشريف .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب لكل نبي دعوة مستجابة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، رقم (٣٣٤ ـ ٣٤٠) وانظر الخصائص ، وعظيم قدره ﷺ .

دعوة دعا بها على أحد من أمته ـ وهو ليس لها بأهل ـ وكذا إذا سبَّ أحداً أو جلده أو آذاه ... ـ وهو لا يستحق ذلك في الباطن حقيقة ، لكنه يستحقُّها في الظاهر : **أن يجعلها الله تعالى له زكاةً ورحمةً وقربةً** ؛ يقرِّبه الله سبحانه وتعالى بها إليه يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إنما أنا بشر ، وإني اشترطتُ على ربي عز وجل ».

وفي رواية : « اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخلِفَنيه ، فإنما أنا بشرٌ ؛ فأي المؤمنين آذيتُه ، شتمتُه ، لعنتُه ، جلدتُه [زاد في رواية : دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ؛ ليس لها بأهل] فاجعلها له صلاةً ، وزكاةً [ورحمةً] وقربةً تُقرِّبُه بها إليك يوم القيامة ». متفق عليه[1].

ورواه مسلم[2] من حديث عائشة وجابر وأنس رضي الله تعالى عنهم .

زاد أحمد وأبو داود والطبراني[3] من حديث سلمان رضي الله تعالى عنه : « ...وإنما بعثتني رحمةً للعالمين... ».

٥ـ ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة : ما كان يكنه قلبُه الشريف من حرص على أمته ، وعلى هدايتهم ونجاتهم ، وخلاصهم مما هم فيه من غمّ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب قول النبي ﷺ : « من آذيته فاجعلها زكاة ورحمة ». وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه ، رقم (٨٩ـ٩٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤).

(٣) مسند أحمد (٥ : ٤٣٧) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ، رقم (٤٦٥٩) والمعجم الكبير (٦ : ٣١٨ ـ ٣١٩) وانظر شرح صحيح مسلم (١٦ : ١٥٣) لبيان معنى الحديث .

الدنيا وهَمِّ الآخرة ، وما يأخذه من الخوف عليهم في دنياهم وأخراهم ، ومن كثرة بكائه وحزنه ﷺ عليهم ،... وما يعز عليه مما يشق عليهم ، حتى صار الله عز وجل يواسيه ويسليه ،... بألّا يُهلك نفسَه الشريفة حُزناً وأسى وحسرةً وجزعاً ،... عليهم[1].

قال جل شأنه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] أي : يعز عليه ما يشق على أمته .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدوابُّ والفراشُ يقعن فيه ، فأنا آخذ بحجزكم ، وأنتم تَقَحَّمون فيه ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

٦ـ ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة : **جعل دينه دينَ السماحة واليسر ، لا عسر فيه ، ولا حرج ولا مشقة ، بل جاء مواكباً للفطرة ، وموائماً للخِلقة التي خَلق الله سبحانه وتعالى عليها الإنسان** ، لهذا رفع عن هذه الأمة كثيراً مما كان على الأمم السابقة ، وخفف الله تعالى عنها كثيراً مما كان على الأمم السابقة .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ

(١) انظر ما سبق في مبحث رسول الله ﷺ كله رحمة ، حيث ذكرت عدداً من الآيات العامة .

(٢) سورة التوبة (١٢٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الانتهاء عن المعاصي . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ، رقم (١٧ ، ١٨).

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...﴾ الآية[1].

فقد وصف الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ ـ في هذه الآية الكريمة ـ بتسع صفات ؛ فهو لا يُحلُّ إلا الطَّيِّب ، ولا يُحرِّم إلا الخبيث ، ويضع الشاقَّ من الأعمال والأفعال والأحوال التي كانت موجودة في الأمم السابقة ، ـ إضافة إلى أنه ﷺ نبيٌّ ورسولٌ وأُميٌّ ، وهو مكتوب ومذكور في التوراة والإنجيل ، وقد توسعت في (أُمِّيَّة النبيِّ الكريم ﷺ) في بيان ذلك ـ وكل هذا من الرحمة التي أكرمه الله تعالى ، وأكرم بها البشرية من بعد . وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل السابق ، كما قد توسعت في بيان ذلك في (الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام) وذكرت مختصراً له في (عظيم قدره ﷺ) فانظرها[2].

٧ـ ومن مظاهر تلك الرحمة ؛ **أنه ﷺ لم يترك شيئاً مما تحتاج إليه الأمة مما فيه صلاحها ، في دنياها أو أخراها ، إلا بيَّنَه ﷺ أوضحَ بيان وأجمله** ، سواء كان ذلك مما هُمْ مدركوه ، أو مما لم يدركوه ، لكنه ﷺ بيَّنه لهم ؛ حتى يتحاشاه من أدركه منهم ، فيما إذا كان محظوراً ، أو يفعله فيما إذا كان مطلوباً ، وسواء كان ذلك في التشريع ، أو العبادة ، أو المعاملة ، أو العقيدة ، أو الأحكام ، أو الفتن ،... بل حتى في أدنى شيء من أمور الطهارة ؛ التي لا تخطر على بال ، أو غير ذلك .

فعن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ، وقيل له : قد علَّمكم نبيُّكم

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) انظر : عظيم قدره ﷺ (٢١٧ـ ٢٢٢ ، ٢٣٠ ـ ٢٣٣ ، ٢٨٨ ـ ٢٩١).

ﷺ كلَّ شيءٍ ، حتى الخِراءَةَ . فقال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلةَ لغائط أو بولٍ ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي بأقلَّ من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم . رواه مسلم[1].

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : ترَكَنا رسولُ الله ﷺ وما طائرٌ يطير بجناحيه إلا عندنا منه علمٌ . رواه الطيالسي وأحمد والبزار والطبراني وزاد في روايته : فقال ﷺ : « ما بقي شيءٌ يقَرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم ». ورجالُ البزار والطبراني رجالُ الصحيح ، غير محمد بن عبد الله المقرئ ، وهو ثقة ، وصححه ابن حبان .

ورواه أبو يعلى والطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ، برجال الصحيح أيضاً[2].

وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً ؛ ذَرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله ؛ إن هذه لموعظةُ مُوَدِّع ، فماذا تعهدُ إلينا ؟ قال : « قد تركتكم على البيضاء ؛ ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ،... » الحديث ، رواه أحمد وابن ماجه والآجري ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[3] ، وهو جزء من حديث

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب الاستطابة ، رقم (٥٧ ، ٥٨).

(٢) مسند أحمد (٥ : ١٥٣ ، ١٦٢) ومسند الطيالسي (٦٥ رقم ٤٧٩) والمعجم الكبير (٢ : ١٦٦رقم ١٦٤٧) وكشف الأستار (١ : ٨٨ رقم ١٤٧) ومسند أبي يعلى (٩ : ٤٦) والمقصد العلي (١ : ١٥٠ ـ ١٥١) وصحيح ابن حبان (١ : ٢٦٧) والمطالب العالية (٤ : ٢٨) وعزاه لأحمد بن منيع لكن سنده منقطع عنده ، ومجمع الزوائد (٨ : ٢٦٣ ، ٢٦٤).

(٣) مسند أحمد (٤ : ١٢٦) وسنن ابن ماجه : المقدمة ، رقم (٤٣) والمستدرك (١ : ٩٦) =

طويل، رواه أصحاب السنن أيضاً .

٨ـ ومن مظاهر تلك الرحمة : **أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الدنيا والآخرة** . وجعل الله سبحانه وتعالى أزواجه رضي الله عنهن أمهاتٍ للمؤمنين .

فقال تعالى : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[1] .

وكيف تعامِل الأُمُّ أولادَها ؟ وكيف يعاملهم هو أيضاً ؟

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «...أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ». متفق عليه[2].

وفي رواية لهما[3] عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ». وهذا لفظ البخاري .

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ومن كان أولى به من نفسه فكيف تكون رحمته وعطفه عليه ؟؟

بل إن الله تعالى جعل رسوله المصطفى الكريم ﷺ أولى بالأنبياء عليهم السلام من أممهم ، كما أوضحت ذلك في (الخصائص) وَ (عظيم قدره ﷺ) وقد سبق ذكره في الفصل الثالث .

= والشريعة (٤٧). وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم ،... وذكرته مطولاً في نشأة علوم الحديث .

(١) سورة الأحزاب (٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب الدَّين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفرائض : باب من ترك مالاً فلورثته ، رقم (١٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاستقراض : باب الصلاة على من ترك دَيناً . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥ ، ١٦).

٩ـ ومن مظاهر تلك الرحمة : **أنه ﷺ لم يأمر أمته بما يشق عليها . بل لو** خشي ﷺ أنه لو داوم هو على أمرٍ ما أو أمرها به ؛ فإن الله تعالى يوجبه عليها ، ولا تطيق ذلك بعدئذ ؛ فإنه ﷺ لا يأمرها به ، بل يترك هو ذلك الفعلَ خشية أن يُفرض عليها ، ولا تطيقه بعدئذ :

كقوله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ». الحديث ، متفق عليه[1]. وله ألفاظ متعددة .

وقولِه ﷺ : « لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية في سبيل الله أبداً ،... ». الحديث ، متفق عليه[2]

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، ولله الحمد والمنة .

وقد يترك المداومة على الأمر مخافة أن يُفرض على الأمة ، كما في تركه ﷺ صلاة التراويح في المسجد ، خشية أن تُفرض على الأمة ولا تطيق ذلك

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ـ في قصة عدم خروجه ﷺ من البيت بعد صلاته ثلاثة أيام أو أربعة في المسجد ـ وفيه : فقال ﷺ : « أمّا بعد ، فإنه لم يَخْفَ عليَّ شأنُكُم الليلةَ ، ولكني خشيتُ أن تفرض عليكم صلاةُ الليل ، فتعجزوا عنها ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجمعة : باب السواك يوم الجمعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب السواك ، رقم (٤٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التمني : باب ما جاء في التمني ، ومن تمنى الشهادة ، وكتاب الجهاد ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ، رقم (١٠٣ ـ ١٠٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سترة ، وفي كتاب الجمعة ، وكتاب التراويح ، وغيرها . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الترغيب في قيام رمضان ، رقم (١٧٧ ـ ١٧٨).

ورواه البخاري من حديث زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، وسيأتي .

بل قد يترك ﷺ الإجابةَ بـ (نعم) خشية أن يُفرض ذلك الأمر .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « أيها الناس ؛ قد فَرض الله عليكم الحجَّ فحجُّوا » فقال رجل : أكلَّ عام يا رسول الله ؟ فسكت ، حتى قالها ثلاثاً ، فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم » الحديث ، رواه مسلم بطوله[1]. وقد ورد نحوه عن غيره أيضاً .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ولله الحمد والمنة ، وما ذكرته كاف للتدليل .

١٠ـ ومن مظاهر تلك الرحمة أيضاً : **أمره ﷺ من وَلي شيئاً من أمور المسلمين بالرفق بهم ، وعدم الإشقاق عليهم** ، سواء كان والياً أو إمامَ صلاة ، أو غير ذلك .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : « اللهم من ولي مِن أمرِ أمتي شيئاً فشقَّ عليهم ؛ فاشقق عليه . ومَن ولي مِن أمر أمتي شيئاً فرفق بهم ؛ فارفق به ». رواه مسلم[2].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ؛ إن منكم منفرين ، فأيكم أَمَّ الناسَ فليوجز ، فإن مِن ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فرض الحج مرة في العمر ، رقم (٤١٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ،... رقم (١٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من شكا إمامه إذا طوَّل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، رقم (١٨٢).

ولهذا حث ﷺ الإمامَ بالتجوُّز ، ولا يشق على الأمة بالتطويل ، أمّا إذا صلّى منفرداً ، أو نافلةً ؛ فليطوِّل ما شاء .

ولهذا كان نبيُّ الرحمة ﷺ إذا دخل في الصلاة وهو يريد تطويلَها ؛ فيسمع بكاءَ الصبي ، فإنه يتجوَّز في صلاته ، رأفةً بالصبي وأمه ، مع أنه ﷺ يرغب بتطويلها ، لأن فيها راحته .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتَها ؛ فأسمع بكاءَ الصبي ، فأَتَجَوَّز في صلاتي ؛ مما أعلم من شدة وَجْد أُمه من بكائه ». متفق عليه[1]. وقد ورد نحوه عن غيره أيضاً .

١١ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة : **أنه ﷺ لم يَدْعُ على أمته ومخالفيه بالهلاك العام والدائم** ، بل الوارد هو العكس ؛ يدعو لهم بالهداية والإسلام . كما نهى ﷺ أن يدعو المرءُ على نفسه ، أو على غيره من المسلمين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل يا رسول الله ؛ ادع على المشركين . قال : « إني لم أُبْعَث لعّاناً ، وإنما بُعِثْتُ رحمة ». رواه مسلم[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قدم طُفيلُ بنُ عَمْرٍو الدوسيُّ وأصحابُه على النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ؛ إن دوساً عَصت وأبت ، فادع الله عليها . فقيل : هلكت دَوسٌ [فظن الناس أنه يدعو عليهم] فقال : « اللهم اهد دَوساً وائتِ بها ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩٢ ، ١٩١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، رقم (٨٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، وفي غيرهما . =

وهذا بخلاف ما حصل من بعض الرسل عليهم السلام ، حيث دعوا على أممهم فهلكوا ، كما حصل من نوح وموسى وغيرهما عليهم السلام . وقد سبق بيان ذلك في الفصل قبل السابق .

١٢- ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة : **أمرُه ﷺ بالاعتدال والتيسير ، ونهيُه عن الغُلو والتطرف ، والمغالات في الأمور كلها** ،... سواء في العبادات ، أو المعاملات ، أو غير ذلك .

ولهذا كثر عنه ﷺ قولُه : « عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه وإن قلَّ ». متفق عليه[١].

وهذا الحديث في الصلاة والصيام ،... وغيرها .

وقد سبق في الفصل السابق ذكرُ بعض النصوص في هذا الموضوع ، أشير إلى رؤوس مسائلها .

نهيه ﷺ عبد الله بنَ عَمْرو رضي الله تعالى عنهما عن قيام الليل كله ، وصيام الأيام كلها .

ونهيه ﷺ عثمانَ بن مظعون رضي الله تعالى عنه عن التبتل .

ونهيه ﷺ الرجل والمرأةَ أن يمشيا إلى مكة ماشيين .

= وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل غفار ،... ودوس وطيء ، رقم (١٩٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب أحب الدِّين إلى الله أدومه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، رقم (٢١٥).

ونهيه ﷺ للصحابة رضي الله تعالى عنهم عن الوصال في الصيام .

وغير ذلك كثير ، وكله دالٌّ على المنهج الوسط ، فلا إغراق في الرهبانية ، ولا إغراق في المادية .

١٣ـ ومن مظاهر رحمة الله تعالى بهذه الأمة : **أن جعل الله تعالى حياة نبيه وحبيبه الكريم ﷺ كلها خيراً ورحمة لأمته ، حتى بعد وفاته ﷺ** .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض ؛ يُبلِّغوني عن أمتي السلام ».

وقال ﷺ : « حياتي خير لكم ، ووفاتي خيرٌ لكم ؛ تُعرض عليَّ أعمالُكم ، فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله عليه ، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ الله لكم ». رواه البزار ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، وجوَّد الحافظ العراقي إسناده ، وصححه السيوطي والقسطلاني والخفاجي وملا علي القاري . وروى القسم الأول : أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والنسائي والدارمي والبزار وأبو يعلى والطبراني في آخرين بأسانيد صحيحة ، وصححه الحاكم وابن حبان وابن القيم ، وأقره الذهبي . وروى القسم الثاني أيضاً : القاضي إسماعيل ـ من طريقين ـ وابنُ سعد والحارث ؛ من حديث بكر بن عبد الله المزني ، وأحد إسنادَي القاضي وسند ابن سعد برجال الصحيح ، ورواه الحارث والديلمي من حديث أنس رضي الله عنه ، لكن بسند ضعيف[1].

---

(١) البحر الزخار (٥ : ٣٠٨) وكشف الأستار (١ : ٣٩٧ رقم ٨٤٥) ومجمع الزوائد (٩ : ٢٤) وطرح التثريب (٣ : ٢٩٧) والمغني عن حمل الأسفار (٤ : ١٤٨) ومسند أحمد (١ : ٣٨٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٢) وسنن النسائي : كتاب السهو (٣ : ٤٣) وعمل اليوم والليلة (١٦٧) وسنن الدارمي (٢ : ٢٢٥) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ١١٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : =

إذا كانت أعمال العباد تُعرض على أقاربهم وعشائرهم ، فيدعون لهم بالخير إن كانت خيراً ، وألّا يميتهم الله تعالى حتى يراجعوا إن كانت شرّاً ـ كما أوضحت ذلك بشكل مفصّل في بر الوالدَين ـ فالنبي الكريم ﷺ من باب أولى ، لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم في الدنيا والآخرة ، وأزواجه أمهاتهم ، والله تعالى أعلم .

١٤ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة : **أن الله تعالى سيرضي نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ فيها ، ولا يسوؤه .**

قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[1]

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم [عليه السلام] ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ... ﴾ الآية[2]. وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3].

= ٥١٧) ومسند أبي يعلى (٩ : ١٣٧) وأخبار أصبهان (٢ : ٢٠٥) والمعجم الكبير (١٠ : ٢٧٠ ـ ٢٧١ من طرق) وشرح السنة (٣ : ١٩٧) والمستدرك (٢ : ٤٢١) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٩٥) وحياة الأنبياء (١١ ـ ١٢) وجلاء الأفهام (٢٣) وفضل الصلاة على النبي ﷺ (٣٦ ـ ٣٧ رقم ٢٥ ـ ٢٦) والمطالب العالية (٤ : ٢٢ ـ ٢٣) والطبقات الكبرى (٢ : ١٩٤) وفردوس الأخبار (٢ : ٢١٩ ـ ٢٢٠) والكامل لابن عدي (٣ : ٩٤٥) وبغية الباحث (٢ : ٨٨٤ رقم ٩٥٣) والخصائص الكبرى (٢ : ٢٨١) وفيض القدير (٢ : ٤٠١) ونسيم الرياض (١ : ١٠٢) وشرح الشفا لملا علي القاري (١ : ٣٦).

(١) سورة الضحى (٥).

(٢) سورة إبراهيم (٣٦).

(٣) سورة المائدة (١١٨).

فرفع يديه وقال : « اللهم أمتي ، أمتي » وبكى . فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وربك أعلم ـ فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ، فقل : إنّا سنرضيك في أمّتك ، ولا نسوؤك ». رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرضت عَلَيَّ الأنبياءُ الليلةَ بأُممها ؛ فجعل النبيُّ يمر ومعه الثلاثةُ ، والنبيُّ ومعه العصابةُ ، والنبيُّ ومعه النفرُ ،... ـ إلى قوله ـ ثم قيل لي : انظر إلى يسارك ، فنظرتُ ، فإذا الأفقُ قد سُدَّ بوجوه الرجال ، فقيل لي : أرضيتَ ؟ فقلتُ : رضيتُ يا ربّ ، رضيتُ يا رب ،... » الحديث ، رواه عبد الرزاق وأحمد والطبراني والبزار وأبو يعلى ، وصححه ابن حبان والحاكم وابن كثير وابن القيم والحافظ ابن حجر ، ورجال أحمد وأبي يعلى والبزار رجال الصحيح أيضاً[2]. والنصوص في هذا متعددة ، ولله الحمد والمنة .

١٥ـ ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة بهذه الأمة : **كثرة شفاعاته ﷺ فيها ،**

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب دعاء النبي ﷺ لأمته ، رقم (٣٤٦) وانظر عظيم قدره ﷺ .

(٢) مسند أحمد (١ : ٤٠١ ، ٤٢٠) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ٤٠٨ ـ ٤٠٩) والمعجم الكبير (١٠ : ٥ ـ ٨) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٣١ ـ ٢٣٣) والبحر الزخار (٤ : ٢٧٠ ـ ٢٧٢) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١١٥ ـ ١١٦) (٩ : ٢٢٠) (١٤ : ٣٤١ ـ ٣٤٣) والمستدرك (٤ : ٥٧٧ ـ ٥٧٨) وتفسير ابن كثير (١ : ٣٩٢ ـ ٣٩٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥) (١٠ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وفتح الباري (١١ : ٤٠٧) وحادي الأرواح (٨٩ ـ ٩٠).

حتى بلغت ثلاث عشرة شفاعة[1].

وإذا كان قد شاركه في بعضها غيره ؛ سواء من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام أو أفراد من أمته ، إلا إن الكثير منها مما انفرد به ﷺ .

وسيأتي ذكر عدد من الأحاديث إن شاء الله تعالى ، في الفصل الثاني والعشرين ، وهو رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة .

١٦ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة : **كثرة دعواته ﷺ لها** ، وقد جاءت دعواتُه ﷺ على ضربين :

ـ دعاء عام لأمته ، بالمغفرة والرحمة والنجاة ودخول الجنة ،... وقد سبق في أول هذا الفصل ذكر عدد من الأحاديث ، في دعائه ﷺ ألّا يهلكهم الله تعالى بالسنين والغرق والجوع ، وألّا يسلط عليها عدوّاً من غيرها فيستبيح بيضتها .

ـ دعاء لأفراد أو لجماعات منها ، وهذا كثير ، يصعب حصره في مثل هذه الرسالة المختصرة ، كدعائه ﷺ للمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم ، ولنساء المهاجرين رضي الله عنهن ، ولبعض القبائل ، وللمحلقين في الحج أو العمرة ، ولحارس الحرس ، وللمرأة التي تقوم من الليل فتوقظ زوجها للعبادة معها ، وللميت الذي يصلي عليه ، ولبعض أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، ولمن يعطس عنده من المسلمين ،... ونحو ذلك .

١٧ـ ومن مظاهر تلك الرحمة بهذه الأمة : **تخوُّفه ﷺ عليها ، مما تعمل ، أو يخاف عليها من بعض المتسلطين** ، كجدال المنافق ، والأئمة المضلين ، والتنافس في الدنيا ،...الخ ، وأقتصر على بعض النصوص للتقريب .

---

(١) انظر فتح الباري (١١ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩) والخصائص ، وعظيم قدره ﷺ ، والشفاعة ، حيث بينت ذلك فيه بشكل مفصل .

فعن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدّجّالَ ذات غداة ، فخفَّض فيه ورفَّع ،...الحديث ، وفيه : فقال ﷺ : « غيرُ الدّجّال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم ،...». رواه مسلم[1].

وعن عَمْرو بن عوف رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بنَ الجراح إلى البحرين ،...وفيه قوله ﷺ : « فأبشروا ، وأمِّلوا ما يسركم ، فو الله ما الفقرَ أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسطَ الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتُهلككم كما أهلكتكم ». متفق عليه[2].

ورويا[3] قصة التنافس في الدنيا من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «أخوفُ ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من زهرة الدنيا » الحديث بطوله ، متفق عليه[4].

والنصوص في تخوفه ﷺ على أمته كثيرة ، لا يحويها هذا المختصر .

١٨ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة بهذه الأمة : **شهادته ﷺ لها** .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، رقم (١١٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزهد ، رقم (٦).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، رقم (٣٠ ، ٣١).

(٤) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، رقم (١٢١ ـ ١٢٣).

فكما أن الله تعال جعل نبيَّه الكريمَ ﷺ شاهداً على الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام، ولهم على أممهم، فإنه تعالى جعله أيضاً شاهداً لأمته وعليها، ولم يجعل شاهداً عليها من غيره حتى لا تُفضح أمام الآخرين، ولكي تنال الرحمة، وتشملها الرحمة المهداة قبل غيرها .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]. في عدد من الآيات .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : كان النبيُّ ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُدٍ في ثوب واحد ، ثم يقول : « أيّهم أكثرُ أخذاً للقرآن ؟ » فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد ، وقال : « أنا شهيد على هؤلاء يومَ القيامة ،... ». الحديث ، رواه البخاري[2].

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : « إني فَرَطٌ لكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإني ـ والله ـ لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض ـ أو مفاتيحَ الأرض ـ وإني ـ والله ـ ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها ». متفق عليه[3].

ففي هذا الحديث عدة أمور مما يدخل في رحمته ﷺ بأمته .

---

(١) سورة البقرة (١٤٣) وانظر سورة الحج (٧٨) وسورة المزمل (١٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهيد ، وفي غيرهما .

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، رقم (٣٠).

ـ هو ﷺ فَرط لها . وهو الذي يتقدَّم قومَه ليُصلح لهم ، ويُهيء لهم ما يلزمهم .

ـ ويشهد عليهم بأعمالهم ، فكأنه باقٍ فيهم لم يتقدمهم ، بل يبقى بعدهم حتى يشهد بأعمال آخرهم ، فجمع الله تعالى له ما بين هاتين الصفتين اللتين تتنافيان في حق غيره ، كما قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى[1].

فهو ﷺ قائم بأمرهم في الدّارَين ؛ في حالتي حياته وموته ﷺ .

ـ ثم تخوفه ﷺ على أمته ، فهو ﷺ لا يخاف أن تشرك بعده ، ولكنه ﷺ يخاف أن تفتح عليهم الدنيا فيتنافسون فيها ، والله تعالى أعلم .

١٩ـ ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة : **إخباره ﷺ أن صلاته على الميت هي رحمة له** ، وأن القبور مملوءة ظلمة ، وأن الله تعالى ينوِّرها بصلاته على الميت .

فعن يزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ، فرأى قبراً جديداً ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه فلانة ـ مولاة بني فلان ـ فعرفها رسول الله ﷺ ـ ماتت ظهراً ، وأنت نائمٌ قائِلٌ ، فلم نحب أن نوقظك بها . فقام رسول الله ﷺ ، وصفَّ الناسَ خلفه ، وكبَّر عليها أربعاً . ثم قال : « لا يموت فيكم ميّت ـ ما دمت بين أظهركم ـ إلا آذنتموني ، فإن صلاتي له رحمة ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والطحاوي ـ وسقط اسم الصحابي واستدركتُه من الإتحاف ـ والطبراني وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي برجال الصحيح[2].

(١) طرح التثريب (٣ : ٢٩٧).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٣٨٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وسنن النسائي : كتاب =

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن امرأةً سوداء كانت تقمُّ المسجدَ (أو شابّاً) ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا : مات . قال : « هلّا كنتم آذنتموني ؟ » قال : فكأنهم صغَّروا أمرها (أو أمره) فقال : « دلّوني على قبره » فدلّوه ، فصلّى عليها . ثم قال : « إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها . وإن الله عز وجل ينوِّرُها لهم بصلاتي عليهم » . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1] .

٢٠ـ ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة : **أن جعل الله عز وجل نبيّه الكريم ﷺ رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين** ، وهذان الاسمان مما خصه تعالى بهما ، ولله الحمد والفضل .

قال الله جل شأنه : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] .

وأما كونه ﷺ رحمة للمؤمنين ؛ فقد مر في أول الفصل الإشارة إلى ذلك ، وأما الأحاديث في كونه ﷺ رحمة ورحيماً فهي كثيرة ولله الحمد ، وقد سبق ذكر كثير منها في مبحث (رسول الله ﷺ كله رحمة) فانظرها .

= الجنائز : باب الصلاة على القبر (٤ : ٨٤ ـ ٨٥) والسنن الكبرى له (١ : ٦٥١) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في الصلاة على القبر ، رقم (١٥٢٨) وشرح معاني الآثار (١ : ٥١٣) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٣٦ ـ ٢٣٧) والمعجم الكبير (٢٢ : ٢٣٩ ، ٢٤٠) وصحيح ابن حبان (٧ : ٣٥٦ ـ ٣٥٧) والمستدرك (٣ : ٥٩١) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ٤٨) وإتحاف المهرة (١٣ : ٧٠٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب كنس المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الصلاة على القبر ، رقم (٧١).

(٢) سورة التوبة (١٢٨).

٢١ـ ومن مظاهر الرحمة المهداة بهذه الأمة : **أمره ﷺ أُمَّتَه بالتراحم والتعاطف فيما بينهم ، وكذا مع غيرهم** ، مع بيان حال الراحم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن لا يَرحم لا يُرحم ». متفق عليه[1]. قاله ﷺ جواباً للأقرع بن حابس .

والمراد ـ والله تعالى أعلم ـ من لا يرحم الخلق لا يرحمه الله تعالى .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن لا يَرحم الناسَ لا يرحمه الله تعالى عز وجل ». متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمٰن ، ارحموا من في الأرض يرحمْكم من في السماء ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والحميدي وأبو داود والبيهقي ، وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي[3].

وإذا كان الله جل جلاله قد جعل نبيَّه الكريم ﷺ رحمةً للعالمين ، فأمته هي أولى من تشملها تلك الرحمة ، وإذا كان الله تعالى قد جعله ﷺ رحمةً

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ، رقم (٦٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٦).

(٣) مسند أحمد (٢ : ١٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٦) ومسند الحميدي (٢ : ٢٦٩ رقم ٥٩١) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤١) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة المسلمين ، رقم (١٩٢٤) وتاريخ بغداد (٣ : ٢٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٤١) والأسماء والصفات (٤٢٣) وفتح الباري (١٣ : ٣٥٩) وهذا هو المسلسل بالأولية .

مهداةً فأمته أول من تنالها هذه الهدية ، والله تعالى أعلم .

٢٢ـ ومن مظاهر رحمة الله تعالى بهذه الأمة ، وشمولها برحمته المهداة : **أن قبض الله سبحانه وتعالى نبيَّها الكريمَ ﷺ قبلها ؛ ليكون لها فَرَطاً وسلفاً بين يديها** . بخلاف ما إذا تُوفي بعدها ، فيشهد عذابَها ، وهذا يتنافى مع الرحمة ، وهذا الحديث من معجزاته ﷺ .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل إذا أراد رحمةَ أمةٍ من عباده ؛ قبض نبيَّها قبلها ، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها ، وإذا أراد هلَكةَ أمةٍ ؛ عذَّبَها ونبيُّها حيٌّ ، فأهلكها وهو ينظرُ ، فأقَرَّ عينَه بهلَكَتِها ؛ حين كذَّبوه ، وعصوا أمرَه » . رواه مسلم[١].

٢٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بهذه الأمة : **تمنّيه أنه لم يدخل الكعبة حين حج ، خشية أن يضيق على أمته من بعد .**

كما يدخل في ذلك : خشيته ﷺ ـ لو نزع من ماء زمزم بيده الشريفة ـ أن يتزاحم الناس على البئر ، وكلهم يرغب أن ينزع ، اقتداء به ﷺ .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : خرج النبيُّ ﷺ من عندي وهو قريرُ العين ، طيِّبُ النفس ، ثم رجع إليَّ وهو حزينٌ . فقلت : يا رسول الله ؛ إنك خرجت من عندي وأنت قريرُ العين ، طيِّبُ النفس ، ورجعتَ وأنت حزينٌ ؟ فقال : « إني دخلتُ الكعبةَ ، ووددت أني لم أكن فعلت ، إني أخاف أن أكون قد أتعبت أمتي من بعدي » رواه أحمد وإسحق وأبو داود وابن ماجه ، وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم وأقره الذهبي[٢].

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إذا أراد الله سبحانه وتعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها ، رقم (٢٤).

(٢) مسند أحمد (٦ : ١٣٧ ، ١٥٣) ومسند إسحق (٣ : ٦٥٢ ، ٩٢٢) وسنن أبي داود : كتاب =

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى ، فقال العباس : يا فضل ؛ اذهب إلى أمِّك فأت رسولَ الله ﷺ بشرابٍ من عندها . فقال : « اسقني » قال : يا رسول الله ؛ إنهم يجعلون أيديَهم فيه . قال : « اسقني » فشرب منه . ثم أتى زمزم ، وهم يسقون ، ويعملون فيها ، فقال « اعملوا ، فإنكم على عمل صالح » ثم قال : « لولا أن تُغلبوا لنزلتُ حتى أضعَ الحبلَ على هذه » . يعني عاتقَه . رواه البخاري[1] .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال ـ في حديثه الطويل في قصة حجة النبي الكريم ﷺ ، وفيه : فأتى [النبيُّ ﷺ] بني عبد المطلب يَسقون على زمزم ، فقال : « انزِعوا بني عبد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناسُ على سقايتكم لنزعت معكم » . الحديث بطوله ، رواه مسلم[2] .

وقد ورد عن غير واحد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم نحوه .

٢٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته وخوفه على أمته : **خشيته ﷺ عليهم الرياء** ، وذلك لمن يُمدح في وجهه ، ويخشى عليه غرور النفس .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : سمع النبيُّ ﷺ رجلاً يُثني على رجل ويطريه في المِدْحَة فقال : « لقد أهلكتم ـ أو قطعتم ـ

= المناسك : باب دخول الكعبة ، رقم (٢٠٢٩) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في دخول الكعبة ، رقم (٨٧٣) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب دخول الكعبة ، رقم (٣٠٦٤) وشرح مشكل الآثار (١٤ : ٥٠٢) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٣٣٣) وحلية الأولياء (٧ : ١١٥) والمستدرك (١ : ٤٧٩) والسنن الكبرى (٥ : ١٥٩) .

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب سقاية الحاج .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب صفة حجة النبيِّ ﷺ ، رقم (١٤٧) .

ظهرَ الرجل ». متفق عليه[1].

وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : أثنى رجلٌ على رجل عند النبيِّ ﷺ فقال : « ويلك ، قطعتَ عنقَ صاحبك ، قطعتَ عنقَ صاحبك » مراراً ثم قال : « من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة ، فليقل : أحسب فلاناً ، والله حسيبه ، ولا أزكّي على الله أحداً ، أحسبه كذا وكذا ، إن كان يعلم ذاك منه ». متفق عليه[2].

وعن المقداد ابن الأسود رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيتم المدّاحين ، فاحثوا في وجوههم الترابَ ». رواه مسلم[3].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

قلت : لكن ذلك محمول على أحد أمرين ؛ الزيادة في المدح ، وخشية وقوع فتنة من الإطراء ، أما إذا لم يُخش فتنة ، ومن غير إطناب ، وفيه ما يقال : فهذا جائز ، بل قد يكون مشروعاً ، وعليه يحمل مدحه وثناؤه ﷺ على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم في وجوههم . لأن : « تلك عاجل بشرى المؤمن »[4]. والله تعالى أعلم .

٢٥ـ ومن مظاهر الرحمة المهداة ﷺ بهذه الأمة في الدنيا : **إباحته ﷺ**

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب ما يكره من الإطناب في المدح ، وليقل ما يعلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزهد : باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ، وخيف منه فتنة على الممدوح ، رقم (٦٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب إذا زكّى رجلٌ رجلاً كفاه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٥ ـ ٦٦).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٨ ـ ٦٩).

(٤) صحيح مسلم : كتاب البر : باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره ، رقم (١٦٦).

المحظور عند وجود المشقّة والحرج .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ رخَّص لعبد الرحمٰن بن عوف والزبير بن العوّام في القُمُص الحرير في السفر ، من حكَّة كانت بهما . متفق عليه[1].

فالحرير قد ثبت تحريمه عنه ﷺ ، ولكنه أباحه لهذين الصحابيين رضي الله تعالى عنهما لوجود العارض ، وهو الحكّة ، وهذا ليس مختصّاً بهما ، بل هو شاملٌ لكل من كان على شاكلتهما ، والله تعالى أعلم .

٢٦ـ ومن رحمته ﷺ بهذه الأمة : **تشديدُه في منع إفساد ذات البَيْن ، والخلاف بين أفراد الأمة ، وجعل إمامين فأكثر للأمة ، والخروج على إمام المسلمين ،**... مع أن البأس بين أفرادها قائم وموجود ، لكنه ﷺ لا يريد من أحد أن يُنَمِّيه أو يزيده ، وسماه الحالقةَ ، التي تحلق الدّين . والأحاديثُ في هذا الباب كثيرة أقتصر على ذكر بعضها ، للتقريب .

فعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أُخبرُكم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ » قالوا : بلى . قال : « إصلاح ذات البين ، فإن فسادَ ذات البين هي الحالقة » زاد الترمذي « هي الحالقة ، لا أقول تحلقُ الشَّعَر ، ولكن تحلق الدِّين ». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، وهناد وأبو داود والبيهقي والبغوي ، وصححه الترمذي والبزار وابن حبان[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الحرير في الحرب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب إباحة لبس الحرير للرجل إذا كان به حكة أو نحوها ، رقم (٢٤ ـ ٢٦).

(٢) مسند أحمد (٦ : ٤٤٤ ـ ٤٤٥) والأدب المفرد (١٤١ ـ ١٤٢ رقم ٣٩٣) وسنن أبي داود : =

وإفساد ذات البين يبدأ من التخبيب بين العبد وسيده ، والزوج وزوجه والأخ وأخيه ، وينتهي بإفساد الرعية على إمامها ، وخروجها عليه .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من خبَّب امرأةً على زوجها ، أو عبداً على سيده ». رواه أحمد والبخاري في تاريخه أبو داود والنسائي والبيهقي ، وصححه ابن حبان والحاكم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، [ولا تدابروا ، ولا تنافسوا] ، ولا تجسّسوا ، ولا تحسّسوا ، ولا تناجشوا ، وكونوا عبادَ الله إخواناً ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاطعوا [ولا تدابروا] وكونوا عبادَ الله إخواناً ». متفق عليه ،

= كتاب الأدب باب : في إصلاح ذات البين ، رقم (٤٩١٩) وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب (٥٦) والزهد لهناد (٢ : ٦١١) ومكارم الأخلاق للخرائطي (١ : ٣٩٩) وصحيح ابن حبان (١١ : ٤٨٩ ـ ٤٩٠) وشرح السنة (١٣ : ١٢٦) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٩) والآداب (٩٧رقم١٣٠) ونصب الراية (٤ : ٣٥٤) والدراية (٢ : ٢٧٠) وعزواه أيضاً لإسحق بن راهويه والبزار والطبراني ، ونقلا تصحيح البزار له .

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٩٧) والتاريخ الكبير (١ : ٣٩٦ مختصراً) وسنن أبي داود : كتاب الطلاق : باب فيمن خبَّب امرأة على زوجها ، وكتاب الأدب : باب فيمن خبَّب مملوكاً على مولاه ، رقم (٢١٧٥ ، ٥١٧٠) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٨٥) وعشرة النساء (٢٨٢رقم٣٣٢) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٢٧ ـ ٣٢٨) (١٢ : ٣٧٠) والمستدرك (٢ : ١٩٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٣) وشعب الإيمان (٤ : ٣٧٦ـ٣٦٧ ، ٣٣٧) (٧ : ٧٩٦) والآداب له (٧٢ـ٧٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظن والتجسس والتنافس،... رقم (٢٨ ـ ٣١).

واللفظ لمسلم[1].

والألفاظ جاءت على صيغة المفاعلة ، وهذا يقتضي وجود الاشتراك من الإثنين ، والله تعالى أعلم .

وأشد من ذلك : إفساد الحال بين الرعية والإمام . والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً لا يستوعبها هذا المختصر ، أقتصر على بعضٍ منها .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، ثم مات ، مات ميتةً جاهليةً ، ومن قُتل تحت رايةٍ عُمِّيَّة ، يغضبُ للعصبة ، ويقاتل للعصبة [أو ينصر عصبةً] فليس من أمتي ، ومن خرج من أمتي على أُمتي ، يضربُ برَّها وفاجرَها ، لا يتحاشَ من مؤمنها ، ولا يفي بذي عهدها ، فليس مني ». رواه مسلم[2].

وعن عبد الله بن عمَر رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة ، لقي الله لا حجّةَ له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ؛ مات مِيتةً جاهلية ». رواه مسلم[3].

وعن عَرفَجةَ رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنه ستكون هناتٌ وهناتٌ ، فمن أراد أن يفرِّق أمرَ هذه الأمة ـ وهي جميع ـ فاضربوه بالسيف ، كائناً من كان ».

وفي لفظ : « من أتاكم ، وأمركم جميعٌ على رجل واحدٍ ، يريد أن يشقَّ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الهجرة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر ، رقم (٢٣ ـ ٢٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ،... رقم (٥٣ ـ ٥٤).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٨).

عصاكم ، أو يفرِّق جماعتكم ، فاقتلوه ». رواهما مسلم[1].

وعن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيارُ أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلّون عليكم وتُصلّون عليهم ، وشرارُ أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم ، وتَلعنونهم ويلعنونكم » قيل : يا رسول الله ؛ أفلا ننابذهم بالسيف ؟ قال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، [لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة] وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئاً تكرهونه ، فاكرهوا عملَه ، ولا تنزعوا يداً من طاعة ». رواه مسلم[2].

لذا لا يجوز الخروج بحال ، إلا إذا كفر الإمام ، وكان كفره لا يحتمل التأويل ، وحكم به أئمة الدين .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا ؛ أن بايَعَنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ومَكرهنا ، وعُسرنا ويُسرنا ، وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لاننازعَ الأمر أهلَه . قال : « إلّا أن تَرَوا كُفراً بَواحاً ، عندكم من الله فيه برهان ». متفق عليه[3].

كلُّ ذلك رغبة في وحدة الأمة ، واتفاق كلمتها ، لأن في الاتفاق قوة ، وفي الخلاف الضعف والهوان ، والله تعالى هو العاصم والحافظ .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب حكم من فرَّق أمر المسلمين وهو مجتمع ، رقم (٥٩ ، ٦٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب خيار الأئمة وشرارهم ، رقم (٦٥ ، ٦٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الفتن : باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي أموراً تنكرونها »، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ،... رقم (٤٢).

وهناك أمور كثيرة يصعب حصرها في هذه الرسالة المختصرة ، وما ذكرته كاف في التدليل ، وما سيأتي هو بيان ما أجمل في هذا الفصل ، فانظره ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفصل التاسع

رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم

ومن مظاهر الرحمة المهداة التي ظهرت في هذه الأمة : ما أكرم الله تعالى به صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، حيث شملتهم هذه الرحمة ، بحيث إنه ﷺ يتحرّق عليهم أن يصابوا بأذى ، أو يستزلهم الشيطان ، أو يخرجوا عن حدِّ الاعتدال ، ويتفقدهم ، ويدعو لهم ، ويوصي بهم ، ويعود مرضاهم ، ويشيِّع جنائزهم ،... ويبكي على موتاهم ، كما كان ﷺ يواسيهم بنفسه وعيشه وماله ، بل لو طلب أحد منه ثوبه أعطاه إياه ،...الخ.

ومن تلك المظاهر :

١ـ لقد خيّر الله تعالى نبيَّه الكريمَ ﷺ بين أن يكون نبيّاً ملكاً ، أو يكون رسولاً عبداً ، فاختار أن يكون رسولاً عبداً[1] يجوع فيصبر ، ويشبع فيشكر ، فهو بين شاكر وصابر ، وفي ذلك مواساة لأصحابه رضي الله تعالى عنهم .

لذا لم يتميّز عليهم بسكن ، ولا أثاث ، ولا مجلس ، ولا طعام ، ولا شراب ، مع أن الجبال راودته أن تكون له ذهباً فأبى ، وكان يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر .

٢ـ ومن مظاهر رحمة الله تعالى بصحابة رسوله ﷺ ورضي الله تعالى

---

(١) انظر : مسند أحمد (٢ : ٢٣١) وكشف الأستار (٣ : ١٥٥) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٤٩١) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٢٨٠) والتواضع والخمول (١٦٢ ـ ١٦٣رقم ١٢٥) ومجمع الزوائد (٩ : ١٨ـ ١٩).

عنهم ، وشمولهم برحمته ﷺ المهداة : **أن جعل وجود نبيِّه المصطفى الكريم ﷺ أماناً لهم من الفتن والارتداد واختلاف القلوب الذي يفضي إلى النار .**

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : صلينا المغربَ مع رسول الله ﷺ ، ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي معه العشاءَ ،... الحديث وفيه ، فقال ﷺ : « النجومُ أَمَنَةٌ للسماء ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد ، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ». رواه مسلم[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : صلّينا مع رسول الله ﷺ يوماً ، فأطال القيام ، وكان إذا صلّى لنا خفّف ، ثم لا نسمعُ منه شيئاً غير أنه يقول : « ربِّ وأنا فيهم » ثم رأيته أهوى بيده ليتناولَ شيئاً ، ثم ركع ، ثم أسرع بعد ذلك ، فلما سلّم رسول الله ﷺ جلس ، وجلسنا حوله ، فقال رسول الله ﷺ : « قد علمتُ أنه راعكم طولُ صلاتي وقيامي » قلنا : أجل يا رسول الله ، وسمعناك تقول : « ربِّ وأنا فيهم ».

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ما من شيءٍ وُعِدتموه في الآخرة ؛ إلا قد عُرض عليَّ في مقامي هذا ، حتى لقد عُرضت عليَّ النارُ ، فأقبل إليَّ منها شيءٌ ؛ حتى دنا بمكاني هذا ، فخشيتُ أن تغشاكم ، فقلت : ربِّ وأنا فيهم . فصرفها عنكم ، فأدبرت قِطعاً كأنها الزرابيُّ ، فنظرتُ إليها نظرةً ؛ فرأيتُ عَمْرَو بن حُرثان أخا بني غفار متكئاً في جهنم على قوسه ، وإذا فيها الحميرية صاحبةُ القطّة التي ربطتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب بيان أن بقاء النبيّ ﷺ أمان لأصحابه ،... رقم (٢٠٧).

أرسلتها ». رواه ابن حبان بإسناد صحيح ، والطبراني من طريقين[1].

وسيأتي حديثُ عبد الله بن عَمرِو بن العاص رضي الله تعالى عنهما بعد قليل ، عند رقم (١٢) ، إن شاء الله تعالى .

٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : **أنه إذا كان معهم في سفر ، ويوجد من يعتقب معه على الراحلة ، فإنه يساوي** ﷺ **نفسه بهم ، فإنه يمشي في نوبته** ، ولا يرضى أن يركب طيلة السفر ، فكما أنهم يمشون وهو يركب ، كذلك فإنهم يركبون وهو يمشي . وهذا مقتضى المساواة بينه وبينهم بل غايتها ، بأبي هو وأمي ما أكرم أخلاقه وأرحم نفسه .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كنا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير ، قال : فكان أبو لبابة وعليّ بن أبي طالب زميلَيْ رسول الله ﷺ . قال : فكان إذا جاءت عُقْبَةُ رسول الله ﷺ قالا له : اركب ، ونحن نمشي عنك . فيقول : « ما أنتما بأقوى مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما ». رواه أحمد وابن سعد والطيالسي وابن أبي شيبة والنسائي والشاشي والبزار وأبو يعلى والبيهقي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

---

(١) صحيح ابن حبان (١٤ : ٣٤٣ ـ ٣٤٤) والمعجم الكبير (١٧ : ٣١٥ ـ ٣١٦) والمعجم الأوسط (٣ : ٢٩٤) ومجمع البحرين (٨ : ١٤٣) ومجمع الزوائد (٢ : ٨٨) (١٠ : ٣٨٦).

(٢) مسند أحمد (١ : ٤١١ ، ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤) ومسند الطيالسي (٤٧ رقم ٣٥٤) والطبقات الكبرى (٢ : ٢١) ومسند ابن أبي شيبة (١ : ٢٦٦) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٢٥٠) والبحر الزخار (٥ : ٢١٠) وكشف الأستار (٢ : ٣١٠) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣) ومسند الشاشي (٢ : ١١٤) وحلية الأولياء (٦ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥) وصحيح ابن حبان (١١ : ٣٥) والمستدرك (٢ : ٩١) (٣ : ٢٠) وشرح السنة (١١ : ٣٥ ـ ٣٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٥٨) ومجمع الزوائد (٦ : ٦٨ ـ ٦٩) وهذا مما يستدرك عليه .

٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : حثُّه ﷺ على الاعتدال والوسطية ومواءمة الفطرة ، وعلى أخذ الأمور بالسهولة لا بالشدة ، وعلى عدم المغالاة والتزيد والتعمّق ومجاوزة الحد .

ولهذا كثر عنه ﷺ قولُه : « عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله : ما دُووم عليه وإن قَلَّ ». متفق عليه[1].

وقد ورد هذا الحديث في الصلاة والصيام ،... وغيرهما .

وقد سبق ذكر حديث النفر الثلاثة التي سألوا عن عبادة النبي المصطفى الكريم ﷺ ،... وفيه قوله ﷺ : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلّي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري .

ولما زوَّج عَمْرو بنُ العاص ولدَه عبدَ الله رضي الله تعالى عنهما كريمةً من كرائم قريش ، ولم يأتها عبد الله رضي الله تعالى عنه ، منشغلاً بعبادته ؛ يقومُ الليل فلا ينام ، ويصومُ النهار فلا يفطر ـ وأَخبر عمرٌو رضي الله تعالى عنه رسولَ الله ﷺ بذلك ـ : نهى رسولُ الله ﷺ عبدَ الله ، ودلَّه على التوسط والاعتدال ، وقال له : « إن لجسدك عليك حقّاً ، وإن لعينك عليك حقّاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزَوْرِك [أي الضيف] عليك حقاً ،... وقال له ﷺ : إنك لا تدري لعلك يطول بك عُمْرٌ »

قال عبدُ الله رضي الله عنه : فلما كبرتُ وددتُ أني كنتُ قبلتُ رخصةَ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب أحب الدِّين إلى الله أدومه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ، رقم (٢١٥).

نبي الله ﷺ . الحديث ، متفق عليه[1].

وقد ورد مثل هذا الحديث المرفوع من حديث سلمان مع أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما ، كما رواه البخاري[2].

ونهى ﷺ عثمانَ بنَ مظعون رضي الله عنه عن التبتل ، ولم يأذن له فيه . مع أنه يريد الانقطاع عن الدنيا ، والتفرغ للعبادة .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : ردَّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتلَ ، ولو أذن له لاختصينا . متفق عليه[3].

٥ـ ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم **لم يرض أن يذهب أحدهم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ماشياً ، حتى لو كان قد نذر ذلك ،** بل أمر ﷺ من كان معه هديه أن يركب عليها ـ وهو يعلم أنها هدي ـ ولما تأخر الرجل عنّفه بقوله : « ويلك » كلُّ ذلك رحمة بهم وشفقة عليهم ، ولم يرض أن يمشي على قدميه حتى مكة ، والهدي يمشي بجواره .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ رأى ﷺ شيخاً يُهادى بين ابنيه ، فقال : « ما بالُ هذا ؟ » قالوا : نذر أن يمشي ، فقال ﷺ : « إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغني » وأمره أن يركب . متفق عليه[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب حق الجسم في الصوم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ،... رقم (١٨١ ـ ١٩٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء .

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب ما يكره من التبتل والخصاء . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ،... رقم (٦ ـ ٨).

(٤) صحيح البخاري : كتاب جزاء الصيد : باب من نذر المشي إلى الكعبة . وصحيح مسلم : =

ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه .

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال : نذَرتْ أختي أن تمشيَ إلى بيت الله الحرام حافيةً ، فأمرتني أن أستفتي لها رسولَ الله ﷺ . فاستفتيتُه ، فقال ﷺ : « لِتَمْش ولتركب ». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنةً ، فقال : « اركبها » قال : يا رسول الله ؛ إنها بدنة . فقال : « اركبها ، ويلك » في الثانية أو الثالثة . متفق عليه[2].

ورويا من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أيضاً .

٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : **نهيه لهم عن الوصال بالصيام** ، وذلك بأن يصوم أحدُهم عدةَ أيام من غيرِ طعامٍ وشرابٍ فيها ، يعني من غير فطور ولا سحور ، وهم يريدون أن يفعلوا فعله ، حتى بين لهم أنه ﷺ ليس كهيئتهم ، لأنه يبيت يطعمه ربُّه تعالى ويسقيه . وقد تواتر نهيه ﷺ عن الوصال ، أقتصر على ثلاثة نصوص مما في الصحيحين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والوِصال » قالوا : فإنك تواصل ، يا رسول الله ، قال « إني لستُ كهيئتكم ؛ إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون ». متفق

= كتاب النذر : باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة ، رقم (٩ ، ١٠).

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١ ، ١٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب ركوب البدن ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها ، رقم (٣٧١ـ ٣٧٤).

عليه .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : نهاهم النبيُّ ﷺ عن الوصال رحمةً لهم ، فقالوا : إنك تواصل ؟ قال : « إني لستُ كهيئتكم ، إني يطعمني ربي ويسقيني ». متفق عليه .

وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما ، أن النبيَّ ﷺ نهى عن الوصال . قالوا : إنك تواصل . قال : « إني لستُ كهيئتكم ، إني أُطعم وأُسقى ». متفق عليه .

كما ورد عندهما أيضاً من حديث أنس وأبي سعيد رضي الله عنهم[1].

٧ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : عدم رغبته أن يتميَّز عليهم ، أو يُرفع فوقهم ، بل كان يُشعرهم وكأنه واحد منهم ،...

وقد تنوّعت مظاهر ذلك ، أشير إلى بعضها من غير استيعاب .

ـ فمن ذلك : رفضه ﷺ طلب الصحابة رضي الله عنهم أن يسجدوا له ، وعلّق أمر السجود لمخلوق على أمرٍ محالٍ . وقد جاء الطلب من وجهين :

أ ـ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان أهلُ بيتٍ من الأنصار لهم جملٌ يسنون عليه ،... الحديث بطوله ، في قصة سجود الجمل للنبي الكريم ﷺ ، وفي آخره : فقال له أصحابه : يا رسول الله ؛ هذا بهيمة لا يعقل ؛ يسجدُ لك ، ونحن نعقلُ ، فنحن أحقُّ أن نسجدَ لك . قال : « لا يصلح لبشر أن يسجدَ لبشرٍ ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها ، لعظم حقِّه عليها ،... » الحديث ، رواه أحمد والبزار

---

(١) انظر تلك الأحاديث : صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب الوصال ، وباب التنكيل لمن أكثر الوصال ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن الوصال في الصوم ، رقم (٥٥ ـ ٦١).

برجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس وهو ثقة ، وروى البزار نحوَه ، وروى النسائي آخره ، وقال المنذري : إسناد جيدٌ ، رواته ثقات مشهورون ، وقال ابن كثير : إسناد جيد ، وصححه السيوطي[1]. وقد ورد نحو هذا عن عدد من الصحابة ، لأن سجود الجمل للنبي الكريم ﷺ متواتر[2].

ب ـ وعن ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال : لما قدم معاذ بن جبل من الشام ، سجد لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذا ؟ » قال : يا رسول الله ؛ قدمتُ الشامَ ، فرأيتُهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم ، فأردتُ أن أفعلَ ذلك بك ، قال : « فلا تفعل ، فإني لو كنتُ أمرت شيئاً أن يسجد لشيء ، لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن صاعد ، وصححه ابن حبان والحاكم[3].

وقد ورد من طريق معاذ رضي الله تعالى عنه نفسه .

ـ ومن ذلك : كراهيته ﷺ أن يقوم له الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وإن كانوا يفعلون ذلك أحياناً ، تكريماً له ﷺ وتعظيماً ، لأن الأدب عين الامتثال كما يقال .

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٥٨) والبحر الزخار (١٣ : ٩٣) وكشف الأستار (٣ : ١٥١ ـ ١٥٢) وعشرة النساء (٢٢٥) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١ ـ ٤٩٢) ومجمع الزوائد (٩ : ٤) والترغيب والترهيب (٤ : ١٢٣) والشمائل لابن كثير (٢٦٢ ـ ٢٦٣) والنظم المتناثر (١٣٨).

(٢) انظر : قطف المتناثر (٢٦٦) والنظم المتناثر (١٣٧ ـ ١٣٨) والأزهار المتناثرة (٣٦) وإتحاف ذوي الفضائل (١٤١ ـ ١٤٢) ومحبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (٥٠ ـ ٥٢).

(٣) مسند أحمد (٤ : ٣٨١) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب حق الزوج على المرأة ، رقم (١٨٥٣) ومسند ابن أبي أوفى (٩٦ ، ٩٧) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٧٩) والسنن الكبرى (٧ : ٢٩٢) وانظر : إتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٥٣٥ ـ ٥٣٦ ، ٥٣٨).

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : ما كان شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لما علموا من كراهيته لذلك . رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب المفرد ، والترمذي وصححه ، وأبو يعلى والبغوي وأبو الشيخ والبيهقي برجال الصحيح[1].

ـ ومن ذلك : أنه كان ﷺ إذا جلس معهم لا يفترق عنهم ، ولا يتميّز عنهم بمكان خاص ، حتى إن الغريب إذا دخل لا يعرفه ﷺ ، مما حدا بهم رضي الله تعالى عنهم أن طلبوا منه أن يكون له مكانٌ متميِّزٌ ؛ ليعرفه الغريبُ إذا دخل ، ولا يُحرَج بالسؤال عنه .

فعن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانَي أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو ، حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه ، قال : فبنينا له دكّاناً من طين ، فجلس عليه ، وكنا نجلس بجنبيه ، ثم ذكر قصة مجيء جبريل عليه السلام ، وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان . رواه أبو داود والنسائي ، وأصل الحديث في الصحيحين[2].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥١ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٨٦) والأدب المفرد (٣١٦ رقم ٩٤٩) وسنن الترمذي : كتاب الأدب : باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، رقم (٢٧٥٤) والشمائل له (٥٤٦ ـ ٥٤٧رقم ٣٣٥) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤١٧ ـ ٤١٨) وشرح السنة (١٢ : ٢٩٤) والشمائل له (١ : ٣٠٢) وأخلاق النبيّ ﷺ (٥٨) وشعب الإيمان (٦ : ٤٦٩).

(٢) سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في القدر ، رقم (٤٦٩٨) وسنن النسائي : كتاب الإيمان : باب صفة الإيمان والإسلام (٨ : ١٠١) وأدب الإملاء والاستملاء (٥٠) وأخلاق النبيِّ ﷺ (٦٠).

ـ ومن ذلك : كراهيته ﷺ أن يمشي الصحابة رضي الله عنهم خلفه ، لأن في ذلك مذلةً للتابع ، وهو ﷺ لا يريد ذلك لأصحابه .

ـ ومن ذلك : أنه ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس ، فيكون صدرُ المجلس حيث جلس الصدرُ ، ولا يخصِّص مكاناً خاصّاً به دائماً .

ـ ومن ذلك : أنه ﷺ يكون آخر من ينحّي رأسَه أو يده عند المساررة والمصافحة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : ما رأيت رجلاً التقم أُذُنَ رسول الله ﷺ فينحّي رأسَه ، حتى يكونَ الرجلُ هو الذي ينحي رأسَه ، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يدَه ، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده . رواه أبو داود وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي[1].

ـ ومن ذلك : إقباله ﷺ على جليسه ، حتى يظن أنه باهتمامه به أحبّ الناس إليه .

فعن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُقبل بوجهه وحديثه على أشرِّ القوم ، يتألفهم بذلك ، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننتُ أني خير القوم ، فقلت : يا رسول الله ؛ أنا خيرٌ أو أبو بكر ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أبو بكر » فقلت : يا رسول الله ؛ أنا خيرٌ أم عُمر ؟ فقال : « عمر » فقلت : يا رسول الله ؛ أنا خيرٌ أم عثمان ؟ فقال : « عثمان »

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب حسن العشرة ، رقم (٤٧٩٤) ومسند أبي يعلى (٦ : ١٨٧) وأخلاق النبي ﷺ (٣١) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٤٧) ودلائل النبوة (١ : ٣٢٠ـ ٣٢١) ورواه ابن المبارك والترمذي وابن ماجه وعلي بن الجعد والبيهقي والبغوي من وجه آخر عن أنس رضي الله تعالى عنه .

فلما سألت رسول الله ﷺ فصدقني ، فلوددتُ أني لم أكن سألتُه . رواه الترمذي والطبراني بإسناد حسن ، وأصله في الصحيحين[1].

ـ ومن ذلك : أنه ﷺ إذا جلس مع أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، فإن ذكروا الدنيا ذكرها معهم ، وإن ذكروا نكتةً مما يُضحك ضحك معهم ، لكن ليس القهقهة ، إنما الغالب على ضحكه ـ بأبي هو وأمي ـ التبسم .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما رأيتُ رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهواته ، إنما كان يتبسَّم . متفق عليه[2].

وعن سِماك بن حرب رحمه الله تعالى قال : قلت لجابر بن سمُرة رضي الله عنه : أكنتَ تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم كثيراً . كان لا يقوم من مُصلّاه الذي صلّى فيه الصبحَ ـ أو الغداة ـ حتى تطلعَ الشمسُ ، فإذا طلعت الشمسُ قام ، وكانوا يتحدَّثون ، فيأخذون في أمر الجاهلية ، فيضحكون ويتبسّم رسول الله ﷺ . رواه مسلم[3].

وفي رواية لغيره ، قال جابر رضي الله تعالى عنه : كان كثيرَ الصمت ، قليلَ الضحك ، فكان أصحابُه ربما يتناشدون الشعرَ عنده ، وربما قال الشيءَ من أمورهم فيضحكون ، وربما تبسم . رواه أحمد والطيالسي والبيهقي[4].

---

(١) الشمائل للترمذي (٥٧٣ ـ ٥٧٥) ومجمع الزوائد (٩ : ١٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب التبسم والضحك ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة الاستسقاء : باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ،... رقم (١٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح ، رقم (٢٨٦ ، ٢٨٧) وكتاب الفضائل : باب تبسمه ﷺ وحسن عشرته ، رقم (٦٩).

(٤) مسند الطيالسي (١٠٥ رقم ٧٧١) ومسند أحمد (٥ : ٨٦ ، ٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٥٢) (١٠ : ٢٤٠) ورواه كثيرون بأخصر .

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ جارَه ـ ﷺ ـ فكان إذا نزل الوحيُ بعث إليَّ ، فآتيه ، فأكتب الوحيَ ، وكنّا إذا ذَكَرنا الدنيا ذكَرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرةَ ذكرها معنا ، وإذا ذكَرنا الطعام ذكره معنا ،... رواه ابن سعد والترمذي في الشمائل والطبراني والبغوي والبيهقي[1].

٨ـ ومن رحمته ﷺ وتواضعه وشفقته على أصحابه رضي الله تعالى عنهم : **أنه كان يكره أن يطروه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام ، كما كان يكره أن ينادوه بالسيادة ، بل بالنبوة والرسالة .**

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُطروني ، كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبدُ الله ورسولُه ». رواه البخاري[2].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا سيدنا وابن سيدنا . فقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينَّكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ورسولُه ، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله ». رواه أحمد وعبد بن حُميد والنسائي ، وصححه ابن حبان والضياء[3].

---

(١) الطبقات الكبرى (١ : ٣٦٥) دلائل النبوة (١ : ٣٢٤) والشمائل للترمذي (٥٧١ ـ ٥٧٣ رقم ٣٤٣) والمعجم الكبير (٤٨٨٢) وأخلاق النبيّ ﷺ (٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ـ ٣٠) وشرح السنة (٣٦٧٩) والشمائل له (١ : ٣٠١ـ ٣٠٢) ومجمع الزوائد (٩ : ١٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، وفي غيرهما .

(٣) مسند أحمد (٣ : ١٥٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٩) وعمل اليوم والليلة (٢٤٩ ، ٢٥٠ رقم ٢٤٨ ، ٢٤٩) ومسند عبد بن حُميد (١٩٠ رقم ١٣٠٩) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٣٣) ودلائل =

قلت : وهذه الأحاديث وما كان على شاكلتها ؛ فهي مما قاله ﷺ في أوائل الهجرة ، أو مما قاله ﷺ تواضعاً ، لأن المفاضلة بين الأنبياء والرسل ثابتة في كتاب الله تعالى ، وأن التسييد له ﷺ ثبت عنه في السَّنة العاشرة من الهجرة ، كما بينتُه في (مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام) كما في قوله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة ،... ». متفق عليه[1]. وغيره .

٩ـ ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم ـ ثم بالأمة بعدهم ـ أنه **لا يرضى أن يعذِّب أحدُهم نفسَه ، بعبادةٍ ونحوها مما يشق عليه .**

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : بينما رسول الله ﷺ يخطب ؛ إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ؟ فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ، ويصوم ولا يفطر بنهار ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، فقال رسول الله ﷺ : « مروه فليستظل ، وليقعد ، وليتكلّم ، وليتم صومه ». رواه البخاري[2].

وعن مجيبة الباهلية رضي الله تعالى عنها ، عن أبيها أو عمها ، أنه أتى رسول الله ﷺ ، ثم انطلق ، فأتاه بعد سنة وقد تغيّرت حالُه وهيئتُه . فقال : يا رسول الله ﷺ ، أما تعرفني ؟ قال : « من أنتَ ؟ » قال : أنا الباهلي الذي جئتُك عامَ أول : قال : « فما غيّرك ، وكنتَ حسنَ الهيئة ؟ » قال : ما أكلتُ طعاماً منذ فارقتُك إلّا بليل . فقال رسول الله ﷺ : « فلم عذّبت نفسك ؟»

= النبوة (٥ : ٤٩٨) والمختارة (٥ : ٢٥ ـ ٢٧ من طرق) (٦ : ٩٥ ، ٩٥ ـ ٩٦)

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧ ، ٣٢٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والنذور : باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ؟

ثم قال : « صم شهر الصبر ، ويوماً من كل شهر » قلت : زدني فإن بي قوةً . قال : « صم يومين » قلت : زدني . قال : « صم ثلاثةً » قلت : زدني : قال : « صم من الحُرُم واترك ، صم من الحُرُم واترك ، صم من الحُرُم واترك » وقال بأصابعه الثلاثة ، فضمها ثم أرسلها . رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وعبد بن حُميد وابن سعد[1].

ورواه البخاري في تاريخه وابن سعد وابن قانع والطبراني ـ بلفظه ـ من حديث كهمس الهلالي رضي الله تعالى عنه[2].

١٠ـ ومن رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : **أنه كان يمازحهم ، حتى يزيل ما في نفوسهم من الرهبة والخوف ، ويُشعرهم بقربه منهم ، ويتألفهم على محبته والإيمان به . ولكنه ﷺ لا يقول إلا حقّاً .**

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ ، فاستحمله ، فقال رسول الله ﷺ : « إنا حاملوك على ولد الناقة » فقال : يا رسول الله ؛ ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « وهل تلد الإبلَ إلا النوق ؟ ». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود في آخرين ،

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٨) وسنن أبي داود : كتاب الصوم : باب في صوم أشهر الحرم ، رقم (٢٤٢٨) وسنن النسائي الكبرى (٢ : ١٣٩ ـ ١٤٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الصيام : باب صيام أشهر الحرم ، رقم (١٧٤١) والطبقات الكبرى (٧ : ٨٣) ومسند عبد بن حُميد (رقم ٤٠٠) ومعجم الصحابة لابن قانع (٢ : ٩٣) وسمى أباها : عبد الله ابن الحارث ، وبهذا أخرجه بعضهم .

ومُجيبة : قيل هو رجل ، وقيل امرأة ، وقال الحافظ : من الصحابة .

(٢) التاريخ الكبير (٧ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩) والطبقات الكبرى (٧ : ٤٦) ومعجم الصحابة (٢ : ٣٨٢) والمعجم الكبير (١٩ : ١٩٤) وأسد الغابة (٤ : ٢٠٢) والإصابة (٥ : ٦٢٥ ـ ٦٢٦).

وصححه الترمذي(١).

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال له : « ياذا الأذنين ». رواه أحمد وأبو داود ، والترمذي وصححه ، وابن السني وأبو يعلى والطبراني والبغوي(٢).

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً من أهل البادية ، كان اسمه زاهراً ، وكان يُهدي إلى النبي ﷺ الهدية من البادية ، فيُجهِّزه النبيُّ ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زاهراً باديتنا ، ونحن حاضروه ».

وكان رسول الله ﷺ يحبُّه ، وكان رجلاً دميماً ، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ، ولا يبصره الرجل ، فقال : أرسِلْني ، مَنْ هذا ؟ فالتفت ، فعرف النبيّ ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبيِّ ﷺ حين عرفه ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : « من يشتري العبدَ ؟ » فقال : يا رسول الله ؛ إذاً ـ والله ـ تجدُني كاسداً ، فقال رسول الله ﷺ : « لكن عند الله لست بكاسد » أو قال : « لكن عند الله أنت غال ». رواه عبد الرزاق وأحمد

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٦٧) والأدب المفرد (١٠٤ رقم ٢٦٨) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في المزاح ، رقم (٤٩٩٨) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في المزاح ، رقم (١٩٩١) والشمائل للترمذي (٣٩٥ رقم ٢٣٨) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤١٢) وأخلاق النبيِّ ﷺ (٧٨) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٤٨) وشرح السنة (١٣ : ١٨١ ـ ١٨٢) والشمائل له (١ : ٢٥٦).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١١٧ ، ١٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٦٠) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في المزاح ، رقم (٥٠٠٢) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في المزاح ، رقم (١٩٩٢) وكتاب المناقب : باب مناقب لأنس بن مالك رضي الله عنه ، رقم (٣٨٢٨) والشمائل (٣٩٠رقم ٢٣٥) وعمل اليوم والليلة (رقم ٤٢٢) ومسند أبي يعلى (٧ : ٩١) والمعجم الكبير (١ : ٢١١) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٤٨) وشرح السنة (١٣ : ١٨٢) وتاريخ بغداد (١٣ : ٤٦).

والترمذي ، وصححه ابن حبان ، في آخرين ، وصححه الحافظ ، وقال ابن كثير : هذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قالوا : يا رسول الله ؛ إنك تداعبنا ؟ قال : « نعم ، غير إني لا أقول إلا حقّاً ». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، والبيهقي ، وصححه الترمذي[2].

وكان ﷺ إذا سمع المزاح من أحد لا يبكته ، بل يضحك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ كان يوماً يحدِّث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ « أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربَّه في الزرع ، فقال : أَوَلستَ فيما شئتَ ؟ قال : بلى ، ولكني أحبُّ أن أزرع ، فأسرعَ وبذر فتبادر الطرفَ نباتُه واستواؤه واستحصادُه وتكويرُه أمثالَ الجبال ، فيقول الله تعالى : دونك يا ابنَ آدم ، فإنه لا يشبعك شيءٌ ». فقال الأعرابي : يا رسول الله ؛ لا تجد هذا إلّا قرشيّاً أو أنصاريّاً ، فإنهم أصحابُ زرعٍ ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع . فضحك رسول الله ﷺ . رواه البخاري[3].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠ : ٤٥٤ ـ ٤٥٥) ومسند أحمد (٣ : ١٦١) الشمائل المحمدية للترمذي (٣٩٦ ـ ٤٠٠) ومسند أبي يعلى (٦ : ١٧٣ ـ ١٧٤) والبحر الزخار (١٣ : ٣١٩ ـ ٣٢٠) وكشف الأستار (٣ : ٢٧٢) وصحيح ابن حبان (١٣ : ١٠٦ ـ ١٠٧) وشرح السنة (١٣ : ١٨١) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٤٨) والمختارة (٥ : ١٨٠ ـ ١٨٢) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩) وشمائل الرسول ﷺ (٨٩) والإصابة (٢ : ٥٤٧).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٤٠ ، ٣٦٠) والأدب المفرد (رقم ٢٦٥) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في المزاح ، رقم (١٩٩٠) والشمائل له (٣٩٣ ـ ٣٩٤) وشرح السنة (١٣ : ١٧٩ ـ ١٨٠) والشمائل له (١ : ٢٥٤) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٤٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب مع أهل الجنة ، وفي غيرهما .

١١ـ ومن رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : **تفقده لهم ، وعيادة مرضاهم ، وتشييع جنائزهم ، مع إلحاحه ﷺ ومعاتبته لهم إذا لم يخبروه** بمن مات ، **وبكاؤه عند وفاة أحدهم ، أو عند خشية الموت** . فلم يكن منعزلاً عنهم ، ولا متكبِّراً عليهم ، بل كان يخالطهم .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثلَ الفرخ ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل كنتَ تدعو بشيء أو تسأله إياه ؟ » قال : نعم ، كنتُ أقول : اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة ، فعجِّله لي في الدنيا . فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ، لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلتَ : اللهم ، آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار ؟ » قال : فدعا الله له ، فشفاه . رواه مسلم[١].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجلَ من إخوانه ثلاثةَ أيام سأل عنه ، فإن كان غائباً دعا له ، وإن كان شاهداً زاره ، وإن كان مريضاً عاده . رواه البغوي وأبو الشيخ وأبو يعلى بإسناد ضعيف ، لكن أصله الحديث السابق[٢]. وأما العيادة فثابتة في الصحيح .

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابنَ رواحة للناس ، قبل أن يأتيَهم خبرُهم .

فقال : « أخذ الرايةَ زيدٌ فأصيب ، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب ، ثم أخذ ابنُ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ، رقم (٢٣ ـ ٢٤).

(٢) أخلاق النبي ﷺ (٦٧) والشمائل للبغوي (١ : ٣١٢) فيض القدير (٥ : ١٥٢) وعزاه لأبي يعلى . وهو فيه (٦ : ١٥٠ ـ ١٥٢) وإتحاف الخيرة المهرة (٥ : ٤٩٣ ـ ٤٩٦).

رواحة فأصيب » وعيناه تذرفان « حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ». رواه البخاري[1].

وقد ورد بنحوه عندهما.

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : اشتكى سعدُ بنُ عُبادة شكوى له ، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده ، مع عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال : « قد قضى ؟ » فقالوا : لا ، يا رسول الله ؛ فبكى النبيُّ ﷺ ، فلما رأى القومُ بكاءَ النبيِّ ﷺ بكوا . فقال : « ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذِّب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذِّبُ بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم ،... ». الحديث ، متفق عليه[2].

وكذا بكاؤه على عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وغيره[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب البكاء عند المريض . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب البكاء على الميت ، رقم (١٢).

(٣) انظر : مسند أحمد (٦ : ٤٣ ، ٥٥ ـ ٥٦ ، ٢٠٦) ومصنف عبد الرزاق (٣ : ٥٩٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٣٨٥) ومسند عبد بن حُميد (٤٤١ رقم ١٥٢٦) والطبقات الكبرى (٣ : ٢٨٨) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز: باب في تقبيل الميت ، رقم (٣١٦٣) وسنن الترمذي : كتاب الجنائز : باب ما جاء في تقبيل الميت ، رقم (٩٨٩) والشمائل له (٥٣٥ رقم ٣٢٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في تقبيل الميت ، رقم (١٤٥٦) والمستدرك (١ : ٣٦١) وشرح السنة (٥ : ٣٠٢) والشمائل له (١ : ٢٢٠) وصححه الترمذي والحاكم ، وانظر مجمع الزوائد (٣ : ٢٠) لرواية أخرى أيضاً .

١٢ـ ومن رحمته ﷺ وشفقته وحنوه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم : **بكاؤه ﷺ وسؤاله ربّه تعالى ما كان قد وعده ألّا يعذبهم وهو فيهم .**

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : انكسفت الشمسُ يوماً على عهد رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يصلي ،...وفي آخره : ثم سجد ، فلم يكد يرفع رأسه ، فجعل ينفخ ويبكي ، ويقول : « ربِّ ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ، ربِّ ألم تعدني أن لا تعذِّبهم وهم يستغفرون ،... ». الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن أبي شيبة والأربعة ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم[1].

١٣ـ ومن رحمته ﷺ وشفقته وحنوه وحرصه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم : **شدة مناشدته ربه تعالى يوم بدر .**

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ـ وهم ألف ـ وأصحابُه ثلاثُمائة وتسعة عشر ، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ ، ثم مدّ يديه ، فجعل يهتف بربه : « اللهم أَنجِز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض » فما زال يهتف بربه ، مادّاً يديه ، مستقبلَ القبلة ،

(١) مسند أحمد (٢ : ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ١٩٨ ، ٢٢٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٤٦٧) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب من قال : يركع ركعتين ، رقم (١١٩٤) والشمائل للترمذي (٥٣٠ ـ ٥٣٢) وسنن النسائي : كتاب الكسوف : باب نوع آخر ، وباب القول في السجود في صلاة الكسوف (٣ : ١٣٧ ، ١٤٩) والسنن الكبرى (١ : ٥٧٤ ، ٥٧٩ ـ ٥٨٠) وشرح معاني الآثار (١ : ٣٢٩) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وصحيح ابن حبان (٧ : ٧٩ ـ ٨٠) والمستدرك (١ : ٣٢٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٣٢٤) والشمائل للبغوي (١ : ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

حتى سقط رداؤُه عن منكِبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءَه ، فألقاه على منكِبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله ؛ كفاك مناشدتك ربَّك ، فإنه سينجزٌ لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾[1]. الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

١٤ـ ومن رحمته ﷺ وشفقته وحنوه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم : **أنه يعطف عليهم ، ويطعم جائعهم ، ولا يأكل حتى يأكلوا .**

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أَللهِ الذي لا إله إلا هو ، إن كنتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدُّ الحَجَرَ على بطني من الجوع ، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمرَّ ولم يفعل ، ثم مرّ بي عمر ، فسألتُه عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليشبعني ، فمرَّ فلم يفعل .

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ ، فتبسّم حين رآني ، وعرف ما في نفسي وما في وجهي ، ثم قال : « يا أبا هر » قلت : لبيك رسول الله ، قال : « الحق » ومضى ، فتبعتُه ، فدخل ، فاستأذن ، فأذن لي ، فدخل ، فوجد لبناً في قدح ، فقال : « من أين هذا اللبن ؟ » قالوا : أهداه لك فلانٌ ـ أو فلانة ـ.

قال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « الحق إلى أهل الصُّفَّة ، فادعهم لي ».

قال : وأهلُ الصفَّة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا

(١) سورة الأنفال (٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ،... رقم (٥٨).

على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها ، وأشركهم فيها . فساءني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصّفَّة ؟ كنتُ أحقَّ أن أُصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها ، فإذا جاؤوا أمرني فكنتُ أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُد . فأتيتهم فدعوتهم .

فأقبلوا ، فاستأذنوا فأُذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت .

قال : « يا أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « خذ فأعطهم » فأخذت القدحَ ، فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يروى ، ثم يرد عليَّ القدحَ ، فأعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يروى ، ثم يردُّ عليَّ القدح ، فأعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يروى ، ثم يردُّ على القدحَ ، حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ ، وقد روي القومُ كلُّهم .

فأخذ القدح ، فوضعه على يده ، فنظر إليَّ ، فتبسّم ، فقال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « بقيتُ أنا وأنتَ » قلت : صدقتَ يا رسول الله ، قال : « اقعد فاشرب » فقعدتُ فشربتُ ، فقال : « اشرب » فما زال يقول : « اشرب » حتى قلت : لا ، والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكاً . قال : « فأرني » فأعطيتُه القدحَ ، فحمد الله وسمّى ، وشرب الفضلةَ . رواه البخاري[1].

١٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : **رجوعه ﷺ عن حصار الطائف شفقة عليهم ، ودعاؤه لأهلها بالهداية ،**

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبيّ ﷺ وأصحابه ،... وفي غيرهما .

والإتيان مسلمين ، فتحقّق ذلك بعد فترة قصيرة .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : حاصر رسول الله ﷺ أهلَ الطائف ، فلم ينل منهم شيئاً ، فقال : « إنا قافلون إن شاء الله » قال أصحابُه : نرجع ولم نفتحه ! فقال لهم رسول الله ﷺ : « اغدوا على القتال » فغدوا عليه ، فأصابتهم جِراحٌ . فقال لهم رسول الله ﷺ : « إنّا قافلون غداً » قال : فأعجبهم ذلك . فضحك رسول الله ﷺ . متفق عليه[1].

١٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم : **مراعاته لشعورهم ، ورأفته فيهم حال غربتهم ، وتفقده لأحوالهم .**

فعن مالك بن الحُوَيرث رضي الله تعالى عنه قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً ، فظن أنّا قد اشتقنا أهلنا ، فسألَنا عن من تركنا من أهلنا ، فأخبرناه ، فقال : « ارجعوا إلى أهليكم ، فأقيموا فيهم ، وعلِّموهم ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[2] .

١٧ـ ومن رحمته ﷺ بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : **عدم خروجه إلى المسجد لصلاة الليل ، خشية أن تكتب عليهم .**

فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، أن النبيّ ﷺ اتخذ حجرةً في

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب غزوة الطائف ، رقم (٨٢) لكن وقع عنده (عبد الله بن عَمْرو) وانظر شرحي القاضي عياض ، والإمام النووي رحمهما الله تعالى لتوجيه ذلك .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب من أحق بالإمامة ، رقم (٢٩٢).

المسجد من حصير ، فصلى رسولُ الله ﷺ فيها ليالي ، حتى اجتمع إليه ناس ، ثم فقدوا صوته ليلةً ، فظنوا أنه قد نام ، فجعل بعضُهم يتنحنح ليخرج إليهم ، فقال : « ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم ، حتى خشيتُ أن يُكتب عليكم ، ولو كُتب عليكم ما قمتم به ، فصلوا أيها الناسُ في بيوتكم ، فإن أفضلَ صلاة المرء في بيته ، إلا الصلاة المكتوبة ». رواه البخاري[1].

١٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم : **تأليف قلوبهم ، وانجذابها له ، كأن يطلب من أحدهم أن يقرأ عليه قرآناً ، أو يروي له شعراً من أشعار الجاهلية ، ونحو ذلك .**

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليَّ القرآن » قال فقلت : يا رسول الله ؛ أقرأ عليك ، وعليك أُنزل؟ قال : « إني أشتهي أن أسمعه من غيري » فقرأت عليه سورةَ النساء ، حتى إذا بلغتُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ رفعتُ رأسي ـ أو غمزني رجلٌ إلى جنبي فرفعت رأسي ، فرأيتُ دموعَه تسيل [وفي رواية : فرأيت عينَي رسول الله ﷺ تهملان] ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما يكره من كثرة السؤال ، ومن تكلّف ما لا يعنيه ، وفي غيرهما . وقد سبق ذكر حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، وهو متفق عليه .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النساء : باب ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ ،... رقم (٢٤٧ ، ٢٤٨).

وعن الشريد الهمداني رضي الله تعالى عنه قال : ردفتُ رسولَ الله ﷺ يوماً [وفي رواية : أردفني رسولُ الله ﷺ خلفه] فقال : « هل عندك من شعر أميةَ بن أبي الصلت شيئاً ؟ » قلت : نعم . قال : « هيه » فأنشدته بيتاً ، فقال : « هيه » ثم أنشدتُه بيتاً ، فقال : « هيه » حتى أنشدتُه مائةَ بيت . رواه مسلم[1].

ما هذه الملاطفة ؟ يردفه خلفه - بأبي هو وأمي - وهو سيد الخلق ، ثم يستنشده شعراً ؟ ولكنه الرحمة المهداة ، وليس ملكاً متجبراً متكبِّراً .

١٩- ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم : **اعتذاره عما يخشى أن يقع في نفوسهم من الهجر والقطيعة .**

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له ، فانطلقتُ ، ثم رجعتُ وقد قضيتُها ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فسلَّمتُ عليه ، فلم يردَّ عليَّ ، فوقع في قلبي ما الله أعلمُ به ، فقلتُ في نفسي : لعل رسول الله ﷺ وجَدَ عليَّ أنّي أبطأتُ عليه ، ثم سلَّمتُ عليه فلم يرد ، فوقع في قلبي أشدُّ من المرة الأولى ، ثم سلمتُ عليه فردَّ عليَّ ، وقال : « إنما منعني أن أردَّ عليكَ أني كنتُ أصلي » وكان على راحلته متوجِّها إلى غير القبلة . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

- وعن الصَّعْب بن جَثّامة رضي الله تعالى عنه ، أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشيّاً ، وهو بالأبواء (أو بودّان) فردَّه عليه رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الشعر - في أوله - رقم (١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العمل في الصلاة : باب لا يُرُدُّ السلامَ في الصلاة . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، رقم (٣٦-٣٨).

قال : فلمّا أن رأى رسولُ الله ﷺ ما في وجهي ، قال : « إنّا لم نردَّه عليك ، إلّا أنّا حُرُم ». متفق عليه[1]. وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة عندهما .

٢٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم : **استجابته دعوةَ أي فرد في المجتمع ، سواء كان من عِلية القوم ، أو صناع ، أو امرأة ، أو عبد ،... وبغض النظر عن نوعية الطعام ، حتى لو كان طعام دون ، إذ العبرة بما هو موجود** . وأقتصر على بعض النصوص .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه . قال أنس بنُ مالك : فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام . فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبّاء وقَديد . قال أنس : فرأيت رسول الله ﷺ يتتبّع الدُّبّاءَ من حوالي الصحفة . قال : فلم أزل أحبُّ الدُّبّاءَ منذ يومئذ . متفق عليه[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسيّاً ، كان طيِّبَ المرق ، فصنع لرسول الله ﷺ ، ثم جاء يدعوه . فقال : « وهذه ؟ » لعائشة . فقال : لا . فقال رسول الله ﷺ : « لا » فعاد يدعوه . فقال رسول الله ﷺ : « وهذه ؟ » قال : لا . فقال رسول الله ﷺ : « لا » ثم عاد يدعوه . فقال رسول الله ﷺ : « وهذه ؟ » قال : نعم ، في الثالثة . فقاما يتدافعان حتى أتيا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب جزاء الصيد : باب إذا أهدى للمحرم حماراً وحشيئاً حيّاً لم يقبل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم الصيد للمحرم ، رقم (٥٠ـ ٥٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب الخياط ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين ، رقم (١٤٤ـ ١٤٥).

منزلَه . رواه مسلم[1]. وسيأتي ذكره بعد قليل والتعليق عليه .

٢١ـ ومن رحمته ﷺ وشفقته وعطفه وحرصه على أصحابه رضي الله تعالى عنهم : **أنه ﷺ لا يأمرهم إلا بما يستطيعون ، وأنه إذا بايعهم على أمر يلقِّنهم فيما استطعتم ، وكان ﷺ يفعل ذلك بالرجال والنساء على حدٍّ سواء .**

وقد سبق ذكر هذا الموضوع من قبل . لذا أشير إشارة من غير عزو .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « دعوني ما تركتُكم ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم سُؤالُهم ، واختلافُهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ». متفق عليه .

وعن عبد الله بنِ عُمر رضي الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسولَ الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعتَ ـ أو قال : استطعتم ـ ». متفق عليه .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : بايعتُ النبيَّ ﷺ على السمع والطاعة ، فلقَّنني : فيما استطعتَ ،... متفق عليه .

وسيأتي في فصل رحمته ﷺ بالنساء حديثُ أميمة رضي الله تعالى عنها .

٢٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه رضي الله تعالى عنهم : **إخباره ﷺ أن من ترك دَيناً فعليه قضاؤه ، وأن من ترك مالاً فلورثته ،** ناسخاً في ذلك ما كان من عدم صلاته على من مات وعليه دَين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام ،... رقم (١٣٩).

مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبتُه من كانوا ، ومن ترك دَيناً أو ضياعاً فليأتني ، فأنا مولاه ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي رواية لهما : « من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك دَيناً فعليَّ قضاؤه ».

٢٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم : **طلبُه ﷺ ممن أصابه ـ ولو خطأ ـ أن يقتاد منه بمثل ما أُصيب** . وقد كثرت النصوص في ذلك ، أقتصر على اثنين منها .

فعن أبي ليلى الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : كان أُسَيد بن حُضَير رجلاً صالحاً ضاحكاً مليحاً ، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدِّث القومَ ، ويُضحكهم ، فطعن رسول الله ﷺ في خاصرته . فقال : أوجعتني . قال : « اقتص » قال : يا رسول الله ﷺ إن عليكَ قميصاً ، ولم يكن عليَّ قميص . قال : فرفع رسول الله ﷺ قميصه ، فاحتضنه ، ثم جعل يُقبِّل كَشحه . فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنما أردت هذا . رواه أبو داود والطبراني والبيهقي ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : بينا رسول الله ﷺ يقسم شيئاً ، أقبل رجل فأكب عليه ، فطعنه رسول الله ﷺ بعرجون كان معه ، فجرح وجهه ، فقال له رسول الله ﷺ : « تعال فاستقد » قال : قد

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستقراض : باب الصلاة على من ترك دَيناً ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفرائض : باب من ترك مالاً فلورثته ، رقم (١٥ ـ ١٧).

(٢) سنن أبي داود : كتاب الديات : باب في قبلة الجسد ، رقم (٥٢٢٤) والمعجم الكبير (١ : ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ١٧٥) والمستدرك (٣ : ٢٨٨) والسنن الكبرى (٨ : ٤٩).

عفوت يا رسول الله . رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وصححه ابن حبان[1].

وسيأتي في الفصل القادم بعض الأمور الداخلة في هذا الفصل أيضاً .

* * * * *

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٨) وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب القود من الضربة وقص الأمير من نفسه ، رقم (٤٥٣٦) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب القود في الطعنة (٨ : ٣٢ ، ٣٢ ـ ٣٣) والسنن الكبرى له (٤ : ٢٢٦ ، ٢٢٦ ـ ٢٢٧) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٤٣ ، ٤٨)

الفصل العاشر

رحمته ﷺ بالمخطئين والمخالفين من أمته في الدنيا

ومن مظاهر الرحمة المهداة من الله تعالى التي ظهرت في هذه الأمة : ما ظهرت على العصاة والمخطئين والمخالفين منها في هذه الحياة الدنيا . حيث إنهم لم يهلكوا - كما حصل في الأمم السابقة - كما أنه ﷺ كان يتحرَّق عليهم ، ويرحمهم ، ويتألم لمعصيتهم ، ومخالفتهم ، ويتمنى ألّا يكونوا قد وقعوا في ذلك ، وقد صدرت منه ﷺ عباراتٌ غاية الرِّقَّة والعطف والشفقة والرحمة بحق هؤلاء الذين استزلهم الشيطان ، فوقعوا في فخه .

فمن تلك المظاهر :

١- أنه ﷺ لم يَدْعُ على العصاة والمخالفين والمخطئين من أمته ، ونهى ﷺ عن سبهم ، وعن لعنهم ، أثناء ارتكابهم للمعصية ، بل طلب ﷺ الدعاءَ لهم بالمغفرة والرحمة . لأنهم ما زالوا في حظيرة الإيمان ، وحصن محبتهم لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ ، ولأن الدعاءَ عليهم ولعنَهم مدعاةٌ لاستغلال العدو بإبعادهم عن الإيمان ، وإعانة للشيطان عليهم .

اللهم إلا الذين فعلوا ذلك عناداً واستكباراً ، ولا يريد أن يُرحم ، ولا يأبه بالعذاب ، وتأخذه العزة بالإثم - كما هو الحال في الذي رفض الأكل بيمينه - مع قدرته على ذلك - مدَّعياً عدم قدرته واستطاعته على ذلك ، رافضاً طلب رسول الله ﷺ الرحيم ، فلم يرفعها إلى فيه عقوبة له على عناده واستكباره[1]. ثم أسلم بعد ذلك .

---

(١) انظر : صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام ، رقم (١٠٧).

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أُتي النبي ﷺ بسكران ، فأَمر بضربه ، فمنا من يضربه بيده ، ومنا من يضربه بنعله ، ومنا من يضربه بثوبه ، فلما انصرف ؛ قال رجل : مالَهُ ، أخزاه الله . فقال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيكم ». رواه البخاري[1].

وفي رواية له : « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان ».

زاد في رواية أبي داود ، ورواه آخرون بنحوه[2] « ولكن قولوا : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ».

بل نهى رسول الله ﷺ عن لعنه ، وأثبت له المحبة ، وإن كان مقصِّراً ، مع تكراره لشرب الخمر ، وإقامة الحدِّ عليه في كل مرة ، ومع هذا فقد نهى ﷺ عن لعنه ، فأثبت له المحبة وإن كان مقصِّراً .

فعن عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً كان على عهد النبيِّ ﷺ ، كان اسمه عبد الله ، وكان يلقَّب حِماراً ، وكان يُضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبيُّ ﷺ قد جلده في الشراب ، فأُتِي به يوماً ، فأَمر به فجُلِد ، فقال رجلٌ من القوم : اللهم العَنْه ، ما أكثر ما يُؤتَى به . فقال النبيُّ ﷺ : « لا تلعنوه ، فوالله ما علمتُ أنه يحب الله ورسوله ». رواه البخاري[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب الضرب بالجريد والنعال ، وباب ما يكره من لعن الشارب ، وأنه ليس بخارج من الملة .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب الحد في الخمر ، رقم (٤٤٧٨) والسنن الكبرى للنسائي (٣ : ٢٥٢) وشرح السنة (١٠ : ٣٣٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٣١٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب ما يكره من لعن الشارب ، وأنه ليس بخارج من الملة .

٢ـ ومن مظاهر الرحمة المهداة من الله عز وجل إلى هذه الأمة : **شمولها للمخطئين والمخالفين ، حيث إنه ﷺ يكون معهم في غاية اللطف والعطف والشفقة ، خاصة إذا كانت مخالفتهم ناتجةً عن خطأ أو تقصير** ، وقد كثرت النصوص في ذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال : هلكتُ يا رسول الله ، قال : « ما أهلكك ؟ » قال : وقعتُ على امرأتي في رمضان . قال : « هل تجدُ ما تعتق رقبةً ؟ » قال : لا . قال : « فهل تستطيع أن تصومَ شهرين متتابعَين ؟ » قال : لا . قال : « فهل تجدُ ما تطعم ستين مسكيناً ؟ » قال : لا . قال : ثم جلس . فأُتِي النبيُّ ﷺ بعَرَق [الزنبيل] فيه تمر . فقال : « تصدَّق بهذا » قال : أفقرَ منا ؟ فما بين لابتيها أهلُ بيت أحوجُ إليه منّا . فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : « اذهب ، فأطعمه أهلَك ». متفق عليه[1].

ورَوياه من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بنحوه .

جاء وهو يظن أنه هالك ، وعاد وقد أخذ زنبيل التمر ، ورسول الله ﷺ **يضحك** .

زاد في حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، فقال ﷺ : « ما حملك على ذلك ، يرحمك الله؟ ». رواه أصحاب السنن ، وصححه الترمذي والحاكم[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب إذا جامع في رمضان ، وباب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتُصدِّق عليه فليكفِّر ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ،... رقم (٨١ ـ ٨٧).

(٢) سنن أبي داود : كتاب الطلاق : باب الظهار ، رقم (٢٢٢٥) وسنن الترمذي : كتاب =

ما أرحمه ﷺ وأعطفه وأشفقه ، حيث خاطب الرجل الذي قدم وهو يظن الهلاك بمنتهى اللطف واللين والتوجع عليه « يرحمك الله » ولكن لا يُستغرب ذلك منه ، لأن الله تعالى جعله كذلك .

وعن سلمة بن صخر البياضي الأنصاري رضي الله تعالى عنه ـ وهو المواقِع ـ قال : فرجعت إلى قومي ، فقلتُ : وجدتُ عندكم الضيقَ وسوءَ الرأي ، ووجدتُ عند النبي ﷺ السعةَ والبركةَ ، وقد أَمَرَ لي بصدقتكم ، فادفعوها إلي . رواه أبو داود والترمذي ـ وحسنه ـ وابن ماجه وابن الجارود ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[1].

٣ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ بالمخطئين والمقصرين من هذه الأمة : **أنه ﷺ ما سُئل عن شيء قُدِّم أو أُخِّر من أعمال يوم النحر في الحج : إلا قال ﷺ : « افعل ولا حرج » ولم يشقّ على الأمة في ذلك** ، والنصوص في ذلك كثيرة ، أقتصر على واحد منها .

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ، فجاء رجلٌ فقال : لم أشعر فحلقتُ قبل أن أذبح ، فقال : « اذبح ولا حرج » فجاء آخر فقال : لم

= الطلاق : باب ما جاء في المظاهر يواقع قبل أن يكفِّر ، رقم (١١٩٩) وسنن النسائي : كتاب الطلاق : باب الظهار (٦ : ١٦٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الطلاق : باب المظاهر يجامع قبل أن يكفِّر ، رقم (٢٠٦٥) والمستدرك (٢ : ٢٠٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٣٨٦) وانظر التلخيص الحبير (٣ : ٢٢١ ـ ٢٢٢).

(١) سنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٢١٣) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : سورة المجادلة ، رقم (٣٢٩٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الطلاق : باب الظهار ، رقم (٢٠٦٢) والمنتقى (٢٤٨ ـ ٢٤٩ رقم ٧٤٤) والمستدرك (٢ : ٢٠٣).

أشعر فنحرتُ قبل أن أرمي ، فقال : « ارم ولا حرج » فما سُئل النبيُّ ﷺ عن شيء قُدِّم ولا أُخِّر إلا قال : « افعل ولا حرج ». متفق عليه[1].

٤ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ بالمخطئين والمخالفين لأمر الله تعالى وأمر رسوله الكريم ﷺ : نهيه ﷺ **الصحابة رضي الله تعالى عنهم الذين زجروا الأعرابيَّ الذي بال في المسجد ، أن يقطع بوله ؛ خوفاً عليه ألّا يتضرر ، وحتى لا يلوّث مكاناً أوسع من المسجد ، وأمرهم أن يتركوه حتى ينتهي من بوله في مكانه** ، وعليهم أن يصبّوا على مكان بوله دلواً من ماء ، لأن أرضَ المسجد ـ آنذاك ـ كانت من التراب ، ولم تكن مبلطة ، أو فيها فراش ونحوه ، ثم إنه ﷺ دعاه وبيّن له ـ في غاية الرِّقة واللطف ـ أن هذا الفعل لا يجوز ، كما بيَّن له وظائف المسجد ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قام أعرابي فبال في المسجد ، فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « دعوه ، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء ـ أو سَجْلاً من ماء ـ فإنما بُعثتُم مبشرين [وفي رواية : مُيَسِّرين] ولم تُبعثوا معسرين ». متفق عليه[2].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء أعرابيٌّ فبال في طائفة المسجد ، فزجره الناس ، فنهاهم النبيُّ ﷺ [وقال : «لا تُزْرِموه »] فلما قضى بوله ؛

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي ، رقم (٣٢٧ـ ٣٣٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب صب الماء على البول في المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ،... رقم (٩٨ـ ١٠٠).

أمر النبيُّ ﷺ بذّنوبٍ من ماء فأُهريق عليه . متفق عليه[1].

زاد مسلم[2]ـ في حديث أنس رضي الله تعالى عنه ـ ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ مِن هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن ».

٥ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ مع المخطئين والمذنبين ؛ **ما ظهر يوم جاءه ماعزٌ ، يدَّعي ارتكابَه جريمةَ الزنا ، وكيف حاول ﷺ التأكد من فعله** ، هل ارتكبها فعلاً ، أم فعل ما ليس بزنا وتصور أنه زنا . بل طلب من يشم فمه هل هو سكران ، كما سأل عن عقله ،...الخ.

فعن نعيم بن هزّال رضي الله تعالى عنه قال : كان ماعزُ بنُ مالك في حجر أبي ، فأصاب جاريةً من الحي ، فقال له أبي : ائت رسول الله ﷺ ، فأخبره بما صنعتَ ، لعلّه يستغفر لك ـ وإنما يريد بذلك رجاءَ أن يكون له مخرج ـ فأتاه فقال : يا رسول الله ؛ إني زنيتُ ، فأقم عليَّ كتابَ الله . فأعرض عنه ، فعاد ، فقال : يا رسول الله ؛ إني زنيتُ ، فأقم عليَّ كتابَ الله . فأعرض عنه ، ثم أتاه الثالثةَ ، فقال : يا رسول الله ؛ إني زنيتُ فأقم عليَّ كتابَ الله . ثم أتاه الرابعةَ ، فقال : يا رسول الله ، إني زنيتُ ، فأقم عليَّ كتابَ الله .

فقال رسول الله ﷺ : « إنك قلتها أربعَ مرات ، فبمن ؟ » قال : بفلانة . قال : « هل ضاجعتَها ؟ » قال : نعم . قال : « هل باشرتَها ؟ » قال : نعم . قال : « هل جامعتَها ؟ » قال : نعم [زاد في رواية : فبعث إلى قومه ، فسألهم :

---

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ،... رقم (٩٨ ـ ٩٩).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٠).

« أبه جنون ؟ » قالوا : لا . فسأل عنه : « أثيبٌ ، أم بكر ؟ » قالوا : ثيب] قال : فأَمر به أن يُرجم .

قال : فأُخرج به إلى الحَرَّة ، فلما رُجم ، فوجد مسَّ الحجارة ، جزع ، فخرج يشتد ، فلقيه عبدُ الله بن أُنيس ـ وقد أعجز أصحابَه ـ فنزع له بوظيف [ساق] بعير ، فرماه به ، فقتله . قال : ثم أتى النبيَّ ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال : « هلّا تركتموه لعله يتوب ، فيتوب الله عليه ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي والبيهقي والطبراني ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

ونظير ذلك ما حصل مع المرأة الغامدية ، وحديثها في الصحيح .

٦ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **تنبيه من أخطأ منهم بلطف ولين وسهولة ، وليس بفظاظة وغلظة وخشونة .**

فعن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله تعالى عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ؛ إذ عطس رجل من القوم ، فقلتُ : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلتُ : واثُكْلَ أُمِّياهْ ما شأنكم ! تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يُصَمِّتونَني . لكني سكتُّ .

فلما صلى رسول الله ﷺ . فبأبي هو وأمي ما رأيت معلِّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني . قال : « إن هذه

(١) مسند أحمد (٥ : ٢١٦ ـ ٢١٧ ، ٢١٧ من طرق) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٧١ ـ ٧٢ ، ٧٨ ـ ٧٩) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب رجم ماعز بن مالك ، رقم (٤٤١٩) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٢٩٠ ـ ٢٩١) والمعجم الكبير (٢٢ : ٢٠٢) والمستدرك (٤ : ٣٦٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٢١٩) وانظر ما يأتي عند رقم (١٣) ففيه زيادة تخريج .

الصلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس ، إنما هو التسبيح وقراءةُ القرآن ». رواه مسلم[1].

٧ـ لقد كان النصر ـ في بادئ الأمر ـ للمسلمين في غزوة أُحُد ، ولما رأى بعضُ الرماة انهزامَ قريش ، ودخولَ المسلمين معسكرَهم ، ظنوا أن المعركة انتهت ، لذا قرروا النزول من الجبل ، مخالفين أمرَ رسول الله ﷺ ، وتحذيرَ أميرهم رضي الله تعالى عنه ، ليتم أمر الله تعالى ، فاغتنمها خالد بنُ الوليد وعكرمة ابن أبي جهل ـ وكانا آنذاك مع المشركين ـ فانقلب الميزان ، إضافة لما حصل من مناداة إبليس ـ كذباً ـ بمقتل النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وكذا قول ابن قمئة الخبيث بذلك ، فحصل أمر الله تعالى ، وأصيب النبيُّ الكريم ﷺ ، فكسرت رباعيته الشريفة ، وشجت وجنته الكريمة ،... وقُتل من قُتل من المسلمين ، ممن خصّه الله تعالى بالشهادة .

ومع هذا ، **فإن من رحمة الله تعالى بهذه الصفوة من الخلق : أن يطلب الله تعالى من نبيّه الكريم ﷺ أن يعفو عمن كان السبب ، وأن يُسقط حقَّه الشخصيَّ في ذلك ، وأن يستغفر الله تعالى حقَّه لهم أيضاً ، وأن يتَغاضى عن تلك الزَّلَّةِ منهم ، ويعتبرها كأنها لم تكن ، فيعيد لهم اعتبارهم ، ويشاورهم في الأمر ، لأن الله تعالى غفور رحيم .**

قال الله تعالى مخاطباً نبيَّه الكريمَ ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحته ، رقم (٣٣).

(٢) سورة آل عمران (١٥٩)

فبعد أن بين الله تعالى أن الرحمة الموجودةَ في النبي المصطفى الكريم ﷺ هي من الله تعالى ، وأنها ليست مكتسبةً ، وأنه ﷺ لو كان فظّاً غليظ القلب لتركوه وانفضوا عنه : طلب تعالى منه المطالب الثلاثة التي ذكرتُها ، وكان كذلك ، فلم يعنّف أحداً ، ولم يعاتب أحداً ، والله تعالى أعلم .

وإذا كان النبي المصطفى الكريم ﷺ قد سامح الكفار ـ يوم أُحُدٍ ـ وعفا عن من ارتكب معه ما حصل ، فقال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ـ متفق عليه ، من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى[1]. فلأن يعفو عن المؤمنين الصالحين المتقين زَلّتَهم من باب أولى .

فيكون قد برزت المغفرتان والعَفْوان ؛ عن المؤمنين الصالحين ، وعن الكفار المعاندين المحاربين ، فكانت الرحمة الكاملة الشاملة المهداة من الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

٨ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **تنبيه من أحرم بجبته ، وهو متضمخ بالطيب : في غاية اللطف والرحمة** ، فلم يضربه ولم يرفع صوته عليه . بل أجابه في غاية الشفقة ، لأن الذي فعله إنما كان عن جهل منه ، وليس عن قصد المخالفة . لذا عامله ﷺ معاملة رقيقة ، ولم يعامله معاملة قاسية .

فعن يَعْلى بنِ أميةَ رضي الله تعالى عنه ، قال لعمر رضي الله تعالى عنه : أرني النبيَّ ﷺ حين يُوحى إليه . قال : فبينما النبيُّ ﷺ بالجِعْرانَةِ ـ ومعه نفرٌ من أصحابه ـ جاءه رجلٌ فقال : يا رسول الله ؛ كيف ترى في رجلٍ أَحْرَم

---

(١) انظر : رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، فقد توسعت في بيان ذلك .

بعمرةٍ وهو متضمِّخٌ بطيب ؟ فسكت النبيُّ ﷺ ساعةً ، فجاءه الوحيُ ، فأشار عمرُ رضي الله تعالى عنه إلى يَعْلى ، فجاء يَعْلى - وعلى رسول الله ﷺ ثوبٌ قد أُظِلَّ به - فأدخلَ رأسَه ، فإذا رسولُ الله ﷺ مُحمرُّ الوجهِ ، وهو يَغطُّ ، ثم سُرِّيَ عنه ، فقال : « أين الذي سأل عن العمرةِ ؟ » فأُتي برجلٍ ، فقال : « اغسل الطيبَ الذي بك ثلاثَ مراتٍ ، وانزع عنك الجُبَّةَ ، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك » . متفق عليه ، واللفظ للبخاري(1) .

٩- ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **أنه ﷺ إذا أمر أصحابه رضي الله تعالى عنهم بأمر - ولم يفعله قبلهم - فأبطؤوا عليه بالتنفيذ ، لوجود عذر عندهم : عرف ذلك في وجهه ، فيفعل ذلك قبلهم ، أو يبيّن لهم السبب في عدم فعله قبلهم حتى لا يهلكوا بمخالفتهم .**

فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ومروان رحمه الله تعالى - في قصة صلح الحُدَيْبِيَة - وفي آخره ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا فانحروا ، ثم احلقوا » قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاثَ مرات . فلما لم يقم منهم أحدٌ دخل على أمِّ سلمة رضي الله عنها ، فذكر لها ما لقي من الناس [زاد أبو المليح في روايته فقال : « هلك المسلمون ، أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا »] فقالت أمُّ سلمة : يا نبي الله ؛ أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلِّم أحداً منهم كلمة ، حتى تنحر بُدْنَك ، وتدعو حالقَك فيحلقك . فخرج ، فلم يكلِّم أحداً منهم ، حتى فعل ذلك ؛ نحر بُدْنَه ، ودعا حالقه

(1) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة ، وما لا يباح، رقم (٦ - ١٠).

فحلقه . فلما رأوا ذلك ، قاموا فنحروا ، وجعل بعضُهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضاً غمّاً . رواه البخاري[1].

لِمَ توقف الصحابة رضي الله تعالى عنهم في بادئ الأمر عن التنفيذ؟[2].

ـ احتمال أن يكونوا رضي الله تعالى عنهم فهموا أن الأمر للندب .

ـ أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور ، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام النسك .

ـ أو أبْهَتَهُم صورةُ الحال ، فاستغرقوا في الفكر عما أصابهم فيما يظنون من ذلٍّ عند أنفسهم ، مع وجود القوة عندهم .

ـ أو أخّروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمرَ المطلق لا يقتضي الفور .

ـ أو أنهم رضي الله تعالى عنهم احتمل عندهم أن النبي المصطفى الكريم ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم ، وأنه هو يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حقِّ نفسه ﷺ .

ـ أو أنهم اعتادوا أنه ﷺ إذا أمرهم بأمر فعله قبلهم ، لا أن يُمسك عنه ، فلما رأوه ﷺ قد أمسك عن التحلل ارتابوا ، فلما رأوه ﷺ قد فعل : بادروا إلى فعل ما أمرهم به ، إذ لم يبق بعد ذلك غاية تُنتظر ، فكان الفعل المنضم إلى القول أبلغَ من القول المجرد ، والله تعالى أعلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ،...

(٢) انظر فتح الباري (٥ : ٣٤٧) وسبل الهدى والرشاد (٥ : ١٢٦).

(٣) وانظر : محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (٢٩٢ ـ ٢٩٤) فقد ذكرت حادثة مشابهة وهي قصة أمره ﷺ لهم رضي الله تعالى عنهم يوم قدم في حجة الوداع ، وأمر ﷺ من لم يسق الهدي بالتحلل الكامل بعد أداء الطواف والسعي .

١٠ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **أنه ﷺ ما كان يجابه أحداً أخطأ يخصّه بالخطاب ، بل كان يعمِّم ، فيقول : « ما بال أقوام » وفي ذلك تعمية على المخطئ ، وعدم تبكيته** ، حتى لا ينكسر خاطره ، وليكون الحكم شاملاً لكل من كان على شاكلته . أقتصر على ذكر ثلاثة نصوص ، مما ورد في الصحيحين .

عن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن نفراً من أصحاب النبيِّ ﷺ سألوا أزواج النبيِّ ﷺ عن عمله في السِّرِّ ؟ فقال بعضُهم : لا أتزوَّجُ النساءَ . وقال بعضُهم : لا آكلُ اللحمَ . وقال بعضُهم : لا أنامُ الليلَ . فحمد اللهَ وأثنى عليه فقال : « ما بال أقوامٍ قالوا كذا وكذا ؟ لكني أُصلّي وأنامُ ، وأصومُ وأُفطر ، وأتزوَّجُ النساءَ ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟ » فاشتد قولُه في ذلك حتى قال : « لينتهُنَّ عن ذلك أو لتُخطفن أبصارُهم ». رواه البخاري[2].

وعن عائشة رضي الله عنها ـ في قصة اعتاق بريرة رضي الله عنها ـ وفيه ، ثم خطب رسول الله ﷺ عَشيَّةً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب الترغيب في النكاح . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ،... رقم (٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة .

وقد عزاه ابنُ الأثير رحمه الله تعالى في جامع الأصول لمسلم ، ولم أره عند مسلم في مظانه ، ولكنه أخرج نحوه من حديث جابر بن سمرة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ، فانظرهما فيه : كتاب الصلاة : باب النهي عن رفع البصر في الصلاة إلى السماء ، رقم (١١٧ ، ١١٨).

« أمّا بعدُ ، فما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ... » الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

١١ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **رفقُه ﷺ بمن وقعت عليه فدية ، وشفقته عليه ، مع مراعاة حال من وجبت في حقه ، من غير تعالٍ ولا سطوة .**

فعن كعب بن عُجرة رضي الله تعالى عنه ، أنه خرج مع النبيِّ ﷺ مُحْرِماً ، فقَمِل رأسُه ولحيتُه ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فأرسل إليه [زاد في رواية : ما كنت أُرى أن الجهدَ بلغ منك ما أرى] فدعا الحلّاق فحلق رأسَه ، ثم قال له : « هل عندك نُسكٌ ؟ » قال : ما أقدر عليه ، فأمره أن يصومَ ثلاثةَ أيام ، أو يُطعمَ ستةَ مساكين ، لكل مسكينين صاعٌ . فأنزل الله عز وجل فيه خاصة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾[2]. ثم كانت للمسلمين عامة . متفق عليه[3].

فقد خيّره رسول الله ﷺ بين الصيام والإطعام والفدية بذبح شاة ، فنزل تصديق ذلك في كتاب الله تعالى .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب البيع والشراء مع النساء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العتق : باب إنما الولاء لمن أعتق ، رقم (٥ ـ ٨).

(٢) سورة البقرة (١٩٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المحصر : باب الإطعام في الفدية نصف صاع ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ،... رقم (٨٠ـ٨٦).

١٢ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **أنه ﷺ لم يعنّف الذين صلّوا في بيوتهم ، ولم يصلّوا معه ، ثم حضروا مجلسه ، وأرشدهم إلى الصواب .**

فعن يزيد بن الأسود رضي الله تعالى عنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ حجَّتَه ، قال : فصلّيتُ معه صلاة الفجر في مسجد الخَيْف ، فلما قضى صلاتَه إذا هو برجُلَين في آخر المسجد لم يُصلِّيا معه ، فقال : « عليَّ بهما » فأُتي بهما تُرعَدُ فرائصُهما . قال : « ما منعكما أن تصلِّيا معنا ؟ » قالا : يا رسول الله ؛ كنا صلّينا في رحالنا . قال : « فلا تفعلا ، إذا صليتُما في رحالكما ، ثم أتيتُما مسجدَ جماعةٍ ، فصلِّيا معهم ، إنها لكما نافلة » .

قال : فقال أحدُهما : استغفر لي يا رسول الله ، فاستغفر له ،... الحديث ، رواه أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والطيالسي والدارمي والأربعة ـ في آخرين ـ وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان وابن السكن[1] .

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٦٠ ـ ١٦١) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٤٢١) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥) ومسند الطيالسي (١٧٥رقم١٢٤٧) وسنن الدارمي (١ : ٢٥٨) والآحاد والمثاني (١٤٦٢) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب من صلى في منزله ثم أدرك الجماعة يصلي معهم ، رقم (٥٧٥ ، ٥٧٦) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في الرجل يصلي وحده ثم يدرك الجماعة ، رقم (٢١٩) وسنن النسائي : كتاب الإمامة : باب إعادة الفجر مع الجماعة لمن صلى وحده (٢ : ١١٢ ـ ١١٣) والسنن الكبرى له (١ : ٣٩٦) مختصراً ، وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٢٦٢) (٣ : ٦٧ ، ١٠٥ ـ ١٠٦) وصحيح ابن حبان (٤ : ٤٣١ ـ ٤٣٤ من طريقين) والمستدرك (١ : ٢٤٤ ـ ٢٤٥) والمعجم الكبير (٢٢ : ٢٣٤ ـ ٢٣٦ من طرق) وسنن الدارقطني (١ : ٤١٣ ـ ٤١٤ من طرق) وشرح معاني الآثار (١ : ٣٦٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٣٠١) والتلخيص الحبير (٢ : ٢٩).

وعن محجن بن الأدرع رضي الله عنه ، أنه كان في مجلسٍ مع رسول الله ﷺ ، فأُذِّن بالصلاة ، فقام رسول الله ﷺ فصلّى ، ثم رجع ، ومحجن في مجلسه لم يُصلِّ معه . فقال له رسول الله ﷺ : « ما منعك أن تُصلِّيَ مع الناس ؟ ألستَ برجل مسلم ؟ » فقال : بلى ، يا رسول الله ؛ ولكنّي قد صلّيتُ في أهلي . فقال له رسول الله ﷺ : « إذا جئتَ فصلِّ مع الناس ، وإن كنتَ قد صلَّيتَ » . رواه مالك والشافعي وعبد الرزاق وأحمد والنسائي والطحاوي والدارقطني ، وصححه ابن حبان والحاكم[1] . وإسناده حسن .

فلم يضربهم ، ولم يسبهم ، بل أرشدهم إلى ما يزيل الشبهة عنهم ، لأنهم لو بقوا كما هم ؛ لظُن أنهم غير مسلمين مثلاً ، ولظُن فيهم الظنون .

١٣ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **حثّه ﷺ على تعافي الحدود فيما بين المسلمين ، وحثه ﷺ صاحب الحق على إسقاط حقه ، وعلى الستر على المخطئين ، والشفاعة فيما يقتضي التعزير ، وذلك كله قبل رفعها إلى الإمام** ، لأنه إذا وصلت الإمام ، فيجب أن تقام الحدود ، وإلّا كان معطِّلاً لها .

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله

---

(١) الموطأ (١ : ١٣٢) والأم (٧ : ١٩٧) والسنن (١ : ١٢١رقم ٦) والمسند (٢١٤) ومسند أحمد (٤ : ٣٤ ، ٢١٥ ، ٣٣٨) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٤٢٠ ، ٤٢١) وسنن النسائي : كتاب الإمامة : باب إعادة الصلاة مع الجماعة بعد صلاة الرجل لنفسه (٢ : ١١٢) والسنن الكبرى له (١ : ٢٩٩) والآحاد والمثاني (٢ : ٢٠٦) وشرح معاني الآثار (١ : ٣٦٢ ـ ٣٦٣) وسنن الدارقطني (١ : ٤١٥) وشرح السنة (٣ : ٤٣٠) وحسنه ، والمعجم الكبير (٢٠ : ٢٩٣ ـ ٢٩٦ من طرق) وصحيح ابن حبان (٦ : ١٦٤ ـ ١٦٥) والمستدرك (١ : ٢٤٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٣٠٠).

ﷺ قال : « تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حَدٍّ فقد وجب ». رواه أبو داود والنسائي والبيهقي ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وصححه الحافظ أيضاً[1].

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « المسلمُ أخو المسلم ،... ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ...ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ». رواه مسلم[3].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى من مسلم عورةً فسترها ، كان كمن أحيا موؤودةً من قبرها ». رواه أحمد والطيالسي والبخاري ـ في الأدب المفرد ـ وأبو داود والنسائي والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[4].

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الحدود : باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان ، رقم (٤٣٧٦) وسنن النسائي : كتاب السارق : باب ما يكون حرزاً وما لا يكون (٨ : ٧٠) والسنن الكبرى له (٤ : ٣٣٠) والمستدرك (٤ : ٣٨٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٣٣١) وشرح السنة (١٠ : ٣٣٠) وفتح الباري (١٢ : ٨٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه. وصحيح مسلم : كتاب البر : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٨).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر ، رقم (٣٨) وكتاب البر والصلة : باب بشارة من ستر الله عيبه في الدنيا ، بأن يستر عليه في الآخرة ، رقم (٧٢).

(٤) مسند أحمد (٤ : ١٤٧ ، ١٥٨) والأدب المفرد (٢٥٧ ـ ٢٥٨) ومسند الطيالسي، رقم (١٠٠٥) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الستر على المسلم ، رقم (٤٨٩١) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الرجم : باب الترغيب في ستر العورة (٤ : ٣٠٧ـ٣٠٨) وصحيح =

وعن نعيم بن هزّال رضي الله تعالى عنه ـ في قصة ماعز ، وإقامة الحد عليه ، وفيه ، قوله ﷺ : « يا هزّال ؛ لو كنتَ سترتَه بثوبك كان خيراً مما صنعت به ». رواه أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي والطحاوي وابن عبد البر ـ في آخرين ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه ، أنه نام في المسجد ، وتوسّد رداءَه ، فجاء سارقٌ فأخذ رداءَه ، فأخذ صفوانُ السارقَ ، فجاء به إلى النبي ﷺ ، فأمر به رسول الله ﷺ أن تُقطعَ يدُه ، فقال صفوان : يا رسول الله ؛ إني لم أُرد هذا ، هو عليه صدقة ، فقال رسول الله ﷺ : « فهلّا قبل أن تأتيني به ». رواه مالك والشافعي وأحمد وابن الجارود وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني ، وصححه الحاكم وصاحب التنقيح[2].

= ابن حبان (٤ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥) والمستدرك (٤ : ٣٨٤) والمعجم الكبير (١٧ : ٣١٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٣٣١) وشعب الإيمان (٥ : ٢٨٠) (٧ : ١٠٥).

(١) مسند أحمد (٥ : ٢١٧من طرق) ومصنف عبد الرزاق (٧ : ٣٢٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٧٨ ـ ٧٩) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب في الستر على أهل الحدود ، رقم (٤٣٧٧) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٣٠٥ ـ ٣٠٧ من طرق) وشرح مشكل الآثار (١٢ : ٤٦٣) والكنى للدولابي (١ : ١٠٥) والمعجم الكبير (٢٢ : ٢٠١ ـ ٢٠٢) والمستدرك (٤ : ٣٦٣) والتمهيد (٢٣ : ١٢٥ ، ١٢٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٠ ـ ٣٣١) وانظر عند رقم (٥) ففيه زيادة تخريج .

(٢) الموطأ (٢ : ٨٣٤ ـ ٨٣٥) والأم (٦ : ١١٦) والمسند (٣٣٥) والسنن (٢ : ١٨٠) والموطأ رواية محمد بن الحسن (٢٣٧ ـ ٢٣٨) من طريقه ، وهو مرسل عندهم . ومسند أحمد (٣ : ٤٠١) (٦ : ٤٦٥ ـ ٤٦٦ من طرق) والمنتقى لابن الجارود (٢٨١) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب من سرق من حرز ، رقم (٤٣٩٤) وسنن النسائي : كتاب قطع السارق : باب ما يكون حرزاً وما لا يكون (٨ : ٦٨ ـ ٧٠ من طرق) والسنن الكبرى له (٤ : ٣٢٨ ـ ٣٣٠ =

ولهذا كان ﷺ يتأثر إذا أُتي بمن ارتكب ذنباً ، وكان يتمنى أن يتسامح الناس قبل أن يأتوا إليه ، لأن الحدَّ إذا وصل إلى الوالي يجب إقامته . ولا تجوز الشفاعة فيه بحال ، والله تعالى أعلم .

١٤ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **أنه ﷺ أرشد المسلمين لو تركوا الذي أقيم عليه الحد فهرب فأُدرك في الحرة فقُتل** ، لعله يتوب فيتوب الله تعالى عليه . لأن الحكم نفذ بطلب من الجاني ، وبقي حكم الله تعالى عليه .

ففي حديث نعيم بن هزّال رضي الله تعالى عنه في قصة رجم ماعز بن مالك رضي الله تعالى عنه ، وفيه : فأُخرج به إلى الحَرَّة ، فلما رُجم ، فوجد مسَّ الحجارة ، جزع ، فخرج يشتد ، فلقيه عبدُ الله بن أُنيس ـ وقد أعجز أصحابَه ـ فنزع له بوظيف [ساق] بعير ، فرماه به ، فقتله . قال : ثم أتى النبيَّ ﷺ ، فذكر ذلك له ، فقال : « هلّا تركتموه لعله يتوب ، فيتوب الله عليه ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي والبيهقي والطبراني ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وقد سبق ذكره عند رقم (٥).

١٥ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **إعراضه ﷺ عن الإجابة على ما لم يقع ، مع كراهيته السؤال عن ذلك** ، مع تنبيهه ﷺ على عقوبة من سأل عن أمر لم يُحرَّم ؛ فحُرِّم من أجل مسألته .

فعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم ، فحُرِّم من أجل

= من طرق) وسنن الدارقطني (٣ : ٢٠٤) والمعجم الكبير (٨ : ٥٤ـ٥٦ من طرق) والمستدرك (٤ : ٣٨٠) ونصب الراية (٣ : ٣٦٩).

مسألته ». متفق عليه[1].

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما ، أن عُوَيمراً العجلانيَّ جاء إلى عاصمِ بنِ عَدِيٍّ الأنصاريِّ ، فقال له : يا عاصم ؛ أرأيتَ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً ؛ أيقتُله فتقتلونه ، أم كيف يفعل ؟ سل لي يا عاصمُ عن ذلك رسولَ الله ﷺ . فسأل عاصمٌ رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، فكره رسولُ الله ﷺ المسائلَ وعابها ، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ ،... الحديث بطوله ، في قصة اللعان . متفق عليه[2].

١٦ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **طلبه ﷺ من بعض من حضر أن ينصح من خالف ، ولا يجابهه هو بذلك .**

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : أتانا رسول الله ﷺ زائراً في منزلنا ، فرأى رجلاً شعِثاً [قد تفرَّق شعرُه] فقال : « أما كان يجد هذا ما يُسكِّن به رأسَه ؟ ».

ورأى رجلاً [آخر] عليه ثيابٌ وسخةٌ ، فقال : « أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه ؟ ». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وأبو يعلى ، وصححه ابن حبان والحاكم[3]. وهناك عدة قضايا في ذلك أيضاً .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما يكره من كثرة السؤال ، ومن تكلّف ما لايعنيه . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب توقيره ﷺ ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ،... رقم (١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب اللعان ، ومن طلق بعد اللعان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللعان ، رقم (١ ـ ٣) وانظر فتح الباري (١٣ : ٢٦٦ ـ ٢٦٨) فقد ذكر عدداً من الأحاديث والآثار عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم في النهي عن السؤال ، مع تعيين المراد بالسؤال المنهي عنه ، وهو إما لم يقع ، وإما ما كان على سبيل التعنت .

(٣) مسند أحمد (٣ : ٣٥٧) وسنن أبي داود : كتاب اللباس : باب في غسل الثوب وفي =

١٧ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **ثناؤه ﷺ على من أقيم عليه الحدُّ ، وعدم رضاه على من تكلَّم فيه** . وقد تكرر ذلك بصور متعددة ، أقتصر على ذكر بعضها .

فعن بُرَيدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه ـ في قصة رجم ماعز رضي الله تعالى عنه ، وفي آخر الحديث : ثم جاء رسول الله ﷺ ـ وهم جلوس ـ فسلّم ثم جلس ، فقال : « استغفروا لماعز بن مالك » قال : فقالوا : غفر الله لماعز بن مالك . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لقد تاب توبةً لو قُسمت بين أمَّةٍ لوَسِعَتْهم ». رواه مسلم[١].

وعنه رضي الله عنه ـ في قصة رجم الغامدية رضي الله عنها ، وفي آخر الحديث ، وأمر ﷺ الناسَ فرجموها ، فيُقبل خالدُ بنُ الوليد بحجر ، فرمى رأسها ، فتنضَّح الدم على وجه خالد فسبَّها ، فسمع نبيُّ الله ﷺ سبَّه إياها ، فقال : « مهلاً يا خالدُ ؛ فو الذي نفسي بيده ، لقد تابت توبةً لو تابها صاحبُ مِكْسٍ لغُفر له » ثم أمر بها فصلّى عليها ، ودفنت . رواه مسلم[٢].

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة رجم المرأة الجهنية رضي الله تعالى عنها ، وفي آخره ، ثم صلّى عليها ، فقال له عُمر : تصلّي عليها يا نبيَّ الله ، وقد زنت ؟ فقال : « لقد تابت توبةً لو قُسمَت بين

= الخلقان ، رقم (٤٠٦٢) وسنن النسائي : كتاب الزينة : باب تسكين الشعر (٨ : ١٨٣ ـ ١٨٤) وفي السنن الكبرى (٤ : ٤١٠) ومسند أبي يعلى (٤ : ٢٣) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٢٩٤) والمستدرك (٤ : ١٨٥ ـ ١٨٦) وحلية الأولياء (٦ : ٧٨) وشرح السنة (١٢ : ٤٩ ـ ٥٠) وشعب الإيمان (٥ : ١٦٨) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ١٣٧) وغيرهم .

(١) صحيح مسلم : كتاب الحدود : باب من اعترف على نفسه بالزنى ، رقم (٢٢).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٣).

سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟ ». رواه مسلم[1].

وعن اللجلاج رضي الله تعالى عنه ـ في قصة الشاب الذي أقيم عليه حد الرجم رضي الله عنه ، وفي آخره فقال : فبينا نحن كذلك إذ جاء شيخٌ يسأل عن المرجوم ، فقمنا إليه ، فأخذنا بتلابيبه ، فانطلقنا به إلى النبيِّ ﷺ ، فقلنا : يا رسول الله ؛ إن هذا يسأل عن الخبيث . فقال رسول الله ﷺ : « لهو أطيب عند الله من ريح المسك » فانصرفنا مع الشيخ ، فإذا هو أبوه ، فأعنّاه على غسله وتكفينه ودفنه ، وما أدري أذكر الصلاة أم لا . رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي والطبراني والبيهقي ـ من طريقين ـ هو بهما حسن[2].

والأحاديث في ذلك متعددة ، وما ذكرته كاف ، والله تعالى هو الحافظ .

١٨ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة ﷺ وشفقته بالمذنبين والمخطئين : **عدم ذمّه من أخطأ في العبادة ، مع دعائه ﷺ له ، وتنبيهه بعدم العود ثانية ،** أي بعدم الركض ، أو بعدم الإعادة .

فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه ، أنه انتهى إلى النبيِّ ﷺ وهو راكع ، فركع قبل أن يصلَ إلى الصف . فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ فقال : « زادك الله حرصاً ، ولا تعد ». رواه البخاري[3].

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٤٧٩) والتاريخ الكبير (٧ : ٤٨٨) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب رجم ماعز بن مالك ، رقم (٤٤٣٥ ، ٤٤٣٦) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٣٨٢ـ٣٨٣ ، ٣٨٣) والمعجم الكبير (١٩ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ من طرق) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٢١٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب إذا ركع دون الصف .

تنبيه : لقد ضُبطت لفظة « ولا تعد » بثلاث صيغ : =

= أ ـ بفتح أوله وضم العين ـ من العَوْد ـ وهذه هي المشهورة .

ب ـ بضم أوله وكسر العين ـ من الإعادة .

ج ـ بفتح أوله وسكون العين ـ من العَدْوِ ـ وهو الإسراع .

الفصل الحادي عشر
رحمته ﷺ بالأعراب والجهال

ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة أيضاً : حسن معاملته ﷺ للجفاة من الأعراب ، وللجاهلين الذين شدَّدوا عليه في الخطاب ، وللذين لم يتمكن الإيمان في نفوسهم ، وللذين قد غُرِّر بهم ؛ حتى ثابوا إلى رشدهم ، وحَسُن إسلامهم ، وقد همَّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالبطش ببعضهم ، فنهاهم ﷺ عن ذلك ،...

بالإضافة إلى ملاطفته ﷺ لهم ، ومزاحه مع بعضهم ، ممن رقَّ طبعُه ، وحسنت معاملته .

والنماذج في ذلك كثيرة ، أذكر بعضها للتذكير والتنبيه .

١ـ فمن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعراب والجهال : **رحمته ﷺ وشفقته بالأعرابي الذي بال في المسجد ، فثار الناس ليقعوا به ، فنهاهم النبي الرحيم ﷺ عن ضربه أو البطش به** ، وأمرهم أن يتركوه حتى ينتهي من بوله في مكانه ، لأن انتقاله ـ قبل انتهائه ـ يضر به من ناحية ، ويلوث أماكن أخرى في المسجد ، ويصبوا ماء على موضع بوله ، ثم دعاه ﷺ فأخبره بأن هذه المساجد لا يصح فيها مثل فعله .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قام أعرابي فبال في المسجد ، فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « دعوه ، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء ـ أو سَجْلاً من ماء ـ فإنما بُعثتُم مبشرين [وفي رواية :

بُعثتم مُيسِّرين] ولم تُبعثوا مُعسِّرين ». متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء أعرابيٌّ فبال في طائفة المسجد ، فزجره الناس ، فنهاهم النبيُّ ﷺ [وقال : « لا تُزْرِموه »] فلما قضى بوله ؛ أمر النبيُّ ﷺ بذَنوبٍ من ماء فأُهريق عليه . متفق عليه[2].

زاد مسلم[3] في رواية أنس ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ مِن هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن ».

٢ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهال : **رحمته ﷺ بالذي تكلّم في الصلاة منهم ، ولا يعلم أن الصلاة تبطل بالكلام .** فلما انتهت الصلاة دعاه ﷺ وأعلمه أن الصلاة لا يصلح فيها كلام الناس ، وإنما هي للتسبيح وقراءة القرآن ، لذا عاد هذا الرجل وهو في غاية المحبة لرسول الله ﷺ ، الذي لم يضربه ولم يعنِّفه .

فعن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله تعالى عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ؛ إذ عطس رجل من القوم ، فقلتُ : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلتُ : واثُكْلَ أُمِّياهْ ما شأنكم ! تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يُصَمِّتونَني . لكني سكتُّ .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب صب الماء على البول في المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ،... رقم (٩٨ـ ١٠٠).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ،... رقم (٩٨ ـ ٩٩).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٠).

فلما صلى رسول الله ﷺ . فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني . قال : « إن هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس ، إنما هو التسبيح وقراءةُ القرآن ». رواه مسلم[1].

٣ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **تنبيهه ﷺ ذلك الأعرابي الذي حجّر سعةَ رحمة الله تعالى ، ولم يعمّم دعوتَه بالرحمة للمسلمين .**

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه ، فقال أعرابيٌّ وهو في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً . فلما سلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي : « لقد حجَّرتَ واسعاً » يريد رحمةَ الله . رواه البخاري[2].

٤ـ ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **مزحه ﷺ اللطيف مع زاهرٍ رضي الله تعالى عنه ، مع محبته ﷺ له ، وتجهيزه ﷺ له إذا أراد الخروج إلى البادية ، وقبوله الهدية منه** ، وتفاني زاهر رضي الله تعالى عنه في محبة النبي المصطفى الكريم ﷺ .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً من أهل البادية ، كان اسمه زاهراً ، وكان يُهدي إلى النبي ﷺ الهديةَ من البادية ، فيُجهِّزه النبيُّ ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زاهراً باديتنا ، ونحن حاضروه ».

وكان رسول الله ﷺ يحبُّه ، وكان رجلاً دميماً ، فأتاه رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحريم الكلام في الصلاة ،... رقم (٣٣)

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الناس والبهائم .

وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ، ولا يبصره الرجل ، فقال : أرسلني ، من هذا ؟ فالتفت ، فعرف النبيّ ﷺ ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبيِّ ﷺ حين عرفه ، وجعل رسولُ الله ﷺ يقول : « من يشتري العبدَ ؟ » فقال : يا رسول الله ؛ إذاً ـ والله ـ تجدُني كاسداً ، فقال رسول الله ﷺ : « لكن عند الله لست بكاسد » أو قال : « لكن عند الله أنت غال ». رواه عبد الرزاق وأحمد والترمذي والبزار وأبو يعلى ، وصححه ابن حبان ، في آخرين ، وصححه الحافظ ابن حجر ، وقال ابن كثير : هذا إسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين[1].

٥ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **قبوله ﷺ أن يجلس الأعرابي معه على السفرة ، وأن يأكل معه ، مع أنه لم يُسَمِّ** ، لذا استحل الشيطان الأكلَ بسبب ذلك الأعرابي .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : كنا إذا حضرنا مع النبيِّ ﷺ طعاماً لم نضع أيديَنا ، حتى يبدأ رسولُ الله ﷺ ، فيضع يده ،... الحديث بطوله في قصة الجارية والأعرابي ، واستحلال الشيطان للطعام الذي لا يُذكر اسمُ الله عليه . رواه مسلم[2].

٦ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال :

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠ : ٤٥٤ ـ ٤٥٥) ومسند أحمد (٣ : ١٦١) والشمائل للترمذي (٣٩٦ـ ٤٠٠) ومسند أبي يعلى (٦ : ١٧٣ ـ ١٧٤) والبحر الزخار (١٣ : ٣١٩ـ ٣٢٠) وكشف الأستار (٣ : ٢٧٢) وصحيح ابن حبان (١٣ : ١٠٦ ـ ١٠٧) وشرح السنة (١٣ : ١٨١) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٤٨) والمختارة (٥ : ١٨٠ ـ ١٨٢) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٦٨ ـ ٣٦٩) وشمائل الرسول ﷺ (٨٩) والإصابة (٢ : ٥٤٧).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، رقم (١٠٢).

إجابته ﷺ الأعرابي بنحو صوته ، مع أنه رفع صوته ، ورفض أن يخفضه . مع طلب الصحابة رضي الله تعالى عنهم منه ذلك .

فعن صفوان بن عسّال رضي الله عنه قال : ...بينا نحن مع رسول الله ﷺ في مسير له ، إذ ناداه أعرابيٌّ بصوت له جهوريٍّ : يا محمد ، فأجابه النبيُّ ﷺ بنحوٍ من صوته : « هاؤم » فقلنا له : اغضض من صوتك ، فإنك نُهيتَ عن هذا . فقال : لا ، والله ، لا أغضض من صوتي . فقال : يا رسول الله ، المرءُ يحبُّ القومَ ولـمّا يلحق بهم . قال : « المرءُ مع من أحبَّ » الحديث بطوله ، رواه عبد الرزاق والحميدي والطيالسي وأحمد وغيرهم ، وصححه الترمذي وابن حبان[1].

٧ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **تحمُّله ﷺ لغلظة الأعراب ، ومسامحته ﷺ لهم عما يصدر منهم ، وعدم معاملته** لهم بالمثل ،... ولو كانت غاية الغلظة والخشونة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ ، وعليه رداءٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ ، فجبذه بردائه جبذةً شديدةً ، [رجع نبيُّ الله ﷺ في نحر الأعرابيِّ ، حتى انشق البرد ، وحتى بقيت حاشيته في عنق رسول الله ﷺ] نظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦) ومسند الطيالسي (١٦٠) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩) ومسند أحمد (٤ : ٢٤٠) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ، رقم (٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٢٢) (٤ : ١٤٩ ـ ١٥١) والمعجم الكبير (٨ : ٦٤ ـ ٦٥ ، ٦٨ ـ ٧٠ ، ٧٢) وهو مروي من طرق مختصراً ومطولاً عند كثير من المصنفات .

وقد أثَّرت بها حاشيةُ الرداء ، من شدة جبذته . ثم قال : يا محمد ؛ مُر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله ﷺ ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء . متفق عليه[1].

هكذا جاءت هذه الرواية مختصرة ، لكن جاءت في الروايتين التاليتين مطولة ومفسرة .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا نقعد مع رسول الله ﷺ في المسجد ، فإذا قام قمنا . فقام يوماً وقمنا معه ، حتى لـمّا بلغ وسط المسجد أدركه رجل ، فجبذ بردائه من ورائه ـ وكان رداؤه خشناً ـ فحمَّر رقبتَه . فقال : يا محمد ؛ احمل لي على بعيرَيَّ هذين ، فإنك لا تحملُ من مالك ولا من مال أبيك . فقال رسول الله ﷺ : « لا ، وأستغفر الله ، لا أحمل لك حتى تُقيدني مما جبذتَ برقبتي » فقال الأعرابيُّ : لا ، والله ، لا أقيدك . فقال رسول الله ﷺ ذلك ثلاثَ مرّات ، كلُّ ذلك يقول : لا ، والله لا أقيدك . فلما سمعنا قولَ الأعرابي ، أقبلنا إليه سراعاً ، فالتفتَ إلينا رسول الله ﷺ فقال : « عزمتُ على من سمع كلامي أن لا يبرح مقامه حتى آذَن له » فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم : « يا فلان ؛ احمل له على بعيرٍ شعيراً ، وعلى بعيرٍ تمراً » ثم قال رسول الله ﷺ : « انصرفوا ». رواه أبو داود والنسائي وأحمد والبيهقي[2]. وشاهده حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، فهو به حسن .

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب ما كان النبيّ ﷺ يعطي المؤلفةَ قلوبهم وغيرهم من الخمس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ، رقم (١٢٨).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٨٨) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الحلم وأخلاق النبي =

٨ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **حسن مداراته ﷺ للأعراب ، وتلطفه بهم ، والغض عما يصدر منهم ، مع تنبيهه الصحابة رضي الله تعالى عنهم بما يجب أن يكونوا عليه من حسن تعاملهم لهؤلاء الأعراب الذين لا يعرفون من مداراة الحاضرة .**

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن أعرابيّاً جاء إلى النبيِّ ﷺ يستعينه في شيء ، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال : « أحسنتُ إليك ؟ » قال الأعرابيُّ : لا ، ولا أجملتَ ، قال : فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كُفّوا .

ثم قام النبيُّ ﷺ فدخل منزلَه ، ثم أرسل إلى الأعرابي ، فدعاه إلى البيت ، فقال : « إنك قد جئتَنا فسألتَنا ، فأعطيناك ، فقلتَ ما قلتَه » فزاده رسول الله ﷺ شيئاً ، ثم قال : «أحسنتُ إليك ؟ » قال الأعرابيُّ : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرةٍ خيراً .

فقال له النبيُّ ﷺ : « إنك كنتَ جئتنا فسألتَنا ، فأعطيناك ، وقلتَ ما قلتَ ، وفي أنفس أصحابي [عليك] شيءٌ من ذلك ، فإن أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يدَيَّ ، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك » قال : نعم .

فلما كان الغدُ أو العشيُّ ، جاء ، فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبَكم هذا كان جاء فسألنا ، فأعطيناه ، وقال ما قال ، وإنّا دعوناه إلى البيت فأعطيناه ، فزعم أنه قد رضي ، أكذلك ؟ ».

= ﷺ ، رقم (٤٧٧٥) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب القود من الجبذة (٨ : ٣٣ ـ ٣٤) والسنن الكبرى له (٤ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) في الكتاب والباب نفسيهما ، وشعب الإيمان (٦ : ٣٥٠ ـ ٣٥١) والآداب (١٢٥ ـ ١٢٦).

قال الأعرابيُّ : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً .

قال أبو هريرة : فقال النبيُّ ﷺ : « ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي ؛ كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحب الناقة : خلّوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها وأعلَم ، فتوجَّه لها صاحبُ الناقة ، فأخذ لها من قمام [قتام] الأرض ، فردّها هوناً هوناً هوناً ، حتى جاءت ، واستناخت ، وشدَّ عليها ، وإني لو تركتُكم حيث قال الرجل ما قال ، فقتلتموه ، دخل النار ». رواه البزار وأبو الشيخ بإسناد ضعيف كما قال الحافظ العراقي ، ولكن يشهد له الروايتان السابقتان فهو بهما حسن[1]، والله تعالى أعلم .

٩ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **إثابته ﷺ الأعراب على ما يقدمونه له من هبات ـ مع أن في بعض ما وهبوه مالَه الذي فُقِد منه ـ وتحمله ﷺ لهم عندما يرفضون تقبل ما يعطيهم .**

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن أعرابيّاً وهب للنبي ﷺ ، فأثابه عليها ، فقال : « رضيتَ ؟ » قال : لا . فزاده ، وقال : « رضيتَ ؟ » قال : نعم . فقال النبيُّ ﷺ : « لقد هممتُ أن لا أتَّهِبَ إلّا من قرشيٍّ ، أو أنصاريٍّ ، أو ثقفيٍّ ». رواه أحمد والبزار والطبراني ، وصححه ابن حبان ، وإسناد بعضهم برجال الصحيح[2].

(١) كشف الأستار (٣ : ١٥٩ ـ ١٦٠) وأخلاق النبيِّ ﷺ (٧١ ـ ٧٢) والمغني عن حمل الأسفار (٢ : ٣٧٩) بهامش الإحياء .

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٩٥) والمعجم الكبير (١١ : ١٨) وكشف الأستار (٢ : ٣٩٤ ـ ٣٩٥ ، ٣٩٥) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٢٩٦) ومجمع الزوائد (٤ : ١٤٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن أعرابيّاً أهدى إلى رسول الله ﷺ بَكْرةً ، فعوَّضَه منها ستَّ بكرات ، فتسخَّطه ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن فلاناً أهدى إليَّ ناقةً ، وهي ناقتي ، أعرفها كما أعرف بعضَ أهلي ، ذهَبَتْ مني يوم زغابات ، فعوَّضتُه ستَّ بكرات ، فظلَّ ساخطاً ، لقد هممت أن لا أقبل هديةً إلّا من قرشيٍّ ، أو أنصاريٍّ ، أو ثقفيٍّ ، أو دوسيٍّ ». رواه أحمد وعبد الرزاق والحميدي والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ، رووه مطولاً أو مختصراً ، وصححه ابن حبان ، وشاهده حديث ابن عباس رضي الله عنهما[1].

الناقة ناقتُه ، فُقدت منه ، وأخذها هذا الأعرابي ، وأهداها له ، وأعطاه ﷺ مقابل تلك الهدية ستَّ بكرات ، ويبقى ساخطاً ، فماذا يريد ؟! لو كان غيره ﷺ لما بعد أن يأخذها منه ـ طالما هي ناقته ـ ولا يعطيه شيئاً ، بل قد يعاقبه ، ولكنها الأخلاق الفاضلة التي يعلِّم بها الخليقةَ .

١٠ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **تركه ﷺ للخطبة ـ وهو على المنبر ـ وإقباله على الأعرابي والجاهل الذي يسأل عن دينه ، ويبقى معه حتى يتعلم ما يسأل عنه ، ثم يتابع ﷺ خطبته .**

فعن أبي رفاعة رضي الله تعالى عنه قال : انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وهو

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٩٢ ، ٢٤٧) ومصنف عبد الرزاق (٩ : ١٠٦) (١١ : ٦٥) ومسند الحميدي (٢ : ٤٥٣ ـ ٤٥٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٢٠١) والأدب المفرد (٢٠٥ ـ ٢٠٦) وسنن أبي داود : كتاب البيوع : باب في قبول الهدايا ، رقم (٣٥٣٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في مناقب ثقيف وبني حنيفة ، رقم (٣٩٤٥ ، ٣٩٤٦) وسنن النسائي : كتاب العمرى : باب عطية المرأة بغير إذن زوجها (٦ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠) والسنن الكبرى له (٤ : ١٣٦) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٢٩٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ١٨٠).

يخطب . قال فقلت : يا رسول الله ؛ رجلٌ غريبٌ ، جاء يسأل عن دينه ، لا يدري ما دينُه . قال : فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبتَه ، حتى انتهى إليَّ ، فأُتِيَ بكرسيٍّ ـ حسبتُ قوائمَه حديداً ـ قال : فقعد عليه رسول الله ﷺ ، وجعل يعلِّمني مما عُلِّمه ، ثم أتى خطبتَه فأتمَّ آخرَها . رواه مسلم(١) .

١١ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **قبوله المزاح اللطيف من الأعراب ، وضحكه لذلك ، وإن كان فيه بعض التعريض ببعض القبائل ، لكنه لا يشينهم بذلك .**

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ كان يوماً يحدِّث ـ وعنده رجل من أهل البادية ـ « أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربَّه في الزرع ، فقال : أَوَلستَ فيما شئتَ ؟ قال : بلى ، ولكني أحبُّ أن أزرع ، فأسرعَ وبذر فتبادر الطرفَ نباتُه واستواؤه واستحصادُه وتكويرُه أمثالَ الجبال ، فيقول الله تعالى : دونك يا ابنَ آدم ، فإنه لا يشبعك شيءٌ » .

فقال الأعرابي : يا رسول الله ؛ لا تجد هذا إلّا قرشيّاً أو أنصاريّاً ، فإنهم أصحابُ زرعٍ ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع . فضحك رسول الله ﷺ . رواه البخاري(٢) .

١٢ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **صبرُه ﷺ على إنكار الأعراب وجلافتهم فيما لو بايعوه ، وطلبهم الشاهد منه ﷺ على ما يقول ، ولم يعرف قيمته ـ بأبي هو وأمي ـ ولا قدره ، ويعامله كأنه شخص** عادي ، من بقية الناس ، ولذا كان الصحابة يلوذون بالنبي

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب حديث التعليم في الخطبة ، رقم (٦٠) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب مع أهل الجنة ، وفي غيرهما .

ﷺ ، مما يقوله هذا الأعرابي ، ولما فطن خزيمةُ رضي الله تعالى عنه ، وشهد للنبي ﷺ ، سأله ﷺ : كيف يشهد وهو لم يكن حاضراً ؟ فلما أجابه ، جعل ﷺ شهادتَه كافيةً لمن يشهد له . كما ثبت في الصحيحين .

عن عمارة بن خزيمة رحمه الله تعالى ، أن عمه حدَّثه ـ وهو من أصحاب النبيِّ ﷺ ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ ابتاع فرساً من أعرابيٍّ ، فاستتبعه النبيُّ ﷺ ليقضيَه ثمنَ فرسه ، فأسرع رسول الله ﷺ المشيَ ، وأبطأ الأعرابيُّ ، فطفق رجال يعترضون الأعرابيَّ فيساومونه بالفرس ، ولا يشعرون أن النبيَّ ﷺ ابتاعه ، حتى زاد بعضُهم الأعرابيَّ في السَّوْم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبيُّ ﷺ ، فنادى الأعرابيُّ رسولَ الله ﷺ ، فقال : إن كنتَ مبتاعاً هذا الفرسَ فابتعه ، وإلا بعتُه . فقام النبيُّ ﷺ حين سمع نداء الأعرابي ، فقال : « أَوَ لَيس قد ابتعتُه منك ؟ » قال الأعرابيُّ : لا والله ، ما بعتُك . فقال النبيَّ ﷺ : « بلى قد ابتعتُه منك » فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان ، فطفق الأعرابي يقول : هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتُك ، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك إن النبيَّ ﷺ لم يكن ليقول إلا حقّاً ، حتى جاء خزيمةُ بنُ ثابت لمراجعة النبيِّ ﷺ ومراجعة الأعرابي ، فطفق الأعرابيُّ يقول : هلمَّ شهيداً يشهد أني بايعتُك . قال خزيمة : أنا أشهد أنك قد بايعته ، فأقبل النبيُّ ﷺ على خزيمة فقال : « بم تشهد ؟ » فقال : بتصديقك يا رسول الله ، فجعل رسول الله ﷺ شهادةَ خزيمة بشهادة رجلين .

وفي رواية عن عمارة عن أبيه : فقال رسول الله ﷺ : « من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه ». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والطحاوي والطبراني وأبو الشيخ ، في آخرين بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢١٥ ـ ٢١٦) والتاريخ الكبير (١ : ٨٧) وسنن أبي داود : كتاب =

١٣ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **تحمُّله ﷺ لغلظتهم وجفائهم ، وصبره على إلحاحهم ، وحلمه عليهم ،...**

فعن جُبير بن مطعِم رضي الله تعالى عنه ، أنه بينا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مُقبلاً من حُنَين ؛ علقت رسولَ الله ﷺ الأعرابُ ، يسألونه ، حتى اضطرّوه إلى سَمُرَةٍ ، فخطِفت رداءَه . فوقف رسولُ الله ﷺ فقال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عددُ هذه العِضاهِ نَعَماً ؛ لقسمتُه بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً ». رواه البخاري[1].

١٤ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **استجابته ﷺ لهم في طلب السقيا من الله تعالى ، ولو كان على المنبر ، وهو يخطب الجمعة .**

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : أصابت الناسَ سنَةٌ على عهد النبيّ ﷺ ، فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام

= الأقضية : باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به ، رقم (٣٦٠٧) وسنن النسائي : كتاب البيوع : باب التسهيل في ترك الإشهاد على البيع (٧ : ٣٠١ ـ ٣٠٢) وشرح معاني الآثار (٤ : ١٤٦) وشرح مشكل الآثار (١٢ : ٢٩٢ ـ ٢٩٣) والآحاد والمثاني (٤ : ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨) والطبقات الكبرى (٤ : ٣٧٨ ـ ٣٨٠) والمعجم الكبير (٤ : ١٠١) (٢٢ : ٣٧٩) والمستدرك (٢ : ١٧ ـ ١٨) وأخلاق النبيّ ﷺ (٤٢) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ١٤٥ ـ ١٤٦ ، ١٤٦) وفتح الباري (٨ : ٥١٨ ـ ٥١٩) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٢٠) وانظر المطالب العالية (٣ : ٢٨٠ ـ ٢٨١) حيث عزاه لابن أبي عمر ولابن أبي شيبة ولأبي يعلى .

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب ما كان النبيّ ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ، وفي غيرهما .

أعرابيٌّ [من أهل البدو] فقال : يا رسول الله ؛ هلك المالُ ، وجاع العيالُ ، فادع الله لنا أن يسقينا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وما في السماء قزعة ، [فو الذي نفسي بيده ، ما وضعها حتى] ثار سحاب أمثالَ الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطرَ يتحادر على لحيته . قال : فمُطرنا يومنا ذلك ، وفي الغد ، ومن بعد الغد ، والذي يليه إلى الجمعة الأخرى .

وقام ذلك الأعرابي ـ أو رجلٌ غيرُه ـ فقال : يا رسول الله ؛ تهدَّم البناءُ ، وغرق المالُ ، فادع الله لنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » قال : فما جعل يشير بيده إلى ناحيةٍ من السماء إلا انفرجت ،... الحديث ، متفق عليه[1]. وله روايات متعددة .

فقد استجاب ﷺ له ، وهو على المنبر ، يخطب الجمعة ـ مع أن الكلام والإمام يخطب فيه ما فيه ـ فلم يزجره ، ولم يُنظِره ، بل استجاب له مباشرة ، وقطع خطبتَه ، ورفع يديه ، ودعا لهم ، فاستجاب الله تعالى له على الفور ، قبل أن يخفض يديه الشريفتين ، وأنزل الغيث الذي استمر أسبوعاً كاملاً حتى طلبوا رفعه من جديد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

١٥ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعراب والجهّال : **أن منع ﷺ عن ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام ، بسبب مجيء نفر من أهل البادية ضعفاء ، وأمر المسلمين المضحِّين أن يتصدّقوا على هؤلاء بما عندهم من اللحم ذلك العام** ، ثم نسخ ذلك بعدُ .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب من تمطَّر في المطر حتى يتحادر على لحيته ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب الدعاء في الاستسقاء ، رقم (٨ ـ ١٢).

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : دفّ أهلُ أبيات من أهل البادية حضْرةَ الأضحى ، زمن رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « ادَّخروا ثلاثاً ، ثم تصدَّقوا بما بقي ».

فلما كان بعد ذلك قالوا : يا رسول الله ؛ إن الناس يتخذون الأسقيةَ من ضحاياهم ، ويجملون منها الوَدَك . فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قالوا : نهيتَ أن تؤكلَ لحوم الضحايا بعد ثلاث . فقال : « إنما نهيتكم من أجل الدّافَّة التي دفَّت ، فكُلوا ، وادَّخِروا ، وتصدَّقوا ». رواه مسلم(1).

١٦ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت الأعرابَ والجهّال : **أنه ﷺ لما أتاه قوم حفاة عراة من الأعراب ؛ ورأى حالهم تألم كثيراً ، وصار يدخل بيته هل يجد شيئاً ، ويخرج ، ثم خطب ﷺ ، فحثّ على الصدقة ،** حتى تسابق المسلمون بالبذل فعرف ذلك في وجهه ﷺ .

فعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار . قال : فجاءه قوم [من الأعراب] حفاةٌ عراةٌ ؛ مجتابي النِّمار ـ أو العباء ـ متقلدي السيوف ، عامَّتُهم من مُضر ، بل كلُّهم من مُضر . فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لِما رأى بهم من الفاقة . فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام ، فصلى ، ثم خطب فقال : « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(2) إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية التي في الحشر ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ﴾(3). تصدَّق رجلٌ من ديناره ، من

(١) صحيح مسلم : كتاب الأضاحي : باب بيان ماكان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث ،... رقم (٢٨).

(٢) سورة النساء (١).

(٣) سورة الحشر (١٨).

درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُرِّه ، من صاع تمْره - حتى قال : ولو بشِقِّ تمْرة ».

قال : فجاء رجلٌ من الأنصار بصرَّةٍ كادت كفُّه تعجز عنها ، بل قد عجزت . قال : ثم تتابع الناسُ ، حتى رأيتُ كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجهَ رسول الله ﷺ يتهلَّلُ كأنه مُذْهبَةٌ . فقال رسول الله ﷺ : « من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً ، فله أجرها ، وأجرُ من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ . ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيئةً كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ ». رواه مسلم[1].

وهناك نصوص كثيرة فيها بيان صبر النبي المصطفى الكريم ﷺ على الجفاة من الأعراب والجهّال ، وتحمله لهم ، وحسن معاملته معهم ؛ يتألفهم ويرفق بهم ويرحمهم .

*****

(١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ،... رقم (٦٩ - ٧١).

الفصل الثاني عشر
رحمته ﷺ بالنساء

لقد كانت المرأة في الجاهلية لا وجود لها ، ولا قيمة ، فهي أشبه بسقط المتاع ، تُوأَد وهي طفلة ، ولا ترث من قريبها وهي كبيرة ، بل هي تورث كباقي الأمتعة ، بل حتى في الديانات الأخرى ،... فلما جاء نبي الرحمة ﷺ منحها حياتَها ، وأعاد إليها إنسانيتها ، وأعطاها من الحقوق ما كانت لتحلم هي به ، فجعلها مساويةً للرجل في كل الأمور ؛ من عبادات ومعاملات وحقوق وواجبات ، إلا ما يتناسب ووضعها في أمور معروفة ، لذا كثرت النصوص فيها ، والحث على الإحسان إليها ، سواء كانت أُمّاً ، أو امرأة ، أو بنتاً ، أو أختاً ، بل حتى لو كانت جاريةً .

ولعلمه ﷺ بحالها ووضعها وما كانت عليه : كثرت توصيته ﷺ بها . وكرَّر ذلك حتى في خطبة حجة الوداع ،...

والنصوصُ في بيان شمول تلك الرحمة بها كثيرةٌ جدّاً ، لذا فإني أقتصر على ذكر بعضها هنا ، وأذكر بعضَها في الفصل التالي لما فيه من التداخل .

١ـ فمن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء : **توصيته ﷺ بهن ، لأنهن ضعيفات** ، ويحتجن إلى العطف والشفقة والرحمة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلِقت من ضِلَع ، وإن أعوجَ ما في الضِّلَع أعلاه ، فإن ذهبتَ تُقيمَه كسرته ، وإن تركتَه لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً ».

متفق عليه[1].

وعن عَمْرو بنِ الأحوص رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « ...ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوانٌ عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غيرَ ذلك، إلّا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غيرَ مبرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقّاً، ولنسائكم عليكم حقّاً،...». الحديث بطوله، رواه الترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجه والطحاوي[2].

٢ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء: أمره ﷺ الرجال باتقاء الله تعالى فيهن، لأنهن عوان عندهم.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ـ في ذكره لحجِّ النبي الكريم ﷺ، وفيه قوله ﷺ في خطبة حجة الوداع ـ: « فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجَهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يُوطئن فرشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرِّح، ولهنَّ عليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف،... ». رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب الوصاة بالنساء، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الرضاع: باب الوصية بالنساء، رقم (٦٠).

(٢) سنن الترمذي: كتاب النكاح: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم (١١٦٣) وكتاب التفسير: باب ومن سورة التوبة، رقم (٣٠٨٧) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٧٢) وعشرة النساء (٢٤٦رقم ٢٨٧) وسنن ابن ماجه: كتاب النكاح: باب حق المرأة على زوجها، رقم (١٨٥١) وشرح مشكل الآثار (٦ : ٣٤٤) وهو جزء من حديث طويل، في خطبته ﷺ في حجة الوداع، روى كثير بعضَ أجزائها.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الحج: باب حج النبيِّ ﷺ، رقم (١٤٧).

٣ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء : بيانه ﷺ حقَّ المرأة على الرجل ، وأنها مثله في الحق ، مع أنها كانت مهضومة الجانب ، معدومةَ الحق ، مشمومةً مذمومةً .

فعن معاوية بن حَيْدَة رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تُطعمها إذا طَعمتَ ، وتكسوَها إذا اكتسيتَ ، ولا تضرب الوجهَ ، ولا تُقبِّح ، ولا تهجر إلّا في البيت » . رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبغوي والبيهقي والطبراني وابن أبي الدنيا ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1] .

ومر في حديثي جابر وعَمرو بن الأحوص رضي الله تعالى عنهما أمرُه ﷺ بالضرب غير المبرِّح ، وسيأتي الجواب عليه بعد قليل إن شاء الله تعالى .

٤ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء : أمره ﷺ من استفتاه عن أخته التي نذرت أن تحج حافية ؛ أن تركب ، ولا تحج ماشية ، حافية ، حاسرة طول الطريق .

فعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال : نذرت أختي أن تمشيَ إلى بيت الله الحرام حافيةً ، فأمرتني أن أستفتي لها رسولَ الله ﷺ . فاستفتيتُه ،

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ، ٤٤٧) (٥ : ٣ ، ٥) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في حق المرأة على زوجها ، رقم (٢١٤٢ ـ ٢١٤٤) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٧٣) (٦ : ٣٢٣) وتفسير النسائي (١ : ٣٨١) (٢ : ٢٠٦) وعشرة النساء (٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ رقم ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب حق المرأة على الزوج ، رقم (١٨٥٠) وكتاب العيال (٢ : ٦٧٤ ، ٦٧٥) وشرح السنة (٩ : ١٥٩ ـ ١٦٠) والمعجم الكبير (١٩ : ٤١٥ ، ٤٢٧ ـ ٤٢٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٤٦٦ ـ ٤٦٧) والآداب له (٥٩ رقم ٥٧) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٨٢) والمستدرك (٢ : ١٨٧ ـ ١٨٨).

فقال ﷺ : « لِتَمْشِ ، ولتركب ». متفق عليه[1].

٥ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء : أنه ﷺ يقف مع المرأة الضعيفة ، والخادمة المسكينة ، والجارية المهانة عند أهلها ،... يقضي لها حاجتها .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله ؛ إن لي إليك حاجة . فقال : « يا أم فلان ؛ انظري أيَّ السكك شئت ، حتى أقضي لك حاجتَكِ » فخلا معها في بعض الطرق ، حتى فرغت من حاجتها . لفظ مسلم[2].

وفي رواية البخاري لهذا الحديث : كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فتنطلق به حيث شاءت .

وقوله : (فخلا معها في بعض الطرق) ليس المراد به الخلوة المذمومة .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[3]: أي وقف معها في طريق مسلوك ، ليقضي حاجتَها ، ويفتيها في الخلوة ، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية ، فإن هذا كان في ممر الناس ، ومشاهدتهم إياه وإياها ، لكن لا يسمعون كلامها ، لأن مسألتها مما لا يظهره ، والله تعالى أعلم.اهـ.

٦ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء : نهيه ﷺ عن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب جزاء الصيد : باب من نذر المشي إلى الكعبة . وصحيح مسلم : كتاب النذر : باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة ، رقم (١١ ، ١٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الكبر . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب قرب النبيِّ ﷺ من الناس وتبركهم به ، رقم (٧٦).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٥ : ٨٣).

جَلْد النساء ، كما يُجلد العبدُ أو الأَمَة . لأن الفاعل كذلك ليس من خيار المسلمين .

فعن عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه قال : خطب رسول الله ﷺ ، فذكر الناقة والتي عقر ،... فذكر النساءَ فوعظ فيهن ، ثم قال : « إلام يجلدُ أحدُكم امرأتَه جلدَ الأَمَة ـ أو قال : جلْدَ العبد ـ ولعله يضاجعُها من آخر يومه ». متفق عليه[1].

وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذُباب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تضربوا إماءَ الله » قال : فذئر النساءُ ، وساءت أخلاقهن على أزواجهن .

فقال عُمَرُ بنُ الخطاب : ذئر النساءُ ، وساءت أخلاقُهن على أزواجهن منذ نهيتَ عن ضربهن . فقال النبيُّ ﷺ : « فاضربوا » فضرب الناسُ نساءَهم تلك الليلة ، فأتى نساءٌ كثير يشتكين الضربَ .

فقال النبيُّ ﷺ حين أصبح : « لقد طاف بآل محمد ﷺ الليلةَ سبعون امرأةً كلُّهن يشتكين الضربَ ، وايم الله ، لا تجدون أولئك خيارَكم ». رواه الشافعي وعبد الرزاق والدارمي والحميدي وأبو داود والنسائي وابن ماجه في آخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : باب سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٤٩).

(٢) الأم (٥ : ١٧٦) والمسند (٢٦١ ـ ٢٦٢) ومصنف عبد الرزاق (٩ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣) وسنن الدارمي (٢ : ١٤٧) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٦) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في ضرب النساء ، رقم (٢١٤٦) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٧١) وعشرة النساء (٢٤٤ ـ=

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فالضرب للتأديب جائز ، وللعدوان حرام ، وأما للنشوز فمباح ، وإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل ، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل ، لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن العشرة المطلوبة في الزوجية ، إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله تعالى[1].

٧ـ ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء : أنه ﷺ لما أخبرته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن امرأة عندها ـ وهي الحولاء بنت تويت ـ **أنها تقوم الليل ولا تنام ؛ رفق بها ، وطلب منها الاعتدال** . وعليها أن تقوم حسب الطاقة . لأن الله تعالى لا يمل حتى يمل العبد .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة ، فقال : « من هذه ؟ » قلت : فلانة ، لا تنام الليل . فقال رسول الله ﷺ : « عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووم عليه وإن قلَّ ». متفق عليه[2].

= ٢٤٥) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب ضرب النساء ، رقم (١٩٨٥) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٩٩) والمستدرك (٢ : ١٨٨ ، ١٩١) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٣٠٤ ، ٣٠٥) وكتاب العيال (٢ : ٦٧١) وشرح السنة (٩ : ١٨٦) والمعجم الكبير (١ : ٢٤٤ ـ ٢٤٥ من طرق) والإصابة (١ : ١٦٥) وصححه ، وعزاه في الفتح (٩ : ٣٠٣) لأحمد بن حنبل ، ولم أره في مظانه في المسند ، وفضائل الصحابة له ، والله تعالى أعلم .

(١) انظر الأم (٥ : ١٧٦) وفتح الباري (٩ : ٣٠٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب أحب الدِّين إلى الله أدومه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر أن يرقد ،... رقم (٢٢٠ ـ ٢٢١).

٨ـ **ومن مظاهر تلك الرحمة المهداة التي شملت النساء** : ما يحمله قلبه الكبير من شفقة على بناته رضي الله تعالى عنهن ، ومن ذلك : **قيامه ﷺ لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها عند دخولها عليه ، وتقبيلها وإجلاسها بمكانه أو بقربه ، واحتضانه لابنته الأخرى رضي الله تعالى عنها عند النزع ، ووضعها بين يديه ، حتى قضت** ، وبكاؤه لها ، ورقته عليها ، ونزوله في قبرها ، وبكاؤه ﷺ وهو على القبر ،...الخ.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاًّ برسول الله ﷺ ـ في قيامها وقعودها ـ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قالت : كان رسول الله ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحّب بها ، ثم قام إليها فقبّلها ، ثم أخذ بيدها ، فجاء بها حتى يجلسها في مكانه ،... الحديث بطوله ، في قصة إخباره ﷺ لها بقرب أجله ، وأنها أول أهله لحوقاً به ، وبكائها ثم ضحكها . رواه أبو داود والترمذي وحسنه ، والنسائي والبيهقي في آخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي[1]. وأحمد مختصراً ، وأصله في الصحيحين .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٢٨٢) والأدب المفرد (٣١٦ ـ ٣١٧ ، ٣٢٧) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ماجاء في القيام ، رقم (٥٢١٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ ، رقم (٣٨٧٢) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٩٦ ، ٣٩١ ـ ٣٩٢) وعشرة النساء له (٣٠١ ـ ٣٠٣رقم ٣٥٤ ، ٣٥٥) وفضائل الصحابة له (رقم ٢٦٤) والآحاد والمثاني (٥ : ٣٦٨) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٤٠٣ ـ ٤٠٤) والمستدرك (٤ : ٢٧٢ ـ ٢٧٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ١٠١) وروى كثير من العلماء قطعاً منه .

ابنةً له تقضي ، فاحتضنها ، فوضعها بين يديه ، فماتت وهي بين يديه ، وصاحت أمُّ أيمن ، فقال : « أتبكين عند رسول الله ﷺ ؟ » فقالت : ألستَ تبكي ؟ قال : « إني لستُ أبكي ، إنما هي رحمة ، إن المؤمن بخير على كل حال ، تُنزَعُ نفسُه من بين جنبيه ؛ وهو يحمد الله عز وجل ». رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والبزار وابن حبان برجال الصحيح ، وحسنه الحافظ[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : شهدنا بنتَ رسول الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ جالس على القبر ، فرأيت عينيه تدمعان ، فقال : « هل فيكم من أحدٍ لم يقارف الليلة ؟ » فقال أبو طلحة : أنا ، قال : « فانزل في قبرها ». فنزل في قبرها فقبرها . رواه البخاري[2].

٩ـ ومن رحمته ﷺ وشفقته وعطفه على النساء : أنه لم يبايعهن إلا بما يُطقن ، وإذا بايعهن على أمر لقَّنَهُن فيما استطعن .

فعن أميمة بنت رُقيقة رضي الله تعالى عنها قالت : أتيتُ رسول الله ﷺ في نسوة بايعنه على الإسلام . فقلن : يا رسول الله ؛ نبايعك على أن لا

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٦٨ ، ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، ٢٩٧) وشمائل الترمذي (٥٣٢ ـ ٥٣٤) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب في البكاء على الميت (٤ : ١٢) والسنن الكبرى له (١ : ٦٠٥ ـ ٦٠٦) في الكتاب والباب نفسيهما ، ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٣٩٤) ولم يسقه كاملاً ، ومسند عبد بن حُميد (٢٠٤رقم٥٩٣) وصحيح ابن حبان (٧ : ١٧٦ ـ ١٧٧) وكشف الأستار (١ : ٣٨٣ رقم ٨٠٨) وشعب الإيمان (٧ : ٢٤٠ ـ ٢٤١) ومختصر زوائد البزار (١ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤) ومجمع الزوائد (٣ : ١٨) وعزاه للبزار ، وهذا مما يستدرك عليه ، لوجوده عند النسائي .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب من يدخل قبر المرأة ، وفي غيرهما .

نشركَ بالله شيئاً ، ولا نسرقَ ، ولا نزني ، ولا نقتلَ أولادَنا ، ولا نأتيَ ببهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف .

فقال رسول الله ﷺ : « فيما استطعتُنَّ وأطقتُنَّ ».

قالت فقلن : الله ورسولُه أرحمُ بنا من أنفسنا...الحديث ، رواه مالك والحميدي وأحمد والنسائي وابن ماجه في آخرين ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم[1].

١٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه عليهن : أنه إذا مر بنسوة سلّم عليهن ، وابتدرهن به ، ولا يتعالى عليهن في ذلك . لأنها غير مطّرحة ، وفي ذلك إشعار بقيمة المرأة وكرامتها .

فعن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها ، أن النبيَّ ﷺ مرَّ بنسوة ؛ فسلَّم عليهن . وقال : « إياكن وكفر المنْعَمين ». الحديث بطوله . رواه أحمد والحُميدي والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه[2].

---

(١) الموطأ : كتاب البيعة (٢ : ٩٨٢) ومسند الطيالسي (رقم١٦٢١) ومسند الحميدي (١ : ١٦٣) ومسند أحمد (٦ : ٣٥٧ ، ٣٦٥) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء في بيعة النساء ، رقم (١٥٩٧) وسنن النسائي : كتاب البيعة : باب بيعة النساء ، وباب البيعة فيما يستطيع الإنسان (٧ : ١٤٩ ، ١٥٢) والسنن الكبرى له (٥ : ٢١٨) والتفسير (٢ : ٤٢٠ ـ ٤٢١) وسنن ابن ماجه : كتاب الجهاد : باب بيعة النساء ، رقم (٢٨٧٤) والمعجم الكبير (٢٤ : ١٨٦ ـ ١٨٩من طرق) وسنن الدارقطني (٤ : ١٤٦ ، ١٤٧) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٤١٧) والمستدرك (٤ : ٧١) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٤٨) وانظر الدر المنثور ـ سورة الممتحنة ، فقد عزاه لآخرين .

(٢) مسند الحميدي (١ : ١٧٩) مسند أحمد (٦ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ، ٤٥٧ ـ ٤٥٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٦٣٤ ـ ٦٣٥) والأدب المفرد (رقم١٠٥١ ، ١٠٥٢) وسنن الدارمي (٢ : ١٨٩) =

ورواه بعضهم مختصراً .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ مر بنساء ، فسلَّم عليهن . رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن السني ، في آخرين ، وشاهده ما سبق ، فهو به حسن[1].

١١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه عليهن : حثه ﷺ على العدل بين الزوجات ، وإنذاره من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى ، بأن له العذاب المشين يوم القيامة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له امرأتان ، فمال مع إحداهما على الأخرى ؛ جاء يوم القيامة وأَحدُ شِقَّيْه ساقطٌ ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي والدارمي وابن الجارود والأربعة في آخرين ، وصححه كثيرون[2].

= وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في السلام على النساء ، رقم (٥٢٠٤) وسنن الترمذي : كتاب الاستئذان : باب ما جاء في التسليم على النساء ، رقم (٢٦٩٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب السلام على الصبيان والنساء ، رقم (٣٧٠١) والمعجم الكبير (٢٤ : ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٧) والشمائل للبغوي (١ : ٣١٠ ـ ٣١١) والآداب للبيهقي (١٧٦ رقم ٢٨٣).

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٥٧ ، ٣٦٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٦٣٥) ومسند أبي يعلى (١٣ : ٤٩٥) وعمل اليوم والليلة لابن السني (١٤٤ ـ ١٤٥رقم ٢٢٥) والمعجم الكبير (٢ : ٤٠٤) وشرح السنة (١٢ : ٢٦٥) ومجمع الزوائد (٨ : ٣٨).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٩٥ ، ٣٤٧ ، ٤٧١) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ٣٨٨) ومسند الطيالسي (رقم ٢٤٥٤) وسنن الدارمي (٢ : ٦٧) والمنتقى (٢٤١ ـ ٢٤٢) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في القسم بين الزوجات ، رقم (٢١٣٣) وسنن الترمذي : كتاب النكاح : باب =

١٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه عليهن : تحريجه ﷺ على الرجال حق الضعيفين أن يضيعوهما ، وتحريم ظلمهما ، ووجوب إعطاء المرأة حقها ، لا كما كان يفعلُ أهلُ الجاهلية ، يأكلون حقَّ النساء والأطفال والأيتام والعبيد .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « اللهم إني أُحرِّجُ حقَّ الضعيفين ؛ اليتيم ، والمرأة ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم والبوصيري وأقره الذهبي ، وحسنه النووي[1].

وعن أبي شُريح الخزاعي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أُحرِّج حقَّ الضعيفين ؛ حقَّ اليتيم ، وحقَّ المرأة ». رواه النسائي بإسناد حسن[2].

١٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : تنبيهه ﷺ

= ما جاء في التسوية بين الضرائر ، رقم (١١٤١) وسنن النسائي : كتاب عشرة النساء : باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض (٧ : ٦٣) والسنن الكبرى (٥ : ٢٨٠ ـ ٢٨١) وعشرة النساء (رقم ٤) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب القسمة بين النساء ، رقم (١٩٦٩) وشرح السنة (٩ : ١٥٠) وشرح مشكل الآثار (١ : ٢١٦) وكتاب العيال (٢ : ٧٠٤) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٧) والمستدرك (٢ : ١٨٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٢٩٧) في آخرين .

(١) مسند أحمد (٢ : ٤٣٩) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٦٣) وعشرة النساء له (٢٢٦ رقم ٢٦٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب حق اليتيم ، رقم (٣٦٧٨) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٣٧٧) والموارد (٣٠٨) والمستدرك (١ : ٦٣) (٤ : ١٢٨) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ١٣٤) ورياض الصالحين (١٣٩رقم ٢٦٨) ومصباح الزجاجة (٤ : ١٠٢ ـ ١٠٣) وعزاه أيضاً لابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما .

(٢) عشرة النساء (٢٢٦ رقم ٢٦٨).

الرجال ، أن أكملهم إيماناً صاحب الخلق الحسن ، وأن خيرَ المؤمنين : هو الذي يحسن إلى النساء .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خيركم خيرُكم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ». رواه الدارمي والترمذي وابن حبان ، في آخرين ، وحسنه الحافظ[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ ﷺ قال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ». رواه ابن ماجه والطحاوي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً ، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود في آخرين ، وصححه الترمذي ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي ، وحسنه الحافظ ، وصححه البوصيري[3].

---

(١) سنن الدارمي (٢ : ٨٢) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل أزواج النبيِّ ﷺ ، رقم (٣٨٩٥) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٨٤) وحلية الأولياء (٧ : ١٣٨) وأخبار أصبهان (٢ : ١١٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٤٦٨) ومختصر زوائد البزار (١ : ٥٨٥).

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب حسن معاشرة النساء ، رقم (١٩٧٧) وشرح مشكل الآثار (٦ : ٣٤٣) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٩١ ـ ٤٩٢) والمستدرك (٤ : ١٧٣) ومختصر زوائد البزار (١ : ٥٨٥).

(٣) مسند أحمد (٢ : ٢٥٠ ، ٤٧٢ ، ٥٢٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥١٥) (١١ : ٢٧ ، ٢٧ ـ ٢٨) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، رقم (٤٦٨٢) وسنن الترمذي : كتاب الرضاع : باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، رقم (١١٦٢) وشرح السنة (٩ : ١٨٠) (١٣ : ٧٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٨٣) والمستدرك (١ : ٣) =

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً ، وخياركم خياركم [ألطفهم] بأهله ». رواه أحمد والنسائي وابن السني ، وصححه الترمذي الحاكم[1].

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خياركم خياركم لنسائهم ». رواه ابن ماجه بإسناد صحيح[2].

كما ورد عن غير هؤلاء أيضاً نحو هذا المعنى .

١٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : تنبيهه ﷺ الرجال ، ألّا يسارِعوا إلى بغض المرأة لمجرد كراهية أحدهم لخلق منها ، فكما أن الرجل ليس كاملاً ، فكذلك المرأة ، ثم إن الصفات الجميلة فيها ، والأخلاق الحميدة أضعاف الصفات والأخلاق المذمومة ، لذا لا يحسن إن وَجد خُلقاً ذميماً أن يسارع إلى بغض المرأة وكراهيتها ، لأن فيها الكثير مما يُسر .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا

= وتاريخ بغداد (٧ : ١٣) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٠٢ ـ ٣٠٣) وحسنه ـ وهذا مما يستدرك عليه ، لوجوده عند أبي داود والترمذي ـ ومختصر زوائد البزار (١ : ٥٨٤) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٥١٥) وعزاه لمسدد والبزار وغيرهما . وروى كثير غير من ذكرت القطعة الأولى من الحديث فقط .

(١) مسند أحمد (٦ : ٤٧ ، ٩٩) وسنن الترمذي : كتاب الإيمان : باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه ، رقم (٢٦١٢) وعشرة النساء (٢٢٩ رقم ٢٧٢) وعمل اليوم والليلة (٣٧٠ ـ ٣٧١ رقم ٦١٠) والمستدرك (١ : ٥٣).

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب حسن معاشرة النساء ، رقم (١٩٧٨) ومصباح الزجاجه (٢ : ١١٨).

يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً ، إن كره منها خُلُقاً رضيَ منها آخر » أو قال : « غيره ». رواه مسلم[1].

١٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه عليهن : حثه ﷺ الرجال على مداراة النساء ، لأن المرأة كثيرةُ التقلُّب ، لما يعتريها من ظروف ، لذا عليه أن يتعامل معها على أنها تخطئ ، وليست كاملة ، وأن يداريها إذا أراد سعادته ، وألّا يَحمِلْها على طبعه أو خلقه قسراً ، لأنه إن فعل كان الطلاق .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المرأة خُلقت من ضِلَع [لن تستقيم على طريقة] فإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وبها عِوَجٌ [إن ذهبتَ تقيمُها كسرتها ، وكسرُها طلاقها] ». متفق عليه[2].

وفي رواية لهما[3] عنه رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : «... واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خُلِقنَ من ضِلَع ، وإن أعوجَ شيء في الضِّلَع أعلاه ، فإن ذهبتَ تُقيمَه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً». وسبق ذكر رواية أخرى .

وعن سمُرة بن جُندب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن المرأةَ خُلِقت من ضِلَع ، فإن تُقمها تكسرها ، فدارِها تعشْ بها ». رواه أحمد والبزار والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[4].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب الوصية بالنساء ، رقم (٦١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب المداراة مع النساء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب الوصية بالنساء ، رقم (٦٥ ، ٥٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب خلق آدم وذريته ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٠).

(٤) مسند أحمد (٥ : ٨) وكشف الأستار (٢ : ١٨٢) وبغية الباحث (١ : ٥٥٠ رقم ٤٩٦) =

قوله ﷺ : « إن المرأة خُلقت من ضِلَع... » هذا جارٍ على لغة العرب ، وهو أن المرأة من كثرة ما في فطرتها من الاعوجاج صارت كأنها مخلوقة من الضلع المعوج . وله نظير في كتاب الله تعالى ، وهو مستعمل في لغة الناس إلى اليوم ، أما ترى إن كان الولد كثير الحركة والشغب ماذا يقال له ؟

قال الإمام الزجاج رحمه الله تعالى[1] ـ عند قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[2] ـ : قال أهل اللغة : المعنى خُلقت العجلة من الإنسان ، وحقيقتُه يدل عليها ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾[3]. وإنما خوطبت العربُ بما تعقل . والعربُ تقول للذي يُكثر الشيءَ خُلقتَ منه . كما تقول : أنت من لعب ، وخُلقتَ من لعب . تريد المبالغة بوصفه باللعب.اهـ.

فالرجل لابد له من امرأة يسكن إليها ، وهو محتاج إليها ، ولا يتم حسن الاستمتاع إلا بالمداراة والصبر ، والله تعالى أعلم .

١٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه عليهن : شعورُه بشعور المرأة ساعة ضعفها وهوانها ، وذلك أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ؛ لم يخالطوها ، ولم يؤاكلوها ، ولم يساكنوها في البيوت ، ويعزلونها عنهم ، لذا أباح ﷺ معاشرةَ الحائض ، بكل وجوه المعاشرة إلا الإتيان في الفراش .

= والمعجم الكبير (٧ : ٢٩٤) والمعجم الأوسط (٨ : ٢٣١) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٨٥) والمستدرك (٤ : ١٧٣) ومجمع البحرين (٤ : ٢٠٠ ـ ٢٠١) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٠٤) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٥١٧) وعزاه لأبي يعلى أيضاً ، ولم أره في المطبوع .

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣ : ٣٩٢).

(٢) سورة الأنبياء (٣٧).

(٣) سورة الإسراء (١١).

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ؛ لم يؤاكلوها ، ولم يجامعوهن في البيوت ، فسأل أصحابُ النبي ﷺ النبيَّ ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾ إلى آخر الآية[1].

فقال رسول الله ﷺ : « اصنعوا كلَّ شيءٍ إلا النكاحَ ». فبلغ ذلك اليهودَ ، فقالوا : ما يريد هذا الرجلُ أن يدعَ من أمرنا شيئاً إلا خالَفَنا فيه .

فجاء أُسيدُ بنُ حُضَير وعبّادُ بنُ بِشر فقالا : يا رسول الله ؛ إن اليهودَ تقول كذا وكذا . فلا نجامِعُهُن ؟ فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ ، حتى ظننّا أن قد وَجد عليهما . فخرجا ، فاستقبلهما هديَّةٌ من لبن إلى النبيِّ ﷺ . فأرسل في آثارهما ، فسقاهما . فعرفا أن لم يجد عليهما . رواه مسلم[2].

وسيأتي مزيد بيان نوعية الإباحة في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

١٧ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : نهيُه عن أن يطرق الرجل أهلَه ليلاً يتخونهم ، لذا نهى عن ذلك حتى تمتشط الشَّعِثَةُ ، وتستحد المغيبة ، وتغتسل المتوسخة ،... لأنها لا تحب أن يراها شعثة ، كما لا يحب هو أن يراها تفلةً . إلا إذا سبق منه إخبارها بقدومه ، أو كانت مدة السفر قصيرة ، وهي تعلم بقدومه . كمن جرت عادته الذهاب إلى قرية قريبة يعود منها قريباً .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قدم أحدُكم ليلاً فلا يأتين أهلَه طُروقاً ، حتى تستحدَّ المُغِيبَةُ ، وتمتشط

(١) سورة البقرة (٢٢٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ،... رقم (١٦).

الشَّعِثَةُ ». متفق عليه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يطرقَ الرجلُ أهلَه ليلاً ، يتخونهم ، أو يلتمسُ عثراتِهم ». لفظ مسلم[2].

وهذا ما كان يفعله ﷺ بنفسه إذا قدم المدينة ، وقد توسعت في بيان الحكمة من ذلك في (فضائل المدينة المنورة) فانظره ، والله تعالى أعلم .

١٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : جعله حضانة الولد الصغير للأم ، فإن لم يكن فلخالته ، وذلك مراعاة لخاطرها ، وشفقة عليها ، ورحمة بها ، إضافة إلى أنها أرعى على الولد من زوجة أبيه ، لكن ذلك مقيد ما لم تنكح .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فقالت : إن ابني هذا كان بطني له وعاءاً ، وثديي له سقاءاً ، وحِجْري له حِواءاً ، وإن أباه طلَّقني ، وأراد أن ينتزعه مني . فقال ﷺ : « أنتِ أحقُّ به ما لم تنكحي ». رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود والبيهقي والدارقطني ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[3]. وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة .

وأما بالنسبة للخالة إذا فُقدت الأم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب طلب الولد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب كراهية الطروق ، وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر ، رقم (١٨١ ، ١٨٢).

(٢) وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٨٤).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٧ : ١٥٣من طريقين) ومسند أحمد (٢ : ١٨٢) وسنن أبي داود : كتاب الطلاق : باب من أحق بالولد ، رقم (٢٢٧٦) وسنن الدارقطني (٣ : ٣٠٤ ، ٣٠٥) والمستدرك (٢ : ٢٠٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٤ ـ ٥) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٢٣) وعزاه لأحمد برجال ثقات ، وهو مما يستدرك عليه لوجوده عند أبي داود .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : لما اعتمر النبيُّ ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهلُ مكة أن يَدَعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيمَ بها ثلاثةَ أيام ،... ثم ذكر قصةَ صلح الحُدَيْبِيَة ، وفي آخره ـ : فلما دخلها ، ومضى الأجلُ ، أتوا علياً ، فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا ، فقد مضى الأجل . فخرج النبيُّ ﷺ ، فتبعته ابنةُ حمزةَ تنادي : يا عم ، يا عم ، فتناولها عليٌّ ، فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام : دونكِ ابنةَ عمِّكِ حمِّليها .

فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرُ . قال عليٌّ : أنا أخذتها ، وهي بنتُ عمّي . وقال جعفرُ : ابنةُ عمّي وخالتُها تحتي . وقال زيدٌ : ابنةُ أخي .

فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها ، وقال : « الخالةُ بمنزلة الأم » وقال لعليٍّ : « أنتَ مني وأنا منكَ » وقال لجعفر : « أشبهتَ خَلقي وخُلقي » وقال لزيدٍ : « أنت أخونا ومولانا » الحديث ، رواه البخاري[1]. كما ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فانظرها في فضائل المدينة المنورة .

١٩ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : تشبيهه لهن بالقوارير ، وطلبه من مولاه ـ أنجشة ، الحادي بهن ـ أن يرفق بهن ، لأن الإبلَ تسرع لجمال صوته ، حتى كادت أن تلقي بمن على ظهورها .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وغلامٌ أسود يقال له : أنجشة ، يحدو . فقال له رسول الله ﷺ : « يا أنجشة ، رُويدك ، سوقاً بالقوارير ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب عمرة القضاء ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب ما جاء في قول الرجل : (ويلك) وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمة النبيّ ﷺ للنساء ، وأمر السّوّاق مطاياهم بالرفق بهن ، رقم (٧٠ ـ ٧٢).

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : كان للنبي ﷺ حادٍ يقال له : أنجشة ، وكان حسنَ الصوت ، فقال له النبيُّ ﷺ : « رُويدك يا أنجشة ، لا تكسر القوارير ». يعني ضعفة النساء . متفق عليه[1].

٢٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : حثه الرجال على مداعبة زوجاتهم ، ذلك لأن المرأة لها شعور وأحاسيس ، كما هو الحال عند الرجل ، ولكن كثيراً من النساء يغلبهن الحياء ، فلا يستطعن إظهار ذلك الشعور ، لذا على الزوج التودد لهن ، ومبادلتهن الحب .

فعن جابر رضي الله عنه ـ في قصة وفاة أبيه رضي الله عنه ، وتركه سبع أو تسع بنات ، وفيه ـ فقال لي رسول الله ﷺ : « تزوَّجتَ يا جابر ؟ » فقلتُ : نعم . فقال : « بكراً أم ثيِّباً ؟ » قلت : بل ثيِّباً . قال : « فهلّا جارية تلاعبُها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك »... الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله تعالى عنه قال : عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيتُ منه على الموت ، فقلت : يا رسول الله ؛ بلغني ما ترى من الوجع ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلّا ابنة لي واحدة ، أفأتصدّق بثلثيْ مالي ؟... الحديث ، وفيه قوله ﷺ : « ...ولستَ تنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله ، إلّا أُجرتَ عليها ، حتى اللقمة تجعلها في فِي امرأتك » وفي لفظ : « حتى اللقمةُ التي ترفعها إلى في امرأتِك » الحديث بطوله ، متفق

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب المعاريض مندوحة عن الكذب . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب النفقات : باب عون المرأة زوجها في ولده ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب استحباب نكاح البكر ، رقم (٥٥ـ ٥٨).

عليه[1].

لذا كانت ملاعبة الرجل زوجته ليست من اللهو المذموم .

فعن جابر بن عُمير وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال أحدُهما للآخر : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كلُّ شيء ليس فيه ذكرُ الله فهو لهوٌ ولعب ، إلّا أربع ؛ ملاعبةُ الرجل امرأته ، وتأديبُ الرجل فرسَه ، ومشيُه بين الغَرَضين ، وتعليمُ الرجل السباحة ». رواه النسائي من ثلاثة أسانيد ، والبزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والبغوي ، وعزاه في الدر للضياء ، وجوَّده المنذري ، وصحَّحه الحافظ ، وقال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح خلا عبد الوهاب بن بخت ، وهو ثقة[2].

٢١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : أنه لما رأى امرأة تمشي على رجليها ، وهي بعيدة عن بيتها ، وتحمل على رأسها النَّوى ، علفاً لفرس زوجها : لم تطب نفسه أن تمشي ، وأشفق عليها ، وأناخ راحلته ليردفها ، لكن المرأة رضي الله تعالى عنها تذكرت غيرَةَ زوجها فلم تركب خلفه ﷺ ـ مع أنه جائز في عرف العرب آنذاك ـ ثم هي تحرم عليه مؤقتاً ، لأنها أخت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنهما .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوصايا : باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث ، رقم (٥ ـ ٩).

(٢) السنن الكبرى (٥ : ٣٠٢ ـ ٣٠٣) وعشرة النساء (٨٦ ـ ٨٨) وكشف الأستار (٢ : ٢٧٩) والمعجم الكبير (٢ : ٢١١) والمعجم الأوسط (٨ : ١١٨ ـ ١١٩) ومعرفة الصحابة (٢ : ٥٤١ ـ ٥٤٢) ومعجم الصحابة (١ : ٤٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ١٥) والترغيب والترهيب (٣ : ١٠٣) ومجمع البحرين (٥ : ٤٦) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٦٩) والإصابة (١ : ٣٣٩ ـ ٣٤٠) والدر المنثور (٤ : ٨٦).

فعن أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنهما قالت : تزوجني الزبير ، وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسَه ، وأكفيه مؤنتَه ، وأسوسه ، وأدقُّ النَّوى لناضحه ، وأعلفه ، وأستقي الماءَ ، وأخرز غَربَه ، وأعجن ، ولم أكن أُحسنُ أَخبزُ ، وكان يخبز جاراتٌ لي من الأنصار ، وكن نسوةَ صدقٍ ، قالت : وكنتُ أنقل النَّوى من أرض الزبير ـ التي أقطعه رسول الله ﷺ ـ على رأسي ، وهي مني على ثلثي فرسخ .

قالت : فجئتُ يوماً ـ والنَّوى على رأسي ـ فلقيتُ رسول الله ﷺ ، ومعه نفرٌ من أصحابه ، فدعاني ، ثم قال : « إخ ، إخ » ليحملني خلفَه ، قالت : [فاستحييتُ أن أسير مع الرجال ، وذكرتُ الزبيرَ غيرتَه ـ وكان أغيرَ الناس ـ فعرف رسول الله ﷺ أنّي قد استحييتُ ، فمضى ، فجئتُ الزبيرَ ، فقلت : لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النَّوى ، ومعه نفرٌ من أصحابه ، فأناخ لأركب] فاستحييتُ منه ، وعرفتُ غيرتَكَ . فقال : والله ، لحملُك النَّوى على رأسك أشدُّ عليَّ من ركوبِك معه . قالت : حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادمٍ ، فكفتني سياسةَ الفرس ، فكأنما أعتقني . متفق عليه[1] .

٢٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : نهيه عن تخبيب المرأة على زوجها ، لأن في ذلك إفسادَ ذات البين ، وخرابَ البيوت ، ونكداً للمرأة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : من خبَّب

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب الغيرة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق ، رقم (٣٤).

عبداً على أهله فليس منا ، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا ». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

وعن بُرَيدة بن الحُصَيْب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من خبَّب زوجةَ امرئ أو مملوكَه فليس منّا ،... » الحديث ، رواه أحمد والبزار والطحاوي والبيهقي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

٢٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : أنه ﷺ لم يغفل النساء من وعظه وتذكيره ، فقد خصّص لهن يوماً أتاهن فيه ، وعلّمهن فيه أحكام دينهن ، كما كان يفعل ذلك في صلاة العيد ، حيث يأتيهن ويعلمهن بعد خطبته للرجال .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قالت النساء للنبي ﷺ : يا رسول الله ؛ غَلَبنا عليكَ الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسِك ، فوَعَدَهن يوماً ، لقيَهنَّ فيه ، فوعظهن ، وأمرهن ، وكان فيما قال لهن : « ما منكن امرأة تُقدِّمُ ثلاثةً من ولدِها إلا كان ذلك لها حجاباً من النار » فقالت

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٩٧) وسنن أبي داود : كتاب الطلاق : باب فيمن خبّب امرأة على زوجها ، وكتاب الأدب : باب فيمن خبَّب مملوكاً على مولاه ، رقم (٢١٧٥ ، ٥١٧٠) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٨٥) وعشرة النساء (٢٨٢) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٢٧) (١٢ : ٣٧٠) والمستدرك (٢ : ١٩٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٣) والآداب له (٧٢ـ ٧٣).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٥٢) وشرح مشكل الآثار (٣ : ٣٧٢ ـ ٣٧٣) وكشف الأستار (٢ : ١٩٣) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٢٠٥) والمستدرك (٤ : ٢٩٨) وتاريخ بغداد (١٤ : ٣٥) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ٣٠) ومجمع الزوائد (٨ : ٣٣٢) وإتحاف الخيرة المهرة (٧ : ١١٨ـ ١١٩).

امرأة : يا رسول الله ؛ واثنين ؟ قال : « واثنين ». متفق عليه[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : أشهد على رسول الله ﷺ لصلّى قبل الخطبة ، قال : ثم خطب ، فرأى أنه لم يُسمع النساء ، فأتاهن ، فذكَّرهن ، ووعظهن ، وأمرهن بالصدقة .

وفي رواية : حتى جاء النساء ، ومعه بلال ، فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[2]. فتلا هذه الآية حتى فرغ منها ، ثم قال حين فرغ منها : « أنتن على ذلك ؟ » فقالت امرأة واحدة ـ لم يُجبه غيرُها منهن ـ : نعم يا نبي الله ؛ لا يُدرى حينئذ من هي ،... الحديث ، متفق عليه[3].

٢٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : جعله للأم ثلاثةَ أمثال ما يستحقّه الأب من البر والإحسان ، والنصوص في هذا الباب كثيرة جدّاً ، ذكرت جملةً صالحة منها في (بر الوالدين) لذا سأقتصر على حديث واحد فقط ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الكتاب المذكور .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : من أحقُّ الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أُمُّكَ » قال : ثم مَن ؟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب هل يُجعل للنساء يومٌ على حِدَة في العلم ؟ وفي غيرهما. وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، رقم (١٥٣).

(٢) سورة الممتحنة (١٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب موعظة الإمام النساء يوم العيد ، وباب خروج الصبيان إلى المصلى . وصحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين : في أوله ، رقم (١ ـ ٢).

قال : « ثم أمُّكَ » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أمُّكَ » قال : ثم من ؟ قال : « ثم أبوك ». متفق عليه[1]. وله ألفاظ أخرى

٢٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالنساء ، وعطفه وشفقته عليهن : نهيه عن قتل نساء الكفار أثناء الحرب ـ إلا إذا باشرن القتال ـ مع أن قتلهن في أول الإسلام كان جائزاً ، امتداداً لما كان عليه الحال في الجاهلية ، ثم نهى عنه رسول الله ﷺ .

فعن الصَّعْب بن جَثَّامة رضي الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أهل الدار يُبَيَّتون من المشركين فيصاب من نسائهم وذراريهم قال : « هم منهم ». متفق عليه[2].

زاد أبو داود : قال الزهري : ثم نهى رسول الله ﷺ بعد ذلك عن قتل النساء والولدان . رواه أبو داود[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : وُجدت امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان . متفق عليه[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من أحق الناس بحسن الصحبة ؟ . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب بر الوالدين ، وأنهما أحق به ، رقم (١ ـ ٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب أهل الدار يُبَيَّتون ، فيصاب الولدان والذراري . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد ، رقم (٢٦ ـ ٢٨).

(٣) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في قتل النساء ، رقم (٢٦٧٢) ومجمع الزوائد (٥ : ٣١٥).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قتل النساء في الحرب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ، رقم (٢٤ ، ٢٥).

وعن ابن كعب بن مالك عن عمه ، أن النبي ﷺ لما بعثه إلى ابن أبي الحُقَيق نهى عن قتل النساء والولدان . رواه الشافعي وعبد الرزاق والطيالسي ومسدّد وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وإسحٰق وسعيد بن منصور وأحمد بن حنبل[1].

وعن رباح بن الربيع رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ، وعلى مقدمة الناس خالدُ بنُ الوليد ، فإذا امرأة مقتولة على الطريق ، فجعلوا يتعجّبون من خَلقها ، قد أصابتها المقدِّمة . فأتى رسولُ الله ﷺ فوقف عليها ، فقال : « هاه ، ما كانت هذه تقاتل . ثم قال : أدرك خالداً ؛ فلا تقتلوا ذرِّيَةً ولا عسيفاً » وفي رواية « قل لخالد لا يقتلن امرأةً ولا عسيفاً ». رواه أحمد وسعيد بن منصور وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي وابن ماجه والطحاوي والطبراني والبيهقي ، وصححه ابن حبان[2].

(١) الأم (٤ : ١٥٦) والرسالة (٢٩٨) والسنن (رقم٦٥٢) والمسند (٢٣٨ ، ٣١٤) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٠٢) ومسند الطيالسي (رقم ١٠٣٢من الطبعة الجديدة لسقط مسند كعب من القديمة) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٥ـ ٣٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٨١ـ ٣٨٢) وسنن سعيد بن منصور (٢ : ٢٥٧) وشرح معاني الآثار (٣ : ٢٢١) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٧٧ ، ٧٨) ومعرفة السنن والآثار (١٣ : ٢٢٥) والمطالب العالية (٢ : ٣١١) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) ومجمع الزوائد (٥ : ٣١٥) وفتح الباري (٦ : ١٤٧) وانظر الإصابة (٣ : ٢٠٥) وتعليقي على هذا الحديث في سنن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٨٨ ، ٤٨٨) (٤ : ١٧٨ ، ١٧٨ ـ ١٧٩ ، ٣٤٦) وسنن سعيد بن منصور (٢ : ٢٥٦) وسنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٦٦٩) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب السير : باب قتل العسيف (٥ : ١٨٦ ، ١٨٦ ـ ١٨٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الجهاد : باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان ، رقم (٢٨٤٢) وشرح معاني الآثار (٣ : ٢٢١ ، ٢٢٢) والمعجم الكبير (٥ : ٦٩ ـ ٧١ من طرق) وصحيح ابن حبان (١١ : ١١٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٨٢ ، ٩١).

ورواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة والنسائي والطحاوي وابن حبان من حديث حنظلة الكاتب رضي الله تعالى عنه[1].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وهناك أمور كثيرة ، ذكرها الإمام النسائي في (عشرة النساء) والسيد محمد صدّيق حسن خان في (حسن الأسوة) فلينظرهما من أراد الزيادة .

كما سيأتي زيادة عناية إن شاء الله تعالى في الفصل القادم .

*****

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٠١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٨٢) ومسند أحمد (٤ : ١٧٨ ، ٣٤٦) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ١٨٧) وسنن ابن ماجه : في الكتاب الباب السابقين ، رقم (٢٨٤٢) وسنن سعيد بن منصور (٢ : ٢٥٦) وشرح معاني الآثار (٣ : ٢٢٢) وكتاب الأموال لأبي عبيد (٣٨) والمعجم الكبير (٤ : ١٢) وصحيح ابن حبان (١١ : ١١٢) وانظر فتح الباري (٦ : ١٤٨).

الفصل الثالث عشر

رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن

لقد كانت المرأة في الجاهلية لا وجود لها ، ولا قيمة ، كانت توأد وهي صغيرة - في عدد من القبائل العربية - وإذا مات زوجها جاز لولده - من غيرها - أن يتزوجها بمهر أبيه - وهذا ما يسمّى بنكاح المقت - لذا شدّد الله تعالى في ذلك ، حتى جعله أشدَّ وأقبح من الزنا ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1]

بينما قال عن الزنا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2].

كما كان العرب لا يرون للزوجة وجوداً ، فهي كسقط المتاع ، فلا رأي لها ولا وجود ولا اعتبار . ويوضِّح هذا المعنى كلامُ سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه للنبي الكريم ﷺ .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم قال : كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار ، في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزولَ على رسول الله ﷺ ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ،... الحديث بطوله ، وفيه : فقلت : لو رأيتنا يا رسول الله ؛ وكنا - معشرَ قريشٍ - قوماً نغلب النساء ،

---

(١) سورة النساء (٢٢).

(٢) سورة الإسراء (٣٢).

فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلّمن من نسائهم ، فتغضَّبتُ على امرأتي يوماً ، فإذا هي تراجعني ، فأنكرتُ أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبيِّ ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل . فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر . أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ ، فإذا هي قد هلكت ؟ ،...

وفي رواية : قال عمر : والله ، إنْ كنا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمراً ، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم ، قال : فبينما أنا في أمر أأتمره [يعني أشاور فيه نفسي وأفكر فيه] إذ قالت لي امرأتي : لو صنعتَ كذا وكذا ، فقلت لها : وما لك أنتِ ولما ههنا ؟ وما تكلُّفُك في أمرٍ أريده ؟ فقالت لي : عجباً لك يا ابنَ الخطاب ، ما تريد أن تُراجعَ أنت ، وإن ابنتَك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومَه غضبان ،...

قال عمر : فآخذ ردائي ، ثم أخرج مكاني ، حتى أدخل على حفصة . فقلت لها : يا بُنيّة ؛ إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصةُ : والله لنراجعنَّه . فقلت : تعلمين أني أُحذِّرك عقوبةَ الله وغضب رسوله ﷺ ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

هكذا كانت المرأة ، لا يرون لها وجوداً ، ولا يجوز لها أن تشارك زوجها بإبداء رأي ينفعه ، لذا لـمّا علم عمر رضي الله تعالى عنه أن ابنته السيدة

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة التحريم : باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾ ، وكتاب النكاح : باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، رقم (٣٠ـ٣٥).

حفصة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها تراجع رسول الله ﷺ غضب عليها ، وخشي أن تنزل عليها عقوبة من الله تعالى فتهلك .

فلما جاء النبي المصطفى الكريم ﷺ نبيُّ الرحمة والشفقة والود والحنان ، غيّر المفاهيم ، وبدَّل القيم ، فمنح الزوجة حياتَها ، وأعاد إليها إنسانيتَها ، وأعطاها من الحقوق ما لا تحلم به ، وطبّق ﷺ ذلك بنفسه قبل أن يأمر به ، فاجتمع الفعل والقول .

فصار للمرأة الوجود والاعتبار والحياة والرأي والمشورة والاستفسار والنصح ، كما ظهر عليها : الود والمحبة والعطف ،...

والخلاصة : صارت الزوجة تملك من المزح معها حتى حرية الرأي ، وقد ظهر ذلك كله من رحمته ﷺ التي شملتهم بالعطف والحنان والشفقة والإحسان ،... حتى صارت راعيةً في بيتها ، وهي مسؤولة عن رعيتها .

والنصوص في بيان رحمته ﷺ بنسائه رضي الله تعالى عنهن كثيرةٌ جدّاً ، لا يسعها مثل هذا المختصر ، لذا فإني سأقتصر على بعضها للتقريب .

١ـ فمن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أنه إذا كان في البيت كان في حاجتهن ، ولا يكلفهن بقضاء أموره ، فهو يرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، ويفلي ثوبه ، ويخدم نفسه ـ بأبي هو وأمي ـ .

فعن عروة رحمه الله تعالى قال : قلت لعائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ ما كان يصنعه رسول الله ﷺ في بيته ؟ فقالت : كان يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويرقع دلوَه ، ويعمل ما يعمله الرجال في بيوتهم . رواه أحمد وابن سعد ، والبخاري في الأدب المفرد وعبد بن حُميد وأبو يعلى وصححه ابن حبان[1].

(١) مسند أحمد (٦ : ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٦٧ ، ٢٤١ـ٢٤٢ ، ٢٦٠) والأدب المفرد (رقم ٥٣٩ ، =

وعن الأسود رحمه الله تعالى قال : سألتُ عائشة : ما كان النبيُّ ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله ـ تعني : خدمةَ أهله ـ فإذا حضرت الصلاةُ خرج إلى الصلاة . رواه البخاري[1] .

وعن عمرة رحمها الله تعالى قالت : قيل لعائشة رضي الله تعالى عنها : ماذا كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر ؛ يفلي ثوبَه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه . رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي في الشمائل والبزار وأبو يعلى في آخرين ، وصححه ابن حبان[2] .

٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أنه إذا دعاه أحدٌ على طعامٍ ـ وهو يمون عليه ـ يحرص أن تكون أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها معه .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن جاراً لرسول الله ﷺ فارسيّاً ، كان طيِّبَ المرق ، فصنع لرسول الله ﷺ ، ثم جاء يدعوه . فقال : « وهذه ؟ » لعائشة . فقال : لا . فقال رسول الله ﷺ : « لا » فعاد يدعوه . فقال رسول الله

= ٥٤٠) ومصنف عبد الرزاق (١١ : ٢٦٠) ومسند عبد بن حُميد (٤٣١ رقم ١٤٨٢) ومسند أبي يعلى (٨ : ١١٧ ، ٢٨٧ ـ ٢٨٨ رقم٤٦٥٣ ، ٤٨٧٦) وشرح السنة (١٣ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٤٩٠ ، ٤٩٠ ـ ٤٩١) ودلائل النبوة (١ : ٣٢٨ ـ ٣٢٩) وفتح الباري (٢ : ١٦٣) (١٠ : ٤٦١).

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ، وفي غيرهما .

(٢) الأدب المفرد (١٨٨ ـ ١٨٩رقم٥٤١) والشمائل للترمذي (٥٧٠ ـ ٥٧١رقم٣٤٢) ومسند أبي يعلى (٨ : ٢٨٦ رقم ٤٨٧٣) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٤٨٨ ـ ٤٨٩) وحلية الأولياء (٨ : ٣٣١) ودلائل النبوة (١ : ٣٢٨) وشرح السنة (١٣ : ٢٤٣).

ﷺ : « وهذه ؟ » قال : لا . فقال رسول الله ﷺ : « لا » ثم عاد يدعوه . فقال رسول الله ﷺ : « وهذه ؟ » قال : نعم ، في الثالثة . فقاما يتدافعان [أي يمشي أحدُهما في إثر الآخر] حتى أتيا منزلَه . رواه مسلم[1].

وكان هذا الحديث قبل نزول آية الحجاب .

٣- ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أنه إذا أراد الغزو أقرع بين نسائه ، فمن خرج سهمها خرج بها معه .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتُهن خرج سهمُها خرج بها معه . وكان يقسم لكل امرأة منهن يومَها وليلتَها ، غير أن سودةَ بنتَ زمعة وهبت يومها وليلتَها لعائشة زوج النبيّ ﷺ ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ . رواه البخاري[2].

والنصوص في هذا الباب كثيرة .

٤- ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : تحمُّله ﷺ لهن ، وقدرته على التوفيق بينهن ، مع أنهن كن حزبين . تتزعم الأول : عائشة وحفصة ،... وتتزعّم الثاني : زينب بنت جحش وأم سلمة ،... رضي الله تعالى عنهن .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن نساء رسول الله ﷺ كنَّ حزبين ؛ حزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة ، والحزبُ الآخر : أمُّ سلمة وسائر

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام ،... رقم (١٣٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب هبة المرأة لغير زوجها ، وعتقها إذا كان لها زوج ، وفي غيرهما .

نساء رسول الله ﷺ ،... الحديث بطوله ، وفيه تحري الناس إرسال هداياهم يومَ عائشة رضي الله تعالى عنها ، وتكليم النبي الكريم ﷺ بذلك . رواه البخاري[1]. وروى مسلم القسم الأخير الذي لم أذكره هنا .

٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أن الله تعالى أحل له ـ في آخر حياته ـ أن يتزوج من النساء ما شاء . لكنّه ﷺ لم يتزوّج عليهن ، لتبقى المِنَّةُ لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ عليهن .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما مات رسول الله ﷺ حتى حَلَّ له من النساء ما شاء . رواه الشافعي وعبد الرزاق والحميدي وابن أبي شيبة وأحمد وإسحق والنسائي والطحاوي ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم ، ورواه آخرون[2].

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلا ذاتَ محرَم . وذلك قول

(١) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب من أهدى إلى صاحبه ، وتحرّى بعضَ نسائه دون بعض .

(٢) الأم (٥ : ١٢٥) ومصنف عبد الرزاق (٧ : ٤٩١) ومسند أحمد (٦ : ٤١ ، ١٨٠ ، ٢٠١) ومسند الحميدي (١ : ١١٥ رقم ٢٣٥) ومسند إسحق (٣ : ٦١١ ، ٦١٢) وسنن الدارمي (٢ : ٧٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠) والطبقات الكبرى (٨ : ١٩٤ ، ١٩٥) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة الأحزاب ، رقم (٣٢١٦) وسنن النسائي : كتاب النكاح : باب ما افترض الله عز وجل على رسوله ﷺ وحرّمه على خلقه (٦ : ٥٦) والسنن الكبرى له (٣ : ٢٦٠) في الكتاب والباب المذكورين ، وكتاب التفسير (٢ : ١٨٣) وشرح مشكل الآثار (١ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣ من طرق) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٢٨١) والمستدرك (٢ : ٤٣٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٥٤) وانظر التلخيص الحبير (٣ : ١٢٣) وفتح الباري (٨ : ٥٢٦).

الله تعالى : ﴿ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ ﴾[1]. رواه الطحاوي[2] ، وشاهده ما سبق .

٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : اصطحابه ﷺ لهن معه إلى الحج ، ولم يتخلّف منهن واحدة ، وكأنه ﷺ أراد توديعهن ، لذا أحبَّ أن يُكرموا بأداء النسك بمعيته ﷺ ، وأمرهن أن يتحلَّلن بعد السعي ، لعدم سوقهن الهدي ، أسوة ببقية المسلمين ، لذا نحر عنهن .

فعن السيدة حفصة رضي الله عنها ، أن النبيَّ ﷺ أَمر أزواجَه أن يَحْلُلْنَ عامَ حجة الوداع . قالت حفصة : فقلت : ما يمنعك أن تَحِلَّ ؟ قال : « إني لبَّدتُ رأسي ، وقلّدْتُ هديي ، فلا أحِلُّ حتى أنحرَ هديي». متفق عليه[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : نحر رسول الله ﷺ عن نسائه . رواه مسلم[4].

ثم إنه ﷺ طلب منهن ملازمةَ البيوت ، بعد أداء النسك .

فعن أبي واقد الليثي رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال لأزواجه في حجة الوداع : « هذه ، ثم على ظهور الحُصُر ». رواه أحمد وأبو داود وابن أبي عاصم والطحاوي وأبو يعلى والطبراني برجال ثقات ، وصحَّحه الحافظ[5].

---

(١) سورة الأحزاب (٥١).

(٢) شرح مشكل الآثار (١ : ٤٥٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب حجة الوداع ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب بيان أن القارن لا يتحلّل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد ، رقم (١٧٩).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الاشتراك في الهدي ،... رقم (٣٥٧).

(٥) مسند أحمد (٥ : ٢١٨ ، ٢١٩) وسنن أبي داود : كتاب الحج : باب فرض الحج ، رقم (١٧٢٢) والآحاد والمثاني (٢ : ١٦٨) ومعجم الصحابة لابن قانع (١ : ١٧٣) وشرح مشكل =

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال لنسائه عامَ حجة الوداع : « هذه ، ثم ظهور الحصر »... الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي وأبو يعلى والطبراني والطحاوي وأبو يعلى بإسناد حسن ، وحسنه المنذري ، وصححه الحافظ الهيثمي[1].

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : قال لنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع : « هي هذه الحجة ، ثم الجلوس على ظهور الحصر في البيوت ». رواه الطبراني وأبو يعلى برجال ثقات[2].

وقد ورد من حديث غيرهم أيضاً .

٧ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أنه كان يقسم بينهن في المبيت والعشرة وكل ما يملكه الإنسان ، اللهم إلا ما لا يملكه ، لذا نبَّه ﷺ إليه .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يَقسم بين نسائه ، فيعدل ، ثم يقول : « اللهم هذا فعلي فيما أملك ، فلا تلمني

= الآثار (١٤ : ٢٥٧) ومسند أبي يعلى (٣ : ٣٢) والمعجم الكبير (٣ : ٢٨٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ٣٢٧) (٥ : ٢٢٨) وتاريخ بغداد (٣ : ٣٢٦) (٧ : ١١٠) وفتح الباري (٤ : ٧٤).

(١) مسند الطيالسي (٢٢٩ ، ٣٢٤ رقم ١٦٤٧ ، ٢٣١٢) ومسند أحمد (٢ : ٤٤٦) (٦ : ٣٢٤) والطبقات الكبرى (٨ : ٥٥ ، ٢٠٧ـ٢٠٨) وشرح مشكل الآثار (١٤ : ٢٥٦) وبغية الباحث (١ : ٤٤٠) ومسند أبي يعلى (١٣ : ٨٠ ـ ٨١ ، ٨٨) والمعجم الكبير (٢٤ : ٣٣ ـ ٣٤) وكشف الأستار (٢ : ٥) والسنن الكبرى (٥ : ٢٢٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١٤) والترغيب والترهيب (٣ : ٤٨ـ٤٩).

(٢) مسند أبي يعلى (١٢ : ٣١٢) والمعجم الكبير (٢٣ : ٣١٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١٤) والترغيب والترهيب (٣ : ٤٩).

فيما تملك ولا أملك ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي والأربعة ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، وصححه ابن كثير[1]. ويشهد له ما بعده أيضاً .

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ لا يُفضِّل بعضنا على بعض في القَسْم ، من مكثه عندنا ، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يطوف علينا ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى التي هو يومها ، فيبيتُ عندها ،... الحديث ، وفيه قصة سودة رضي الله تعالى عنها ، رواه أبو داود ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، ورواه البيهقي ، وهو على شرط مسلم[2].

وعن معاذة رحمها الله تعالى ، عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منّا ، بعد أن أُنزلت هذه الآية

---

(١) مسند أحمد (٦ : ١٤٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ٣٨٦ ـ ٣٨٧) وسنن الدارمي (٢ : ٦٧ ـ ٦٨) ومسند إسحق (٣ : ٧٥٦ ـ ٧٥٧) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في القسم بين النساء ، رقم (٢١٣٤) وسنن الترمذي : كتاب النكاح : باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ، رقم (١١٤٠) وسنن النسائي : كتاب عشرة النساء : باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض (٧ : ٦٣ ـ ٦٤) والسنن الكبرى له (٥ : ٢٨١) وعشرة النساء (٣٦ ـ ٣٧ رقم ٥) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب القسمة بين النساء ، رقم (١٩٧١) وشرح مشكل الآثار (١ : ٢١٤ ، ٢١٤ ـ ٢١٥) وتفسير الطبري (٩ : ٢٨٩رقم ١٠٦٥٧) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٥) والمستدرك (٢ : ١٨٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٢٩٨) وتفسير ابن كثير (٢ : ٥٠١) ونصب الراية (٣ : ٢١٤ ـ ٢١٥) وكتاب العيال (٢ : ٧٠١).

قلت : لم ينفرد حماد برفع الحديث ، فقد وافقه عفان ـ كما عند أحمد في المسند ، وعبدُ الوهاب ابن عبد المجيد الثقفي ، كما عند الطبري أيضاً .

(٢) سنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢١٣٥) والمستدرك (٢ : ١٨٦) والسنن الكبرى (٧ : ٧٤ ـ ٧٥) وأصله في الصحيحين .

﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ﴾.

قالت معاذة : فقلت لها : ما كنتِ تقولين ؟ قالت : كنت أقول له : إن كان ذاك إليَّ فإني لا أُريد يا رسول الله ؛ أن أُوثر عليك أحداً . متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان للنبي ﷺ تسع نسوةٍ ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسعٍ ، فكنَّ يجتمعن كلَّ ليلة في بيتِ التي يأتيها ، فكان في بيت عائشة ، فجاءت زينبُ ، فمدَّ يدَه إليها . فقالت : هذه زينبُ . فكفَّ النبيُّ ﷺ يدَه . فتقاولتا حتى استخبتا [يعني : ارتفعت أصواتهما] وأقيمت الصلاةُ . فمر أبو بكر على ذلك ، فسمع أصواتَهما . فقال : اخرج ، يا رسول الله إلى الصلاة ، واحثُ في أفواههن التراب . فخرج النبيُّ ﷺ .

فقالت عائشة : الآن يقضي النبيُّ صلاتَه ، فيجيءُ أبو بكر فيفعل بي ويفعل . فلما قضى النبيُّ ﷺ صلاتَه أتاها أبو بكر ، فقال لها قولاً شديداً ، وقال : أتصنعين هذا ؟ رواه مسلم[2].

٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : شفقته ﷺ عليهن إذا بالغن في العبادة ، كما في قصة الحبل الذي ربطته زينب رضي الله تعالى عنها ، بين ساريتين في المسجد ، فإذا تعبت تعلَّقت به .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ المسجدَ ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ... ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، رقم (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب القسم بين الزوجات ،... رقم (٤٦).

وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : لزينبَ تُصلّي ، فإذا كسِلت أو فترت أمسكت به . قال : « حُلُّوه » ثم قال : « لِيُصلِّ أحدُكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر ؛ فليقعد ». متفق عليه[1].

٩ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : طلبه ﷺ من عائشة رضي الله تعالى عنها ـ وهما في السفر ـ أن تسابقه ، بعد أن طلب من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن يتقدّموا . وقد تكرّر ذلك الطلب .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : خرجت مع رسول الله ﷺ ـ في بعض أسفاره ، وأنا جارية لم أحمل اللحم ، ولم أبدّن ـ فنزلنا منزلاً ، فقال للناس : « تقدَّموا » فتقدّموا ، ثم قال لي : « تعالَي حتى أسابقَكِ » فسابقته ، فسبقته .

فسكت عني ، حتى إذا حملتُ اللحمَ وبدّنتُ ونسيتُ ، خرجت معه في بعض أسفاره آخر ، فنزلنا منزلاً ، فقال للناس : « تقدَّموا » فتقدّموا ، ثم قال لي : « تعالَي حتى أسابقَكِ » فسابقته ، فسبقني ، جعل يضحك [فضرب بيده كتفي] وهو يقول : « هذه بتلك ». رواه الشافعي والطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وإسحق وأبو داود والنسائي وابن ماجه في آخرين ، وصححه ابن حبان وغيره[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التهجد : باب ما يكره من التشديد في العبادة . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد ،... رقم (٢١٩).

(٢) السنن للشافعي (١ : ٣٥٢) ومسند الطيالسي (٢٠٦رقم١٤٦٢) ومسند الحميدي (١ : ١٢٨) ومسند إسحق (٢ : ٢٨٩) ومسند أحمد (٦ : ٣٩، ١٢٩ ، ١٨٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٨٠) =

وهذا من كرم خلقه ﷺ وحسن عشرته ، وجميل مودَّته .

١٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : تحمُّله ﷺ لما يصدر من غيرتهن رضي الله تعالى عنهن . خاصة من السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان النبيُّ ﷺ عند بعض نسائه ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التي النبيُّ ﷺ في بيتها يدَ الخادم ، فسقطت الصحفة ، فانفلقت ، فجمع النبيُّ ﷺ فِلَقَ الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ، ويقول : « غارت أمُّكم » ثم حبس الخادمَ ، حتى أتى بصحفةٍ من عند التي هو في بيتها ، فدفع الصحفةَ الصحيحةَ إلى التي كُسرت صحفتُها ، وأمسك المكسورةَ في بيت التي كسرت فيه . رواه البخاري[1] .

وقد ورد نحو ذلك من حديث أم سلمة وعائشة رضي الله تعالى عنهما ، وأن التي كسرت القصعةَ هي عائشةُ . ولعل الحادثة تكررت مرتين[2] .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : افتقدت النبيَّ ﷺ ذاتَ ليلة ،

= ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٥٠٨) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في السبق على الرِّجل ، رقم (٢٥٧٨) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٠٤ ، ٣٠٤ـ٣٠٥) وعشرة النساء (٩٠ـ٩٢ من طرق) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب حسن معاشرة النساء ، رقم (١٩٧٩) وشرح مشكل الآثار (٥ : ١٤٣) وكتاب العيال (٧٥٧ـ٧٥٨) والمعجم الكبير (٢٣ : ٤٦ ـ ٤٧ من طرق) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٥٤٥) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ١٧ ـ١٨ ، ١٨) ومعرفة السنن والآثار (١٤ : ١٥٠).

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب الغيرة ، وفي غيرهما .

(٢) انظر : فتح الباري (٥ : ١٢٥ ـ١٢٦).

فظننتُ أنه ذهب إلى بعض نسائه . فتحسستُ ، ثم رجعتُ فإذا هو راكعٌ أو ساجدٌ يقول : « سبحانك وبحمدك ، لا إله إلّا أنتَ » فقلت : بأبي أنتَ وأمي ، إني لفي شأن ، وإنك لفي آخر . رواه مسلم[1].

وعنها رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً ، قالت : فغرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : « مالكِ يا عائشة أغرتِ ؟ » فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلِكَ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « أقد جاءَك شيطانُك ؟ » قالت : يا رسول الله ؛ أوَمعي شيطان؟ قال : « نعم » قلت : ومع كلِّ إنسان ؟ قال : « نعم » قلت : ومعكَ يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم ». رواه مسلم[2].

جاء في رواية النسائي بسند صحيح[3] : قالت : التمستُ رسول الله ﷺ ، فأدخلتُ يدي في شعره فقال : « قد جاءَكِ شيطانُك ؟ » ثم ذكر نحوه .

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : ألا أحدثُكم عني وعن رسول الله ﷺ ؟ قلنا : بلى . قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبيُّ ﷺ فيها عندي ، انقلب فوضع رداءَه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرفَ إزاره على فراشه ، فاضطجع . فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أن قد رقدتُ ، فأخذ رداءَه رُويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب فخرج ، ثم أجافه رُويداً .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم (٢٢١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب تحريش الشيطان وبعث سراياه لفتنة الناس ، رقم (٧٠).

(٣) سنن النسائي : كتاب عشرة النساء : باب الغيرة (٧ : ٧٢) والسنن الكبرى له (٥ : ٢٨٧) وعشرة النساء (٥٠ ـ ٥١).

فجعلتُ درعي في رأسي ، واختمرتُ ، وتقنَّعتُ إزاري ، ثم انطلقتُ على إثره ، حتى جاء البقيع ،... الحديث بطوله في قصة زيارة البقيع ودعائه ﷺ لهم ،... وفيه :

ثم انحرف فانحرفتُ ، فأسرع فأسرعتُ ، فهرول فهرولتُ ، فأحضر فأحضرتُ ، فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل ، فقال : « مالكِ يا عائش حشيا رابية ؟ » قالت : قلت : لا شيء . قال : « لتخبريني أو لَيُخبرني اللطيف الخبير » قالت : قلت : يا رسول الله ؛ بأبي أنت وأمي ، فأخبرته . قال : « فأنتِ السَّوادُ الذي رأيتُ أمامي؟ » قلت : نعم . فلهدني في صدري لهدةً أوجعتني . ثم قال : « أظننتِ أن يحيف الله عليك ورسولُه ؟ » قالت : مهما يكتم الناسُ يعلمه الله ، نعم ،... الحديث وفيه : كراهيته ﷺ أن يوقظها ، وتعليمُه إياها ما ذا تقول إذا زارت القبور . رواه مسلم[1].

١١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : تحريمه ﷺ على نفسه بعضَ ما أحله الله تعالى له من أجل إرضائهن.

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن النبيَّ ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جَحْش ، ويشرب عندها عسلاً ، قالت : فتواصيتُ أنا وحفصة ؛ أنَّ أيتَنا دخل عليها النبيُّ ﷺ فلتقل : إني لأجد منك ريحَ مغافير ، أكلتَ مغافير ؟ فدخل على إحداهما فقالت ذلك له . فقال : « لا بأس ، شربتُ عسلاً عند زينب ابنةِ جحْشٍ ، ولن أعود له » فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ـ إلى ـ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقوله : « بل شربت عسلاً ». متفق عليه[2].

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، رقم (١٠٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح =

ورویاه[1] من وجه آخر عنها رضي الله تعالى عنها ، لكن وقع فيه أن التي شرب ﷺ عندها العسلَ هي السيدة حفصة ، والتي خاطبه فيه السيدة سودة رضي الله تعالى عنها ، وفيه زيادة في آخر الحديث .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كانت له أَمَةٌ يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرَّمها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ...﴾ إلى آخر الآية[2]. رواه النسائي ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وصححه الحافظ[3].

لهذا هدَّدهن سيدنا عُمر رضي الله تعالى عنه ، فنزل القرآن مؤيِّداً لما قال .

فعن عُمر رضي الله تعالى عنه قال : وافقتُ ربي في ثلاثٍ : ...واجتمع نساءُ النبيِّ ﷺ في الغيرة عليه ، فقلت لهن : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ فنزلت هذه الآية . رواه البخاري[4].

١٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أنه لم يكن جافّاً ولا خشناً ـ بأبي هو وأمي ـ بل كان يمزح معهن ، بل كان يسمح بمزح بعضهن مع بعض ، ويضحك لما يفعلن ببعضهن .

= مسلم : كتاب الطلاق : باب وجوب الكفارة على من حرَّم امرأته ولم ينو الطلاق ، رقم (٢٠).

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢١).

(٢) سورة التحريم (١).

(٣) سنن النسائي : كتاب عشرة النساء : باب الغيرة (٧ : ٧١ ـ ٧٢) والسنن الكبرى له (٥ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧) وعشرة النساء (٥٠) وتفسير النسائي (٢ : ٤٤٩) والمستدرك (٢ : ٤٩٣) وفتح الباري (٨ : ٣٧٦).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب ما جاء في القبلة ، ... وفي غيرهما .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : زارتنا سودةُ يوماً ، فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها ، إحدى رجليه في حِجْري ، والأخرى في حِجْرها ، فعملتُ لها حريرةً ـ أو قال : خزيرةً ـ فقلت : كُلي . فأبت ، فقلت : لتأكلي ، أو لأُلطِّخن وجهَك . فأبت ، فأخذتُ من القصعة شيئاً ، فلطَّخْتُ به وجهَها ، فرفع رسول الله ﷺ رجلَه من حِجْرها ، تستقيدُ مني ، فأخذَتْ من القصعة شيئاً فلطَّخَتْ به وجهي ، ورسول الله ﷺ يضحك . فإذا عمر يقول : يا عبد الله بنَ عمر ، يا عبد الله بنَ عمر ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « قوما ، فاغسلا وجوهَكما ، فلا أحسب عُمرَ إلّا داخلاً . رواه النسائي[1].

١٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : استئذانه ﷺ منهن في مرض وفاته ، أن يمرَّض في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها ، لصعوبة تنقله وحركته .

فعن عُبيد الله بنِ عبد الله بن عُتبة رحمه الله تعالى ، أن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ ، واشتد به وجعه ، استأذن أزواجَه في أن يُمَرَّض في بيتي . فأذِنَّ له ، فخرج النبيُّ ﷺ بين رجلين ، تخط رجلاه في الأرض ، بين عباس [بن عبد المطلب] ورجل آخر .

قال عُبيد الله : فأخبرتُ عبد الله بنَ عباس [بالذي قالت عائشة] فقال : أتدري من الرجل الآخر ؟ قلت : لا . قال : هو علي . متفق عليه[2].

---

(١) السنن الكبرى (٥ : ٢٩١) وعشرة النساء (٥٨ ـ ٥٩) ورجاله رجال الصحيح . وكتاب العيال (٢ : ٧٦٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ،... رقم (٩١ ـ ٩٢).

وعنها رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى النساء ـ تعني في مرضه ـ فاجتمعن ، فقال : « إني لا أستطيع أن أدور بينكن ، فإن رأيتن أن تأذنَّ لي فأكون عند عائشة فعلتن » فأذنَّ له . رواه أحمد وأبو داود والبيهقي[1].

وعنها رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يَسأل في مرضه الذي مات فيه ، يقول : « أين أنا غداً ، أين أنا غداً ؟ » يريد يومَ عائشة ـ فأذِن له أزواجُه يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها .

قالت عائشة : فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي ، فقبضه الله عز وجل وإن رأسَه لَبَيْن نَحري وسَحْري ، وخالط ريقُه ريقي ،... الحديث ، وفيه قصة السواك ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

استأذنهن ليُسقطن حقَّهن ، فأذنَّ جميعاً ، وهذا من كرم أخلاقه ﷺ ، وحسن عشرته ، وجميل صفاته .

١٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : مراعاته لشعور الصغيرات منهن ، لذا كان يسمح لعائشة اللعب بالبنات .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبيِّ ﷺ ، وكان لي صواحبُ يلعبن معي ، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٢١٩ ـ ٢٢٠) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب القسم بين النساء ، رقم (٢١٣٧) والسنن الكبرى (٧ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩) والمهذب في اختصار السنن الكبير (٦ : ٢٨٨٣) وفتح الباري (٨ : ١٤١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب مرض النبيِّ ﷺ ووفاته ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب في فضائل عائشة رضي الله تعالى عنها ، رقم (٨٤) مختصراً .

يتقَمَّعْنَ منه ، فيُسرِّبُهن إليَّ ، فيلعبنَ معي . متفق عليه[1].

وعنها رضي الله عنها قالت : قدم النبيُّ ﷺ من غزوة ، وقد نصبتُ على باب حجرتي عباءةً ، وعلى عُرض بيتها سِتر إرمينيّ - فدخل البيتَ ، فلما رآه قال لي : « يا عائشة ؛ ما لي وللدنيا » فهتك العُرضَ حتى وقع الأرضَ ، وفي سهوتها سِترٌ ، فهبّت الريحُ ، فكشفت ناحيةً عن بناتٍ لعائشة لُعبٍ ، فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : بناتي ، ورأى بين ظهرانيهن فرساً له جناحان . قال : « فرسٌ له جناحان ؟ » قالت : أوما سمعتَ أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ فضحك حتى بدت نواجذُه . رواه أبو داود والنسائي والبيهقي[2].

ويلاحظ جوابها (أوَ ما سمعتَ) ومع هذا فقد ضحك ﷺ ، مراعاة لشعورها ، وتنزُّلاً لحالها ومقامها ، والله تعالى أعلم .

١٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : سماحه ﷺ لعائشة رضي الله تعالى عنه أن ترى لعبَ الحبشة ، لأنها كانت صغيرة ، وتُسرُّ بالنظر إلى اللعب .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : والله ، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي - والحبشةُ يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ - يسترني بردائه ، لكي أنظر إلى لعبهم ، ثم يقوم من أجلي ، حتى أكون أنا التي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الانبساط إلى الناس . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب في فضل عائشة رضي الله عنها ، رقم (٨١).

(٢) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في اللعب بالبنات ، رقم (٤٩٣٢) والسنن الكبرى (٥ : ٣٠٦ ـ ٣٠٧) وعشرة النساء (٩٤ ـ ٩٥ رقم ٦٤) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ٢١٩) والآداب (٤١٩ رقم ٩١٥).

أنصرف ، فاقدُروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السن ، حريصةً على اللهو . متفق عليه[1].
وللحديث ألفاظ وطرق كثيرة .

زاد الحميدي وأحمد والسراج[2] عنها رضي الله تعالى عنها ـ في رده ﷺ على زجر عُمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لهم ـ : « لتعلم يهود أن في ديننا فسحة ، إني بُعثتُ بحنيفية سمحة ».

ويدخل في ذلك : سماحه ﷺ لهن بالتمتع يوم العيد ، وما يكون فيه من لهوٍ غير المعصية ، لأن ديننا دينُ السماحة واليسر ، بخلاف دين اليهود .

فعنها رضي الله تعالى عنها قالت : دخل عليَّ أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وعندي جاريتان من جواري الأنصار ، تغنِّيان بما تقاولت به الأنصار يومَ بُعاث . قالت : وليستا بمغنيتين ، فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ وذلك في يوم عيد ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر ، إن لكل قوم عيداً ، وهذا عيدنا ».

وفي رواية عنها : ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف رسول الله ﷺ عنه ، وقال : « دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيامُ عيد ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب حسن المعاشرة مع الأهل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين : باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ، رقم (١٨ ـ ٢١).

(٢) مسند الحميدي (١ : ١٢٣ ـ ١٢٤) ومسند أحمد (٦ : ١١٦ ، ٢٣٣) وفتح الباري (٢ : ٤٤٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب الحرب والدرق يوم العيد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦ ـ ١٧).

١٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : إباحته ﷺ معاشرة الحائض ، كالنوم معها في الفراش ، أو معاشرتها بدون مسيس ، وتمكينها من ترجيل شعره ، أو الاتكاء في حجرها وهو يقرأ القرآن ،... والشرب من حيث تشرب ، والأكل من حيث تأكل ، وكل ذلك مخالف لما عليه اليهود ، والنصوص في هذا الباب كثيرة ، أقتصر على ذكر بعضها .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كنتُ أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبيَّ ﷺ ، فيضع فاه على موضع فِيَّ ، فيشرب . وأتعرَّقُ العَرْقَ [هو العظم الذي عليه بقية لحم] وأنا حائض ، ثم أناوله النبيَّ ﷺ ، فيضع فاه على موضع فِيَّ . رواه مسلم[١].

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض ، فيقرأ القرآن . رواه مسلم[٢].

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : كنت أغسل رأسَ رسول الله ﷺ وأنا حائض . رواه مسلم[٣].

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يُدني إليَّ رأسَه وأنا في حجرتي ، فأُرجِّل رأسَه وأنا حائض . رواه مسلم[٤].

وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « ناوليني الخُمرةَ من المسجد » قالت : فقلت : إني حائض . فقال : « إن حيضتَك ليست

(١) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ،... رقم (١٤).
(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥).
(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠).
(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨ ، ٩).

في يدك ». رواه مسلم[1].

١٧ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : غضه ﷺ الطرف عن رفع أصواتهن رضي الله عنهن بحضرته ، وعدم مؤاخذتهن به .

فعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما قال : جاء أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ يستأذن على النبيِّ ﷺ ، فسمع عائشة وهي رافعةٌ صوتَها على رسول الله ﷺ ، فأذن له ، فدخل ، فقال : يا ابنةَ أم رومان ، [فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها] وتناولها ، ترفعين صوتَك على رسول الله ﷺ ! فحال النبيُّ ﷺ بينه وبينها [فأمسكه رسول الله ﷺ ، وجعل يحجزه] فلما خرج أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ جعل النبيُّ ﷺ يقول لها ـ يترضّاها ـ : « ألا ترين أني قد حُلتُ بين الرجل وبينك ».

قال : ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه ، فوجده يضاحكها . قال : فأذن له ، فدخل . فقال له أبو بكر : يا رسول الله ؛ أشركاني في سِلْمكما ، كما أشركتماني في حربكما . [فقال رسول الله ﷺ : « قد فعلنا »]. رواه أحمد وأبو داود والنسائي والطحاوي والبزار برجال الصحيح ، وصححه الحافظ[2].

١٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : غضه ﷺ

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١ ـ ١٣).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، ٢٧٥) وفضائل الصحابة له (١ : ٧٤ ـ ٧٥ ، ٧٥) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في المزاح ، رقم (٤٩٩٩) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٦٥) وعشرة النساء (٢٣٠ رقم ٢٧٣) ومعجم الصحابة لابن قانع (٣ : ١٤٤) وشرح مشكل الآثار (١٣ : ٣٣٣ ـ ٣٣٤) وكشف الأستار (٣ : ١٩٤ ـ ١٩٥) ومجمع الزوائد (٩ : ١٢٦ ـ ١٢٧ ، ٢٠١ ـ ٢٠٢) وفتح الباري (٧ : ٢٧) وانظر كتاب العيال (٢ : ٧٥٩) وللحديث رواية أخرى بأطول .

الطرف عن غضب عائشة رضي الله تعالى عنها ، لأن الدافع لها هو الغيرة ، وأن غضبها عليه هو هجران اسمه الشريف لا غير .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « إني لأعلمُ إذا كنتِ عني راضيةً ، وإذا كنتِ عليَّ غضبى » قالت فقلت : ومِنْ أين تعرفُ ذلك ؟ قال : « أمّا إذا كنتِ عنّي راضيةً فإنكِ تقولين : لا ، وربِّ محمد . وإذا كنتِ غضبى قلتِ : لا ، وربِّ إبراهيم » قالت قلت : أجل ، والله ، يا رسول الله ؛ ما أهجر إلا اسمَك . متفق عليه[1].

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى[2] : إنما اغتفرت مغاضبة عائشة للنبي ﷺ ـ مع ما في ذلك من الحرج ـ لأن الغضب على النبيِّ ﷺ معصية كبيرة ـ لأن الحامل لها على ذلك : الغيرة التي جُبلت عليها النساء ، وهي لا تنشأ إلّا عن فرط المحبة ، فلما كان الغضب لا يستلزم البغض اغتُفِر ، لأن البغض هو الذي يفضي إلى الكفر أو المعصية ، وقد دلَّ قولُها : (لا أهجر إلّا اسمَك) على أن قلبَها مملوء بمحبته ﷺ .اهـ.

١٩ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : عدم مؤاخذته ﷺ لهن عند مراجعة إحداهن رضي الله تعالى عنهن له . مع أنه غيرُ معهود ولا معروف ، خاصة في مكة .

فعن أم مبشِّر رضي الله تعالى عنها ، أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخلُ النارَ ـ إن شاء الله ـ من أصحاب الشجرة أحدٌ ؛ الذين

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب غيرة النساء ووجدهن ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ، رقم (٨٠).

(٢) وانظر فتح الباري (١٠ : ٤٩٧ ـ ٤٩٨) وإكمال المعلم (٧ : ٤٤٦).

بايعوا تحتها » قالت : بلى ، يا رسول الله ، فانتهرها . فقالت حفصة : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1]. فقال النبيُّ ﷺ : « قد قال الله عز وجل : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[2] ». رواه مسلم[3].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلّا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبيَّ ﷺ قال : « من حوسب عُذِّب » قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ؛ أَوَ ليس يقول الله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4]. قالت : فقال : « إنما ذلك العَرْضُ ، ولكن من نوقش الحسابَ يهلك ». متفق عليه[5].

كما مر حديثُ عمر رضي الله تعالى عنه - وفيه قول زوجته له : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبيِّ ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليومَ إلى الليل . فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر .

وقول السيدة حفصة له رضي الله تعالى عنهما ، لما قال لها : يا بُنيّة ؛ إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان ؟ فقالت حفصةُ : والله لنراجعنَّه . فقلت : تعلمين أني أُحذِّرك عقوبةَ الله وغضب رسوله ،... الحديث

---

(١) سورة مريم (٧١).

(٢) سورة مريم (٧٢).

(٣) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أصحاب الشجرة ؛ أهل بيعة الرضوان رضي الله تعالى عنهم ، رقم (١٦٣).

(٤) سورة الإنشقاق (٨).

(٥) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب إثبات الحساب ، رقم (٧٩ ، ٨٠).

بطوله ، متفق عليه[1].

٢٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أنه ﷺ ما ضرب خادماً ولا امرأة منهن مهما فعلت . بل كان يحلم عليهن ويصبر .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلّا أن يجاهدَ في سبيل الله ، وما نيل منه شيءٌ قطُّ فينتقمَ من صاحبه ، إلّا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله ، فينتقمَ لله عز وجل . رواه مسلم[2].

٢١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : ادخاره مما يأتيه النفقةَ لهن مؤونة السنة ، وما زاد جعله في سبيل الله تعالى .

فعن عُمَر رضي الله تعالى عنه قال : كانت أموالُ بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصَّةً ، وكان ينفق على أهله نفقةَ سنته [وفي رواية : ويحبس لأهله قوتَ سنتهم] ثم يجعل ما بقي في السلاح والكُراع ، عُدَّةً في سبيل الله . متفق عليه[3].

٢٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : أمره ﷺ عبد الرحمٰن بإعمار عائشة رضي الله تعالى عنها . عندما ظنت أنها ترجع

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة التحريم : باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾ ، وكتاب النكاح : باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب في الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، رقم (٣٠ـ ٣٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب مباعدته ﷺ للآثام ،... رقم (٧٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب المجن ومن يترس بترس صاحبه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب حكم الفيء ، رقم (٤٨ ، ٤٩).

بأجر واحد دون صويحباتها .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ـ في قصة حجتها مع رسول الله ﷺ ، وفيه ـ قالت : يا رسول الله ؛ أيرجع الناس بأجرين وأرجعُ بأجر ؟

فأمر عبدَ الرحمٰن بنَ أبي بكر أن ينطلق بها إلى التنعيم ، قالت : فأردفني خلفه على جملٍ له . قالت : فجعلتُ أرفع خماري ، أحسره عن عنقي ، فيضرب رِجْلي بعِلَّةِ الراحلة . قلت له : وهل ترى من أحد ؟ قالت : فأهللت بعمرة . ثم أقبلنا حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ ، وهو بالحَصبَةِ . متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم[1].

٢٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : قلبه ﷺ السيدة صفية رضي الله تعالى عنها إلى باب المسجد عندما جاءته تزوره وهو معتكف في المسجد ، فلم يتركها تذهب وحدها لبعد بيتها ، ولظلمة الليل ، لذا وقف بباب المسجد حتى تأنس به .

فعن صفية بنت حُيي ـ أم المؤمنين ـ رضي الله تعالى عنها ، أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، فتحدَّثت عنده ساعة ، ثم قامت تنقلبُ . فقام النبيُّ ﷺ يَقلبُها ، حتى إذا بلغت بابَ المسجد ـ عند بابِ أمِّ سلمة ـ مر رجلان من الأنصار ، فسلّما على رسول الله ﷺ ، فقال لهما النبيُّ ﷺ : « على رِسلِكما ، إنما هي صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، وكبُر عليهما . فقال النبيُّ ﷺ : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العمرة : باب العمرة ليلة الحصبة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب بيان وجوه الإحرام ،... رقم (١١١ ـ ١٣٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتكاف : باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ، =

ورواه مسلم[1] من أنس رضي الله تعالى عنه بنحوه .

٢٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : استئذانه ﷺ السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أن يصلي من الليل ، ويعبد ربَّه تعالى .

فعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى قال : دخلت أنا وعُبيد بنُ عُمير على عائشة رضي الله تعالى عنها ،... فقال عُبيد بنُ عُمير : حدِّثينا بأعجب شيءٍ رأيتِه من رسول الله ﷺ ؟ فبكت ، ثم قالت : [كلُّ أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي ، حتى إذا دخل معي في لحافي ، وألزق جلدَه بجلدي قال :] يا عائشة ؛ ذريني أتعبَّد الليلة لربي » قلت : والله إني لأُحبُّ قربَك ، وأحبُّ ما يسُّركَ . قالت : فقام فتطهَّر ، ثم قام يصلي . قالت : فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجرَه ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرضَ .

وجاء بلالٌ يُؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ؛ تبكي وقد غَفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ لقد نزلت عليَّ الليلةَ آياتٌ ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية[2] ». رواه أبو الشيخ والأصبهاني وآخرون ، وصححه ابن حبان ، وهو على شرط مسلم[3].

= وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب بيان أنه يستحب لمن رُؤي خالياً بامرأة ، وكانت زوجتَه أو محرماً له أن يقول : هذه فلانة ، رقم (٢٤ـ ٢٥).

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٣).

(٢) سورة آل عمران (١٩٠).

(٣) أخلاق النبيّ (١٥٣ـ ١٥٤ ، ١٦٠) والترغيب والترهيب للأصبهاني (٢ : ٤٤١ـ ٤٤٢) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٨٦ـ ٣٨٧) وانظر الدر المنثور (٢ : ١٠٩) فقد عزاه لآخرين .

٢٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : سهره ﷺ معهن ، وسماعه منهن ما يقصصنه ، مع غض طرفه ﷺ عما يقع منهن من عبارات لا تليق ، لكنها تصدر على البراءة .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأةً ، فتعاهدنّ وتعاقدنَ أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ،... الحديث بطوله ، حيث إن كل واحدة تذكر حالَ وأوصافَ زوجها من خير أو شر ، وفي آخرهن أم زرع ، وبعد ثنائها على زوجها وابنه وابنته وأمه وجاريته ... وكيف طلَّقها ، ثم تزوجت غيرَه ، وما فتئت تحن إلى أبي زرع ، وفي آخر الحديث : قالت عائشة : قال لي رسول الله ﷺ : « كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع ». متفق عليه[1]. وهناك نصوص كثيرة كقصة خرافة وغيرها .

٢٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : مسحه ﷺ دموع صفية رضي الله عنها ، عندما بكت وهي راكبة على جمل بطيء .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كانت صفية ـ رضي الله تعالى عنها ـ مع رسول الله ﷺ في سفر ، وكان ذلك يومَها ، فأبطَتْ في المسير ، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي ، وتقول : حملتني على بعير بطيءٍ . فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ، ويُسكِّتُها ، فأبت إلا بكاء ،... الحديث بطوله ، وفيه قصة هبتها يومها لعائشة وإرضائه ﷺ . رواه النسائي[2].

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب حسن المعاشرة مع الأهل . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب ذكر حديث أم زرع ، رقم (٩٢).

(٢) السنن الكبرى (٥ : ٣٦٩ ـ ٣٧٠) وعشرة النساء (٢٤٠ ـ ٢٨١ رقم ٢٨٠) بإسناد صحيح .

٢٧- ومن مظاهر رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن : منعه ﷺ أبا بكر وعمر أن يضربا عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ ، فوجد الناس جلوساً ببابه ، لم يؤذن لأحدٍ منهم ، فأُذن لأبي بكر ، فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فأُذن له . فوجد النبيَّ ﷺ جالساً ، حوله نساؤُه ، واجماً ساكتاً . قال : فقال : لأقولن شيئاً أُضحك النبيَّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ لو رأيتَ بنتَ خارجةَ سألتني النفقةَ فقمتُ إليها فوجأتُ عنقَها . فضحك رسول الله ﷺ وقال : « هن حولي كما ترى ، يسألنني النفقةَ » فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقَها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقَها ، كلاهما يقول : تسألن رسولَ الله ﷺ ما ليس عنده ؟ [فنهاهما رسول الله ﷺ عنهما] فقلن : والله ، لا نسألُ رسولَ الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ،... الحديث بطوله ، رواه مسلم(١). وما بين المعكوفتين فمن أحمد والنسائي .

وهناك أمورٌ كثيرة تدخل في هذا الموضوع ، تركتها اختصاراً ، وما ذكرته كافٍ في الدلالة على مدى رحمته ﷺ بزوجاته رضي الله تعالى عنهن ، والله تعالى أعلم .

*****

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، رقم (٢٩) ومسند أحمد (٣ : ٣٢٨ ، ٣٤٢) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٨٣- ٣٨٤ رقم ٩٢٠٨) وعشرة النساء (٢٧٧ - ٢٧٨ رقم ٣٢٦).

الفصل الرابع عشر
رحمته ﷺ بالأطفال والصغار

لا أعلم في البشرية أرحم بالأطفال والصغار من رسول الله ﷺ ، وقد ظهرت رحمته ﷺ وعطفه وحنانُه وشفقتُه ولطفُه ،... بهم بمظاهر كثيرة جدّاً ، من محبةٍ ، وتقبيل ، وشمٍّ ، وحمل ، وإجلاسٍ في الحِجر ، وإركابٍ على الظهر ، وإردافٍ على الراحلةِ ، وتبريكٍ ، وملاطفةٍ ، ومداعبةٍ ، وسلامٍ عليهم ، وإجلاسٍ على السفرة ، وحسنِ استقبال لهم ،... وإذا عرفنا حالَ الأطفال في الجاهلية وفي البلاد المجاورة آنذاك عرفنا الفارق الكبير .

لكن يصعب استيعاب ذلك كلّه في هذا المختصر ، لذا سأقتصر ـ بإذن الله تعالى ـ على بعض النماذج ، مع الاقتصار على بعض النصوص الشريفة أيضاً ، والله تعالى المستعان ، وعليه التكلان .

١ـ فمن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : إخباره بأن الذي لا يَرحم لا يُرحم ، وأن الرحمة لا تُنزع إلّا من الشقي ، وأن الراحمين يرحمهم الرحمٰن عز وجل . وقد كثرت النصوص الشريفة عن النبي الكريم ﷺ في ذلك ، أقتصر على ذكر بعضها ، من غير تعليق .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قبَّل رسول الله ﷺ الحسنَ بنَ عليٍّ ، وعنده الأقرع بنُ حابس التميمي جالساً . فقال الأقرعُ : إن لي عشرةً من الوَلَد ما قبَّلتُ منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم ». متفق عليه[1].

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . وصحيح مسلم : =

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يرحمُ الله مَن لا يرحمُ الناسَ ». متفق عليه[1].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قدم قومٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ ، فقالوا : أتقبِّلون صبيانكم ؟ فقالوا : « نعم » فقالوا : لكنا ـ والله ـ ما نقبِّلُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « وأَملِكُ إن كان الله نزع منكم الرحمةَ ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمٰن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والحميدي وأبو داود والبيهقي ، وصحَّحه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي[3]. والنصوص كثيرة في ذلك ، ذكرتُ بعضاً منها في أول الرسالة .

= كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ، رقم (٦٥).

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ، رقم (٦٦).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٤).

(٣) مسند أحمد (٢ : ١٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٦) ومسند الحميدي (٢ : ٢٦٩ رقم ٥٩١) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤١) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة المسلمين ، رقم (١٩٢٤) وتاريخ بغداد (٣ : ٢٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٤١) والأسماء والصفات (٤٢٣) وفتح الباري (١٣ : ٣٥٩) وهذا الحديث هو المعروف بالمسلسل بالأولية .

٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : أنه ﷺ أرحم خلق الله تعالى بهم . وقد ظهرت هذه الرحمة بمظاهر كثيرة .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : ما رأيت أحداً كان أرحمَ بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال : كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه ، فيدخلُ البيتَ وإنه ليدَّخَن ، وكان ظئرُه قَيناً ، فيأخذه فيقبله . ثم يرجع . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وفي رواية أبي يعلى وأبي الشيخ والبغوي[2] : كان رسول الله ﷺ أرحمَ الناس بالصبيان . وإسناده صحيح .

٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : أنه ﷺ كان يحمل بعض الأولاد في الصلاة ـ سواء ابتداء كحمله البنت ، أو يرتحله الولد وهو في الصلاة ـ

وحمل البنت لم يكن معهوداً في ذلك الزمان ، لأن نظرتهم إلى البنت معروفة بالدُّون ، فضلاً عن حملها في الصلاة .

فعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يصلّي ، وهو حاملٌ أُمامةَ بنتَ زينبَ بنتِ رسول الله ﷺ ولأبي العاص بن الربيع ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها . متفق عليه[3].

زاد في رواية لمسلم : رأيت النبيَّ ﷺ يؤمُّ الناس ،... ثم ذكر نحوه .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب قول النبيِّ ﷺ : « إنا بك لمحزونون ». وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٢ ، ٦٣).

(٢) مسند أبي يعلى (٧ : ٢٠٦ رقم ٤١٩٧) وأخلاق النبيّ ﷺ (٥٩ ـ ٦٠) وشمائل النبيِّ ﷺ للبغوي (١ : ٢٠٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب جواز حمل الصبيان في الصلاة ، رقم (٤١ ـ ٤٣).

وقد استنبط بعضُ العلماء من فعله ﷺ : عظم قدر رحمة الولد ، لأنه تعارض حينئذ : المحافظةُ على المبالغة في الخشوع ، والمحافظة على مراعاة خاطر الولد ، فقدّم الثاني[1].

وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي بنا ، وكان الحسن يجيء وهو صغير ، فكان كلّما سجد رسول الله ﷺ ؛ وثب على رقبته وظهره ، فيرفع النبيُّ ﷺ رأسه رفعاً رقيقاً حتى يضعه . فقالوا : يا رسول الله ؛ إنك تصنع بهذا الغلام شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد . فقال : « إنه ريحانتي من الدنيا ، إن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ». رواه أحمد والبزار والطبراني بإسناد صحيح ، وصححه ابن حبان[2].

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : كان النبيُّ ﷺ يصلي ، والحسن والحسين يثبان على ظهره ، فيباعدهما الناس ، فقال ﷺ : « دعوهما ، بأبي هما وأمي ، من أحبني فليُحبَّ هذين ». رواه ابن أبي شيبة والنسائي والطبراني والبزار وأبو يعلى ، وصححه ابن حبان[3].

وقد ورد من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وفيه زيادة البرق : فبرقت

---

(١) انظر فتح الباري (١٠ : ٤٢٩).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١) والمعجم الكبير (٣ : ٢٢ ، ٢٣) وكشف الأستار (٣ : ٢٣٠ ـ ٢٣١) وحلية الأولياء (٢ : ٣٥) صحيح ابن حبان (١٥ : ٤١٨ ـ ٤١٩) ومجمع الزوائد (٩ : ١٧٥).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٩٥) وفضائل الصحابة للنسائي (رقم ٦٧) والمعجم الكبير (٣ : ٤٠) ومسند أبي يعلى (٨ : ٤٣٤) (٩ : ٢٥٠) وكشف الأستار (٣ : ٢٢٦) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧) ومجمع الزوائد (٩ : ١٧٩ ـ ١٨٠).

برقةٌ ، فقال لهما : « الحقا بأمكما » قال : فمكث ضوؤُها حتى دخلا . رواه أحمد والطبراني والبزار ، برجال ثقات ، وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي[1].

كما ورد من شدّاد بن الهاد رضي الله تعالى عنه ـ مطوّلاً ـ وفيه قوله ﷺ : « ...ولكن ابني ارتحلني ، فكرهتُ أن أُعجلَه حتى يقضي حاجتَه ». رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن أبي عاصم والنسائي ، وصححه الحاكم والضياء وابن حجر ، وأقره الذهبي[2].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : أنه ﷺ كان يدعو لهم بالتحبيب ، بأن يحبهم الله تعالى ، ويحب من يحبُّهم أيضاً .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : رأيت النبيَّ ﷺ ، والحسن بن عليٍّ على عاتقه ، يقول : « اللهم إني أحبُّه فأحبَّه ». متفق عليه[3].

وعن أسامة بنَ زيد رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ ﷺ ، أنه كان

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٥١٣) والمعجم الكبير (٣ : ٤٥) وكشف الأستار (٣ : ٢٢٧ ، ٢٢٨) والمستدرك (٣ : ١٦٧) ومجمع الزوائد (٩ : ١٩١).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١٠٠ ـ ١٠١) ومسند أحمد (٣ : ٤٩٣ ـ ٤٩٤) (٦ : ٤٦٧) وسنن النسائي : كتاب الصلاة : باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة (٢ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠) والسنن الكبرى له (١ : ٢٤٣) والآحاد والمثاني (٢ : ١٨٧ ـ ١٨٨) والمعجم الكبير (٧ : ٣٢٦) ومعجم الصحابة للبغوي (١ : ٣٣٢) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٣ : ١٤٥٧) والمستدرك (٣ : ١٦٥ ـ ١٦٦ ، ٦٢٦ ـ ٦٢٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٢٦٣) والإصابة (٢ : ٧١) وانظر إتحاف السادة المتقين (٦ : ٣٢٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب الحسن والحسين . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل الحسن والحسين ، رقم (٥٨ ، ٥٩).

يأخذُه والحسن ، فيقول : « اللهم أحبّهما فإني أحبُّهما ». رواه البخاري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة ، فانصرف ، فانصرفتُ معه ، فجاء إلى فِناء فاطمة ، فنادى الحسنَ بنَ عليٍّ : « أي لُكَع ، أي لُكَع ، أي لُكَع » فلم يجبه أحد ، ثم انصرف ، فجاء إلى فناء عائشة ، فجاء الحسنُ بنُ عليٍّ ـ قال أبو هريرة : وظننتُ أن أمَّه حبسته لتجعل في عنقه السِّخابَ ـ فلما جاء التزمه رسولُ الله ﷺ ، والتزم هو رسولَ الله ﷺ . قال : « اللهم إني أحبُّه فأحبَّه ، وأحبَّ من يحبُّه ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

وعند مسلم : حتى اعتنق كلُّ واحدٍ منهما صاحبه .

وعن يعلى بن مرَّة رضي الله تعالى عنه ، أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دُعوا له ، فاستقبل رسولُ الله ﷺ أمامَ القوم ، وحُسينٌ مع غلمان يلعب ، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه ، فطفق الصبيُّ ههنا مرةً وههنا مرةً ، فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه ، قال : فوضع إحدى يديه تحت قفاه ، والأخرى تحت ذقنه ، فوضع فاه على فيه ، فقبَّلَه . وقال : « حسينٌ مني وأنا من حُسين ، أحبَّ الله من أحبَّ حُسيناً ، حُسينٌ سبط من الأسباط ». رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه والفسوي والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب ذكر أسامة بن زيد ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيع : باب ما ذكر في الأسواق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل الحسن والحسين ، رقم (٥٧).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١٠٢ ـ ١٠٣) ومسند أحمد (٤ : ١٧٢) وفضائل الصحابة =

وكيف لا يكونان كذلك وهما رضي الله تعالى عنهما ريحانتاه من الدنيا .

فعن ابن أبي نُعم رحمه الله تعالى قال : كنتُ شاهداً لابن عُمَر- وسأله رجل عن دم البعوض - فقال : ممن أنتَ ؟ قال : من أهل العراق . قال : انظروا إلى هذا ، يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابنَ النبيِّ ﷺ . وسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « هما ريحانتاي من الدنيا ». رواه البخاري[1].

٥- ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : حمله ﷺ لهم وصعوده بهم على المنبر .

فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر ، والحسنُ بنُ عليٍّ إلى جنبه ، وهو يُقبِل على الناس مرةً وعليه أخرى ، ويقول : « إن ابني هذا سيد ، ولعلّ الله أن يصلحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ». رواه البخاري[2].

وعن بُريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا ، فجاء الحسن والحسين ، عليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران .

= له (٢ : ٧٧٢) والأدب المفرد (١٣٣ - ١٣٤) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين ، رقم (٣٧٧٥) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، رقم (١٤٤) والمعرفة والتاريخ (١ : ٣٠٨ - ٣٠٩) والمعجم الكبير (٣ : ٢٠ - ٢٢) (٢٢ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ، ٢٧٤) ومسند الشاميين (٣ : ١٨٤) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٤٢٧ - ٤٢٨) والمستدرك (٣ : ١٧٧) والكنى للدولابي (١ : ٨٨) ومجمع الزوائد (٩ : ١٨١) وعزاه للطبراني ، وحسنه .

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلح : باب قول النبيِّ ﷺ للحسن بن علي : « ابني هذا سيد ،... »، وفي غيرهما .

فنزل رسول الله ﷺ من المنبر ، فحملها ، فوضعهما بين يديه ، وقال : « صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعتُ حديثي ، ورفعتهما ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي وحسنه ، والنسائي وابن ماجه وابن أبي الدنيا والبيهقي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1].

٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : إجلاسه ﷺ لهم في حجره وعلى فخذه ، وتبريكُه عليهم ، وتحنيكُه لهم .

فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ، أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة ، قالت : فخرجتُ وأنا متمٌّ ، فأتيتُ المدينةَ ، فنزلتُ قُباء ، فولدت بقباء [ففرحوا به فرحاً شديداً ، لأنه قيل لهم : إن اليهودَ قد سحرتكم فلا يولد لكم] ثم أتيتُ به رسول الله ﷺ ، فوضعتُه في حِجره ، ثم دعا بتمرةٍ فمضغها ، ثم تفل في فيه ، فكان أولَ شيء دخل جوفَه : ريقُ رسول الله ﷺ ، ثم حنَّكه بالتمرة ، ثم دعا له وبرَّك عليه . فكان أولَ مولود وُلد في الإسلام . متفق عليه[2].

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٥٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٩٩ ـ ١٠٠) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث ، رقم (١١٠٩) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين، رقم (٣٧٧٤) وسنن النسائي : كتاب الجمعة : باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة ،... وكتاب صلاة العيدين : الباب السابق (٣ : ١٠٨ ، ١٩٢) والسنن الكبرى (١ : ٥٣٥ ، ٥٥١) وسنن ابن ماجه : كتاب اللباس : باب لبس الأحمر للرجال ، رقم (٣٦٠٠) وكتاب العيال (١ : ٣٤١رقم ١٧٩) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٥٤) (٤ : ١٥١ ـ ١٥٢ ، ١٥٢) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٤٠٣) والمستدرك (١ : ٢٨٧) (٤ : ١٨٩) والسنن الكبرى (٣ : ٢١٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبيِّ ﷺ ، وكتاب العقيقة ، في =

وعن يوسف بن عبد الله بن سَلام رضي الله تعالى عنهما قال : سمّاني رسول الله ﷺ يوسفَ ، وأقعدني في حجره ، ومسح على رأسي [ودعا لي بالبركة]. رواه الحميدي وأحمد والترمذي والطبراني بإسناد صحيح[1].

وسيأتي عند الحديث عن بول الصبي في حجره ﷺ عدة روايات أيضاً .

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال : أُتي بالمنذر بن أبي أُسيد إلى رسول الله ﷺ حين وُلد ، فوضعه النبيُّ ﷺ على فخذه ، وأبو أُسيد جالسٌ ، فلَهِيَ النبيُّ ﷺ بشيءٍ بين يديه ، فأمر أبو أُسيد بابنه فاحتُمل مِن على فخذ رسول الله ﷺ ، فأَقلبوه . فاستفاق رسول الله ﷺ ، فقال : « أين الصَّبيُّ ؟ » فقال أبو أُسيدٍ : أقلبناه يا رسول الله ، فقال : « ما اسمه ؟ » قال : فلانٌ ، يا رسول الله ، قال : « لا ، ولكن اسمُه المنذرُ » فسمّاه يومئذٍ : المنذرَ . متفق عليه[2] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعدُني على فخذه ، ويُقعدُ الحسنَ بنَ عليٍّ على فخذه الآخر ، ثم يضمُّهما ثم يقول : « اللهم ارحمهما فإني أرحمهما » لفظ البخاري[3].

= أوله ـ والزيادة منه . وصحيح مسلم : كتاب الآداب : باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ،... رقم (٢٥ ، ٢٦).

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٥) (٦ : ٦) ومسند الحميدي (رقم ٨٦٩) والأدب المفرد (رقم ٣٦٩ ، ٨٤٠) والشمائل للترمذي (٥٦٦ ـ ٥٦٧ رقم ٣٣٩) والمعجم الكبير (٢٢ : ٢٨٥ ، ٢٨٦) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٢٦ـ ٣٢٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب تحويل الإسم إلى اسم أحسن منه . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب وضع الصبي على الفخذ .

مع الفارق بين عُمْري أسامة والحسن رضي الله تعالى عنهما ، إذ بينهما نحو عشر سنين .

٧ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : إتيان المسلمين ـ من مهاجرين وأنصار رضي الله تعالى عنهم ـ إلى رسول الله ﷺ بأولادهم بعد ولادتهم ؛ ليبرِّك عليهم ، ويدعو لهم ، وإن كانوا مرضى ، فإنه ﷺ يدعو لهم بالشفاء ، ويسمّيهم .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يُؤتى بالصبيان ، فيُبرِّك عليهم ، ويُحنِّكهم . متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : ذهبتُ بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ حين وُلد ، ورسول الله ﷺ في عباءة يهنَأُ بعيراً له ، فقال : « هل معك تَمْرٌ ؟ » فقلت : نعم . فناولتُه تمراتٍ . فألقاهنَّ في فيه ، فلاكَهُنَّ ، ثم فغر فا الصبيِّ فمجَّه في فيه ، فجعل الصبيُّ يتلمَّظُه . فقال رسول الله ﷺ : « حِبُّ الأنصار التمر » وسمّاه عبدَ الله . لفظ مسلم[2].

وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله تعالى عنه قال : وُلِد لي غُلامٌ ، فأتيتُ به النبيَّ ﷺ ، فسمّاه إبراهيم ، وحنَّكه بتمرة ، ودعا له بالبركة ، ودفعه إليَّ . وكان أكبر ولد أبي موسى . متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب وضع الصبي في الحجر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله ، رقم (١٠٣) وكتاب الآداب : باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ،... رقم (٢٧).

(٢) صحيح مسلم : في كتاب الآداب والباب السابق ، رقم (٢٢ ـ ٢٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من سمى بأسماء الأنبياء . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤).

وعن محمد بن حاطب ، عن أمه أم جميل بنت المجلِّل رضي الله تعالى عنهم قالت : أقبلتُ بك من أرض الحبشة ، حتى إذا كنتُ من المدينة على ليلة أو ليلتين : طبختُ لك طبيخاً ، ففني الحطبُ ، فخرجتُ أطلبه ، فتناولتَ القدرَ ، فانكفأت على ذراعك ، فقدمتُ بك المدينةَ ، فأتيتُ بك رسولَ الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا محمد بنُ حاطبٍ ، وهو أوَّلُ من سُمِّي بك ، فمسح على رأسك ، ودعا لك بالبركة ، وتفل في فيك ، وجعل يتفل على يدك ، ويقول : « أذهب الباسَ ربَّ الناس ، واشف أنتَ الشافي ، لا شفاءَ إلّا شفاؤك ، شفاءاً لا يغادر سَقَماً ».

قالت : فما قمتُ بك من عنده حتى برِئت يدُك . رواه أحمد والنسائي والبيهقي بإسناد صحيح[1]. أما الدعاء بالشفاء ؛ فثابت من غير طريقها في الصحيحين وغيرهما .

وقد مر قبل قليل حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما في إتيان أبي أُسيد بابنه المنذر حين وُلد إلى رسول الله ﷺ ، فوضعه النبيُّ ﷺ على فخذه ، وسمّاه المنذرَ . متفق عليه .

٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : عدم انزعاجه لو بال أحدهم على ثوبه أو في حجره ، بل لو أن أحد الحاضرين آذى الطفل عنّفه ، وأنه آذى رسول الله ﷺ لإيذائه الطفل ، لأنه لا يدرك آنذاك .

فعن أم قيس بنت محصن رضي الله تعالى عنها ، أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعامَ إلى رسول الله ﷺ ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حِجْره ، فبال

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٢٥٩) وعمل اليوم والليلة (رقم ١٨٧ ، ١٠٢٤ ـ ١٠٢٦) ودلائل النبوة (٦ : ١٧٤ ـ ١٧٥) وكتاب العيال (١ : ٤٠٩ ـ ٤١٠).

على ثوبه ، فدعا بماء فنضحه ، ولم يغسله . متفق عليه[1].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالصبيان فيدعوَ لهم ، فأُتِيَ بصبيٍّ ، فبال على ثوبه ، فدعا بماء فأتبعه إياه ، ولم يغسله . متفق عليه[2].

وعن أبي ليلى رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ عند رسول الله ﷺ فجاء الحسن بن عليٍّ يحبو ، حتى صعد على صدره ، فبال عليه ، فابتدرناه لنأخذه . فقال النبيُّ ﷺ : « ابني ، ابني » قال : ثم دعا بماء ، فصبّه عليه . رواه ابن أبي شيبة وأحمد والطحاوي والطبراني وابن أبي الدنيا في آخرين ـ من طرق ـ وهو صحيح[3].

وعن أم الفضل ـ لبابة بنت الحارث ـ رضي الله عنها قالت : رأيتُ كأن في بيتي طيفاً من رسول الله ﷺ ، فذكرت ذلك ، فقال : « خيرٌ إن شاء الله ، تلد فاطمةُ غلاماً تكفلينه بلبن ابنك قُثم ».

قالت : فولد حسناً ، فأعطاني فأرضعتُه ، ثم جئت به ، فأجلستُه في حِجرِه ، فبال عليه . فضربتُ بيدي بين كتفيه . فقال : « ارفقي ، أصلحك الله ـ أو يرحمك الله ـ أوجعت ابني ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطهارة : باب بول الصبيان . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله ، رقم (١٠٣ ، ١٠٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب الدعاء للصبيان بالبركة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠١ ، ١٠٢).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١ : ١٢٠ ـ ١٢١) (١٤ : ١٧٢) ومسند أحمد (٤ : ٣٤٧ ـ ٣٤٨ من طرق) والآحاد والمثاني (٤ : ١٧٠) وشرح معاني الآثار (١ : ٩٣ ، ٩٤) والمعجم الكبير (٧ : ٩ من طريقين) وكتاب العيال (١ : ٤٠١) (٢ : ٨٧٨) ومجمع الزوائد (١ : ٢٨٤) (٤ : ٤٦).

قالت : فقلت : اخلع إزارَك ، والبس ثوباً غيرَه حتى أغسلَه . فقال : « إنما يُغسلُ من بول الجارية ، ويُنضح من بول الغلام ». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبراني في آخرين ، وصححه ابن خزيمة والحاكم وأقره الذهبي[1]. ورواه بعضهم مختصراً .

والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، حيث ورد عن عدد من الصحابة .

٩ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : مبايعته لهم إذا كانوا مميزين ، واعتذاره ﷺ عن مبايعتهم إذا كانوا دون ذلك ، مع دعائه لهم .

فعن أسماء رضي الله تعالى عنها ـ في قصة ولادة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ، وإتيانهم به إلى رسول الله ﷺ ليحنِّكه... وفيه قول عائشة : فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها ، فمضغها ، ثم بصقها في فيه ، فإن أول شيء دخل بطنَه لريقُ رسول الله ﷺ .

ثم قالت أسماء : ثم مسحه ، وصلّى عليه [أي دعا له] وسمّاه عبدَ الله . ثم جاء ، وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسولَ الله ﷺ ، وأمره بذلك الزبيرُ . فتبسّم رسولُ الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه . ثم بايعه . رواه مسلم[2].

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٣٣٩ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١ : ١٢٠) (١٤ : ١٧١ ـ ١٧٢) والطبقات الكبرى (٨ : ١٧٨ ـ ١٧٩ ، ١٧٩) وسنن أبي داود : كتاب الطهارة : باب بول الصبي يصيب الثوب ، رقم (٣٧٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب ما جاء في بول الصبي الذي لم يطعم ، وكتاب تعبير الرؤيا : باب تعبير الرؤيا رقم (٥٢٢ ، ٣٩٢٣) وشرح معاني الآثار (١ : ٩٢ ، ٩٤) وصحيح ابن خزيمة (١ : ١٤٣) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٥٠٠ ـ ٥٠١) والمعجم الكبير (٣ : ٥ ، ٩) (٢٥ : ٢٥ ـ ٢٧ من طرق) والمستدرك (١ : ١٦٦) وكتاب العيال (٢ : ٨٧٤ ـ ٨٧٥) وشرح السنة (٢ : ٨٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤١٤ ـ ٤١٥) ومعرفة السنن والآثار (٣ : ٣٧٥ ـ ٣٧٦) وانظر فتح الباري (١ : ٣٢٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الآداب : باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ،... رقم (٢٥) =

ورواه البخاري مختصراً .

وعن عبد الله بن هشام رضي الله تعالى عنه ـ وكان قد أدرك النبيَّ ﷺ ـ وذهبت به أمه ؛ زينب بنت حُميد إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ؛ بايعه . فقال النبيُّ ﷺ : « هو صغير » فمسح على رأسه ، ودعا له . رواه البخاري[1].

١٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : سماحه ﷺ لهم بالنظر أو باللعب بخاتم النبوة الموجود بين كتفيه .

فعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال : ذَهَبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ؛ إن ابن أختي وجِعٌ ، فمسح ﷺ على رأسي ، ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربتُ من وَضوئه ، وقمت خلف ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه ، فإذا هو مثل زِر الحجلة . متفق عليه[2].

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله تعالى عنهما قالت : أتيتُ رسول الله ﷺ مع أبي ، وعليَّ قميصٌ أصفرٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « سَنَهْ سَنَهْ » ـ وهي بالحبشية : حسنة . قالت : فذهبت ألعبُ بخاتم النبوَّةِ ، فزَبَرَني أبي ، قال رسول الله ﷺ : « دعها »... الحديث ، رواه البخاري[3].

= وصحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبيِّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، وفي غيرهما .

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب بيعة الصغير ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب استعمال فضل وضوء الناس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ ، رقم (١١١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من تكلم بالفارسية والرطانة ، وفي غيرهما .

قلت : وأم خالد واسمها : أَمةُ بنت خالد بن سعيد ، طفلةٌ صغيرةٌ وُلدت في الحبشة ، يوم كان المسلمون هناك ، ثم قدمت مع أبيها بعد خيبر ، ولما كبرت تزوجها الزبير بن العوام ، وولدت له عدداً من الأولاد منهم : خالد وبه تُكنى وقد عمَّرت ، لذا كان ﷺ حين أعطاها هذه البردة ـ كما هو مصرح في عدد من الروايات عند البخاري وغيره ـ مازحها ولاطفها لصغر سنها ، ولكنها تعقل وتميز ، والله تعالى أعلم .

١١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالأطفال والصبيان : إعطاؤه ﷺ أولَ الثمر لمن حضر منهم . وذلك أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا إذا بدا ظهور الثمر ، فإنهم يأتون بباكورته إلى رسول الله ﷺ ليدعو لهم ويبرِّك عليه .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان الناسُ إذا رأوا أولَ الثَّمَرِ جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ومُدِّنا ، اللهم إن إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيُّك ، وإني عبدُك ونبيُّك ، وإنه دعاك لمكة ، وإني أدعوك للمدينة ، بمثل ما دعاك به لمكة ، ومثلِه معه » قال : يدعو أصغرَ وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر . رواه مسلم[1]. وانظر فضائل المدينة المنورة ، فقد ذكرت روايات الحديث .

١٢ـ ومن رحمته ﷺ بالأطفال والولدان : دعوته ﷺ لهم أن يأكلوا معه . وهذا غير مألوف في تلك البيئة في ذلك الوقت ، بل حتى في كثير من بيئاتنا في هذا الزمان .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة ، رقم (٤٧٣ ، ٤٧٤).

فعن عُمَر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما ، أنه دخل على رسول الله ﷺ ـ وعنده طعام [وكانت يدي تطيش في الصحفة] فقال : « ادن يا بني ، فَسَمِّ الله تعالى ، وكُلْ بيمينك ، وكُلْ مما يليك ». متفق عليه[1].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : كنا إذا حضرنا مع النبيِّ ﷺ طعاماً لم نضع أيدَينا ، حتى يبدأ رسولُ الله ﷺ ، فيضع يده ، وإنا حضرنا معه مرةً طعاماً ، فجاءت جارية كأنها تُدفَع ، فذهبت لتضع يدَها في الطعام ، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ،... الحديث وفيه مجيء الأعرابي . واستحلال الشيطان للطعام الذي لا يُذكر اسمُ الله عليه . رواه مسلم[2].

فهي لم تُسمّ الله تعالى عند بدء الطعام ، لذا أخذ رسول الله ﷺ بيدها ، حتى لا يستحل الشيطان الطعام .

علماً بأن إطعام الوالد المسلم لأولاده الصغار ـ وخاصة البنات ـ يكون حرزاً له من النار ، وسبباً لدخوله الجنة .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاثَ تمَرات ، فأعطت كلَّ واحدة منهما تمرةً ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها . فاستطعَمَتْها ابنتاها ، فشقَّت التمرةَ التي كانت تريد أن تأكلَها بينهما . فأعجبني شأنها . فذكرتُ الذي صنعَتْ لرسول الله ﷺ . فقال : « إن الله قد أوجب لها بها الجنة ـ أو أعتقها بها من النار ». لفظ مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة : باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، رقم (١٠٨ ، ١٠٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، رقم (١٠٢)

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل الإحسان إلى البنات ، رقم (١٤٨)، وسيأتي رواية أخرى عندهما ، مغايرة لهذا الحديث .

١٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : ملاطفته لهم عند الإنكار عليهم ، ووقوعهم في خطأ .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أنه بات عند ميمونة ـ زوج النبيِّ ﷺ وهي خالته ـ قال : فاضطجعت في عُرض الوسادة ، واضطجع رسول الله ﷺ في طولها ، فنام رسول الله ﷺ ، حتى إذا انتصف الليل ـ أو قبله بقليل أو بعده بقليل ـ استيقظ رسول الله ﷺ ، فجعل يمسح النومَ عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيمَ من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شنٍّ معلقة ، فتوضأ منها ، فأحسن الوضوء ، ثم قام يصلي .

قال عبد الله : فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي ، ثم أخذ بأذني اليمنى ، قال : ففتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع ، حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبحَ . متفق عليه[1] .

وعن أبي جُبير رافعِ بن عَمْرٍو الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ وأنا غلامٌ أرمي بنخل الأنصار ، فقيل للنبي ﷺ : إن ههنا غلامٌ يرمي نخلَنا ـ أو يرمي النخل ـ فأُتِيَ بِيَ النبيّ ﷺ . فقال : « يا غلام ، لِـمَ ترمي النخلَ ؟ » فقلت : آكل . فقال : « لاترم النخل ، وكُلْ مما سقط في أسافلها » قال : ثم مسح رأسي ، وقال : « اللهم أشبع بطنَه ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي وصححه ، وابن ماجه والحاكم والبيهقي[2] .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (١٨١ ـ ١٩٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦ : ٨١ ـ ٨٢) ومسند أحمد (٥ : ٣١) وسنن أبي داود : كتاب =

١٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : مداعبته ﷺ لهم ، وقربه منهم .

فعن محمود بن الربيع رضي الله عنه قال : عقلت من النبيِّ ﷺ مجةً مجَّها في وجهي ، وأنا ابن خمس سنين ، من بئر كانت في دارهم . رواه البخاري[1].

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله تعالى عنهما قالت : أتيتُ رسول الله ﷺ مع أبي ، وعليَّ قميصٌ أصفرٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « سَنَهْ سَنَهْ » ـ وهي بالحبشية : حسنة . قالت : فذهبت ألعبُ بخاتم النبوَّةِ ، فزَبَرني أبي ، قال رسول الله ﷺ : « دعها »ثم قال رسول الله ﷺ : « أبلي وأخلِقي ، ثم أَبلي وأَخلِقي ، ثم أَبلي وأَخلقي » الحديث ، رواه البخاري[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً ، وكان لي أخٌ يقال له أبو عُمير ـ قال : أحسبه كان فطيماً ـ قال : فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه ، قال : « يا أبا عُمير ما فعل النُّغَير » قال : فكان يلعب به . متفق عليه[3].

= الجهاد : باب من قال : إنه يأكل مما سقط ، رقم (٢٦٢٢) وسنن الترمذي : كتاب البيوع : باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمار بها ، رقم (١٢٨٨) وسنن ابن ماجه : كتاب التجارات : باب من مر على ماشية قوم أو حائط ، رقم (٢٢٩٩) والآحاد والمثاني (٢ : ٢٦٤ ـ ٢٦٥) وكتاب العيال (١ : ٤١٦) والمعجم الكبير (٥ : ٦ من طريقين) والمستدرك (٣ : ٤٤٣ من طريقين) والسنن الكبرى (١٠ : ٢ ـ ٣ ، ٣).

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب متى يصح سماع الصغير ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من تكلم بالفارسية والرطانة ، وفي غيرهما .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأدب : باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله =

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بصر عيناي هاتان ، وسمع أذناي النبيَّ ﷺ وهو آخذٌ بيد حسن أو حسين وهو يقول : « ترق عين بقة » قال : فيضع الغلام قدمَه على قدم النبيِّ ﷺ ، ثم يرفعه ، فيضعه على صدره ، ثم يقول : « افتح فاك » قال : ثم يقبِّلُه . ثم يقول : « اللهم إني أحبُّه فأحبّه ». رواه ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد وابن السني وابن أبي الدنيا والطبراني ، وشواهده ما سبق وما يأتي[1]. فهو بها حسن .

١٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : سلامُه ﷺ عليهم إذا مرَّ بهم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يزور الأنصار ، ويسلِّم على صبيانهم ، ويمسح رؤوسَهم ، ويدعو لهم . رواه النسائي والبزار في آخرين بإسناد صحيح ، وصححه البغوي وابن حبان[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أنه مر على صبيان فسلَّم عليهم ، ثم حدَّث أن رسول الله ﷺ مر على صبيان فسلّم عليهم . متفق عليه[3].

= إلى صالح ليحنكه ،... رقم (٣٠).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١٠١) والأدب المفرد (٩٨ ، ١٠٤ ـ ١٠٥رقم ٢٤٩ ، ٢٧٠) وعمل اليوم والليلة (٢٥٣ رقم ٤٢١) وكتاب العيال (١ : ٣٧٣ ـ ٣٧٤) وحلية الأولياء (٢ : ٣٥) ومجمع الزوائد (٩ : ١٧٦) وكنز العمال (١٣ : ٦٤٩ ـ ٦٥٠ ، ٦٦٦ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩) (١٦ : ٤٥٨ ، ٤٦٠).

(٢) عمل اليوم والليلة للنسائي (٢٨٥ رقم ٣٢٩) وفضائل الصحابة له (١٩٣ ـ ١٩٤رقم ٢٤٤) والبحر الزخار (١٣ : ٢٩٢) وكشف الأستار (٢ : ٤٢٠ ـ ٤٢١) وشرح السنة (١٢ : ٢٦٤) والشمائل له (١ : ٣٠٩ ـ ٣١٠) وحلية الأولياء (٦ : ٢٩١) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦) وتاريخ بغداد (٨ : ٣٩٨) الموارد (٢١٤٥) ومجمع الزوائد (٨ : ٣٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاستئذان : باب التسليم على الصبيان . وصحيح مسلم : كتاب =

إذا كانت هذه الرواية تفيد المرة ، فإن الرواية الأولى تفيد العموم .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : أتى عليَّ رسول الله ﷺ ـ وأنا ألعبُ مع الغلمان ـ قال : فسلَّم علينا ، فبعثني في حاجة . فأبطأت على أمي ،... الحديث بطوله . رواه مسلم[1].

وعنه رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ مرَّ على غِلمان فسلَّم عليهم . رواه مسلم[2].

١٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : تلبيسه بيده الشريفة لبعض الأطفال الصغار ، ما يهبه لهم .

فعن أم خالد بنت خالد رضي الله تعالى عنهما قالت : أُتي النبيُّ ﷺ بثيابٍ ، فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : « من ترون أن نكسوَ هذه ؟ » فسكت القومُ . قال : « ائتوني بأم خالد » فأُتي بها تُحمل ، فأخذ الخميصة بيده ، فألبسها ، وقال : « أبلي وأَخلِقي » وكان فيها علَمٌ أخضر أو أصفر ، فقال : « يا أمَّ خالد هذا سناه » وسناه بالحبشية . رواه البخاري[3].

١٧ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : عدم إنكاره ﷺ عليهم فيما إذا لم ينفِّذوا ما أمرهم به ، أو نهاهم عنه .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : خدمتُ رسول الله ﷺ

= السلام : باب استحباب السلام على الصبيان ، رقم (١٥).

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، رقم (١٤٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب السلام : باب استحباب السلام على الصبيان ، رقم (١٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب الخميصة السوداء .

عشرَ سنين [في السفر والحضر] والله ، ما قال لي أُفٍّ قطُّ ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه لم صنعتَ هذا هكذا ، ولا لشيءٍ لم أصنعه لِمَ لَم تصنع هذا هكذا ، وكان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً . متفق عليه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : خدمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنين ، فما سبَّني سبّةً قط ، ولا ضربني ضربةً ، ولا انتهرني ، ولا عبس في وجهي ، ولا أمرني بأمر فتوانيتُ فيه فعاتبني عليه ، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله قال : « دعوه ، فلو قُدِّر شيئاً كان ». رواه عبد الرزاق وابن سعد وأحمد وابن أبي عاصم في آخرين والبغوي ، وصححه ابن حبان ، ورواه المقدسي في المختارة[2].

١٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : استقباله ﷺ بهم إذا قدم من سفر ، فيفرح بهم ، ويردف بعضهم معه على الراحلة .

فعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّي بصبيان أهل بيته . قال : وإنه قدم من سفر ، فسُبق بي إليه ، فحملني بين يديه ، ثم جيء بأحد ابْنَيْ فاطمة ، فأردفه خلفه [إمّا بالحسن وإمّا بالحسين] قال : فأُدخلنا المدينةَ ثلاثة على دابّة . رواه مسلم[3].

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً ، رقم (٥١ ـ ٥٥).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٩ : ٤٤٣) والطبقات الكبرى (٧ : ١٧) ومسند أحمد (٣ : ٢٣١) والسنة لابن أبي عاصم (١ : ٢٥٤) وأخلاق النبيِّ ﷺ (٣٥ ، ٣٦) وحلية الأولياء (٦ : ١٧٩) والشمائل للبغوي (١ : ١٦٣) وشعب الإيمان (٦ : ٢٥٨) وصحيح ابن حبان (١٦ : ١٤٥) والمختارة (٥ : ٢٠٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما ، رقم (٦٦ ، ٦٧).

وعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهما قال : أذكر أني خرجتُ مع الصبيان ـ وفي رواية : مع الغلمان ـ نتلقّى النبيَّ ﷺ إلى ثنية الوداع ، مقدمه من غزوة تبوك . رواه البخاري[1].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما قدم النبيُّ ﷺ مكة ؛ استقبلتْه أُغيلمةُ بني عبد المطلب ، فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه .

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنهما قال : أتى رسول الله ﷺ وقد حمل قُثَمَ بين يديه ، والفضلَ خلفه ـ أو قُثَم خلفه ، والفضلَ بين يديه . رواهما البخاري[2].

وهناك نصوص كثيرة فيها إرداف النبي الكريم ﷺ بعض الصبيان والأطفال خلفه على الراحلة ، لكن ما ذكرته فيه الدلالة على رحمته ﷺ بهم ، والله تعالى أعلم .

١٩ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : بكاؤه ﷺ على الأطفال إذا ماتوا ، أو كانوا في النزع ، رحمة لهم .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيفٍ القَيْن ، وكان ظئراً لإبراهيم ، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبَّله وشمّه .

ثم دخلنا عليه بعد ذلك ، وإبراهيمُ يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب كتاب النبيِّ ﷺ إلى كسرى وقيصر ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب العمرة : باب استقبال الحاج القادمين ، والثلاثة على الدابة ، وكتاب اللباس : باب حمل صاحب الدابة غيره بين يديه ، وفي غيرها .

ﷺ تذرفان ، فقال عبدُ الرحمٰن بنُ عوفٍ : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : « يا ابنَ عوف ، إنها رحمة » ثم أتبعها بأخرى ، فقال ﷺ : « إن العينَ تدمعُ ، والقلبَ يحزن ، ولا نقول إلا ما يَرضى ربُّنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ». متفق عليه(١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال : كنا عند النبيِّ ﷺ ، فأَرسلت إليه إحدى بناته تدعوه ، وتخبره أن صبيّاً لها ـ أو ابناً ـ لها في الموت . فقال للرسول : « ارجع إليها ، فأخبرها : إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكلُّ شيء عنده بأجل مسمى ، فمُرها فلتصبر ولتحتسب » فعاد الرسولُ فقال : إنها قد أقسمت لتأتينَّها . قال : فقام النبيُّ ﷺ ، وقام معه سعدُ بنُ عبادة ومعاذ بن جبل ، وانطلقتُ معهم ، فرُفع إليه الصبيُّ ، ونفسُه تقعقع كأنها في شَنَّةٍ . قال : ففاضت عيناه ، فقال له سعدُ : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ». متفق عليه(٢).

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، وما ذكرته كافٍ في الدلالة ، والله تعالى أعلم .

٢٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : مجُّه ﷺ دمَ أسامةَ بنِ زيد رضي الله تعالى عنهما عندما عثر فشُجَّ وجهه ، ثم ملاطفته له .

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنازة : باب قول النبيِّ ﷺ : « إنّا بك لمحزونون ». وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ،... رقم (٦٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب عيادة الصبيان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب البكاء على الميت ، رقم (١١).

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : عثر أسامة بعتبة الباب ، فشج في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : « أميطي عنه الأذى » فتقذَّرتُه . فجعل رسول الله ﷺ يمصُّه ويمجُّه . ثم قال : « لو كان أسامةُ جاريةً لحلَّيناه وكسوناه حتى ننفقه ». رواه ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد في آخرين ، وصححه ابن حبان والحافظ العراقي[1]. وله روايات أخرى .

٢١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : تعليمه ﷺ إياهم الأحكام الشرعية ، من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق ،... وقد ذكرت في (ساكن المدينة المنورة ،...) جملةً من رؤوس المسائل في ذلك ، أقتصر على نصين .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال : « يا غلام ؛ إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظكَ ، احفظ الله تجده تجاهكَ ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأُمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلامُ ، وجَفَّت الصحف ». رواه أحمد وابن السُّنّي وأبو نعيم والطبراني وعبد بن حُميد والآجرّي ، وصححه الترمذي والحاكم وأقره

(١) مسند أحمد (٦ : ١٣٩ ، ٢٢٢) والطبقات الكبرى (٤ : ٦١ ، ٦٢) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١٣٩ ـ ١٤٠) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب الشفاعة في التزويج ، رقم (١٩٧٦) وسنن أبي يعلى (٧ : ٤٣٥) (٨ : ٧٢ ـ ٧٣) وكتاب العيال (١ : ٣٩٣ ، ٣٩٤) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٥٣٢) وشعب الإيمان (٧ : ٤٦٧) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٥٣١) ومصباح الزجاجة (٢ : ١١٧) وانظر سير أعلام النبلاء (٢ : ٥٠١ ، ٥٠٣) وللحديث طرق أخرى وروايات .

الذهبي[1].

وعن عُمَر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام ؛ سمِّ الله ، وكُل بيمينك ، وكُل مما يليك ». متفق عليه[2].

٢٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : تخفيفه صلاة الجماعة إذا سمع بكاء الصبي ، مع أنه ﷺ دخل فيها وهو يريد إطالتها .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأدخلُ في الصلاة وأنا أريد إطالتَها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوَّز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وَجْدِ أمِّه ببكائه ». متفق عليه[3].

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب (٥٩) رقم (٢٥١٦) ومسند عبد بن حُميد (٢١٤ رقم ٦٣٦) ومسند أبي يعلى (٤ : ٤٣٠) والمعجم الكبير (١١ : ١٢٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٣) (١٢ : ٢٣٨) وعمل اليوم والليلة (٢٥٤ ـ ٢٥٥ رقم ٤٢٥) والمستدرك (٣ : ٥٤١ ، ٥٤١ ـ ٥٤٢) والشريعة (٢ : ٤١٢ ـ ٤١٣) وحلية الأولياء (١ : ٣١٤) وشعب الإيمان (١ : ٢١٦ ـ ٢١٧) (٢ : ٢٧ ـ ٢٨) والآداب له (٤٧٣ ـ ٤٧٤) والأسماء والصفات (٧٥ ـ ٧٦).

وقد ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (١ : ٤٥٨ وما بعد) الحديث التاسع عشر ، وذكر له عدداً من الطرق ، وأنه ألَّف رسالةً فيه ، وشرَحَها .

قلت : هي (نور الاقتباس في وصية النبيِّ ﷺ لابن عباس) رضي الله تعالى عنهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة : باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، رقم (١٠٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، رقم (١٩١ ـ ١٩٢).

الصبي مع أمه ، وهو في الصلاة ، فيقرأ بالسورة الخفيفة - أو بالسورة القصيرة .

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إني لأقوم في الصلاة أريد أن أُطوِّلَ فيها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي ؛ كراهية أن أشق على أمه ». رواه البخاري(1).

٢٣- ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : إنكاره ﷺ على من تؤذي ولدَها بعلاج العُذْرة ، وحثه ﷺ لهن على استعمال العود الهندي .

فعن أم قيس بنت محصن رضي الله تعالى عنها ، أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها لم يبلغ أن يأكل الطعام ، وقد أَعْلَقت عليه من العُذْرَة . قالت : فقال رسول الله ﷺ : « علامه تَدْغَرْن أولادَكنَّ بهذا الإعلاق ؟ عليكم بهذا العود الهندي [يعني : الكُسْتَ] فإن فيه سبعةَ أشفيةٍ ، منها ذاتُ الجنب - زاد في رواية : يُسعط من العُذْرة ، ويُلَدُّ من ذات الجنب ». رواه مسلم(2).

وذلك أن الأولاد يصابون بوجع في الحلق يهيج من الدم ، أو غدة تخرج بين الحلق والأنف ، وكانوا يعالجونها بأن تأخذ المرأة خرقةً فتفتلها فتلاً شديداً ، وتدخلها في أنف الصبي ، وتطعن ذلك الموضع فيتفجّر منه دمٌ أسود ، وربما أقرحته ، ويسمى ذلك دغراً وغدراً . فحثّهم ﷺ على عدم تعذيب الصبي ، وعلى استعمال العود الهندي ففيه العلاج . والله تعالى أعلم .

٢٤- ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : حثُّه ﷺ على

---

(1) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما .

(2) صحيح مسلم : كتاب السلام : باب التداوي بالعود الهندي ، وهو الكُست ، رقم (٨٦ ، ٨٧).

رحمة الصغير ، وتشديدُه على عدم ذلك ، وقد كثرت الأحاديث في ذلك ، ذكرتُ جملةً منها في (ساكن المدينة المنورة ...) أقتصر على ذكر بعضها .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يعرف حقَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرَنا ». رواه أحمد والحُميدي وابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، وصحَّحه الترمذي والحاكم والإمامُ النووي ، وأقره الذهبي ، وحسنه العراقي[1].

وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « ليس منا من لم يُوقِّر كبيرَنا ، ويرحم صغيرَنا ». رواه أحمد ، والترمذي وحسَّنه ، وعبدُ بن حُميد وابن حبان والبزار والطبراني والبغوي في آخرين[2].

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة ؛ كأنس وأبي هريرة وعبادة بن الصامت وأبي أمامة ،... رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢) ومسند الحميدي (رقم ٥٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) والأدب المفرد (رقم ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤٣) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة الصغار ، رقم (١٩٢٠) وكتاب العيال (١ : ٣٥٠) والمستدرك (١ : ٦٢) والآداب للبيهقي (رقم ٤٩ ، ٥٠) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٧ ـ ٤٥٨) ورياض الصالحين (١٧٣رقم٣٥٣) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٥٧) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩٢١) ومسند عبد بن حُميد (٢٠٢رقم٥٨٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٠٣ ، ٢١١) وكشف الأستار (٢ : ٤٠١) والمعجم الكبير (١١ : ٧٢ ، ٤٤٩) وشرح السنة (١٣ : ٣٩ـ ٤٠) ومسند الشهاب (٢ : ٢٠٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٨) ومجمع الزوائد (٨ : ١٤) وهذا مما يستدرك عليه لوجوده عند الترمذي .

٢٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : حثه ﷺ على العناية بالبنات ، وأن الإحسان إليهن لا يقابله ثواب إلّا الجنة ، ورضوان الله تعالى ، ولا نعرف قيمة هذه الوصية إلا إذا عرفنا حال البنت في الجاهلية ، ولكنه الرحمة المهداة ﷺ التي شملتها وغيرها من الخلق ، والله تعالى أعلم .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني ، فلم تجد عندي غيرَ تمرة واحدة ، فأعطيتها ، فقَسَمَتْها بين ابنتَيها [ولم تأكل منها شيئاً] ثم قامت فخرجت ، فدخل النبيُّ ﷺ ، فحدَّثْتُه ، فقال : « من يَلي من هذه البنات شيئاً ؛ فأحسن إليهن : كنَّ له ستراً من النار ». متفق عليه[1].

وقد ورد نحو المرفوع عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو » وضمَّ أصابعَه . رواه مسلم[2].

٢٦ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : رُقْيَتُه ﷺ للحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما بما كان يرقي به إبراهيمُ إسماعيلَ وإسحقَ عليهم السلام .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان النبيُّ ﷺ يعَوِّذُ الحسنَ والحسين ويقول : « إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيلَ وإسحقَ ؛ أعوذُ بكلمات الله التّامَّة ، من كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ ، ومن كلِّ عينٍ لامَّة ». رواه البخاري[3].

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل الإحسان إلى البنات ، رقم (١٤٧).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٤٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب [١٠] حدَّثنا موسى بن إسماعيل .

٢٧ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : حثه ﷺ على العدل بين الأولاد، سواء في العطية أو غيرها ، لما في التمييز بينهم من وقوع حقد وبغضاء وشحناء ، سواء من الأولاد نحو والديهم ، أو لما سيكون بين الأولاد أنفسهم .

فعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما ، أن أمّه بنتَ رواحة سألت أباه بعضَ الموهوبة من ماله لابنها ، فالتوى بها سنةً ، ثم بدا له . فقالت : لا أرضى حتى تُشهِدَ رسول الله ﷺ على ما وهبتَ لابني ، فأخذ أبي بيدي ، وأنا يومئذ غلام [وفي رواية : انطلق بي أبي يحملني] فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ إن أمَّ هذا بنتَ رواحة أعجبها أن أُشهِدَك على الذي وهبتُ لابنها . فقال رسول الله ﷺ : « يا بشير ؛ ألكَ ولَدٌ سوى هذا ؟ » قال : نعم . فقال : « أكلَّهم وهبتَ مثلَ هذا ؟ » قال : لا . قال : « فلا تُشهِدني إذاً ، فإني لا أشهد على جورٍ ». متفق عليه[1]. وله روايات متعددة .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قالت امرأةُ بشير : انحَل ابني غلامَك ، وأشهِد لي رسول الله ﷺ . فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن ابنةَ فلان سألتني أن أنحَلَ ابنها غلامي ، وقالت : أَشهِد لي رسول الله ﷺ . فقال : « أَلَهُ إخوة ؟ » قال نعم . قال : « فكلَّهم أعطيتَ مثلَ ما أعطيتَه ؟ » قال : لا . قال : « فليس يصلح هذا ، وإني لا أَشهَدُ إلا على حقٍّ ». رواه مسلم[2].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان مع رسول الله ﷺ رجلٌ ، فجاء

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب لايَشهد على شهادة جور إذا أُشهِد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الهبات : باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، رقم (٩ ـ ١٨).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩).

ابنٌ له ، فقبَّله وأجلسه على فخذه . ثم جاءت بنتٌ له ، فأجلسها إلى جنبه . قال : « فهلّا عدلْتَ بينهما ». رواه الطحاوي والبيهقي بإسناد حسن ، ورواه البزار ، برجال ثقات ، لكن لم يسم شيخه[1].

٢٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : سماحه ﷺ بإحضار الصغار مجالسه ﷺ ، سواء في المسجد للصلاة ، أو لحضور درس ، أو في المصلى لصلاة عيد أو جنازة أو استسقاء ، أو غيرها .

لذا وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن صحابةٍ تحمَّلوا عن النبيِّ الكريم ﷺ وهم صغار ، كروايات أنس وابن عباس وابن الزبير والبراء وابن عمر ،... ونحوهم رضي الله عنهم ؛ حيث لقوا رسولَ الله ﷺ وهم دون البلوغ .

بل منهم من تُوفي النبي المصطفى الكريم ﷺ ولَـمّا يبلغوا بعد ؛ كابن الزبير ، والحسن ، والحسين ، وعمر بن أبي سلمة ، وابن عباس ، ومحمود ابن الربيع ، وعبد الله بن جعفر ، والمسور بن مخرمة ، وسهل بن أبي حثمة ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن حنظلة ، وأبي الطفيل الكناني ، والنعمان بن بشير ، ومسلمة بن مخلد ، وقرة بن إياس ، وقثم بن العباس ،... وغيرهم ، رضي الله عنهم ، وكلهم من الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ[2].

وقد كان الصبيانُ يحضرون الصلاةَ مع رسول الله ﷺ ، حتى قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ـ عندما أعتم النبيُّ ﷺ ليلةً بالعِشاء ولم يخرج ـ : نام النساء والصبيان ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[3].

---

(١) شرح معاني الآثار (٤ : ٨٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٦٨) وكشف الأستار (٢ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩) ومجمع الزوائد (٨ : ١٥٦).

(٢) انظر المحدث الفاصل (١٨٩ ـ ١٩٢) والكفاية (١٠٥ ـ ١١١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المواقيت : باب فضل العشاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : =

كما كانوا يخرجون إلى المصلى مع النبي المصطفى الكريم ﷺ ، لصلاة العيد ونحوها ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[1].

كما كانوا يصلّون على الجنائز معه ﷺ ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[2].

وكانوا يعلِّمون صبيانَهم القرآنَ الكريمَ في عهده ﷺ ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[3].

كانوا يُؤتى بهم بعد ولاداتهم إلى النبي الكريم ﷺ ، ليُبَرِّكُ عليهم[4]. فإذا كَبروا حضروا الصلاةَ معه ﷺ ، مع أهليهم ، ثم يستقِلّون بعد ذلك . لينشؤوا نشأةً سليمةً صالحةً ، وكان لهم ما أرادوا ، ولهذا روى لنا كثيرٌ من الصحابة الصغار ـ وليس فيهم صغير ـ رضي الله تعالى عنهم أحاديثَ كثيرةً جدّاً أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فعن قرة بن إياس رضي الله عنه قال : كان نبيُّ الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه ، وفيهم رجل له ابنٌ صغيرٌ ، يأتيه من خلف ظهره ،

= كتاب المساجد : باب وقت العشاء وتأخيرها ، رقم (٢١٨).

(١) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب خروج الصبيان إلى المصلى .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز .

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب تعليم الصبيان القرآن .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤسهم (فقد ذكر أحاديثَ السائب بن يزيد ، وعبد الله بن هشام ، ومحمود بن الربيع ، وعبد الله بن ثعلبة ابن صُعير ، وعائشة رضي الله تعالى عنهم). وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب حكم بول الطفل الرضيع ، رقم (١٠١ ـ ١٠٢) لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أيضاً ، مع أن أحاديث الباقين متفق عليها أيضاً .

فيُقعده بين يديه . فهَلَكَ ، فامتنع الرجلُ أن يحضر الحلقةَ لذكر ابنه ، فحزن عليه ، ففقده النبيُّ ﷺ ، فقال : « ما لي لا أرى فلاناً ؟ » قالوا : يا رسول الله ؛ بُنَيَّه الذي رأيتَه : هلك . فلقيه النبيُّ ﷺ ، فسأله عن بُنَيّه ، فأخبره أنه هلك ، فعزّاه عليه ، ثم قال : « يا فلان ، أيما كان أحبُّ إليك : أن تُمَتَّع به عمرَك ، أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ؟ » قال : يا نبي الله ؛ بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إليَّ ، قال : « فذاكَ لكَ ». رواه أحمد والطيالسي والنسائي والطبراني في آخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

٢٩ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ وشفقته بالصغار والأطفال : نهيه عن قتل الأطفال من الكفار أثناء الحرب . وقد كثرت الأحاديث في ذلك ، أقتصر على ذكر بعضها للتدليل ، لأني أطلت النفس في هذه المسألة في كتاب آخر .

فعن الأسود بن سَرِيع رضي الله تعالى عنه قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ ، ففتح الله لهم ، فتناول بعضُ الناس قتْلَ الولدان ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال : « ما بال أقوام تجاوز بهم القتلُ حتى قتلوا الذُّرِّيَّةَ » فقال رجل : يا رسول الله ؛ إنما هم أبناءُ المشركين ؟ فقال : « ألا إن خيارَكم أبناءُ المشركين . ألا لا تُقتل الذُّرِّيَّة . كلُّ نسمة تولد على الفطرة ، حتى يُعربَ عنها لسانُها ،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٣٥٤) ومسند الطيالسي (١٤٥ رقم ١٠٧٥) ومسند أحمد (٣ : ٤٣٦) (٥ : ٣٤ ـ ٣٥) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة ، وباب التعزية (٤ : ٢٢ ـ ٢٣ ، ١١٨) والسنن الكبرى له (١ : ٦١٣) والمعجم الكبير (١٩ : ٢٦ ، ٣١) وصحيح ابن حبان (٧ : ٢٠٩) مختصراً ، والمستدرك (١ : ٣٨٤) والآداب (٤٧٠ ، رقم ١٠٦٤).

فأبواها يهوِّدانها وينصِّرانها ». رواه مسدّد وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة والنسائي، وصححه ابن حبان والحاكم وابن عبد البر، وأقره الذهبي[1].

وعن عطية القرظي رضي الله تعالى عنه قال: كنت فيمن حكم فيهم سعد بنُ معاذ، فشكّوا فيَّ؛ أمِن الذُّرِّيَّة أنا أمْ من المقاتِلة؟ فنظروا إلى عانتي فلم يجدوها نبتت. فأُلقيت في الذُّرِّيَّة، ولم أُقتل. رواه أحمد وعبد الرزاق والشافعي والطيالسي والحميدي وابن أبي شيبة وابن الجارود والأربعة، وصححه الترمذي وابن حبان[2].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٣٥) (٤ : ٢٤) ومصنف عبد الرزاق (١١ : ١٢٢) وسنن الدارمي (٢ : ١٤١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٨٦) والسنن الكبرى للنسائي: كتاب السير: باب النهي عن قتل ذراري المشركين (٥ : ١٨٤) والمستدرك (٢ : ١٢٣) وصحيح ابن حبان (١ : ٣٤١) والمعجم الكبير (١ : ٢٥٩ ـ ٢٦٢ من طرق) والمعجم الأوسط (٢ : ٢٨٠) وشرح مشكل الآثار (٤ : ١٣، ١٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٧٧، ١٣٠) ومعرفة السنن والآثار (١٣ : ٢٢٧) ومجمع الزوائد (٥ : ٣١٦) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٣٧٧ ـ ٣٧٨) وإتحاف المهرة (١ : ٣٦٧).

(٢) السنن (رقم ٦٥٣) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ١٧٩) ومسند الحميدي (٢ : ٣٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٥٣٩ ـ ٥٤٠) ومسند أحمد (٤ : ٣١٠، ٣٨٣) (٥ : ٣١١ ـ ٣١٢، ٣١٢) ومسند الطيالسي (١٨١ رقم ١٢٨٤) والطبقات الكبرى (٢ : ٧٦ ـ ٧٧) وسنن أبي داود: كتاب الحدود: باب في الغلام يصيب الحد، رقم (٤٤٠٤، ٤٤٠٥) وسنن الترمذي: كتاب السير: باب ما جاء في النزول على الحكم، رقم (١٥٨٤) وسنن النسائي: كتاب الطلاق: باب متى يقع طلاق الصبي، وكتاب قطع السارق: باب حد البلوغ،... (٦ : ١٥٥) (٨ : ٩٢) والسنن الكبرى له (٥ : ١٨٥) والمنتقى لابن الجارود (٣٤٨ ـ ٣٤٩) والمعجم الكبير (١٧ : ١٦٣ ـ ١٦٥ من طرق) والمستدرك (٢ : ١٢٣) (٤ : ٣٨٩، ٣٩٠) وصحيح ابن حبان (١١ : ١٠٣ ـ ١٠٥، ١٠٩ من طرق) والسيرة النبوية لابن هشام (٣ : ٣٣٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٥٨) (٩ : ٦٣).

وهناك أمور كثيرة أغفلتها ، وما ذكرته أرجو أن يكون كافياً في بيان رحمته ﷺ بالصغار والأولاد ، والله تعالى المستعان .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

الفصل الخامس عشر
رحمته ﷺ بالأرامل والأيتام

لا أعلم في البشرية أرحم بالأرامل والأيتام من رسول الله ﷺ ؛ كيف وقد جعله الله تعالى رحمةً للعالمين ، ومن أولى بالرحمة من الضعيف الذي فقد عائلَه ، والمرأة التي فقدت معيلها ، وقد ظهرت رحمته ﷺ وعطفه ولطفه وحنانه وشفقتُه ،... بهم بمظاهر كثيرة جدّاً ، من ثناء على المرأة التي تجلس على تربيتهم ولا تتزوّج - مع جمالها وصغر سنها - إلى بيان مزاحمتها له ﷺ عند فتحه لباب الجنة ، إلى حنانه ﷺ وعطفه وحثِّه على ضم الأيتام ، والإحسان إليهم ، ونهيه عن أكل أموالهم ، وتزويجهم بغير أمر منهم ،... وغير ذلك كثير ، خاصة إذا عرفنا حال الأرملة واليتيم في ذلك الوقت .

لكن يصعب استيعاب ذلك كله في هذا المختصر ، لأن نصوصه كثيرة ، يصعب حصرها ، لذا فإني سأقتصر على ذكر بعض النماذج ، مع الاقتصار على بعض النصوص الشريفة ، والله تعالى المستعان ، وعليه التكلان .

١- فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : اختلاف العدة والحداد عما كان عليه الحال في الجاهلية - مدةً وكيفية - ذلك أن المرأة في الجاهلية كانت تعتدُّ سنة كاملةً ، فتجلس في شرِّ بيتٍ ، وتلبس شرَّ لباس ، ولا تمس ماء ، ولا طيباً ، ولا تسرِّح شعراً ،... حتى ينتهي العام ، ثم تُعطى بعرةً ، فترميها على رأس الحول ، وكأن ما فعلته لا يساوي بعرة .

فعن حُميد بن نافع رحمه الله تعالى ، عن زينبَ ابنة أبي سلمة رضي الله

تعالى عنهما قالت : سمعتُ أُمِّي أمَّ سلمة تقول : جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ؛ إن ابنتي تُوُفِّي عنها زوجُها ، وقد اشتكت عينُها ، أفتكحلها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا » مرتين أو ثلاثاً ـ كلُّ ذلك يقول : لا ـ ثم قال رسول الله ﷺ : « إنما هي أربعة أشهر وعشر ، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول ».

قال حُميد : فقلت لزينب : وما ترمي بالبعرة على رأس الحول ؟ فقالت زينبُ : كانت المرأة إذا تُوُفِّيَ عنها زوجُها دخلتْ حِفشاً ، ولبستْ شرَّ ثيابها ، ولم تمسَّ طيباً ، حتى تمر بها سَنةٌ ، ثم تُؤتى بدابَّةٍ ـ حمارٍ أو شاةٍ أو طائر ـ فتفتضُّ به ، فقلَّما تفتضُّ بشيء إلّا مات ، ثم تخرج فتُعطى بعرةً فترمي بها ، ثم تراجع بعدُ ما شاءت من طيب أو غيره . متفق عليه[1].

فقد اختلفت المدة ـ فهي أربعة أشهر وعشرة أيام ـ كما اختلفت الكيفية ، حيث تعتد في بيت الزوجية ، وتلبس ثيابها المعتادة ، وتغتسل من حيض أو للنظافة ، لكنها لا تتزيّن تزينها لزوجها .

٢ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : أن جعل ثوابَ الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى ، وكالقائم في الليل ، والصائم في النهار .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهارَ ، ويقوم الليل ». متفق عليه[2]. ولفظ مسلم « وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر ».

(١) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب تُحِدّ المتوفّى عنها أربعةَ أشهر وعشراً ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة ،... رقم (٥٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب النفقات : باب في فضل النفقة على الأهل . وصحيح مسلم : =

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا وكافل اليتيم ـ [له أو لغيره] ـ في الجنة كهاتين ـ وجمع بين السبابة والوسطى ـ والساعي على اليتيم والأرملة والمسكين ؛ كالمجاهد في سبيل الله ، والصائم القائم لا يفتر ». رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني ، وفي إسناده : ليث بن أبي سليم ، صدوق ، اختلط ولم يتميّز حديثه[1]، لكن يشهد له الحديث السابق ، فهو به حسن ، كما يشهد للفقرة الأولى ما يأتي في الصحيحين من حديث سهل وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما أيضاً .

قال ابن بطال رحمه الله تعالى[2] : من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار : فليعمل بهذا الحديث ، وليسع على الأرامل والمساكين ؛ ليُحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله ، دون أن يخطوَ في ذلك خطوة ، أو ينفق درهماً ، أو يلقى عدواً يرتاع بلقائه ، أو ليُحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم ،...الخ.

٣ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : ثناؤه على نساء قريش بأنهن أحنى على اليتيم في حال صغره ، وجلوسها عليه ، وعدم زواجها حتى يكبر .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ نساءٍ ركبن الإبل [صالح] نساء قريش ، أحناه على يتيمٍ في صغره ، وأرعاه

= كتاب الزهد ، رقم (٤١).

(١) كتاب العيال (٢ : ٨٠٧ رقم ٦٠٦) ومسند أبي يعلى (٨ : ٢٨٠) والمعجم الأوسط (٥ : ٨٤) ومجمع البحرين (٥ : ١٨٠) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠).

(٢) شرح صحيح البخاري (٩ : ٢١٨).

على زوجٍ في ذاتِ يده ». رواه مسلم[1].

فخرجت مريم رضي الله تعالى عنها لأنها لم تركب الإبل .

٤ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : دخول المرأة التي جلست على أيتامها في أوائل من يدخل الجنة ، بحيث إنها تكون مع النبي المصطفى الكريم ﷺ ، بل إنها تبادره الدخول معه .

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « أنا وامرأة سعفاء الخدَّين ، امرأة آمت من زوجها [ذات منصب وجمال] فصبرت على ولدها ، كهاتين في الجنة ». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي ، وله شواهد[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولُ من يُفتح له بابُ الجنة ، إلّا أني أرى امرأةً تبادرني ، فأقول لها : مالَكِ ؟ ومن أنتِ ؟ فتقول : أنا امرأةٌ قعدتُ على أيتامٍ لي ». رواه أبو يعلى ، وحسنه الحافظ المنذري[3].

٥ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : مشيه ﷺ مع الأرملة والمسكين والعبد . وهذا من شدة تواضعه ورحمته ﷺ بالضعفاء والمساكين .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل نساء قريش ، رقم (٢٠٠).

(٢) مسند أحمد (٦ : ٢٩) والأدب المفرد (٦٤ رقم ١٤١) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في فضل من عال يتيماً ، رقم (٥١٤٩) وكتاب العيال (١ : ٢٣٢) والمعجم الكبير (١٨ : ٥٦ـ٥٧) وشعب الإيمان (٦ : ٤٠٥ـ٤٠٦ ، ٤٠٦) ومكارم الأخلاق (٢ : ٦٤٠ رقم ٦٨٤).

(٣) مسند أبي يعلى (١٢ : ٧) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٢) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٢) والمطالب العالية (٣ : ١٢٥ـ١٢٦).

فعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكْرَ ، ويُقلُّ اللغوَ ، ويُطيل الصلاةَ ، ويقصُرُ الخطبةَ ، وكان لا يأنف ، ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي له حاجتَه . رواه الدارمي والنسائي والطبراني والبغوي ، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُكثر الذِّكرَ ، ويقلُّ اللغوَ ، ويُطيل الصلاةَ ، ويقصر الخطبةَ ، ولا يستنكفُ أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ لهم من حاجتهم . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[2].

٦ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : أن جعل ثوابَ كافل الأيتام ـ خاصة الإناث ـ إذا أحسن إليهن أن يكون ستراً له من النار يوم القيامة .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني ، فلم تجد عندي غيرَ تمرة واحدة ، فأعطيتها ، فقَسَمَتْها بين ابنتَيها [ولم تأكل منها شيئاً] ثم قامت فخرجت ، فدخل النبيُّ ﷺ ، فحدَّثْتُه فقال : « من يَلي من هذه البنات شيئاً ؛ فأحسن إليهن : كنَّ له ستراً من النار». متفق عليه[3].

---

(١) سنن الدارمي : المقدمة : باب في تواضع رسول الله ﷺ (١ : ٣٧) وسنن النسائي : كتاب الجمعة : باب ما يستحب من تقصير الخطبة (٣ : ١٠٨ ـ ١٠٩) والمعجم الصغير (١ : ٢٤٨) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٣٣ ، ٣٣٤) والموارد (رقم ٢١٢٩) والمستدرك (٢ : ٦١٤) وتاريخ بغداد (٨ : ٥) والشمائل للبغوي (١ : ٢٩٧) ودلائل النبوة (١ : ٣٢٩) وأخلاق النبيّ ﷺ (٣٣ ـ ٣٤) والشمائل لابن كثير (٧٩).

(٢) المستدرك (٢ : ٦١٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، وفي غيرهما . وصحيح =

وقد ورد نحو المرفوع عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وأما حديث الإعالة فقد وردت فيه نصوص كثيرة جدّاً ، أقتصر على واحد منها .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو » وضمَّ أصابعَه . رواه مسلم[1] .

٧ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : إخباره ﷺ أن كافل اليتيم سيكون معه في الجنة ، وفي معيته ﷺ فيها .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنهما ، عن النبيِّ ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى . رواه البخاري[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كافلُ اليتيم ـ له أو لغيره ـ أنا وهو كهاتين في الجنة » وأشار مالك [وهو راوٍ في السند] بالسبابة والوسطى . رواه مسلم[3] .

وعن مرة بن عَمْرو الفهري رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم ـ له أو لغيره ـ في الجنة كهاتين » أو « كهذه من هذه ». رواه الحميدي والبخاري في الأدب المفرد ، والحارث ومسدد والطبراني برجال ثقات[4] .

= مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل الإحسان إلى البنات ، رقم (١٤٧).

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٤٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب اللعان ، وكتاب الأدب : باب فضل من يعول يتيماً .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الزهد : باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ، رقم (٤٢).

(٤) مسند الحميدي (٢ : ٣٧٠رقم ٨٣٨) الأدب المفرد (٦٢رقم١٣٣) وبغية الباحث (رقم =

وقد مر قبل قليل حديثُ السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها .

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

قال ابن بطال رحمه الله تعالى[1] ـ في تعليقه على حديث سهل رضي الله تعالى عنه ـ : حقٌّ على كل مؤمن يسمع هذا الحديث أن يرغبَ في العمل به ، ليكون في الجنة رفيقاً للنبيِّ ﷺ وجماعة النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا منزلة عند الله في الآخرة أفضل من مرافقة الأنبياء.اهـ.

٨ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : إخباره ﷺ أن من ضم إليه يتيماً مسلماً ، وتكفّل بطعامه وشرابه ، حتى يستغني عن الناس ، فقد وجبت له الجنة .

عن مالك بن الحارث رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول : « أيُّما مسلمٍ ضمَّ يتيماً بين أبوين مسلمَين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني ، وجبت له الجنة ، ومن أدرك والدَيه ـ أو أحدَهما ـ ثم لم يبرُّهما ـ ثم دخل النارَ بعد ذلك فأبعده الله ، وأيُّما مسلم أعتق رقبةً مسلمةً كانت فكاكَه من النار ».

رواه أحمد وابن المبارك وابن قانع ويعقوب وابن سعد والطبراني ـ بأسانيد ـ هو بها صحيح لغيره[2].

= ٩٠٤) والمعجم الكبير (٢٠ : ٣٢٠) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٣) والمطالب العالية (٣ : ١٢٢ـ١٢٣).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩ : ٢١٧).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٣٤٤) (٥ : ٢٩) والزهد لابن المبارك (٢٣٠ رقم ٦٥٦) والطبقات الكبرى (٧ : ٤١١) ومعجم الصحابة لابن قانع (٣ : ٥٠) والمعرفة والتاريخ (١ : ٣٤٢) والمعجم الكبير (١٩ : ٣٠٠) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧١) ومجمع الزوائد (٤ : ٢٤٣) (٨ : ١٣٩ ـ ١٤٠) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٠).

وعن زرارة بن أوفى رحمه الله تعالى عن رجل من قومه يقال له مالك أو أبو مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ضمَّ يتيماً من بني المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه ؛ وجبت له الجنة البتَّةَ ،... » ثم ذكر نحوه . رواه أحمد وابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني بإسناد حسن[1].

ورواه الترمذي[2] بنحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . كما ورد بنحوه عن عدد من الصحابة .

٩ـ من مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : تحريمه ﷺ أكلَ مال اليتيم ، حتى جعله من السبع الموبقات ، والعياذ بالله تعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات » قيل : يا رسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[3].

١٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : حثُّه ﷺ على مسح رأس اليتيم ، وإخباره أنها تُليِّن القلب ، مع ما يناله من

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٤٤) وكتاب العيال (٢ : ٨٠٦) والمعجم الكبير (١٩ : ٣٠٠) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٠ ـ ٣١) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠ ـ ١٦١) وانظر الإصابة لبيان الراجح من اسم الصحابي .

(٢) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته ، رقم (١٩٢٧) وكتاب العيال (٢ : ٨١٣) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب رمي المحصنات ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان الكبائر وأكبرها ، رقم (١٤٥).

كثرة الحسنات .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبه ، فقال : « امسح رأسَ اليتيم ، وأطعم المسكين ». رواه أحمد ، برجال الصحيح كما قال المنذري ، ورواه عبد بن حُميد والبيهقي ، وحسنه الحافظ[1].

وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ، رواه الخرائطي برجال ثقات ـ سوى شيخه ـ وأبو نعيم والطبراني والبيهقي من وجه آخر ، وعزاه السيوطي للضياء في آخرين[2].

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من مسح على رأس يتيم ، لم يمسحه إلّا لله : كان له في كل شعرة مرَّت عليها يدُه حسنات ،... » الحديث ، رواه أحمد وابن المبارك وعبد الله بن أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني في آخرين ، من طريقين هو بهما حسن ، وشاهده ما سبق[3].

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٦٣ ، ٣٨٧) ومسند عبد بن حُميد (٤١٧ رقم ١٤٢٦) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٢) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٢) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠) وفتح الباري (١١ : ١٥١).

(٢) مكارم الأخلاق (٢ : ٦٦٢رقم ٧١٠) وحلية الأولياء (١ : ٢١٤) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٢) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٢) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠) والجامع الكبير (١ : ٣٠).

(٣) مسند أحمد (٥ : ٢٥٠ ، ٢٦٥) والزهد لابن المبارك (٢٣٠رقم٦٥٥) وكتاب العيال (رقم ٦٠٩) والزهد لأحمد (٢١) وحلية الأولياء (٨ : ١٧٨ ـ ١٧٩ ، ١٧٩) وشرح السنة (١٣ : ٤٤) والمعجم الكبير (٨ : ٢٣٩ ، ٢٨٤) والمعجم الأوسط (٣ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٢) ومجمع البحرين (٥ : ١٨١ ـ ١٨٢) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠).

وانظر الزهد لابن المبارك (رقم ٦٥٢) وذكر أخبار أصبهان (١ : ٢٠٨ ، ٢٩٦).

كما ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

١١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : تحريجه ﷺ حقَّ اليتيم ، وتحذيره من ضياع حقه ، وحق المرأة ، لأنه لا يأنف كثير من الناس من أكل حقِّهما ، لأنهما ضعيفان .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « اللهم إني أُحرِّجُ حقَّ الضعيفين ؛ اليتيم ، والمرأة ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم والبوصيري وأقره الذهبي ، وحسنه النووي[١].

وعن أبي شُريح الخزاعي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أُحرِّج حقَّ الضعيفين ؛ حقَّ اليتيم ، وحقَّ المرأة ». رواه النسائي بإسناد حسن[٢].

١٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : مزاحه ﷺ مع اليتيم ، وذلك لتواضعه ورحمته ﷺ بهم ، ولو كان أنثى .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كانت عند أُمِّ سُلَيم يتيمةٌ ـ وهي أم أنس ـ فرأى رسول الله ﷺ اليتيمةَ . فقال : « آنتِ هِيَهْ ؟ لقد كَبِرْتِ ، لا كَبِرَ سنُّكِ » فرجعت اليتيمةُ إلى أم سُليم تبكي . فقالت أمُّ سُليم : مالَكِ يا بُنيَّة ؟ قالت الجارية : دعا عليَّ نبيُّ الله ﷺ أن لا يكبَرَ سنِّي . فالآن لا

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٤٣٩) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٦٣) وعشرة النساء له (٢٢٦ رقم ٢٦٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب حق اليتيم ، رقم (٣٦٧٨) ومكارم الأخلاق (رقم ٧٠٣) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٣٧٧) والموارد (٣٠٨) والمستدرك (١ : ٦٣) (٤ : ١٢٨) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ١٣٤) ورياض الصالحين (١٣٩رقم ٢٦٨) ومصباح الزجاجة (٤ : ١٠٢ ـ ١٠٣) وعزاه أيضاً لابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما .

(٢) عشرة النساء (٢٢٦ رقم ٢٦٨).

يكبر سني أبداً ـ أو قالت : قرني ـ.

فخرجت أمُّ سُلَيمٍ متعجِلَةً تلوث خمارها . حتى لقيت رسول الله ﷺ . فقال لها رسول الله ﷺ : « مالَكِ يا أمَّ سُلَيم ؟ » فقالت : يا نبيَّ الله ؛ أدعوتَ على يتيمتي ؟ قال : « وما ذاك يا أمَّ سُلَيم ؟ » قالت : زعمَتْ أنك دعوتَ أن لا يكبر سِنُّها ، ولا يكبر قرنها . قال : فضحك رسول الله ﷺ . ثم قال : « يا أم سُلَيم ؛ أما تعلمين أنَّ شرطي على ربّي ، أني اشترطتُ على ربي ، فقلت : إنما أنا بشر ؛ أرضى كما يرضى البشر ، وأغضبُ كما يغضبُ البشر ، فأيما أحدٍ دعوت عليه ـ من أمتي ـ بدعوة ليس لها بأهل ؛ أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقُربةً يقربه بها منه يوم القيامة ». لفظ مسلم[1].

١٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : أن جعل البيتَ الذي فيه يتيم يُحسن إليه هو خير بيوت المسلمين ، وأما البيت الذي فيه يتيم يُساء إليه هو شر بيوت المسلمين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسنُ إليه . وشرُّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء إليه . وأنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » يشير بإصبعيه . رواه البخاري في الأدب المفرد وابن المبارك وابن ماجه وابن أبي الدنياوالبغوي[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب من لعنه النبيُّ ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه ،... رقم (٩٥).

(٢) الأدب المفرد (٦٣رقم ١٣٧) والزهد (٢٣٠رقم ٦٥٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب حق اليتيم ، رقم (٣٦٧٩) وكتاب العيال (٢ : ٨٠٨ رقم ٦٠٧) وشرح السنة (١٣ : ٤٣).

وقد ورد نحوه من حديث عمر وابن عمر وغيرهما رضي الله تعالى عنهم ، فهو بها حسن ، والله تعالى أعلم .

١٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : حثُّه ﷺ من وليَ يتيماً له مال فعليه أن يعمل بماله ، ويشغِّلَه حتى لا تأكله الصدقة .

فعن يوسُف بن ماهك رحمه الله تعالى قال : قال رسول الله ﷺ : « ابتغوا في مال اليتيم ـ أو في مال اليتامى ـ لا تُذهبُها ـ أو لا تستأصلُها ـ الصدقة ». رواه الشافعي وعبد الرزاق والبيهقي ، وإسناده صحيح على شرط مسلم ، لكنه مرسل ، وشاهده ما يأتي[1].

وعن عَبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « ألا من وَلِي يتيماً له مال ، فليتَّجر له فيه ، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة ». رواه الترمذي والدارقطني والبيهقي والبغوي ، من طريق المثنى ، ومندل ابن علي ، عن أبي إسحق كلاهما عن عَمْرو بن شعيب به ، والمثنى ومندل غير قويين . لكن رواه الجرجاني من طريق عبد الله بن علي الإفريقي وهو صدوق يخطئ[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اتَّجِروا

---

(١) الأم (٢ : ٢٣ ـ ٢٤) والمسند له (٩٢) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٦٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ١٠٧).

(٢) سنن الترمذي : كتاب الزكاة : باب ما جاء في زكاة مال اليتيم ، رقم (٦٤١) وسنن الدارقطني (٢ : ١٠٩ ـ ١١٠ ، ١١٠) والسنن الكبرى (٤ : ١٠٧) وشرح السنة (٦ : ٦٣) وتاريخ جرجان (١٦٨ ـ ١٦٩ ، ٤٨٨) وانظر التلخيص الحبير (٢ : ١٥٧ ـ ١٥٨).

في أموال اليتامى ، لا تأكُلها الزكاة ». رواه الطبراني . ونقل الحافظ الهيثمي عن شيخه الحافظ العراقي رحمهما الله تعالى قولَه : إسناده صحيح[1].

قلت : وفي التصحيح نظر .

فهذه طرق متعددة ، يشدُّ بعضها بعضاً ، ويتقوّى بعضُها ببعض ، فإذا أضيف إلى ذلك وجود عدد من الروايات الموقوفة على بعض الصحابة ، كعمر وعثمان وابن عمر ،... رضي الله تعالى عنهم ازداد قوة ، ولهذا قوّاه الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله تعالى بالأحاديث العامة ، الموجبةِ للزكاة في المال ، والله تعالى أعلم .

١٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : حثُّه ﷺ على منح اليتيم ميراثه ، بخلاف ما كان سائداً في الجاهلية .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعدٍ إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قُتل أبوهما معك يومَ أحدٍ شهيداً ، وإن عمَّهما أخذ مالَهما ، فلم يدَعْ لهما مالاً ، ولا تُنكحان إلّا ولهما مال . قال : « يقضي الله في ذلك » فنزلت آيةُ المواريث ، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمِّهما ، فقال : « أعط ابنتَيْ سعدٍ الثُّلُثَين ، وأعط أمَّهما الثمن ، وما بقي فهو لك ». رواه أحمد وابن سعد وأبو داود وابن ماجه والطحاوي وأبو يعلى والدارقطني ، وصحّحه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

---

(١) المعجم الأوسط (٤ : ٢٦٤) ومجمع البحرين (٣ : ١٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٦٧).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٥٢) والطبقات الكبرى (٣ : ٥٢٤) وسنن أبي داود : كتاب الفرائض : باب ما جاء في ميراث الصلب ، رقم (٢٨٩١ ، ٢٨٩٢) وسنن الترمذي : كتاب الفرائض : =

١٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : نهيه ﷺ عن تولي مال اليتيم ممن كان ضعيفاً عن حمل الأمانة ، وأن الذي يتحمَّلها هو القويُّ الأمين .

فعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا ذر ؛ إني أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي . لا تأمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تولَّيَنَّ مال يتيم ». رواه مسلم[1].

١٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : أن أحسن إليهم ، وأمر ﷺ بالإحسان إليهم ، فكان ذلك سبباً في إسلام العدد الكثير من الناس .

فعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال : كنتُ مع نبيِّ الله ﷺ في مسير له ، فأدلجنا ليلتنا ، حتى إذا كان في وجه الصبح عرَّسنا ، فغلبتْنا أعيُنُنا حتى بزغت الشمس ،... ثم عجَّلني في ركبٍ بين يديه ، نطلب الماء ، وقد عطشنا عطشاً شديداً .

فبينا نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين . فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : أيْهاه ، أيْهاه . لا ماء لكم . قلنا : فكم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت : مسيرة يوم وليلة . قلنا : انطلقي إلى رسول الله ﷺ . قالت : وما

= باب ما جاء في ميراث البنات ، رقم (٢٠٩٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الفرائض : باب فرائض الصلب ، رقم (٢٧٢٠) وشرح معاني الآثار (٤ : ٣٩٥) وسنن الدارقطني (٤ : ٧٨ ، ٧٩) ومسند أبي يعلى (٤ : ٣٤ـ ٣٥) والمستدرك (٤ : ٣٣٣ـ ٣٣٤ ، ٣٤٢) والسنن الكبرى (٦ : ٢١٦ ، ٢٢٩).

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ، رقم (١٧).

رسول الله ؟ فلم نملِّكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها .

فاستقبَلْنا بها رسولَ الله ﷺ . فسألها فأخبرته مثلَ الذي أخبرتنا ، وأخبرته أنها مؤْتِمَة ، لها صبيان أيتام .

فأمر براويتها فأُنيخت ، فمجَّ في العزلاوَين العُلياوَين . ثم بعث براويتها ، فشربنا ، ونحن أربعون رجلاً عطاشٌ . حتى رَوِينا ، وملأنا كلَّ قِرْبَة معنا وإداوة ، وغسَّلنا صاحبنا . غير أنا لم نَسْق بعيراً ، وهي تكاد تنضرج من الماء [يعني المزادتَين] ثم قال : « هاتوا ما كان عندكم » فجمعنا لها من كِسَرٍ وتمْرٍ ، وصَرَّ لها صُرَّةً ، فقال لها : « اذهبي فأطعمي هذا عيالَك ، واعلمي أنّا لم نَرْزأ من مائك ».

فلما أتت أهلَها قالت : لقد لقيتُ أسحرَ البشر ، أو أنه لنبيٌّ كما زعم . كان من أمره ذَيتَ وذَيتَ ، فهدى الله ذاكَ الصرمَ بتلك المرأة ، فأسلمت وأسلموا . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

في هذا الحديث أمور كثيرة ، يهمني منها ما يلي :

ـ المعجزة الظاهرة للنبي الكريم ﷺ في تكثير الماء ، بمجرد مجِّه ﷺ في فمي القربتين الكبيرتين .

ـ كما فيه إحسانه ﷺ إلى هذه المرأة ، وإلى أطفالها الأيتام .

ـ بركة هذه المرأة على قبيلتها ، حيث أسلموا جميعاً نتيجة نقلها لهم ما حصل ، فكانوا في صحيفتها ، والله تعالى أعلم .

١٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب قضاء الصلاة الفائتة ،... رقم (٣١٢).

إخباره ﷺ أن الإنفاق على الأيتام فيه أجران : أجر الصدَّقة ، وأجر الصلة للقرابة .

فعن زينب زوجة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ : « تصدَّقن ، يا معشرَ النساء ، ولو من حليكن » ... وفيه ذهابها وامرأة من الأنصار ، واستئذانهما على رسول الله ﷺ ، وفيه : فخرج علينا بلال ، فقلنا له : ائت رسول الله ﷺ ، فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن .

قالت : فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله . فقال له رسول الله ﷺ : « من هما ؟ » فقال : امرأة من الأنصار وزينبُ . فقال رسول الله ﷺ : « أيُّ الزيانب ؟ » قال : امرأةُ عبد الله . فقال له رسول الله ﷺ : « لهما أجران ، أجرُ القرابة ، وأجر الصدقة ». متفق عليه[1].

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : قلت : يا رسول الله ؛ هل لي أجرٌ في بني أبي سلمة ؟ أُنفقُ عليهم ، ولستُ بتاركتهم هكذا وهكذا . إنما هم بنيّ . فقال : « نعم ، لك فيهم أجرُ ما أنفقت عليهم ». متفق عليه[2].

١٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : نهيه ﷺ عن إجبار اليتيمة على التزويج ، وأنها تُستأمر كما تُستأمر الثيب

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ،... رقم (٤٥ ، ٤٦).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧).

البالغ ، فإن رضيت جاز تزويجها ، وإن أبت لم تُجبر ، والاكتفاء بالتعبير عن رضاها بالسكوت .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تُستأمرُ اليتيمةُ في نفسها ، فإن سكتت فقد أذنت ، وإن أبت لم تكره ». رواه الدارمي وأحمد والدارقطني والبيهقي ، وصحّحه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « تُستأمرُ اليتيمةُ في نفسها ، فإن سكتت فهو رضاها ، وإن أبت فلا جَواز عليها ». رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي والطحاوي وأبو يعلى ، وحسنه الترمذي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، وقال البيهقي : هذا إسناد موصول[2].

(١) سنن الدارمي (٢ : ٦٢) ومسند أحمد (٤ : ٣٩٤ ، ٤٠٨ ، ٤١١) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ١٣٩) وسنن الدارقطني (٣ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ من طرق) وشرح معاني الآثار (٤ : ٣٦٤) وشرح مشكل الآثار (١٤ : ٤٢٠ ـ ٤٢١) ومسند أبي يعلى (١٣ : ٣١١) وكشف الأستار (٢ : ١٦٠) وصحيح ابن حبان (٩ : ٣٩٦ ـ ٣٩٧) والمستدرك (٢ : ١٦٦ ـ ١٦٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ١٢٠ ، ١٢٢) ومعرفة السنن والآثار (١٠ : ٥٠ ـ ٥١) والسنن الصغير (٣ : ٢٤) ومجمع الزوائد (٤ : ٢٨٠).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠٢٩٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ١٣٨) ومسند أحمد (٢ : ٢٥٩ ، ٤٧٥) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في الاستئمار ، رقم (٢٠٩٣ ، ٢٠٩٤) وسنن الترمذي : كتاب النكاح : باب ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج ، رقم (١١٠٩) وسنن النسائي : كتاب النكاح : باب البكر يزوجها أبوها وهي كارهة (٦ : ٨٧) والسنن الكبرى له (٣ : ٢٨٢) وشرح معاني الآثار (٤ : ٣٦٤) وشرح مشكل الآثار (١٤ : ٤٢١ ، ٤٢٢) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٤١٢) (١٣ : ٣١٢) والمعجم الأوسط (٤ : ٣٠٤) وفوائد =

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ قال : « الأَيِّمُ أحقُّ بنفسها من ولِيِّها ، واليتيمة تستأمر [في نفسها] وإذنُها صمتُها ». رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي والدارقطني برجال الصحيح ، وصححه ابن حبان[1].

وعن ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال : تُوفِّي عثمانُ بن مظعون ، وترك ابنةً له من خُويلة بنت حكيم بن أمية . وأوصى إلى أخيه قُدامة بن مظعون ، وهما خالاي .

فخطبتُ إلى قُدامةَ ابنةَ عثمان ، فزوجنيها . فدخل المغيرةُ بن شُعبةَ إلى أمها ، فأرغبها في المال ، فحطَّت إليه ، وحطّت الجاريةُ إلى هوى أمها ، فأبيا ، حتى ارتفع أمرهم إلى النبيِّ ﷺ . فقال قدامةُ : يا رسول الله ؛ ابنةُ أخي ، وأوصى بها إليَّ ، فزوجتُها ابنَ عُمَر ، ولم أُقَصِّر بالصلاح والكفاءة ، ولكنها امرأة ، وأنها حطَّت إلى هوى أمِّها .

فقال رسول الله ﷺ : « هي يتيمةٌ ، ولا تُنكحُ إلّا بإذنها » فانتُزعت مني والله بعد أن ملكتها ، فزوَّجوها المغيرة بن شعبة . رواه أحمد والدارقطني

= تمام (٢ : ٢٦٦) وصحيح ابن حبان (٩ : ٣٩٢ ، ٣٩٧) والمستدرك ـ وقد سقط من النسخة المطبوعة وهو موجود في تلخيص الذهبي (٢ : ١٦٦ ـ ١٦٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ١٢٠ ، ١٢٢) ومعرفة السنن والآثار (١٠ : ٥٠) والسنن الصغير (٣ : ٢٤).

(١) مصنف عبد الرزاق (٦ : ١٤٥) ومسند أحمد (١ : ٢٦١ ، ٣٣٤) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في الثيب ، رقم (٢١٠٠) وسنن النسائي : كتاب النكاح : باب استئذان البكر في نفسها (٦ : ٨٤) والسنن الكبرى له (٣ : ٢٨٠ ـ ٢٨١ من طرق) وسنن الدارقطني (٣ : ٢٣٨ ـ ٢٤١) وصحيح ابن حبان (٩ : ٣٩٩) والسنن الكبرى (٧ : ١١٨) ومعرفة السنن والآثار (١٠ : ٥١) في آخرين .

والبغوي والبيهقي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

وقد ورد نحو المرفوع عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

٢٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : جعله خيرية المال لمن يعطي منه اليتيم والمسكين وابن السبيل ، وإلا فلا خير فيه .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال : « إن مما أخاف عليكم بعدي : ما يُفتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ».

فقال رجل : أَوَ يأتي الخيرُ بالشرِّ يا رسول الله ؟... الحديث ، وفيه قوله ﷺ : « إنه لا يأتي الخيرُ بالشرِّ ، وإنَّ مما يُنبتُ الربيعُ يقتلُ أو يُلِم . إلّا آكلةَ الخَضَر ، فإنها أكلت ، حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت عينَ الشمس ، فثلطت وبالت ، ثم رتعت ، وإن هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، ونِعم صاحبُ المسلمِ هو لمن أعطى منه المسكين واليتيمَ وابن السبيل ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

٢١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : إخباره ﷺ أن الذي يُحسن إلى اليتيم يكون معه ﷺ في الجنة .

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٣٠) وسنن الدرقطني (٣ : ٢٢٩ ـ ٢٣١ من طرق) والمستدرك (٢ : ١٦٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ١٢٠ ، ١٢١) والسنن الصغير (٣ : ٢٤ ، ٢٥) وشرح السنة (٩ : ٣٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب الصدقة على اليتامى ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب تخوّف ما يخرج من زهرة الدنيا ، رقم (١٢٣).

فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : « ...ومن أحسن إلى يتيم عنده كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتَين » وفرَّق بين أصبعيه السبّابة والوسطى . رواه أحمد وابن المبارك وابن أبي الدنيا وعبد الله بن أحمد والبغوي في آخرين[1]. وله شواهد متعددة هو بها صحيح .

٢٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأرامل والأيتام : أن أمر الله تعالى من كانت عنده يتيمة جميلة ، ويرغب في جمالها ومالها ، ألّا يتزوجها إلّا أن يوفّيها حقَّها من الصداق ، لأن العرب كانوا إذا كانت عند أحدهم يتيمة تشركه في ماله : فإن كانت جميلة ورغب فيها تزوجها ولم يقسط لها في المهر ، وإن كانت غير جميلة ورغب عنها عضلها ولم يزوِّجها لأحد ولم يتزوجها حتى لا يأتي من يشاركه في مالها . فنهوا عن ذلك ، وقد كثرت الروايات في ذلك عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في بيان معنى الآية الكريمة ، أقتصر على رواية واحدة .

فعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ، أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ـ إلى ـ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قالت : يا ابن أختي ، هذه اليتيمة تكون في حجر وليِّها ، فيرغب في جمالها ومالها ، ويريد أن ينتقص صداقَها ، فنُهوا عن نكاحهن إلّا أن

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٥٠ ، ٢٦٥) والزهد لابن المبارك (٢٣٠رقم ٦٥٥) وكتاب العيال (رقم ٦٠٩) والزهد لأحمد (٢١) وشرح السنة (١٣ : ٤٤) وتفسير البغوي (١ : ٤٢٥) والمعجم الكبير (٨ : ٢٣٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٢) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٢) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠).

وانظر الزهد لابن المبارك (رقم ٦٥٢) وذكر أخبار أصبهان (١ : ٢٠٨ ، ٢٩٦).

يُقسطوا في إكمال الصَّداق ، وأُمروا بنكاح من سواهن من النساء .

قالت : واستفتى الناسُ رسول الله ﷺ بعد ذلك ، فأنزل الله : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ - إلى - وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ فأنزل الله لهم : أن اليتيمةَ إذا كانت ذاتَ جمال ومال رغبوا في نكاحها ونسبها في إكمال الصداق ، وإذا كانت مرغوبةً عنها في قلة المال والجمال تركوها وأخذوا غيرَها من النساء .

قالت : فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها ، إلّا أن يُقسطوا لها ، ويُعطوها حقَّها الأوفى من الصّداق . متفق عليه[1].

قال القاضي أبو بكر ابن الطيب رحمه الله تعالى[2]: معنى الآية : وإن خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى الأطفال اللاتي لا أولياء لهن يطالبونكم بحقوقهن ، ولا تأمنوا من ترك القيام بحقوقهن لعجزهن عن ذلك ، فتزوَّجوا من النساء القادرات على تدبير أمورهن ، أو من لهن أولياء يمنعونكم من الحَيف عليهن.اهـ.

وما ذكرته من نصوص كريمة كاف في الدلالة على مدى رحمته ﷺ بالأيتام - امتداداً لرحمته ﷺ بالصغار والأطفال - وبالأرامل الضعيفات - امتداداً لرحمته ﷺ بالنساء ، بل هؤلاء يقدَّمون على من عنده أب ، ومن ليست أرملة ، من باب أولى ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب الأكفاء في المال ، وتزويج المقل المثرية ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب التفسير ، رقم (٦ - ٩).

(٢) انظر فتح الباري (١٢ : ٣٣٧).

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله الطَّيِّبين الطّاهرين ، وصحابته الكرام المبجَّلين ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين ، كلّما ذكره الذّاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

* * * * *

الفصل السادس عشر

رحمته ﷺ بالعبيد والإماء والخدم

لا أعلم في البشرية أرحم بالعبيد والإماء والخدم من رسول الله ﷺ ، وقد ظهرت رحمته ﷺ وعطفُه وحنانه وشفقتُه ولطفه بهم ،... بمظاهر كثيرة ، من حسن معاملة لهم ، وحثٍّ على التوصية بهم ، والإحسان إليهم ، والإعتاق لهم ، وإجلاسهم مع أسيادهم على المائدة ، وإلباسهم ما يلبس الأسياد ، ... ونهيه أن يخاطِبوا الأسيادَ بالربوبية ، وعن ضربهم ، والتفريق بينهم - إذا كانوا صغاراً - واكتمل العقد بأن جعلهم ﷺ أخوة للمؤمنين ،...

لذا فهو ﷺ بحق محرِّرُ العبيد ، ومعتق الإماء ، ولن تبلغ لجانُ حقوق الإنسان جزءاً مما فعله أو أمر به أو نهى عنه فيما يتعلَّق بالعبيد . ولا أدل على ذلك : من فتح باب العتق على مصراعيه ، ابتداء من كفارة اليمين ، وانتهاء بالقتل الخطأ ، ومروراً بالتقرب إلى الله عز وجل ،...

وقد ظهرت **الرحمة المهداة بالعبيد والإماء** بمظاهر مختلفة ؛ ونصوصها كثيرة جداً ، ومجالاتها متعددة ، ويصعب استيفاء ذلك في مثل هذا المختصر ، لكثرة جزئياته ونصوصه ، لذا فإني سأقتصر على ذكر بعض الفقرات وعلى ذكر بعض النصوص ، راجياً منه تعالى الإعانةَ والتوفيقَ ، فهو المستعان .

١- فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أن جعلهم إخواناً للمسلمين . ولكن الله تعالى جعلهم تحت أيدي الأحرار ، ابتلاء منه عز وجل ، لذا يلزم الأحرار أن يعاملوهم معاملةً إنسانيةً ، ولا

يُشعروهم بالذِّلة والمهانة ، لأنهم بشر مثلهم ، لذا يلزمهم أن يطعموهم مما يأكلون ، ويُلبسوهم مما يلبسون ، ولا يكلِّفوهم فوق طاقتهم ، فإن اضطُرّوا إلى تكليفهم فوق طاقتهم يلزمهم أن يعينوهم عليه ، والله تعالى أعلم .

فعن المعرور بن سويد رحمه الله تعالى قال : لقيتُ أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالربذة ، وعليه حُلَّة وعلى غلامه حلَّة ، فسألته عن ذلك فقال : إني سابتُ رجلاً فعيَّرتُه بأمه ، فقال لي النبيُّ ﷺ : « يا أبا ذر ؛ أعَيَّرتَه بأُمِّه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خَوَلُكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ؛ فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تُكلِّفوهم ما يغلبُهم ، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم ». متفق عليه(١). وللحديث روايات أخرى .

وعن سلّام بن عَمْرو رحمه الله تعالى ، عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ قال : قال النبيُّ ﷺ : « أرقاؤكم إخوانُكم ، فأحسنوا إليهم ، استعينوهم على ما غلبكم ، وأعينوهم على ما غُلبوا ». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو يعلى ، وشاهده ما سبق وما يأتي فهو بها صحيح(٢).

أين دعاة الحضارة وحقوق الإنسان من هذه المكارم ، العبد : هو أخ ، وعلى سيده أن يطعمه مما يأكل ، وأن يلبسه مما يلبس ، ولا يكلفه فوق طاقته ، وإن كلفه يلزمه إعانته ،... ولكنه الرحمة المهداة ، الرحمة للعالمين ﷺ ؛ الذي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب المعاصي من أمر الجاهلية ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب إطعام المملوك مما يأكل ، ... رقم (٣٨ـ ٤٠).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٥٨ ، ٣٧١) والأدب المفرد (٧٨ رقم ١٩٠) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٢١) ومجمع الزوائد (٤ : ٢٣٦) ولم ينسبه لأحمد ، وقال : رجاله ثقات .

يشعر بشعور الإنسان ؛ مهما كان لونه أو جنسه أو عنصره ،...الخ.

٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أن أوجب على السيد إطعامهم وإلباسهم ، مما يأكل السيد ويلبس . وألّا يُكلفهم إلّا بما يطيقون .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « للمملوك طعامُه وكسوتُه ، ولا يُكلَّفُ من العمل إلّا ما يُطيق ». رواه مسلم[١].

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت رحمه الله تعالى قال : خرجت أنا وأبي نطلب العلمَ في هذا الحيِّ من الأنصار قبل أن يهلكوا ، فكان أولُ من لقِينا أبا اليَسَر ـ صاحبَ رسول الله ﷺ ـ ومعه غلامٌ له ، معه ضِمامةٌ من صُحف ، وعلى أبي اليَسَر بُردةٌ ومعافِريٌّ ، وعلى غلامه بُردةٌ ومعافِريٌّ ،...

فقلت له أنا : يا عمِّ ؛ لو أنك أخذتَ بردةَ غلامك وأعطيتَه مُعافريَّك ، وأخذتَ معافريَّه وأعطيتَه بُردتَك ، فكانت عليك حُلَّةٌ وعليه حُلَّه . فمسح رأسي ، وقال : اللهم بارك فيه . يا ابن أخي ، بَصَرُ عينَيَّ هاتَين ، وسَمْعُ أُذنَيَّ هاتين ، ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسولَ الله ﷺ وهو يقول : « أطعموهم مما تأكلون ، وألبِسوهم مما تلبسون » وكان أن أعطيتُه من متاع الدنيا أهونَ عليَّ من أن يأخذ من حسناتي يوم القيامة . رواه مسلم[٢].

(١) صحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب إطعام المملوك مما يأكل ، وإلباسه مما يلبس ،... رقم (٤١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزهد : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليَسَر ، رقم (٧٤ / ٣٠٠٧).

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ولهذا جاء التحذير العام من عدم إكفاء من يعول .

فعن خيثمة بن عبد الرحمٰن رحمه الله تعالى قال : كنا جلوساً مع عبد الله ابن عَمْرٍو ، إذ جاءه قهرَمانٌ له [أي الوكيل] فدخل ، فقال : أعطيتَ الرقيقَ قوتَهم ؟ قال : لا . قال : فانطلق فأعطهم . قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثماً أن يحبسَ عمَّن يملكُ قوتَه ». رواه مسلم[1].

٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : **أن جعل المعتدي عليهم ـ بالضرب مثلاً ـ على خطر عظيم** ، وهو الوقوع في نار جهنم ، والعياذ بالله تعالى ، ولا كفارة له من فعله إلّا بإعتاقه العبد الذي ضربه .

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : كنت أضرب غلاماً [عبداً] لي بالسَّوْط ، فسمعت مِن خلفي صوتاً : « اعلَمْ أبا مسعود ؛ للهُ أقدرُ عليك منكَ عليه » فالتفتُ فإذا هو رسول الله ﷺ . فقلتُ : يا رسول الله ؛ هو حرٌّ لوجه الله . فقال : « أما لو لم تفعل لَلَفَحَتْك النارُ ، أو لَمَسَّتك النارُ ». رواه مسلم[2].

فلو لم يعتقه ـ نتيجة ضربه بالسَّوط ـ لوقع في نار جهنم عقوبةً له ، فأين دعاة حقوق الإنسان ، والمتشدِّقين بالحرِّية ؟؟؟

وعن زاذان رحمه الله تعالى قال : أتيتُ ابنَ عُمَر ، وقد أعتق مملوكاً .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة على العيال والمملوك ، رقم (٤٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب صحبة المماليك ، وكفارة من لطم عبده ، رقم (٣٤ـ ٣٦).

قال : فأخذ من الأرض عوداً أو شيئاً فقال : ما فيه من الأجر ما يسوى هذا . إلّا أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من لطم مملوكَه أو ضربَه فكفّارتُه أن يعتقه ». رواه مسلم[1].

وعن معاوية بن سُويد بن مقرّن رضي الله تعالى عنهما قال : لطمتُ مولىً لنا فهربتُ ، ثم جئتُ قُبيل الظهر ، فصلَّيتُ خلف أبي . فدعاه ودعاني ، ثم قال : امتثل منه [أي اقتص منه] فعفا . ثم قال : كنا بني مقرّن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلّا خادمٌ واحدةٌ ، فلطمها أحدُنا . فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فقال : « أَعتقوها » قالوا : ليس لهم خادمٌ غيرُها . قال : « فليستخدموها ، فإذا استغنَوْا عنها فليخلُّوا سبيلَها ». رواه مسلم[2].

وعن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله تعالى عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ؛ إذ عطس رجل من القوم ، فقلتُ : يرحمك الله ، فرماني القومُ بأبصارهم ، فقلتُ : واثُكْلَ أُمِّياهْ ما شأنكم ! تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يُصَمِّتونَني . لكني سكتُّ ،... الحديث بطوله ،...

وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَل أُحُدٍ والجَوّانِيَّة [موضع شمال المدينة بجوار جبل أحد] فاطَّلعتُ ذاتَ يوم فإذا الذيبُ قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجلٌ من بني آدم ، آسف [أغضب] كما يأسفون ، لكنّي صككتُها صكَّةً . فأتيتُ رسول الله ﷺ ، فعظَّم ذلك عليَّ . قلت : يا رسول الله ؛ أفلا أعتقُها ؟ قال : « ائتني بها » فأتيتُه بها . فقال لها : « أين الله ؟ » قالت : في

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٩ ـ ٣٠).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣١).

السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله . قال : « أعتقها ، فإنها مؤمنة ». رواه مسلم[1].

٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أن حرَّم ﷺ ضرب وجه العبد أو الأمة ، وشدّد ﷺ في ذلك ، وتغيّظ على من يفعل ذلك ، وهذا وإن كان عامّاً في الأحرار والعبيد ، لكنّه ﷺ ركّز على عدم ضرب العبيد على وجوههم ، لأن الناسَ يستهينون في ذلك .

فعن هلال بن يَساف رحمه الله تعالى قال : عجل شيخٌ فلطم خادماً له ، فقال له سُوَيْدُ بنُ مُقرِّن ـ رضي الله تعالى عنه ـ : عجز عليك إلّا حُرُّ وجهها . لقد رأيتُني سابعَ سبعةٍ من بني مقرِّن ، ما لنا خادمٌ إلّا واحدةٌ ، لطمها أصغرُنا ، فأمرنا رسولُ الله ﷺ أن نعتقَها . رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إذا ضرب أحدُكم خادمَه ، فليجتنب الوجه ». رواه البخاري في الأدب المفرد[3] ، وهو في الصحيحين من غير لفظ (خادمه).

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المملوك أخوك ، فإذا صنع لك طعاماً فأجلسه معك ، فإن أبى فأطعمه ، ولا تضربوا وجوههم ».

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحته ، رقم (٣٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢).

(٣) الأدب المفرد (٧٣ ـ ٧٤ رقم ١٧٤) وصحيح البخاري : كتاب العتق : باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن ضرب الوجه ، رقم (١١٢ ـ ١١٦).

رواه الطيالسي وأحمد والبيهقي بإسناد حسن ، وأصل الحديث متفق عليه[1].

٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أن جعل عقوبة الذي يقذف عبده أو يضربه فإنه يقتص منه يوم القيامة ، إلّا إذا كان ما قاله صحيحاً في حال القذف ، أو أن يعفو العبدُ عن الحد .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ أبا القاسم ﷺ نبيَّ التوبة يقول : « من قذف مملوكه بالزنى ـ وهو بريء مما قال ـ يُقام عليه الحدُّ يوم القيامة ، إلّا أن يكون كما قال ». متفق عليه[2].

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

أي إذا كان المملوك قد ارتكب الفاحشة كما قال مالكه ، فإن المالك لا يُقام عليه الحد يوم القيامة . وإن لم يكن كذلك يقام على المالك الحد ، والله تعالى أعلم .

وعن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضرب مملوكَه ظلماً أُقيل منه يوم القيامة ». رواه البزار والطبراني وأبو نعيم ، برجال ثقات ، ورواه البخاري في الأدب المفرد ولم يرفعه[3].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضرب سوطاً ظلماً اقتُصَّ منه يوم القيامة ». رواه البخاري في الأدب المفرد ،

---

(١) مسند الطيالسي (٣١٢ رقم ٢٣٦٩) ومسند أحمد (٢ : ٥٠٥) وشعب الإيمان (٦ : ٣٧٣) وانظر ما سيأتي .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب قذف العبيد . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنى ، رقم (٣٧).

(٣) الأدب المفرد (٧٥ـ٧٦) وكشف الأستار (٤ : ١٦٣) وحلية الأولياء (٤ : ٣٧٨) ومجمع الزوائد (٤ : ٢٣٨) (١٠ : ٣٥٣).

والبزار والطبراني ـ بإسناديـن حسنين[1].

وذلك أن يوم القيامة لا يبقى ملك على العبد ، لذا يؤخذ له بحقه إلّا أن يعفو ، والله تعالى أعلم .

٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أن أعطى ﷺ الحجّامَ ـ وهو عبدٌ ـ أجرتَه كاملةً ، وحثَّ على الإحسان إليه ، وكلّم أهلَه أن يضعوا من خراجه ، وقد وضعه بنفسه ﷺ .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : احتجم رسول الله ﷺ ، حجمه أبو طَيْبَة ، فأمر له بصاعين من طعام ، وكلَّم أهلَه فوضعوا عنه من خَراجه ، وقال : « إن أفضلَ ما تداويتم به الحجامةُ ، أو إن أمثل ما تداويتم به الحجامة ». متفق عليه[2].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : حجم النبيَّ ﷺ عبدٌ لبني بياضة ، فأعطاه النبيُّ ﷺ أجرَه ، وكلَّم سيدَه فخفَّف عنه من ضريبته ، ولو كان سُحتاً لم يعطه النبيُّ ﷺ . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : دعا النبيُّ ﷺ أبا طيبة ، فحجمه ، فسأله : « كم ضريبتك ؟» قال : ثلاثة آصع ، قال : فوضع عنه صاعاً . رواه أحمد والطيالسي والطحاوي وأبو يعلى برجال الصحيح ، ورواه الطحاوي

---

(١) الأدب المفرد (٧٦ ـ ٧٧) والمعجم الأوسط (٢ : ١٢٠) وكشف الأستار (٤ : ١٦٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٤٥) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٥٣) ومجمع البحرين (٨ : ١٠٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب ذكر الحجّام ، وفي غيرهما. وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب حل أجرة الحجامة ، رقم (٦٢ ـ ٦٤).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٥ ، ٦٦).

وابن حبان على شرط الصحيح أيضاً[1].

ورواه الترمذي وابن أبي شيبة من حديث ابن عُمَر رضي الله عنهما[2].

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : وصيته ﷺ بالعبيد الذين يصلّون ، ويؤدّون شعائرَ الإسلام .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ في قصة خروج النبي المصطفى الكريم ﷺ والتقائه بأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ـ بسبب الجوع ـ وذهابهم إلى أبي الهيثم بن التَّيِّهان رضي الله تعالى عنه ، وفي آخر الحديث : فقال النبيُّ ﷺ : « هل لك من خادم ؟ » قال : لا . قال : « فإذا أتانا سبيٌ فائتناء ، فأُتي النبيُّ ﷺ برأسين ليس معهما ثالث . فأتاه أبو الهيثم . فقال النبيُّ ﷺ : « اختر منهما » فقال : يا نبيَّ الله اختر لي .

فقال النبيُّ ﷺ : « إن المستشارَ مؤتمن ، خذ هذا ، فإني رأيته يُصلّي ، واستوص به معروفاً ».

فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ ، فقالت امرأتُه : ما أنت ببالغ حقَّ ما قال فيه النبيُّ ﷺ إلا أن تعتقه . قال : فهو عتيق ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري في الأدب المفرد ، والطحاوي والطبراني والبيهقي ، وصححه الترمذي والحاكم[3]. وهو حديث طويل ، روى مسلم وغيرُه

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٥٣) ومسند الطيالسي (٢٣٨رقم١٧٢٣) ومسند أبي يعلى (٣ : ٣١٢) (٤ : ٤٧ ـ ٤٨) وشرح معاني الآثار (٤ : ١٣٠) وصحيح ابن حبان (٨ : ٣٠٧) ومجمع الزوائد (٣ : ١٦٩) (٤ : ٩٤) وفتح الباري (٤ : ٤٦٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦ : ٢٦٦) والشمائل للترمذي (٦٠٦ ـ ٦٠٧ رقم ٣٦٣).

(٣) الأدب المفرد (١٠٠ ـ ١٠١رقم ٢٥٦) وسنن الترمذي : كتاب الزهد : باب ما جاء في =

أجزاء منه .

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ أقبل من خيبر ، ومعه غلامان ، فوهب أحدَهما لعليٍّ وقال : « لا تضربه ، فإني نُهيتُ عن ضرب أهل الصلاة ، وقد رأيتُه يصلّي ونحن مقبلون من خيبر ».

وأعطى أبا ذرٍّ غلاماً ، وقال : « استوص به معروفاً » فأعتقه . فقال له النبيُّ ﷺ : « ما فعل الغلامُ ؟ » فقال : يا رسول الله ؛ أمرتني أن أستوصيَ به معروفاً ، فأعتقته . رواه ابن أبي شيبة وأحمد ، والبخاري في الأدب المفرد ، والطبراني بإسناد حسن ، وحسنه البوصيري[1]. وشواهده كثيرة .

٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : استجابته ﷺ لخدم المدينة بوضع يده في أوانيهم ولو في الشتاء البارد .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة : جاء خدمُ المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى بإناء إلا غمس يدَه فيه . فربما جاؤوه في الغداة الباردة ، فيغمس يده فيها . رواه مسلم[2].

٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : ذهابه ﷺ مع الجارية منهم ـ وهي أمة ـ ليقضي لها حاجتها ، ولا يأنف من ذهابه معها .

= معيشة أصحاب النبيِّ ﷺ ، رقم (٢٣٦٩) والشمائل له (٦١٩ ـ ٦٢٨رقم٣٧٢) وشرح مشكل الآثار (١ : ٤٠٩ ـ ٤١٠) والمعجم الكبير (١٩ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧) والمستدرك (٤ : ١٣١) وشرح السنة (١٣ : ١٨٨ ـ ١٩٠) وشعب الإيمان (٤ : ١٤٥ ـ ١٤٦).

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٥٠ ، ٢٥٨) والأدب المفرد (رقم١٦٣) والمعجم الكبير (٨ : ٣٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥) وإتحاف الخيرة المهرة (٧ : ٢٧٦) ومجمع الزوائد (٤ : ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب قرب النبيِّ ﷺ من الناس وتبركهم فيه ، رقم (٢٣٢٤).

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فتنطلقُ به حيث شاءت . رواه البخاري[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : إن كانت الوليدة من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فما ينزع يده حتى تذهب به حيث شاءت . رواه أحمد وابن ماجه وأبو نعيم والبغوي ، وفي الإسناد علي بن زيد ، لكن يشهد له الحديث السابق[2].

٩- ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : تحمُّلُه ﷺ ضيق خلقهم ، وصبره على أذاهم ، ورفعِ أصواتهم عليه .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : انطلق رسول الله ﷺ إلى أم أيمن ، فانطلقتُ معه ، فناولتْه إناءً فيه شرابٌ ، قال : فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يُرِده ، فجعلت تصخب عليه ، وتذَمَّرُ عليه . رواه مسلم[3].

أم أيمن رضي الله تعالى عنها مولاة له ﷺ ، وهي حبشية ورثها من أبيه ، وقد صبر على رفع صوتها ، وغضبها ، لما لها من دالَّة عليه ، لأنها مربيتُه وحاضنتُه ، ولمكانتها الخاصة عنده ﷺ ، لوفائه بها ، وإكرامه لها مع أن رفع الصوت والجهرَ به عليه ﷺ محبط للعمل ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الكِبر .

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٧٤ ، ٢١٥ - ٢١٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب البراءة من الكبر ، والتواضع ، رقم (٤١٧٧) وحلية الأولياء (٧ : ٢٠١) والشمائل للبغوي (١ : ٢٩٤) ومصباح الزجاجه (٤ : ٢٣٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها ، رقم (١٠٢).

﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾(١).

١٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء: استجابته ﷺ دعوة المملوك والمولى إلى الطعام، وأنه لا يأنف من الأكل عنده، وكل ذلك من تواضعه ﷺ ورحمته بالخلق.

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: بعثت معي أمُّ سُلَيم بشيءٍ من رُطبٍ في مكتل إلى رسول الله ﷺ، فلم أجده في بيته. قالوا: ذهب قريباً، فإذا هو عند خيّاطٍ ـ مولى له ـ صنع له طعاماً؛ فيه لحمٌ ودُبّاءٌ، قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ يُعجبه الدُّبّاءُ، فجعلتُ أضعه بين يديه. قال: فرجع إلى بيته، فوضعتُ المكتلَ بين يديه، فما زال يأكل ويَقْسم حتى لم يبق في المكتل شيء. رواه الشيخان، لكن هذا لفظ أحمد وابن ماجه وأبي الشيخ وأحمد بن منيع بإسناد صحيح، وصححه ابن حبان والبوصيري، ولفظ الشيخين لم يذكر كونه مولى رسول الله ﷺ(٢).

١١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالعبيد والإماء: حثه ﷺ على إعتاق الرقبة المسلمة، لأن من أعتق رقبةً مسلمةً فقد أعتق كلَّ عضو من العبد المؤمن المعتَق عضواً من أعضاء سيده.

فعن سعيد بن مرجانة رحمه الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله تعالى

---

(١) سورة الحجرات (٢).

(٢) مسند أحمد (٣: ١٠٨، ٢٦٤) وسنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة: باب الدُّبّاء، رقم (٣٣٠٣) وأخلاق النبيِّ ﷺ (١٨٣) وصحيح ابن حبان (١٤: ٢٩٢) ومصباح الزجاجة (٤: ١٦) وإتحاف الخيرة المهرة (٥: ٣٢٩).

عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من أعتق رقبةً مؤمنة ؛ أعتق الله بكل عُضوٍ منه عضواً من النار ، حتى يُعتق فرجَه بفرجه ».

قال : فانطلقتُ - حين سمعت الحديثَ من أبي هريرة - فذكرتُه لعليّ بنِ الحسين ، فأعتق عبداً له قد أعطاه به ابنُ جعفر عشرةَ آلاف درهم - أو ألفَ دينار . متفق عليه[1].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبيِّ ﷺ في غزوة تبوك ، فأتاه نفر من بني سُليم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إن صاحباً لنا قد أوجب . فقال رسول الله ﷺ : « أعتقوا عنه رقبةً ، يَعتق الله بكل عُضوٍ منها عضواً منه من النار ». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم[2].

زاد في حديث أبي نَجيح - عَمْرو بن عَبَسَة - رضي الله تعالى عنه قولَه ﷺ : « أيُّما امرأة مسلمةٍ أعتقت امرأةً مسلمةً ، فإن الله جل وعلا جاعلٌ وِقاء كلِّ عظم من عظام محرّرها عظماً من عظامها من النار ». رواه الطيالسي وأحمد وأبو داود بإسناد صحيح ، وصححه ابن حبان[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب في العتق وفضله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العتق : باب فضل العتق ، رقم (٢١ - ٢٤).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٤٩٠ - ٤٩١) (٤ : ١٠٧) وسنن أبي داود : كتاب العتق : باب في ثواب العتق ، رقم (٣٩٦٤) وسنن النسائي الكبرى (٣ : ١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٢) وشرح مشكل الآثار (٢ : ٢٠١ - ٢٠٥ من طرق) والمعجم الكبير (٢٢ : ٩١ - ٩٣ من طرق) ومسند الشاميين (١ : ٤٥ - ٤٩ من طرق) ومسند أبي يعلى (١٣ : ٤٦٨ - ٤٦٩) وصحيح ابن حبان (١٠ : ١٤٥ - ١٤٦) والمستدرك (٢ : ٢١٢ ، ٢١٢ - ٢١٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٣٢ - ١٣٣ ، ١٣٣) وشرح السنة (٩ : ٣٥٢).

(٣) مسند الطيالسي (رقم ١١٥٤) ومسند أحمد (٤ : ١١٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦) وسنن أبي داود : =

والأحاديث كثيرة في هذا الباب .

بل من رحمة الله جل شأنه **بالعبد المكاتَب** أن أوجب الله تعالى على ذاته الشريفة إعانة المكاتَب إذا كان مسلماً .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ثلاثٌ حقٌّ على الله أن يعينَهم : المجاهدُ في سبيل الله ، والناكحُ يريد أن يستعفف ، والمكاتَبُ يريد الأداء ». رواه أحمد وعبد الرزاق والنسائي وابن ماجه وابن الجارود والبيهقي ، وحسنه الترمذي والبغوي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1] ، في آخرين .

وأما إذا كان العبد مبعَّضاً ، فإن أعتق أحدُ الشريكين نصيبَه ، قُوِّم عليه قيمةُ العبد كاملاً ـ إن كان غنيّاً ـ وإلا فقد عتق منه ما عتق ، وعلى العبد أن يستسعي[2] لسداد بقية ثمنه .

= كتاب العتق : باب أي الرقاب أفضل ، رقم (٣٩٦٥ ، ٣٩٦٦) والسنن الكبرى للنسائي (٣ : ١٦٩) وشرح مشكل الآثار (٢ : ١٩٨) وصحيح ابن حبان (١٠ : ١٤٧ ـ ١٤٨) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ٢٧٢).

(١) مسند أحمد : (٢ : ٢٥١ ، ٤٣٧) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٥٩) وسنن الترمذي : كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب ، وعون الله إياهم ، رقم (١٦٥٥) وسنن النسائي : كتاب الجهاد : باب فضل الروحة في سبيل الله عز وجل ، وكتاب النكاح : باب معونة الله الناكح يريد العفاف (٦ : ١٥ ـ ١٦ ، ٦١) والسنن الكبرى (٣ : ١٢ ، ١٩٤) وسنن ابن ماجه : كتاب العتق : باب المكاتب ، رقم (٢٥١٨) والمنتقى لابن الجارود (٣٢٦ ـ ٣٢٧) ومسند أبي يعلى (١١ : ٤١٠) وصحيح ابن حبان (٩ : ٣٣٩) والمستدرك (٢ : ١٦٠ ، ٢١٧) وشرح السنة (٩ : ٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٧٨) والجهاد لابن أبي عاصم (١ : ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٢) انظر : مكانة الصحيحين (٣٤٨ ـ ٣٦٠) فقد ذكرت روايات الاستسعاء ، ورد الشبه =

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن أَعتق شِركاً له في عبد ، فكان له مال يبلغُ ثمنَ العبد ؛ قُوِّم عليه قيمةُ العدل ، فأعطى شركاءَه حصصهم ، وعتَق عليه العبدُ ، وإلا فقد عتق منه ما عتق ». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « من أعتق شقيصاً له في عبد ، فخَلاصُه في مالِه إن كان له مال ، فإن لم يكن له مال ، استسعى العبدُ غيرَ مشقوقٍ عليه ». متفق عليه[2].

فقد ألزم رسولُ الله ﷺ السيدَ الغنيَّ الذي يعتق نصيبَه ألّا يُبقيَ العبدَ معلَّقاً ، وعليه أن يشتري بقيتَه ، ويعتقه كاملاً ، أما إذا لم يكن عنده مال يَفي بقيمة بقيته فلا عليه شيء ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

وأما أم الولد ـ وهي التي تسّرى بها سيدها فولدت منه ـ فلا تُباع ، ولا تُوهب ، ولا تُعار ، وتبقى عند سيدها ، حتى إذا مات عتقت .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا وَلدت أَمَةُ الرجل منه فهي معتقةٌ عن دُبُر منه ». رواه أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والدارمي وابن ماجه والدارقطني والحاكم[3].

= نحوها ، ومن قال به من الفقهاء .

(١) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب إذا أعتق عبداً بين اثنين ، أو أمة بين الشركاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العتق ، رقم (١) وكتاب الأيمان : باب من أعتق شركاً له في عبد ، رقم (٤٧ ـ ٥٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب إذا أعتق نصيباً في عبد وليس له مال استسعى العبد غير مشقوق عليه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٢ ـ ٥٥) وفي كتاب العتق : باب ذكر سعاية العبد ، رقم (٢ ـ ٤).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٧ : ٢٩٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٦ : ٤٣٦) ومسند أحمد (١ : =

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وقال : « لا يُبَعنَ ، ولا يُوهبنَ ، ولا يُورثْن ، يَستمتع بها سيدُها ما دام حيّاً ، فإذا مات فهي حرة ». رواه الدارقطني بإسناد جيد[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما ولدتْ أمُّ إبراهيم قال رسول الله ﷺ : « أعتقها ولدُها ». رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم ، وصححه ابن حزم ، وجوّده ابن القطان والحافظ ابن حجر من طريق قاسم بن أصبغ[2].

وعن سلامة بنت معقل رضي الله تعالى عنها ـ وهي امرأةٌ من خارجةَ قيسِ عَيلان ـ قالت : قدم بي عمي في الجاهلية ، فباعني من الحُباب بنِ عَمْرو ـ أخي أبي اليَسَر ـ فولدتُ له عبدَ الرحمٰن بنَ الحُباب ، ثم هلك .

فقالت لي امرأتُه : الآن ـ والله ـ لتباعين في دَينه ، فأتيتُ رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ؛ إني امرأةٌ من خارجة قيس عَيلان ، قدم بي عمي المدينةَ في الجاهلية ، فباعني من الحُباب بنِ عَمْرو ـ أخي أبي اليَسَر بن عَمْرو ـ

= ٣٠٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٠) وسنن الدارمي (٢ : ١٧٢) وسنن ابن ماجه : كتاب العتق : باب أمهات الأولاد ، رقم (٢٥١٥) وسنن الدارقطني (٤ : ١٣٠ ـ ١٣٣من طرق) والمعجم الكبير (١١ : ٢٠٩) والمستدرك (٢ : ١٩) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٤٦).

(١) سنن الدارقطني (٤ : ١٣٤) وانظر الاعتبار للحازمي (١٦).

(٢) سنن ابن ماجه : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٥١٦) وسنن الدارقطني (٤ : ١٣١ ـ ١٣٣) والمستدرك (٢ : ١٩) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٤٦) والمحلى (٩ : ١٨) ونصب الراية (٣ : ٢٨٧) والأحكام الوسطى (٤ : ٢٣ ـ ٢٤) وبيان الوهم والإيهام (رقم ٥٨) وانظر التمهيد لابن عبد البر (٣ : ١٣٧ ـ ١٣٨) حيث استدل به مرجّحاً به على غيره ، وشرح السنة (٩ : ٣٧٠) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ٢٤٨) والدراية (٢ : ٨٧).

فولدتُ له عبدَ الرحمٰن بنَ الحُباب ، فقالت امرأتُه : الآن والله تُباعين في دَينه .

فقال رسول الله ﷺ : « مَن وليُّ الحُباب بنِ عَمْرو ؟ » قيل : أخوه أبو اليَسَر . فبعث إليه رسول الله ﷺ ، فقال : « أعتقوها ، فإذا سمعتم برقيق قدم عَلَيَّ فائتوني به ، أُعوِّضْكم منها » قالت : فأعتقوني ، وقدم على رسول الله ﷺ رقيقٌ ، فعوَّضهم مني غلاماً . رواه أبو داود وأحمد والطبراني ، والبيهقي[1]. وقال : أحسن شيء روي فيه عن النبيّ ﷺ . وشاهده ما سبق ، فهو به حسن .

١٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : حثُّه ﷺ على الإحسان إلى الجارية وتأديبها وإعتاقها ثم تزوجها ، وأن من يفعل ذلك كان له أجران ، شأنه شأن العبد الذي يُؤدّي حقَّ الله تعالى وحقَّ مواليه . كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الفقرة (١٦).

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثةٌ يؤتَوْن أجرَهم مرتين : رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به واتّبعه وصدَّقه ، فله أجران . وعبدٌ مملوك أدّى حقَّ الله تعالى وحقَّ سيده ، فله أجران . ورجل كانت له أَمَةٌ فغَذَاها فأحسن غِذاءَها ، ثم أدَّبها فأحسن أدبَها ، ثم أعتقها وتزوَّجها ، فله أجران ». متفق عليه[2].

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٣٦٠) وسنن أبي داود : كتاب العتق : باب في عتق أمهات الأولاد ، رقم (٣٩٥٣) والمعجم الكبير (٤ : ٥١ ـ ٥٢) (٢٤ : ٣٠٩ ـ ٣١٠) والسنن الكبرى (١٠ : ٣٤٥) ومعرفة السنن والآثار (١٤ : ٤٧٠) وأسد الغابة (٦ : ١٤٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب تعليم الرجل أمته وأهله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، رقم (٢٤١).

١٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : نهيُه ﷺ الأسيادَ أن ينادوا من تحت أيديهم باسم العبد والأَمَة ، وإنما بالفتوة ، كما نهى ﷺ أن يخاطِب العبيدُ أسيادَهم بالربوبية ، مع أنه جائز في اللغة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وهذا شامل للعبد المؤمن والكافر .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقولن أحدُكم : أطعم ربَّك ، وضِّئ ربَّك ، اسق ربَّك . وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدُكم : عبدي وأَمَتي ، وليقل : فتايَ وفتاتي وغلامي ». متفق عليه[١].

وفي رواية لهما[٢] قال ﷺ : « لا يقولن أحدُكم : عبدي وأمتي ، ولا يقولَنَّ المملوك : ربي وربَّتي ، ليقل المالكُ : فتاي وفتاتي ، وليقل المملوك : سيدي وسيدتي ، فإنكم المملوكون ، والربُّ : الله عز وجل ».

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال ﷺ : « لا يقولن أحدُكم : عبدي ، فكلُّكم عبيدُ الله ، ولكن لِيَقل : فتاي ، ولا يقل العبدُ : ربي ، ولكن لِيَقل : سيدي » لفظ مسلم[٣].

مع أن إطلاق لفظ الرب على السيد شائع ومعروف في الأمم السابقة ، أما ترى قولَ يوسف عليه السلام ـ مخاطباً امرأة العزيز حينما راودته عن نفسه ـ : ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾[٤]. ولكن الرحمة المهداة ﷺ أربأ بالمسلم أن

---

(١) انظر التخريج في الفقرة بعد التالية .

(٢) انظر التخريج في الفقرة التالية .

(٣) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب كراهية التطاول على الرقيق . وصحيح مسلم : كتاب آداب الألفاظ : باب حكم إطلاق العبد والأَمَة والمولى والسيد ، رقم (١٣ ـ ١٥).

(٤) سورة يوسف (٢٣).

يخاطب مملوكَه بالعبدية ، ويخاطبه العبدُ بالربوبية ؛ حرصاً على إنسانية العبد ، وعدم التعالي عند السيد ، والله تعالى أعلم .

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى[1] ـ مبيّناً سبب المنع ـ : إن الإنسان مربوبٌ متعبَّد بإخلاص التوحيد لله عز وجل ، وتركِ الإشراك معه ، فكره له المضاهاةَ بالاسم ، لئلا يدخل في معنى الشرك ، والحرُّ والعبدُ في هذا بمنزلة واحدة ، فأما ما لا تعبُّد عليه من سائر الحيوان والجماد فلا بأس بإطلاق هذا الاسم عليه عند الإضافة ، كقولك : ربُّ الدّابّة ، وربُّ الدار ، وَ[رب] الثوب ، ونحوها .

ولم يمنع العبد أن يقول : سيدي ومولاي ، لأن مرجع السيادة إلى معنى الرئاسة على من تحت يده ، والسياسة له ، وحُسن التدبير لأمره ، ولذلك سُمِّي الزوج سيِّداً . قال الله تعالى : ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾[2]. وقال النبيُّ ﷺ في الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ : « إن ابني هذا سيدٌ ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين ،... »[3]. وكان ما جرى منه رضوان الله عليه في ذلك المقام : حُسن تدبير ونظر سياسة.اهـ، والله تعالى أعلم .

١٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : حثُّه ﷺ على حسن معاملة العبيد ـ خاصة إذا كانوا مسلمين ـ وطلبه من الأسياد أن يجلسوهم معهم على المائدة ، ليأكلوا معهم ، فإن أبى العبيد ذلك ؛

(١) أعلام الحديث (٢ : ١٢٧١ ـ ١٢٧٢) ونقله الحافظ في الفتح (٥ : ١٧٩).

(٢) سورة يوسف (٢٥).

(٣) رواه البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه : كتاب الصلح : باب قول النبيِّ ﷺ للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين »، وفي غيرهما . ولفظه في كل الأبواب فيه « ولعل الله أن يصلح به ... » الحديث .

فليطعموهم من الطعام ، ولا يجعلونهم يأكلون من بقايا القدر وفضلات الطعام .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صنع لأحدكم خادمُه طعامَه ، ثم جاءه به ، وقد وَلِيَ حرَّه ودخانَه ، فليُقعدْه معه ، فليأكلْ . فإن كان الطعام مشفوهاً ـ قليلاً ـ فليضع في يده أُكلةً أو أُكلتين ». متفق عليه[1].

فيه بيان حسن معاملة الإسلام للعبيد والخدم ،... ومدى رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بهم ، حيث أمر ﷺ الأسيادَ أن يُجلسوا العبدَ والخادمَ معهم على المائدة ، إذا كان هو الذي تولى طبخَه ـ جزاء تعبه ونفخه وطبخه ـ فإن أبى فليسكب له من رأس القِدر ، والله تعالى أعلم .

١٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : نهيُه ﷺ عن التفريق بين الأقارب عند البيع إذا كانوا صغاراً ، أو كان أحدهما صغيراً ، كالأم وولدها ، وكذا الولد مع أبيه ، وكذا بين الأخوين الصغيرين ، شفقة عليهما ، ورحمة بهما .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : وهب لي رسول الله ﷺ غلامَين أخوين ، فبعتُ أحدَهما . فقال لي رسول الله ﷺ : « يا عليّ ؛ ما فعل غلامُك ؟ » فأخبرته ، فقال : « ردّه ، ردَّه ».

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أبيع غلامَين أخوين ، فبعتُهما ، ففرقت بينهما ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال :

(١) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب إطعام المملوك مما يأكل ،... رقم (٤٢).

« أَدْرِكهما ، فارتجعهما ، ولا تبعهما إلا جميعاً ، ولا تفرِّق بينهما ». رواه أحمد والطيالسي ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه والدارقطني والبيهقي[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : إنه فرّق بين والدة وولدها ، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك ، ورد البيع . رواه أبو داود والدارقطني والبيهقي ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[2].

وعن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من فرَّق بين الوالدة وولدِها [وفي رواية : بين الولد ووالده في البيع] فرَّق الله بينه وبين أحبتِهِ يوم القيامة ». رواه أحمد ، والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي[3].

---

(١) مسند أحمد (١ : ٩٧ ـ ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٢٦ ـ ١٢٧) ونسخة أحمد شاكر (٢ : ١١٢ ، ١٣٢) ومسند الطيالسي (٢٦رقم١٨٥) وسنن الترمذي : كتاب البيوع : باب ما جاء في كراهية الفرق بين الأخوين أو بين الوالدة وولدها في البيع ، رقم (١٢٨٤) وسنن ابن ماجه : كتاب التجارات : باب النهي عن التفريق بين السبي ، رقم (٢٢٤٩) والبحر الزخار (٢ : ٢٢٧) والمنتقى لابن الجارود (١٩٩رقم ٥٧٥) والمستدرك (٢ : ٥٤ ، ١٢٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ١٢٧) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٤) وسنن الدارقطني (٣ : ٦٥ ـ ٦٦ ، ٦٦) والمعجم الأوسط (٣ : ٨٣ بنحوه) ومجمع الزوائد (٤ : ١٠٧) وهذا مما يستدرك عليه .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في التفريق بين السبي ، رقم (٢٦٩٦) وسنن الدارقطني (٣ : ٦٦) والمستدرك (٢ : ٥٥ ، ١٢٥) والسنن الكبرى (٩ : ١٢٦).

(٣) مسند أحمد (٥ : ٤١٢ ـ ٤١٣ ، ٤١٤) وسنن الدارمي (٢ : ١٤٦) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢٨٣) وكتاب السير : باب في كراهية التفريق بين السبي ، رقم (١٥٦٦) والمستدرك (٢ : ٥٦) وسنن الدارقطني (٢ : ٦٧) والمعجم الكبير (٤ : ٢١٧) والسنن الكبرى (٩ : ١٢٦) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٤) ومسند الشهاب (١ : ٢٨٠) وانظر نصب الراية (٤ : ٢٣ ـ ٢٦). =

قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى[1]: والعمل على هذا عند أهل العلم ؛ من أصحاب النبيِّ ﷺ وغيرهم ، كرهوا التفريق بين السبي ، بين الوالدة وولدها ، وبين الولد ووالده ، وبين الإخوة . اهـ ، والله تعالى أعلم .

١٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : إخباره ﷺ أن العبد الذي يُحسن عبادة ربه عز وجل ـ بأن يقوم بحقِّه تعالى كما يجب ـ ويحسن طاعة سيده ـ بأن ينصح له ، ويقوم بحقه كاملاً : له أجران ، والنصوص في ذلك كثيرة ، أقتصر على ذكر بعضها .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبدَ إذا نصح لسيده ، وأحسن عبادة الله ، فله أجره مرتين ». متفق عليه[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « للملوك الذي يُحسن عبادةَ ربه ، ويؤدّي إلى سيده الذي له عليه من الحق

= وقد جاء في مسند الإمام أحمد بيان سبب ذكر أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه هذا الحديث ، ولفظه :

عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلّي قال : كنا في البحر ، وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري ، ومعنا أبو أيوب الأنصاري ، فمر صاحبُ المقاسم ، وقد أقام السبيَ ، فإذا امرأةٌ تبكي ، فقال [أبو أيوب] : ما شأن هذه ؟ قالوا : فرَّقوا بينها وبين ولدها . قال : فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في يدها . فانطلق صاحبُ المقاسم إلى عبد الله بن قيس فأخبره . فأرسل إلى أبي أيوب ، فقال : ما حملك على ما صنعتَ ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من فرَّق ،... » ثم ذكر الحديث .

(١) سنن الترمذي (٤ : ١٣٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح لسيده ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده ، وأحسن عبادة ربه ، رقم (٤٣).

والنصيحة والطاعة : أجران ». رواه البخاري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « للعبد المملوك المصلح أجران ».

والذي نفسُ أبي هريرة بيده ؛ لولا الجهادُ في سبيل الله ، والحجُّ ، وبِرُّ أُمّي ؛ لأحببتُ أن أموت وأنا مملوك . متفق عليه[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أدّى العبدُ حقَّ الله وحقَّ مواليه ؛ كان له أجران ». رواه مسلم[3].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نعمّا للمملوك أن يُتوَفّى ؛ يُحسن عبادةَ الله ، وصحابةَ سيدِه ، نعمّا له ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[4].

١٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : حثُّه ﷺ على كثرة العفو عن العبيد والإماء ، ولو كان عدد المرات سبعين مرة في اليوم الواحد .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال : جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله ﷺ ، ثم أعاد عليه الكلام ، فصمت ، فلما كان في الثالثة ، قال : « اعفوا عنه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب كراهية التطاول على الرقيق .

(٢) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح لسيده . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٤).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥).

(٤) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح لسيده . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦).

في كلِّ يوم سبعين مرةً ». رواه أبو داود والترمذي وأحمد وعبد بن حُميد وأبو يعلى ، وإسناد أغلبهم صحيح ، وحسنه الترمذي[1]. ويُروى عن عبد الله ابن عَمْرو بن العاص ، لكن ابن عُمَر بن الخطاب أصح ، كما قال الحافظ الذهبي .

١٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : إعتاقُه ﷺ العبدَ الذي مثَّل به سيدُه ، وإيجاب نصرته على كلِّ مسلم .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : جاء رجلٌ مستصرخ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : « ويحك مالَك ؟ » قال : شرٌّ ، أبصر لسيده جاريةً له ، فغار ، فجبَّ مذاكيرَه [أي قطع ذَكَرَه] فقال رسول الله ﷺ : « عليَّ بالرجل » فطُلب فلم يُقدر عليه ، فقال : « اذهب فأنت حرٌّ » قال : يا رسول الله ؛ على من نُصرتي ؟ قال : « نُصرتُك على كلِّ مسلم ». رواه أبو داود وابن ماجه والطبراني ، ورواه عبد الرزاق بنحوه ، وابن سعد وأحمد مطوَّلاً ، وفيه وصية أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما به ، وقد رووه من طرق هو بها صحيح[2].

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب حق المملوك ، رقم (٥١٦٤) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في العفو عن الخادم ، رقم (١٩٥٠) ومسند أحمد (٢ : ٩٠ ، ١١١) ومسند عبد بن حُميد (٢٦٠ ـ ٢٦١ رقم ٨٢١) ومسند أبي يعلى (١٠ : ١٣٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٠ ـ ١١من طرق) والمهذب في اختصار السنن الكبير (٣٠٩٢ ـ ٣٠٩٣) وفي الترغيب (٤ : ٢٦٤) في بعض النسخ : حسن صحيح .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٩ : ٤٣٨ ـ ٤٣٩) والطبقات الكبرى (٧ : ٥٠٦ ـ ٥٠٧) ومسند أحمد (٢ : ١٨٢) وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب من قتل عبده أو مثَّل به أيقاد منه ، رقم (٤٥١٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الديات : باب من نكّل بعبده فهو حر ، رقم (٢٦٨٠) والمعجم الكبير (٥ : ٣١٠)

٢٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : وصيتُه ﷺ بهم في مرض وفاته ، وقرن بينها وبين الوصية بالصلاة .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : « الصلاة ، وما ملكت أيمانُكم » حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن سعد والنسائي وابن ماجه والطحاوي ، وصححه ابن حبان والحاكم والضياء[1].

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي تُوُفِّي فيه : « الصلاةَ ، وما ملكت أيمانُكم » فما زال يقولها حتى ما يفيص بها لسانه .رواه أحمد وابن سعد ومسدَّد وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والنسائي وابن ماجه والطحاوي والبيهقي ، في آخرين ، بإسناد صحيح[2].

(١) مسند أحمد (٣ : ١١٧) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٥٣) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٢٥٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الوصايا : باب هل أوصى رسول الله ﷺ ، رقم (٢٦٩٧) وحسنه البوصيري في المصباح (٣ : ١٣٩) ومسند عبد بن حُميد (٣٦٥ رقم ١٢١٤) وشرح مشكل الآثار (٨ : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ من طرق) ومسند أبي يعلى (٥ : ٣٠٩ ـ ٣١٠ ، ٣٤٧) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٥٧٠ ـ ٥٧١) والمستدرك (٣ : ٥٧) ودلائل النبوة (٧ : ٢٠٥) والمختارة (٦ : ١٥٧ ـ ١٥٩ من طرق) وغيرها .

(٢) مسند أحمد (٦ : ٢٩٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢١) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٥٤) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٢٥٨ ، ٢٥٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في ذكر وصية رسول الله ﷺ ، رقم (١٦٢٥) ومسند عبد بن حُميد (٤٤٥ رقم ١٥٤٢) وشرح مشكل الآثار (٨ : ٢٢٧) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٣٦٥ـ٣٦٦ ، ٤١٤) والمعجم الكبير (٢٣ : ٣٠٦ ، ٣٧٩) وشرح السنة (٩ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠) والآداب (٦٥ ـ ٦٦) ودلائل النبوة (٧ : ٢٠٥) ومصباح الزجاجة (٢ : ٥٥ ـ ٥٦).

وانظر شرح السنة (٩ : ٣٥٠) لمعنى كلمة (وما يفيص) بالصاد المهملة ، والفرق بينها =

وقد ورد عن عدد من الصحابة .

٢١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : طلبه التخفيف عن العبيد والموالي ، وأن الذي يخفِّف عنهم من العمل يكون في ميزان حسناته .

فعن عَمْرو بن حُريث رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ما خفَّفتَ عن خادمك من عمله كان لك أجراً في موازينك ». رواه عبد بن حُميد وأبو يعلى وابن أبي عُمر ، وصححه ابن حبان ، وقال الحافظ المنذري ـ عن عَمْرو بن حُريث ـ : قال ابن معين : لم ير النبيَّ ﷺ ، والذي عليه الجمهور أن له صحبة ، وقيل قُبض النبيُّ ﷺ وهو ابن اثنتي عشرة سنة[1].

٢٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أن جعل العبدَ الذي يؤدّي حقَّ الله تعالى وحقَّ مواليه هو أحد الثلاثة الذين يسبقون إلى دخول الجنة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرض عَليَّ أولُ ثلاثةٍ يدخلون الجنةَ : الشهيدُ ، وعبدٌ مملوكٌ أحسن عبادةَ ربِّه ، ونَصَح لسيِّده ، وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيال ». رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد ، والترمذي وحسَّنه ، وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصحّحه وأقره الذهبي[2].

= وبين كلمة (يفيض) بالضاد المعجمة .

(١) مسند عبد بن حُميد (١١٩رقم ٢٨٤) ومسند أبي يعلى (٣ : ٥٠ ـ ٥١) وصحيح بن حبان (١٠ : ١٥٣) وإتحاف الخيرة المهرة (٣ : ٣٦٤ ـ ٣٦٥) (٧ : ٢٨٧) ومجمع الزوائد (٤ : ٢٣٩) والترغيب والترهيب (٤ : ٢٦٣) والمطالب العالية (٣ : ٢٢٩).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٤٢٥ ، ٤٧٥) ومسند الطيالسي (٣٣٤ رقم ٢٥٦٧) ومصنف ابن أبي =

٢٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أن جعل العبد المملوك راعياً في مال سيده وفي بيته ، شأنه في ذلك شأن الرجل والمرأة والولد الأحرار .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « ألا كلُّكم راعٍ ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته ؛ فالأميرُ الذي على الناس راعٍ ، وهو مسؤولٌ عن رعيته . والرجلُ راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم . والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم . والعبدُ راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه . ألا كلُّكم راعٍ ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته ». متفق عليه[1].

٢٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : إفراجه عن بنت حاتم الطائي ، بعد ذكرها لمناقب أبيها ، مع أن عليّاً رضي الله تعالى عنه كان يود أن تكون في سهمه .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : لما أُتي بسبايا طيء ،... الحديث ، وفيه وصف بنت حاتم الطائي ، ووقوفها ، ومخاطبتها للنبي ﷺ :

فقالت : يا محمد ؛ إن رأيتَ أن تُخلّي عنّا ، ولا تُشمت بي أحياءَ العرب ،

= شيبة (٥ : ٢٩٦ ، ٣٥١) (١٤ : ١٢٤) ومسند عبد بن حُميد (٤٢٢ رقم ١٤٤٦) وسنن الترمذي : كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء في ثواب الشهداء ، رقم (١٦٤٢) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٨) وصحيح ابن حبان (١٠ : ١٥١) (١٦ : ٢٣٣ ، ٥٢٣ ـ ٥٢٥) والمستدرك (١ : ٣٨٧) وصفة الجنة (رقم٨٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ٨٢) وشعب الإيمان (٣ : ٢٠٦) (٦ : ٣٨٦) والمهذب في اختصار السنن الكبير (١٤٣٥).

(١) صحيح البخاري : كتاب العتق : باب كراهية التطاول على الرقيق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضيلة الإمام العادل ،... رقم (٢٠).

فإني ابنةُ سيد قومه ، وإن أبي كان يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويُشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويُقري الضيف ، ويُطعم الطعام ، ويُفشي السلام ، ولا يرد طالبَ حاجة قط ، أنا ابنةُ حاتم طيء .

فقال النبيُّ ﷺ : « يا جارية ؛ هذه صفة المؤمنين حقّاً ، لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه ، خلّوا عنها ، فإن أباها كان يحبُّ مكارمَ الأخلاق ، والله يحبُّ مكارمَ الأخلاق ». رواه البيهقي ، وابن عساكر من طريقين ، هو بهما حسن ، وقال ابن كثير عن سند البيهقي : حسن المتن ، غريب الإسناد جدّاً ، عزيز المخرج[1].اهـ.

قلت : لعله لم يطلع على السند الثاني عند ابن عساكر ، والله تعالى أعلم .

٢٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أنه ﷺ لم يضرب ﷺ خادماً قط ، كما أنه ﷺ لم يضرب امرأة قط .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً ، إلّا أن يجاهدَ في سبيل الله ، وما نيل منه شيءٌ قطُّ فينتقمَ من صاحبه ، إلّا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله ، فينتقمَ لله عز وجل . رواه مسلم[2].

٢٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : أنه لم يعنّف خادماً له ، سواء كان ذكراً أو أنثى ، حرّاً أو عبداً .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : خدمتُ رسول الله ﷺ

(١) دلائل النبوة (٥ : ٣٤١) وتاريخ مدينة دمشق (٦٩ : ٢٠٢ ، ٢٠٣) ومختصر تاريخ دمشق (١٠ : ٢٥٧) والسيرة النبوية لابن كثير (٤ : ١٣١ ـ ١٣٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب مباعدته ﷺ للآثام ،... رقم (٧٩).

عشرَ سنين [في السفر والحضر] والله ، ما قال لي أُفٍّ قطُّ ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه لِمَ صنعتَ هذا هكذا ، ولا لشيءٍ لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا ، وكان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً . متفق عليه[1].

وعنه رضي الله عنه قال : خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما سبَّني سبّةً قط ، ولا ضربني ضربةً ، ولا انتهرني ، ولا عبس في وجهي ، ولا أمرني بأمر فتوانيتُ فيه فعاتبني عليه ، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله قال : « دعوه ، فلو قُدِّر شيئاً كان ». رواه عبد الرزاق وابن سعد وأحمد وابن أبي عاصم والبغوي ، والضياء في المختارة ، في آخرين ، وصححه ابن حبان[2].

٢٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالعبيد والإماء : رفقه ﷺ بمن كان يخدمه ، وحرصه على مكافأته ، حتى لو كانت أخروية .

فعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ ، فأتيتُه بوَضوئه وحاجته ، فقال لي : « سل » فقلتُ : أسألك مرافقَتَك في الجنة . قال : « أو غيرَ ذلك ؟ » قلتُ : هو ذاك . قال : « فأعنّي على نفسك بكثرة السجود ». رواه مسلم[3]، والله تعالى أعلم .

*****

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً ، رقم (٥١ ـ ٥٥).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٩ : ٤٤٣) والطبقات الكبرى (٧ : ١٧) ومسند أحمد (٣ : ٢٣١) والسنة لابن أبي عاصم (١ : ٢٥٤) وأخلاق النبيِّ ﷺ (٣٥ ، ٣٦) وحلية الأولياء (٦ : ١٧٩) والشمائل للبغوي (١ : ١٦٣) وشعب الإيمان (٦ : ٢٥٨) وصحيح ابن حبان (١٦ : ١٤٥) والمختارة (٥ : ٢٠٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب فضل السجود والحث عليه ، رقم (٢٢٦).

الفصل السابع عشر
رحمته ﷺ بالضعفاء والفقراء والمساكين

إن من شمولية الرحمة بالعالمين ، والرحمة المهداة من رب العالمين ، وأنه ﷺ نبيّ الرحمة ، وبُعث بالرحمة ،... شمولها للضعفاء والمساكين ، والفقراء ، وغيرهم من ضعفاء المجتمع ، وإذا كان قد سبق الحديث عن عامة أصناف المجتمع ، فليكن الحديث في هذا الفصل عن رحمته ﷺ بالضعفاء والمساكين والفقراء ، وأما المرضى فسيكون الحديث عنهم في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

وقد ظهرت مظاهر رحمته ﷺ بالضعفاء والمساكين والفقراء في أمور كثيرة ، لا يستوعبها مثل هذا المختصر ، لذا أشير إلى بعضها ، مع الاقتصار في الأحاديث ، والاختصار في التعليق ، إن شاء الله تعالى .

١ـ فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثُّه ﷺ المسلمين على التراحم فيما بينهم ، فيرحم الكبيرُ الصغيرَ ، والقويُّ الضعيفَ ، والعالِمُ الجاهلَ ، والغنيُّ الفقيرَ ،... ليقتفوا أثرَ نبيهم الرحيم ﷺ ، أسأله سبحانه وتعالى أن يحقّق ذلك فيكرم المسلمين بالرحمة ، إنه على كل شيء قدير .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ؛ الصادقَ المصدوقَ أبا القاسم صاحبَ الحُجْرة ﷺ يقول : « لا تُنزعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ ». رواه أحمد ، والطيالسي ، وابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب المفرد ،

وأبو داود ، والترمذي ـ وحسنه ـ وابن حبان والحاكم ـ وصححاه وأقره الذهبي ، ورواه أبو يعلى والبغوي والبيهقي في آخرين[1].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناسَ لا يرحمْه الله عز وجل ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم لا يُرحم ». متفق عليه[3].

فالشقيُّ هو الذي لا يرحم الضعفاء من الخلق ، لأن الرحمةَ نُزعت منه ، لذا فإن الله تعالى لا يرحمه ، والعياذ بالله تعالى .

٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثُّه ﷺ المسلمين على الرفق فيما بينهم .

فعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٠١ ، ٤٤٢ ، ٤٦١ ، ٥٣٩) ومسند الطيالسي (٣٣٠ رقم ٢٥٢٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤٢) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة المسلمين ، رقم (١٩٢٣) والأدب المفرد (١٣٦رقم٣٧٦) والمستدرك (٤ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٠٩ ، ٢١٢) وشرح السنة (١٣ : ٣٧ـ٣٨) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٥٢٦) (١٢ : ٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٦١) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٦) والآداب (٥١ ـ ٥٢) وتاريخ بغداد (٧ : ١٨٣) ومسند الشهاب (٢ : ٦) وفيض القدير (٦ : ٤٢٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ، رقم (٦٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٥).

يقول : « من يُحرم الرفقَ : يُحرم الخيرَ ». رواه مسلم[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب الرفق في الأمر كلِّه ». متفق عليه[2].

وعنها رضي الله تعالى عنها ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن الرفق لا يكون في شيء إلّا زانه ، ولا يُنزع من شيء إلّا شانه ». رواه مسلم[3].

وعنها رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا عائشة ؛ إن الله رفيق يحب الرفقَ ، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف ، وما لا يُعطي على ما سواه ». رواه مسلم[4].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة كأبي هريرة وأنس وأبي الدرداء ،... وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : أنه ﷺ إذا طلبته امرأة مسكينة ضعيفة ، في عقلها شيء ،... فإنه يذهب معها حتى يقضي لها حاجتها التي تريد ، ولا يأنف من ذلك ـ بأبي هو وأمي .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن امرأة كان في عقلها شيء ، فقالت : يا رسول الله ؛ إن لي إليك حاجة . فقال : « يا أم فلان ؛ انظري أيَّ السكك شئت ، حتى أقضي لك حاجتَكِ » فخلا معها في بعض الطرق ، حتى فرغت

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر : باب فضل الرفق ، رقم (٧٤ ـ ٧٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الرفق في الأمر كله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ،... رقم (١٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر : باب فضل الرفق ، رقم (٧٨).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٧).

من حاجتها . لفظ مسلم[1].

وفي رواية البخاري لهذا الحديث : كانت الأَمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فتنطلق به حيث شاءت .

وقوله : (فخلا معها في بعض الطرق) ليس المراد به الخلوة المذمومة .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[2]: أي وقف معها في طريق مسلوك ، ليقضي حاجتَها ، ويفتيها في الخلوة ، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية ، فإن هذا كان في ممر الناس ، ومشاهدتهم إياه وإياها ، لكن لا يسمعون كلامها ، لأن مسألتها مما لا يظهره ، والله تعالى أعلم.اهـ.

٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثُّه ﷺ الإمامَ في الصلاة ؛ أن يخفِّف في صلاته ، لوجود الضعيف والكبير ، والصغير ، وذي الحاجة ... أمّا إذا صلى بمفرده فليطوِّل ما شاء له .

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ؛ إن منكم منفرين ، فأيُّكم أَمَّ الناسَ فليوجز ، فإن مِن ورائه الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة ». متفق عليه[3].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أَمَّ أحدُكم الناسَ فليخفِّف ، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريضَ ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الكبر . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب قرب النبيِّ ﷺ من الناس وتبركهم به ، رقم (٧٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٥ : ٨٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من شكا إمامه إذا طوَّل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، رقم (١٨٢).

[وذا الحاجة] وإذا صلّى وحده فليصل كيف شاء ». متفق عليه[1].

ورواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه بنحوه .

٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : تحريجُه ﷺ حقَّ الضعيفين ، لأن الغالب على العرب في الجاهلية : استغلال حالهما ، وأكل حقوقهما .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « اللهم إني أُحرِّجُ حقَّ الضعيفين ؛ اليتيم ، والمرأة ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم والبوصيري وأقره الذهبي ، وحسنه النووي[2].

وعن أبي شُريح الخزاعي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أُحرِّج حقَّ الضعيفين ؛ حقَّ اليتيم ، وحقَّ المرأة ». رواه النسائي بإسناد حسن[3].

٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثه ﷺ على السعي على الأرملة والمسكين ، وبيان ثواب ذلك الساعي ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب إذا صلّى لنفسه فليطوِّل ما شاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، رقم (١٨٣ ـ ١٨٧) وانظر صحيفة أبي الزناد ، رقم (٢٨).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٤٣٩) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٦٣) وعشرة النساء له (٢٢٦ رقم ٢٦٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب حق اليتيم ، رقم (٣٦٧٨) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٣٧٦) والموارد (٣٠٨ ـ ٣٠٩) والمستدرك (١ : ٦٣) (٤ : ١٢٨) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ١٣٤) ورياض الصالحين (١٣٩ رقم ٢٦٨) ومصباح الزجاجة (٤ : ١٠٢ ـ ١٠٣) وعزاه أيضاً لابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما .

(٣) السنن الكبرى (٥ : ٣٦٣) وعشرة النساء (٢٢٦ رقم ٢٦٨).

وأنه كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وكالقائم لا ينام، وكالصائم لا يفطر.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهارَ، ويقوم الليل ». متفق عليه[1]. ولفظ مسلم « وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر ».

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أنا وكافل اليتيم - [له أو لغيره] - في الجنة كهاتين - وجمع بين السبابة والوسطى - والساعي على اليتيم والأرملة والمسكين؛ كالمجاهد في سبيل الله، والصائم القائم لا يفتر ». رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني، وفي إسناده: ليث بن أبي سليم، صدوق، اختلط ولم يتميّز حديثه[2]، لكن يشهد له الحديث السابق، فهو به حسن، كما يشهد للفقرة الأولى ما ورد في الصحيحين من حديث سهل وأبي هريرة رضي الله عنهما، وقد سبق ذكره.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى[3]: من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار: فليعمل بهذا الحديث، وليَسْع على الأرامل والمساكين؛ ليُحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله، دون أن يخطوَ في ذلك خطوة، أو ينفق درهماً، أو يَلقى عدواً يرتاع بلقائه، أو ليُحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم،...الخ.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النفقات: باب في فضل النفقة على الأهل. وصحيح مسلم: كتاب الزهد، رقم (٤١).

(٢) كتاب العيال (٢ : ٨٠٧ رقم ٦٠٦) ومسند أبي يعلى (٨ : ٢٨٠) والمعجم الأوسط (٥ : ٨٤) ومجمع البحرين (٥ : ١٨٠) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠).

(٣) شرح صحيح البخاري (٩ : ٢١٨).

٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : أنه ﷺ لا يستكبر ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف ؛ ليقضي لهم حاجاتهم ، لأن رحمته ﷺ شملتهم .

فعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكْرَ ، ويُقلُّ اللغوَ ، ويُطيل الصلاةَ ، ويقصُرُ الخطبةَ ، وكان لا يأنف ، ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي له حاجتَه . رواه الدارمي والنسائي والطبراني والبغوي ، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي[1].

٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : جعله ﷺ إطعامَ المسكين كمسح رأس اليتيم ؛ كلاهما يرقّق القلب ، ويزيل عنه القسوة التي تعتريه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبه ، فقال : « امسح رأسَ اليتيم ، وأطعم المسكين ». رواه أحمد ، برجال الصحيح كما قال المنذري ، ورواه عبد بن حُميد والبيهقي ، وحسنه الحافظ[2].

٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين :

---

(١) سنن الدارمي : المقدمة : باب في تواضع رسول الله ﷺ (١ : ٣٧) وسنن النسائي : كتاب الجمعة : باب ما يستحب من تقصير الخطبة (٣ : ١٠٨ ـ ١٠٩) والمعجم الصغير (١ : ٢٤٨) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٣٣ ، ٣٣٤) والموارد (رقم ٢١٢٩) وتاريخ بغداد (٨ : ٥) والمستدرك (٢ : ٦١٤) والشمائل للبغوي (١ : ٢٩٧) ودلائل النبوة (١ : ٣٢٩) وأخلاق النبيّ ﷺ (٣٣ ـ ٣٤) والشمائل لابن كثير (٧٩).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٦٣ ، ٣٨٧) ومسند عبد بن حُميد (٤١٧ رقم ١٤٢٦) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٢) والترغيب والترهيب (٥ : ٣٢) ومجمع الزوائد (٨ : ١٦٠) وفتح الباري (١١ : ١٥١).

جعله ﷺ المال الذي يُطعم منه الفقير والمسكين واليتيم وابن السبيل هو نعم المال ، والصاحب للمؤمن .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال : « إن مما أخاف عليكم بعدي : ما يُفتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ».

فقال رجل : أَوَ يأتي الخيرُ بالشرِّ يا رسول الله ؟ ...الحديث ، وفيه قوله ﷺ : « إنه لا يأتي الخيرُ بالشرِّ ، وإنَّ مما يُنبتُ الربيعُ يقتلُ أو يُلِم . إلّا آكلةَ الخَضَر ، فإنها أكلت ، حتى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت عينَ الشمس ، فثلطت وبالت ، ثم رتعت ، وإن هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، ونِعم صاحبُ المسلمِ هو لمن أعطى منه المسكين واليتيمَ وابن السبيل ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

١٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثه ﷺ على العناية بالضعفاء ، وإقالة عثراتهم ، ومساعدتهم ، لأن الخلق إنما يُرزقون ويرحمون ويمطرون بهم ، وذلك لانكسار قلوبهم لله عز وجل ، وكثرة دعائهم لله تعالى ، وشفقتهم على عباد الله تعالى ، وقد يكونون من كبار الأولياء والصالحين ، ممن لهم مكانة عند الله تعالى ، أو من مستجابي الدعاء ، فيدعون ، فيستجيب الله تعالى لهم ، لأنهم قريبون منه تعالى ، ولذا فليحذر من إيذائهم حتى لا يعاقب .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب الصدقة على اليتامى ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب تخوّف ما يخرج من زهرة الدنيا ، رقم (١٢٣).

تعالى قال : من عادى لي وليّاً فقد آذنتُه بالحرب ، وما تقرَّب إِلَيَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إِلَيَّ مما افترضتُه عليه ، وما يزال عبدي يتقرَّبُ إِلَيَّ بالنوافل حتى أُحبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يُبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورِجلَه التي يمشي بها ، وإن سألني لأُعطينَّه ، ولئن استعاذ بي لأُعيذنَّه ،... » الحديث ، رواه البخاري[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « رُبَّ أشعثَ [أغبر ، ذي طمرين ، تنبو عنه أعينُ الناس] مدفوع بالأبواب : لو أقسم على الله لأبرَّه ». رواه مسلم[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كم من أشعث أغبر ذي طِمرين ، لا يُؤبه له ؛ لو أقسم على الله لأبرَّه ، منهم البراءُ ابنُ مالك ». رواه الترمذي والحاكم وصححاه ، والطحاوي والطبراني[3].

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وهؤلاء الضعفاء والمساكين الذين لا يُؤبه بهم ؛ منهم من تكون له المكانة الكبيرة عند الله عز وجل ،... حيث جعلهم محلَّ نظره ، وموضعَ الاستجابة

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب التواضع .

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل الضعفاء والخاملين ، رقم (١٣٨) وكتاب الجنة : باب النار يدخلها الجبّارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٤٨) وما بين الحاصرتين فمن : شرح مشكل الآثار (٢ : ١٥٦) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٤٠٣) والمستدرك (٤ : ٣٢٨).

(٣) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب البراء بن مالك ، رقم (٣٨٥٤) وشرح مشكل الآثار (٢ : ١٥٧ ، ١٥٩) والمستدرك (٣ : ٢٩١ ـ ٢٩٢) والمعجم الأوسط (١ : ٢٦٤) ومجمع البحرين (٨ : ٢٤٩) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٦٤) وهذا مما يستدرك .

من دعائهم ؛ بالنصر والرزق والرحمة ،... فبهم يرحم الله تعالى الخلائق ، وبهم ينصرهم ، وبهم يرحمهم ، وهم عامَّةُ أهل الجنة ، كما سيأتي في الفقرة التالية ، إن شاء الله تعالى .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « هل تنصرون وترزقون إلّا بضعفائكم ». رواه البخاري[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أبغوني ضعفاءكم ؛ فإنما تُرزقون وتنصرون بضعفائكم ». رواه أحمد والثلاثة في آخرين ، وصحّحه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

١١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إخباره ﷺ بأن الضعفاء والمساكين وسقطة الناس ، والمستضعفين في نظر عامة الناس ، الذين لا يُؤبه بهم : هم أكثر أهل الجنة .

فعن حارثة بن وهب رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع النبيّ ﷺ يقول : « ألا أُخبركُم بأهل الجنة ؟ » قالوا : بلى . قال ﷺ : « كلُّ ضعيفٍ متَضَعَّفٍ ، لو أقسم على الله لأبرَّه » ثم قال : « إلا أُخبركم بأهل النار ؟ » قالوا : بلى . قال : « كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ [زنيمٍ] مستكبر ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من استعان بالضعفاء والمساكين في الحرب .

(٢) مسند أحمد (٥ : ١٩٨) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة ، رقم (٢٥٩٤) وسنن الترمذي : كتاب الجهاد : باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين ، رقم (١٧٠٢) وسنن النسائي : كتاب الجهاد : باب الاستنصار بالضعيف (٦ : ٤٥ ـ ٤٦) وصحيح ابن حبان (١١ : ٨٥) والمستدرك (٢ : ١٠٦ ، ١٤٥) والسنن الكبرى (٣ : ٣٤٥) (٦ : ٣٣١) وغيرهم .

(٣) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ باب ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ ، =

وعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: « اطّلعتُ في الجنة فرأيت أكثرَ أهلها الفقراء، واطَّلعتُ في النار فرأيت أكثرَ أهلها النساء ». هذا لفظ البخاري[1].

ورواه مسلم[2] بلفظه، لكن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « قمت على باب الجنة؛ فإذا عامّةُ من دخلها المساكين، وإذا أصحابُ الجَدِّ محبوسون، إلّا أصحابَ النار، فقد أُمر بهم إلى النار، وقمتُ على باب النار فإذا عامَّةُ من دخلها النساءُ ». متفق عليه[3].

ولما تتحاج الجنة والنار، تذكر الجنة أن عامَّةَ أهلها الضعفاء والمساكين.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « تحاجَّت النارُ والجنةُ. فقالت النارُ: أُوثِرتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلُني إلّا ضعفاءُ الناس وسقطُهم وعَجَزُهم [وفي رواية: يدخلني الضعفاء والمساكين] فقال الله للجنة: أنتِ رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: أنتِ عذابي، أُعذِّب بك من أشاء من عبادي، ولكلِّ

= وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب النار يدخلها الجبّارون، والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٤٦، ٤٧).

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب فضل الفقر، وفي غيرهما.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، ... رقم (٩٤) وقد أشار إليه البخاري: في الكتاب والباب السابقين.

(٣) صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب (٨٧) حدثنا مسدَّد. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٩٣).

واحدةٍ منكم مِلؤها ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

ورواه مسلم[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه .

١٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إخباره ﷺ بأن فقراء المهاجرين هم أول من يجتاز على الصراط يوم القيامة .

فعن ثوبان ـ مولى رسول الله ﷺ ـ رضي الله تعالى عنه قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ ، فجاء حبرٌ من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعةً كاد يُصرع منها . فقال : لِمَ تدفعني ؟ فقلت : ألا تقولُ يا رسول الله ! فقال اليهوديُّ : إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهلُه . فقال رسول الله ﷺ : « إن اسمي محمد الذي سمّاني به أهلي ».

فقال اليهودي : جئتُ أسألك .

فقال له رسول الله ﷺ : « أينفعك شيءٌ إن حدَّثْتُك ؟ ».

قال : أسمعُ بأذنيَّ . فنكتَ رسول الله ﷺ بعودٍ معه ، فقال : « سل ».

فقال اليهوديُّ : أين يكون الناسُ يومَ تبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسمٰوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر ».

فقال : فمن أولُ الناس إجازةً ؟ قال : « فقراءُ المهاجرين ».

قال اليهوديُّ : فما تُحفتُهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادةُ كبد النون ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة قٓ : باب قول الله تعالى : ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب النار يدخلها الجبّارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٣٤ـ٣٦).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٨٤٧).

قال : فما غداؤهم على إثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثورُ الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ».

قال : فما شرابُهم ؟ قال : « من عينٍ فيها تسمّى سلسبيلاً ».

قال : صدقتَ . الحديث بطوله ،... وفي آخره : قال اليهوديُّ : صدقتَ ، وإنك لنبيٌّ . ثم انصرف .

فقال رسول الله ﷺ : « لقد سألني هذا عن هذا الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه ، حتى أتاني الله به ». رواه مسلم[1].

لقد بين رسول الله ﷺ أولوية فقراء المهاجرين بالدخول إلى الجنة ، مع بيان طعامهم وشرابهم ،... وكل ذلك بوحي من الله تعالى ، وليس اجتهاداً من عنده حمله عليه الرحمة والمودة والمحبة ، والله تعالى أعلم .

١٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إخباره ﷺ أن هؤلاء الفقراء ـ وعلى الأخص من المهاجرين رضي الله تعالى عنهم ـ يدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بخمسمائة عام .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يدخل فقراءُ المسلمين الجنةَ قبل أغنيائهم بخمسمائة عام ، وهو مقدار نصف يوم ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجه ، وصحّحه الترمذي وابن حبان[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحيض : باب صفة مني الرجل والمرأة ، وأن الولد مخلوق من مائهما ، رقم (٣٤).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٩٦ ، ٣٤٣ ، ٤٥١ ، ٥١٣ ، ٥١٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣ : ٤٦) وسنن الترمذي : كتاب الزهد : باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، =

وعن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلِّي رحمه الله قال : جاء ثلاثةُ نفر إلى عبد الله بن عَمْرو بنِ العاص ، وأنا عنده ، فقالوا : يا أبا محمد ؛ إنّا ، والله ، لا نقدر على شيء ، لا نفقةٍ ولا دابَّةٍ ، ولا متاعٍ . فقال لهم : ما شئتم . إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسَّر الله لكم ، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان ، وإن شئتم صبرتم .

فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء ، يومَ القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً » قالوا : فإنّا نصبر ، لا نسألُ شيئاً . رواه مسلم[1].

وقد ورد نحو المرفوع عن عدد من الصحابة مع اختلاف المدة ، أربعين عاماً ، أو خمسمائة عام . ولا تعارض في ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ لأنه محمول على اختلاف الأيام ، أو اختلاف الأحوال ، والله تعالى أعلم .

١٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثه ﷺ على إجلال الشيخ الكبير والرفق به ، وإكرام ذي الشيبة المسلم ، والشفقة عليه ، ورحمة الصغير ، لأن ذلك من إجلال الله تعالى وتعظيمه ،...

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « ليس من أمتي مَن لم يُجلَّ كبيرَنا ، ويرحم صغيرَنا ، ويعرف لعالِمِنا حقَّه ». رواه أحمد والطحاوي والطبراني ، وصحّحه الحاكم وعبد الحق ، وحسنه الحافظ الهيثمي[2].

= رقم (٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤) وسنن النسائي الكبرى (٦ : ٤١٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب منزلة الفقراء ، رقم (٤١٢٢) وصحيح ابن حبان (٢ : ٤٥١) وغيرهم .

(١) صحيح مسلم : كتاب الزهد ، رقم (٣٧).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٢٣) وشرح مشكل الآثار (٣ : ٣٦٥) والمستدرك (١ : ١٢٢) ومجمع =

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يعرف حقَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرَنا ». رواه الحميدي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، وصحّحه الترمذي والحاكم والإمامُ النووي ، وأقرّه الذهبي ، وحسنه العراقي[1].

ورواه البخاري في الأدب المفرد ، والبيهقي في الشعب ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظه[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيّ ﷺ قال : « ليس منّا من لم يوقِّر كبيرَنا ، ويرحم صغيرَنا ». رواه أحمد ، والترمذي وحسّنه ، وعبدُ بن حُميد وابن حبان والبزار والطبراني والبغوي وغيرهم[3].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله

= الزوائد (١ : ١٢٧) (٨ : ١٤) وإتحاف المهرة (٦ : ٤٣١) وكنز العمال (٣ : ١٧٩).

(١) مسند الحميدي ، رقم (٥٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) ومسند أحمد (٢ : ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢) والأدب المفرد ، رقم (٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤٣) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة الصغار ، رقم (١٩٢٠) والمستدرك (١ : ٦٢) والآداب للبيهقي ، رقم (٤٩ ، ٥٠) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٧ ـ ٤٥٨) ورياض الصالحين (١٧٣ رقم ٣٥٣) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١).

(٢) الأدب المفرد ، رقم (٣٥٥) والمستدرك (٤ : ١٧٨) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٧).

(٣) مسند أحمد (١ : ٢٥٧) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩٢١) ومسند عبد بن حُميد (٢٠٢رقم ٥٨٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٠٣ ، ٢١١) وكشف الأستار (٢ : ٤٠١) والمعجم الكبير (١١ : ٧٢ ، ٤٤٩) وشرح السنة (١٣ : ٣٩ ـ ٤٠) ومسند الشهاب (٢ : ٢٠٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٨) ومجمع الزوائد (٨ : ١٤) وهذا مما يستدرك عليه .

ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى : إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن ؛ غيرِ الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرامَ ذي السلطان المقسط ». رواه أبو داود والبغوي ، وحسّنه الأئمة النووي والذهبي والعراقي وابن حجر والسيوطي رحمهم الله تعالى[١] ، والله تعالى أعلم .

١٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثُّه ﷺ على إغاثة الملهوف ، ومعاونة صاحب الحاجة ، وقضاء حاجته ما أمكن ، ويعين الرجل في رفع متاعه ،... لأن من قضى حاجةَ مسلم قضى الله تعالى له حاجته .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « على كل مسلم صدقة » قالوا : يا نبي الله ؛ فإن لم يجد ؟... قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف ». متفق عليه[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « كلُّ سلامى من الناس عليه صدقةٌ كلَّ يوم تطلع فيه الشمس ؛ تعدل بين الإثنين صدقة ، وتعين الرجلَ في دابَّته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدقة ،... » الحديث متفق عليه[٣].

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب تنزيل الناس منازلهم ، رقم (٤٨٤٣) وشرح السنة (١٣ : ٤٢) وميزان الاعتدال (٤ : ٥٦٥) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١) ورياض الصالحين (١٧٣رقم ٣٥٢) والجامع الصغير (١ : ٣٧٧رقم ٢٤٦٩) وفيض القدير (٢ : ٥٢٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب على كل مسلم صدقة ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، رقم (٥٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من أخذ بالركاب ونحوه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٦).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « المسلمُ أخو المسلم ، لا يَظلمُه ولا يُسلمُه ، من كان في حاجة أخيه : كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كُربةً فرَّج الله عنه بها كربةً من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفَّس عن مؤمن كُربةً من كُرَب الدنيا : نفَّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسِرٍ ؛ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً : ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه ،... ». رواه مسلم[2].

١٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إخباره ﷺ بأن بعض الفقراء يكونون أفضل من بعض الأغنياء بما لا يُقدر بمقدار .

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنهما قال : مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ ، فقال لرجل عنده جالس : « ما رأيك في هذا ؟ » فقال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله ، حرِيٌّ إن خطب أن يُنكَحَ ، وإن شفَعَ أن يُشفَّعَ [وإن قال أن يُستَمَعَ] . قال : فسكت رسول الله ﷺ .

ثم مرَّ رجلٌ ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما رأيك في هذا ؟ » فقال : يا

(١) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٨).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، رقم (٣٨).

رسول الله ؛ هذا رجلٌ من فقراء المسلمين ، هذا حرِيٌّ إن خطب أن لا يُنكَحَ ، وإن شفَعَ أن لا يُشفَّعَ ، وإن قال أن لا يُسمعَ لقوله .

فقال رسول الله ﷺ : « هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا ». رواه البخاري[1].

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : بينما أنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ، إذ قال : « انظر أرفعَ رجل في المسجد في عينيك » فنظرت ، فإذا رجل في حُلَّةٍ جالسٌ يحدِّثُ قوماً ، فقلت : هذا . قال : « انظر أوضعَ رجل في المسجد في عينيك » قال : فنظرتُ ، فإذا رُوَيجِلٌ مسكينٌ في ثوبٍ له خَلَق ، قلت : هذا . قال النبيُّ ﷺ : « هذا خيرٌ عند الله يوم القيامة من قراب الأرض مثل هذا ». رواه أحمد ووكيع وهناد وابن أبي شيبة والبزار والطبراني برجال الصحيح ، وصحّحه ابن حبان[2].

١٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إخباره ﷺ أن من أغضب بعضهم فقد أغضب الله تعالى ، لما لهم من منزلة

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب فضل الفقر ، وفي غيرهما . وعزاه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٥ : ٣١٤) لمسلم أيضاً ، ولم أره فيه .

(٢) الزهد لوكيع (١ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩) والزهد لهناد (٤١٦رقم ٨١٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣ : ٢٢٢) ومسند أحمد (٥ : ١٥٧ ، ١٧٠) والزهد له (٢٧ ـ ٢٨) وبغية الباحث (٢ : ٩٨٧ ـ ٩٨٨) والبحر الزخار (٩ : ٣٩٢ـ ٣٩٣ ، ٤١٤ ـ ٤١٥) وكشف الأستار (٤ : ٢٤٢ ، ٢٤٣) والمعجم الأوسط (٦ : ٨٢) وحلية الأولياء (٨ : ١١٥ ـ ١١٦) وقال : ثابت مشهور من حديث الأعمش ، وصحيح ابن حبان (٢ : ٤٥٦) وشعب الإيمان (٧ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠) ومجمع البحرين (٨ : ٢٤٦ ـ ٢٤٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٥٨ ، ٢٦٥) والترغيب والترهيب (٥ : ٣١٤ـ ٣١٥ ، ٣١٥) وفتح الباري (١١ : ٢٧٧) وعزاه لأبي يعلى .

عنده تعالى .

فعن عائذ بن عَمْرو المزني رضي الله تعالى عنه ، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصُهيب وبلال في نفر . فقالوا : والله ، ما أخذت سيوفُ الله من عنق عدو الله مأخذها[1]. قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدِهم ؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره . فقال : « يا أبا بكر ؛ لعلك أغضبتهم ، لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك ».

فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه ؛ أغضبتُكم ؟ قالوا : لا ، يغفرُ الله لك ، يا أُخَيَّ . رواه مسلم[2].

هؤلاء كانوا من الضعفاء ، لأنهم كانوا من الموالي ، وقالوا هذا القول لسيد قريش وزعيمها ـ وهو ما زال مشركاً ـ بعد صلح الحديبية ، فلم يرض رسول الله ﷺ أن يكون أبو بكر رضي الله تعالى عنه ـ وهو الصِّدِّيق الأكبر ـ أن يُغضبهم ، لأن إغضابهم هو إغضاب لله تعالى ، والله تعالى أعلم .

١٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حثه ﷺ على حب الفقراء والمساكين ومجالستهم ، وعدم التعالي عليهم . بعد أمر الله تعالى لنبيّه الكريم ﷺ بالصبر معهم ، وعدم طردهم ، وعدم سماعه أقوال الأشراف من العرب في شأنهم .

فعن خبّاب بن الأَرَت رضي الله تعالى عنه قال : جاء الأقرع بن حابس

(١) كان هذا القول لأبي سفيان قبل إسلامه ، في وقت الهدنة بين المسلمين وقريش بعد صلح الحُدَيبِيَة .

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي الله تعالى عنهم ، رقم (١٧٠).

التميمي وعُيَيْنة بنُ حِصن الفَزاري ، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صُهيب وبلال وعمّار وخبّاب ، قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين . فلما رأوهم حول النبيِّ ﷺ حقروهم ، فأتوه ، فخَلَوْا به وقالوا : إنّا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً ، تعرف به العربُ فضلَنا ، فإن وفودَ العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العربُ مع هذه الأعْبُد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك ، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئتَ . قال : « نعم » قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً . قال : فدعا بصحيفة ، ودعا عليّاً ليكتب . ونحن قعودٌ في ناحية . فنزل جبرائيل عليه السلام ، فقال : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم ذكر الأقرعَ بنَ حابس وعُيينةَ بنَ حِصن فقال : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ثم قال : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾[1].

قال : فدنونا منه ، حتى وضعنا ركبَنا على ركبته . وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقومَ قام وتركنا . فأنزل الله ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ (ولا تجالس الأشراف) تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا (يعني : عُيينةَ والأقرع) وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[2]. (قال : هلاكاً) قال :

(١) سورة الأنعام (٥٢ ـ ٥٤).

(٢) سورة الكهف (٢٨).

أمرُ عُيينة والأقرع . ثم ضرب لهم مثل الرَّجُلَين ومثَلَ الحياة الدنيا .

قال خبّاب : فكنّا نقعد مع النبيِّ ﷺ ، فإذا بلَغْنا الساعةَ التي يقوم فيها : قمنا وتركناه حتى يقوم . رواه ابن ماجه وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم في آخرين ، بإسناد صحيح ، وصحَّحه البوصيري[1].

ورواه مسلم[2] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مختصراً .

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عينَ الشمس ، فخرج سريعاً ، فثوَّب بالصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ وتجوَّز في صلاته ، فلما سلَّم دعا بصوته قال لنا : « على مصافِّكم ، كما أنتم » الحديث بطوله في اختصام الملأ الأعلى ، وفي آخره : « ...قل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترْكَ المنكرات ، وحبَّ المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردتَ فتنةَ قوم فتوفَّني غيرَ مفتون ، أسألك حبَّكَ ، وحبَّ من يُحِبُّكَ ، وحبَّ عمل يُقرِّب إلى حبِّك » قال رسول الله ﷺ : « إنها حقٌّ ، فادرسوها ، ثم تعلَّموها ». رواه الترمذي وأحمد وابن خزيمة والطبراني ، وصحّحه البخاري والترمذي[3].

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب مجالسة الفقراء ، رقم (٤١٢٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٢٠٧ـ٢٠٨) وتفسير الطبري (١١ : ٣٧٦ـ٣٧٧ ، ٣٧٧) وتفسير ابن أبي حاتم (٤ : ١٢٩٧) وتفسير البغوي (٢ : ٩٩) ودلائل النبوة (١ : ٣٥٢ـ٣٥٣) ومصباح الزجاجة (٤ : ٢١٨ ـ ٢٢٠) والمطالب العالية (٤ : ١١٤ ـ ١١٥) وإتحاف الخيرة المهرة (٨ : ١٠٧ ـ ١٠٨) والدر المنثور (٣ : ٢٧٣) وعزوه أيضاً لأبي يعلى [قلت : لم أجده في المطبوع ، ولعله في الكبير] وأبي الشيخ وأبي نعيم وابن مردويه .

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، رقم (٤٥ـ٤٦).

(٣) مسند أحمد (٥ : ٢٤٣) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة ص ، رقم =

وورد بنحوه من حديث ابن عباس وثوبان وغيرهما رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال : أوصاني [وفي رواية : أمرني] خليلي ﷺ بخصال من الخير : أوصاني بأن لا أنظر إلى من هو فوقي ، وأن أنظر إلى من هو دوني ، وأوصاني بحب المساكين والدُّنُوِّ منهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت ، [وأمرني أن لا أسألَ أحداً شيئاً] ، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومةَ لائم ، وأوصاني أن أقول الحقَّ وإن كان مُرّاً ، وأوصاني أن أُكثِرَ من قول لا حول ولا قوةَ إلّا بالله ، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة . رواه ابن سعد وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني والبزار والبيهقي - وأغلبهم بإسناد صحيح - وصححه ابن حبان[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبّوا

= (٣٢٣٥) وكتاب التوحيد (٢ : ٥٤٠ - ٥٤١) والبحر الزخار (٧ : ١١٠ - ١١١) والمعجم الكبير (٢٠ : ١٠٩ - ١١٠ ، ١٤١ - ١٤٢) والمستدرك (١ : ٥٢٠ - ٥٢١ ، ٥٢١) ورواه مالك معضلاً : كتاب القرآن (١ : ٢١٨) وله شواهد كثيرة .

(١) مسند أحمد (٥ : ١٥٩ ، ١٧٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣ : ١٣٢) وعمل اليوم والليلة (رقم ٣٥٤مختصراً) والطبقات الكبرى (٤ : ٢٢٩) والمعجم الكبير (٢ : ١٦٦ ، ١٦٦ - ١٦٧) والمعجم الأوسط (٧ : ٣٦٤ - ٣٦٥) والمعجم الصغير (٢ : ٤٨) وكتاب الدعاء له (٣ : ١٥٤٣ - ١٥٤٦ من طرق) والبحر الزخار (٩ : ٣٨٣) وكشف الأستار (٤ : ١٠٧) ومعرفة الصحابة (٢ : ٥٦١ - ٥٦٢) وحلية الأولياء (١ : ١٥٩ - ١٦٠) وصحيح ابن حبان (٢ : ١٩٤) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ٩١) وبغية الباحث (١ : ٥٢٥ ، ٥٢٦) ومجمع البحرين (٧ : ٢٣٥ - ٢٣٦) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٦٥) (٨ : ١٥٤)(١٠ : ٢٦٣) وإتحاف الخيرة (٤ : ٣٨١ - ٣٨٢) وعزاه لمسدد وللحارث ولأبي يعلى .

الفقراء وجالسوهم ، وأحب العربَ من قلبك ، وليردّك عن الناس ما تعلم من نفسك ». رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[1]. وشاهده ما سبق .

وهناك نصوص كثيرة في الحث على مجالسة الفقراء والمساكين وحبهم .

١٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : أن جعل طعامَ الوليمة شر أنواع الأطعمة ، لأن الناس يَدعون إليه الأغنياءَ ويَتركون الفقراءَ المحتاجين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بئس الطعامُ طعام الوليمة ، يُدعى إليها الأغنياءُ ، ويُترك المساكين ، [وعند البخاري : ويترك الفقراء] فمن لم يأت الدعوةَ فقد عصى الله ورسولَه .

وفي رواية لمسلم عنه رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « شر الطعام طعامُ الوليمة ، يُمنعُها من يأتيها ، ويدعى إليها من يأباها ،... » ثم ذكر مثلَه . متفق عليه[2].

٢٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : حرصه ﷺ على عيادة المريض ، والصلاة على الميت منهم ، وحضور دفنه .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن امرأةً سوداء كانت تقمُّ المسجدَ (أو شابّاً) ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا : مات . قال : « هلّا كنتم آذنتموني ؟ » قال : فكأنهم صغَّروا أمرها (أو أمره) فقال : « دلّوني على قبره » فدلّوه ، فصلّى عليها . ثم قال : « إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً

---

(١) المستدرك (٤ : ٣٣٢) والترغيب والترهيب (٥ : ٣١٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة ، رقم (١٠٧ ـ ١١٠).

على أهلها . وإن الله عز وجل ينوِّرُها لهم بصلاتي عليهم ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف رضي الله تعالى عنهما ، أن مسكينةً مرضت ، فأُخبر رسول الله ﷺ بمرضها ـ وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين ، ويسألُ عنهم ـ فقال رسول الله ﷺ : « إذا ماتت فآذنوني بها » فخُرج بجنازتها ليلاً ، فكرهوا أن يوقظوا رسول الله ﷺ . فلما أصبح رسول الله ﷺ أُخبر بالذي كان من شأنها . فقال : « ألم آمركم أن تؤذنوني به ؟ » فقالوا : يا رسول الله ؛ كرهنا أن نُخرجك ليلاً ، ونوقظك .

فخرج رسول الله ﷺ ، حتى صف بالناس على قبرها ، وكبَّر أربع تكبيرات . رواه مالك والشافعي والنسائي والبيهقي[2]. بإسناد صحيح ، لكن أبا أمامة رضي الله تعالى عنه له رؤية ، وهو معدود في الصحابة ، لكن لم يسمع من النبيِّ ﷺ ـ كما قال الحافظ في التقريب .

لكن قال البيهقي رحمه الله تعالى : رواه الأوزاعي ، عن الزهري ، عن أبي أمامة ، أن بعض أصحاب النبيِّ ﷺ أخبره .

كما رواه ابن أبي شيبة والبيهقي في السنن ، من طريق سفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن أبي أمامة ، عن أبيه.اهـ.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب كنس المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الصلاة على القبر ، رقم (٧١).

(٢) الموطأ (١ : ٢٢٧) والأم (١ : ٢٣٩) والمسند (٣٥٨) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الجنائز بالليل (٤ : ٦٩) والسنن الكبرى له (١ : ٦٢٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ٣٥) ومعرفة السنن والآثار (٥ : ٢٩٤ ، ٢٩٥) وانظر تقريب التهذيب (١٠٤ رقم ٤٠٢).

قلت : وخير شاهد له حديثُ أبي هريرة السابق ، فهو به صحيح .

٢١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إخباره ﷺ أن سبب هلاك الأمم السابقة أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يُكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : من يجترئ عليه إلّا أسامةُ ؛ حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلَّمه أسامةُ . فقال رسول الله ﷺ :« أتشفع في حدٍّ من حدود الله ؟ ».

ثم قام فاختطب فقال : « أيها الناس ؛ إنما أهلك الذين قبلكم ؛ أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايْمُ الله ، لو أن فاطمةَ بنتَ محمد سرقت لقطعتُ يدها ». متفق عليه[١].

٢٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : أمره ﷺ بنصرة الضعيف ، وعون المظلوم ، كما هو في سائر الواجبات .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرَنا رسول الله ﷺ بسبعٍ ؛ بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وإفشاء السلام ، وإبرار المقسِم . ونهى عن الشرب في الفضة ، ونهى عن تختم الذهب ، وعن ركوب المياثر ، وعن لبس الحرير والديباج ، والقِسِيِّ والإستبرق . متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري[٢].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب قطع السارق الشريف وغيره ،... رقم (٨ ، ٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاستئذان : باب إفشاء السلام ، ورواه مفرقاً في عدة أماكن . =

٢٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إخباره ﷺ أن إطعام المسكين هو أحد أسباب دخول الجنة ، خاصة إذا انضم إليه عدد من أعمال الخير .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال : « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال : « فمن أطعم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال : « فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . فقال رسول الله ﷺ : « ما اجتمعن في امرئ إلّا دخل الجنة ». رواه مسلم[1].

٢٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : تعليمه ﷺ لهم ما يقولونه فينالون به درجة الأغنياء في إنفاقهم وإحسانهم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن فقراء المهاجرين أَتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا : ذهب أهلُ الدُّثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . قال : « وما ذاك ؟ ». قالوا : يصلُّون كما نصلّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدّقون ولا نتصدّق ، ويعتقون ولا نعتق . فقال رسول الله ﷺ : « أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلّا من صنع مثلَ ما صنعتم ؟» قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : « تُسبِّحون وتكبِّرون

= وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ، وخاتم الذهب والحرير على الرجال ،... رقم (٣).

(١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب من جمع الصدقة وأعمال البر ، رقم (٨٧) وكتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، رقم (١٢).

وتحمدون دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة ». متفق عليه[1].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه ، أن ناساً من أصحاب النبيِّ ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ؛ ذهب أهلُ الدُّثور بالأجور . يُصلّون كم نصلّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدَّقون بفُضول أموالهم . قال : « أوَلَيس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون ؟ إن بكلِّ تسبيحة صدقة ، وكلّ تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بُضْع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله ؛ أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ له فيها أجرٌ ؟ قال : « أرأيتُم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وِزرٌ ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر». رواه مسلم[2].

٢٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : دعاؤه ﷺ في قنوت الفجر للمستضعفين من المؤمنين الذين حجزهم كفار قريش في مكة ، ولم يسمحوا لهم بالهجرة إلى المدينة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول ـ حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ، ويكبِّر ، ويرفع رأسَه ـ : « سمع الله لمن حمده ، ربَّنا ولك الحمدُ » ثم يقول ، وهو قائم : « اللهم أَنجِ الوليدَ بنَ الوليدِ ، وسلمةَ بنَ هشامٍ ، وعيّاشَ بنَ ربيعةَ ، والمستضعفين من المؤمنين ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الذكر بعد الصلاة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب استحباب الذكر بعد الصلاة ،... رقم (١٤٢ ، ١٤٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، رقم (٥٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب دعاء النبيِّ ﷺ : « اجعلها عليهم سنين =

٢٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : تحذيره ﷺ من ولي أمراً من أمور المسلمين فاحتجب عن الفقراء والمساكين وذوي الحاجات : أن يحتجب الله تعالى عنه يوم القيامة .

فعن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه قال : دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك أبا فلان ـ وهي كلمة تقولها العرب ـ فقلت : حديث سمعتُه أُخبرك به . سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من ولّاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين ، فاحتجب دون حاجتهم وخَلَّتهم وفقرهم : احتجب الله عنه دون حاجته وخَلَّته وفقره » قال : فجعل رجلاً على حوائج الناس . رواه أبو داود والترمذي وابن سعد ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة : احتجب الله عنه يوم القيامة ». رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن ، وله شواهد متعددة ، هو بها صحيح[2].

٢٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالفقراء والمساكين : إثباته ﷺ معية الضعفاء والمساكين والمرضى بالمجاهدين المقاتلين في الأجر ،

= كسني يوسف »، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، رقم (٢٩٤ ـ ٢٩٥).

(١) سنن أبي داود : كتاب الخراج والإمارة : باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعيّة ، رقم (٢٩٤٨) وسنن الترمذي : كتاب الأحكام : باب ما جاء في إمام الرعية ، رقم (١٣٣٣) ولم يسق لفظه ، والطبقات الكبرى (٧ : ٤٣٧) والمعجم الكبير (٢٢ : ٣٣١) ومسند الشاميين (٢ : ٣١١) والمستدرك (٤ : ٩٣ ـ ٩٤) والسنن الكبرى (١٠ : ١٠١ ـ ١٠٢).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩) والمعجم الكبير (٢٠ : ١٥٢) ومجمع الزوائد (٥ : ٢١٠).

لأن العذرَ حبسهم عن اللحاق بهم .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة أقواماً ما سِرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً : إلا كانوا معكم » قالوا : يا رسول الله ؛ وهم بالمدينة ؟ قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر ». رواه البخاري[1].

وفي رواية له ، عنه رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ كان في غزاة ، فقال : « إن أقواماً بالمدينة خلفنا ، ما سلكنا شِعباً ، ولا وادياً ، إلّا وهم معنا فيه ، حبسهم العذر ».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : كنا مع النبيِّ ﷺ في غزاة ، فقال : « إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً : إلّا كانوا معكم ، حبسهم المرض ». رواه مسلم[2].

لقد أثبت لهم المعية في الأجر مع المجاهدين ، لوجود العذر ، من مرض ، أو ضعف ونحو ذلك ، ويوضح ذلك قوله تعالى : ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ فقد استثنى أولي الضرر من التفضيل ، والله تعالى أعلم .

*****

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب (٨١) حدثنا يحيى بن بُكير ، وكتاب الجهاد : باب من حبسه العذر عن الغزو .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ، رقم (١٥٩).

الفصل الثامن عشر
رحمته ﷺ بالمرضى والأموات

لقد شملت الرحمة المهداة المرضى كما كانت قد شملت الأصحاء ، بل المرضى أولى بالرحمة ، لذا كان ﷺ يزور المرضى ويتفقدهم ، ويعتني بهم ، ويدعو لهم ، ويفسح في الأجل لهم ، ويأمر بعيادتهم ، ويبيِّن ثواب العائد لها ، وينهى عن القول الفاحش الضار عند المريض ،... بل من رقّة قلبه الشريف قد يبكي عند عيادته للمريض ،...

ويحث على طلب الدعاء من المريض ، ويحث ﷺ على تلقينه الشهادة عند دنو الأجل ، ويحرص على الصلاة على الجنازة ، وعلى شهادة الدفن ، ويحث عليها ، ويبين ثواب المشيِّع ، ويحث على طلب الدعاء والاستغفار للميت عند الدفن ،...

بل تجاوزت رحمته ﷺ الأحياءَ من البشر ، فبلغت **الأموات** ، حتى لو كانوا كفاراً ، لذا أمر بدفن الأموات ، وأمر بدفن قتلى الكفار ، كقتلى مشركي قريش يوم بدر ، وغيرهم . ووقف ﷺ في بادئ الأمر عندما مرت به جنازة يهودي ، ثم قعد بعد ذلك ، كما نهى عن وطء القبور ، وعن عدم الاعتداء عليها ، وبيَّن ﷺ أن حرمةَ الميت كحُرمة الحي ، وأمر بتوسيع القبور ، وتعميقها ، والحث على زيارتها ،... وهكذا ،... إلى غير ذلك .

فأين أدعياء الحضارة ، الذين لم يرقبوا في المسلمين إلاًّ ولا ذمة .

وأذكر هنا بعض الفقرات ، على قدر هذا المختصر .

١ـ فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : إخباره ﷺ أن المرض كفارة للمسلم ، أو زيادة في الدرجات ، لذا حث على الصبر ، وعلى عدم الجزع ، والرضا بالقضاء ، والنصوص كثيرة أقتصر على بعضها .

فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : « ما يصيب المؤمنَ من وَصَب ولا نَصَب ولا سَقَم ولا حَزَن ، حتى الهمَّ يهمُّه ؛ إلا كفَّر الله به سيئاته ». متفق عليه[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يُشاك شوكةً فما فوقها ؛ إلا كُتبت له بها درجةٌ ، ومُحيت عنه بها خطيئة ».

وفي رواية : « ما من مصيبة تُصيب المسلمَ إلا كفَّر الله عنه بها ، حتى الشوكة يُشاكها ». متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ـ في عيادته لرسول الله ﷺ ـ وفيه قوله ﷺ : « ما من مسلم يُصيبه أذى ـ من مرض فما سواه ـ إلا حطَّ الله به سيئاته ، كما تَحُطُّ الشجرةُ ورقَها ». متفق عليه[3].

وعن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ دخل على أُمِّ السائب ـ أو أم المسيّب ـ فقال : « مالكِ يا أم السائب ـ أو يا أم المسيّب ـ تُزَفزِفين ؟ » قالت : الحُمّى ، لا بارك الله فيها . فقال : « لا تسبّي الحُمّى ، فإنها تُذهِب

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب ما جاء في كفارة المرض . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ، رقم (٥٢).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦ ـ ٥١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب شدة المرض ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٥).

خطايا بني آدم ، كما يُذهِبُ الكيرُ خبثَ الحديد ». رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « من يُرد الله به خيراً يُصب منه ». رواه البخاري[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ - غير ما مرة ولا مرتين - يقول : « إذا كان العبدُ يعمل عملاً صالحاً ، فشغله عنه مرضٌ أو سفرٌ ؛ كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ». رواه البخاري[3].

٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : أنه ﷺ إذا علم أن أحداً من المسلمين مريض ـ بل حتى لو كان كافراً أو كتابياً ـ سارع ﷺ إلى زيارته . لأن من عادته ﷺ تفقد أصحابه ، فإذا فقد أحدَهم سأل عنه ، فإن كان مريضاً عاده .

وسيأتي ذكر عيادته ﷺ للغلام اليهودي الذي كان يخدمه ، ولعمه أبي طالب ، عندما بلغه مرضهما . عند رقم (١٢).

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثلَ الفرخ ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل كنتَ تدعو بشيء أو تسأله إياه ؟ » قال : نعم ، كنتُ أقول : اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة ، فعجِّله لي في الدنيا . فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ، لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلتَ : اللهم ، آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب ما جاء في كفارة المرض .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب يكتب للمسافر ما كان يعمل في الإقامة .

عذابَ النار ؟ » قال : فدعا الله له ، فشفاه . رواه مسلم[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : مرضتُ مرضاً ، فأتاني النبيُّ ﷺ يعودني وأبو بكر ـ وهما ماشيان ـ فوجداني أُغمي عليَّ ، فتوضّأ النبيُّ ﷺ ، ثم صبَّ وَضوءَه عليَّ ـ فأفقتُ ، فإذا النبيُّ ﷺ . فقلت : يا رسول الله ؛ كيف أصنع في مالي ؟ كيف أقضي في مالي ؟ فلم يُجبني بشيءٍ ، حتى نزلت آيةُ المواريث . رواه البخاري[2].

والأحاديث في عيادته ﷺ لمن مرض من الصحابة كثيرة جدّاً ، ذكر الحافظ ابنُ أبي الدنيا رحمه الله تعالى في كتابه (المرض والكفّارات) كثيراً منها ، كعيادته ﷺ للصحابة رضي الله تعالى عنهم ولو كانوا من الأعراب ، أو من الصغار ، أو من النساء ، أو من الكفار ، أو من اليهود[3]،...

٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : أن أوجب عيادة المريض على من بلغه ممن يعرفه ، لأنه حق له . وتخفِّف عنه ، وتسليه ، وتبعث في نفسه الأمل والنشاط والقوة ، وتُبعد عنه ما يلقيه الشيطان من قنوط ويأس .

والنصوص في عيادة المريض ، والدعاء له ، وما يفعل بحضرته ، كثيرة جدّاً ، أقتصر على القليل منها .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ، رقم (٢٣ ـ ٢٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب عيادة المغمى عليه ، وفي غيرهما .

(٣) وانظر أيضاً : صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب عيادة النساء الرجال ، وباب عيادة الصبيان ، وباب عيادة الأعراب ، وباب عيادة المشرك ،...الخ، وقد يأتيهم راكباً وماشياً وردفاً على الدابة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حق المسلم على المسلم خمس ؛ ردُّ السلام ، وتشميت العاطس ، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ». متفق عليه[1].

وجاء عند مسلم في رواية أخرى زيادة خصلة أخرى .

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ ، ونهانا عن سبع ، أَمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أطعموا الجائعَ ، وعودوا المريضَ ، وفكّوا العاني ». رواه البخاري[3].

والنصوص في ذلك كثيرة ، ولله الحمد والمنة .

٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : أنه ﷺ بيّن فضلَ عيادة المريض ، والثواب الذي يناله العائد من عيادته ، ويلتحق بعيادة المريض : تعهده وتفقد أحواله والتلطف به ، أقتصر على ذكر بعض الأحاديث الشريفة .

فعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عاد مريضاً لم يزل في خُرْفَة الجنة حتى يرجع ». رواه مسلم[4].

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب من حق المسلم للمسلم ردُّ السلام ، رقم (٤ ، ٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب خواتيم الذهب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء ، رقم (٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب وجوب عيادة المريض .

(٤) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل عيادة المريض ، رقم (٣٩ـ ٤٢).

زاد في رواية : قيل : يا رسول الله ؛ وما خُرْفَةُ الجنة ؟ قال : « جَناها ».

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا عاد الرجلُ أخاه المسلمَ مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرتْه الرحمةُ ، فإن كان غُدوةً صلى عليه سبعون ألف ملَك حتى يمسي ، وإن كان ممسياً صلى عليه سبعون ألف ملَك حتى يصبح ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وقال : أسند هذا عن عليٍّ عن النبيِّ ﷺ من غير وجه صحيح ، والترمذي وحسَّنه ، وابن ماجه وأبو يعلى والبيهقي ، وصحّحه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس ، فإذا جلس انغمس فيها ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد ، والبزار في آخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، ورواه مالك في الموطأ منقطعاً . وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى : هو حديث مدني صحيح[2].

---

(١) مسند أحمد (١ : ٨١ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ـ ١٢١) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٢٣٤ ، ٢٣٥) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب في فضل العيادة على وضوء ، رقم (٣٠٩٨ ـ ٣١٠٠) وسنن الترمذي : كتاب الجنائز : باب ما جاء في عيادة المريض ، رقم (٩٦٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في ثواب من عاد مريضاً ، رقم (١٤٤٢) وصحيح ابن حبان (٧ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥) والمستدرك (١ : ٣٤١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠) ومسند أبي يعلى (١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ـ ٢٢٩) والسنن الكبرى (٣ : ٣٨٠ ، ٣٨١) والآداب (٢١٥) وشعب الإيمان (٦ : ٥٣١ ، ٥٣٢) وشرح السنة (٥ : ٢١٧) وكتاب المرض والكفّارات (٨٦ ـ ٨٧) وإتحاف الخيرة المهرة (٣ : ١٧٢) والمطالب العالية (٢ : ٣٤٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٠٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٢٣٤) والأدب المفرد (٢١٤ ـ ٢١٥) =

والنصوص في ذلك كثيرة ، لأنها متواترة[1].

بل هناك ما هو أعظم من ذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يومَ القيامة : يا ابن آدم ؛ مرضتُ فلم تعُدني . قال : يا ربِّ كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين . قال : أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدتَه لوجدتني عنده ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : أنه ﷺ كان يعود المرضى ، ويدعو لهم ، وهذا ما تواتر عنه ﷺ ، وذكر ذلك كالمتكلف .

وقد وردت صيغ كثيرة كان ﷺ يدعو بها للمرضى الذين يعودهم ، فمن الأدعية التي كان رسول الله ﷺ يدعو للمريض بها :

عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً ـ أو أُتِي به إليه ـ قال عليه الصلاة والسلام : « أَذهب الباسَ ، ربَّ الناسِ ، اشف وأنتَ الشافي ، لا شفاءَ إلا شفاؤك ، شفاءً لا يُغادر سقَماً ».

= وصحيح ابن حبان (٧ : ٢٢٢) والمستدرك (١ : ٣٠٥) والسنن الكبرى (١ : ٣٨٠) والآداب (٢١٤ ـ ٢١٥) وشعب الإيمان (٦ : ٥٣٣) وكتاب المرض والكفّارات (٨٣ رقم ٨٤) وبغية الباحث (١ : ٣٥٤) وكشف الأستار (١ : ٣٦٨) ومجمع الزوائد (٢ : ٢٩٧) وإتحاف الخيرة المهرة (٥ : ٤٨٩ ـ ٤٩٠) وعزاه لابن منيع وأبي يعلى ، وإتحاف المهرة (٣ : ٢٨٠) وفتح الباري (١٠ : ١١٣) والتمهيد (٢٤ : ٢٧٣).

(١) انظر : الأزهار ، وقطف الأزهار (١٩٢ ـ ١٩٣) والنظم (٧٧) ولقط اللآلئ (٢٦ رقم ٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩ ـ ٣٠).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٣).

متفق عليه[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من عاد مريضاً لم يحضر أجلُه ، فقال عنده سبع مِرار : أسأل الله العظيم ، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك ؛ إلا عافاه الله من ذلك المرض ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد وأبو داود والترمذي ـ وحسنه ـ والنسائي والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

وعنه رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ دخل على أعرابيٍّ يعوده ، قال : وكان النبيُّ ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له : « لا بأسَ ، طَهورٌ إن شاء الله » قال : قلتَ طهور ؟ كلا ، بل هي حُمّى تفور ـ أو تثور ـ على شيخ كبير ، تُزيرُه القبور . فقال النبيُّ ﷺ : « فنعم إذاً ». رواه البخاري[3].

عاده ﷺ ليسلّيه ويؤنسه ، ودعا له بأن تكون الحمّى طُهرةً لذنوبه ، ولكن الأعرابي أبى ، وأنه سيموت من تلك الحمّى ، لذا أجابه إذا أَبَيْتَ

(١) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب دعاء العائد للمريض ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب استحباب رقية المريض ، رقم (٤٦ ـ ٤٩).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٣٥٢) والأدب المفرد (رقم ٥٣٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٤٦ ـ ٤٧) (١٠ : ٣١٤) ومسند عبد بن حُميد (٢٣٧ رقم ٧١٨) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب الدعاء للمريض عند العيادة ، رقم (٣١٠٦) وسنن الترمذي : كتاب الطب : باب (٢٣) رقم (٢٠٨٣) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ١٠٤٣ ـ ١٠٤٨) وعمل اليوم والليلة لابن السني (رقم ٥٤٤) والمعجم الكبير (١١ : ٤٤٨) (١٢ : ١٥٠ ، ١٥١) والمعجم الصغير (١ : ٤٤) وكتاب الدعاء له (رقم ١١١٤ ـ ١١٢٠) وصحيح ابن حبان (٧ : ٢٤٠ ، ٢٤٣ ـ ٢٤٤) والمستدرك (١ : ٣٤٢ ، ٣٤٣) (٤ : ٢١٣ ، ٤١٦) والفتوحات الربانية (٥ : ٦١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب عيادة الأعراب ، وفي غيرهما .

فنعم ، فمات من ليلته .

وقد يأت الصحابة رضي الله تعالى عنهم بمرضاهم ـ خاصة إذا كانوا صغاراً ـ إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ ، ليدعو لهم ، ويُرقيهم .

فعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال : ذَهَبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ؛ إن ابن أختي وجِعٌ ، فمسح ﷺ على رأسي ، ودعا لي بالبركة ، وتوضأ فشربتُ من وَضوئه ، وقمت خلف ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه ، فإذا هو مثل زِر الحجلة . متفق عليه[1].

وهناك كثير من الأحاديث في مثل هذا المعنى .

٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : وصفه ﷺ العلاجَ للمريض ـ والمعروف بالطب النبوي ـ وهذا العلاج نوعان :

ـ رقية ، إما آيات من القرآن الكريم ، أو أدعية ، يقولها المريض ، في أوقات وهيئة مخصوصة[2]. كالرقية بالقرآن ، والمعوذات ، وبالفاتحة ، ورقية العين ، والحية ، والعقرب ، ورقية النبي المصطفى الكريم ﷺ ،...

ـ أدوية ، والغالب عليها مفردة ، وأحياناً مركبة .

وهذه الأدوية المفردة متعددة ، كالعسل ، والحجامة ، وألبان الإبل وأبوالها ، والحبة السوداء ، والكي ، والتلبينة ، والسعوط ـ وخاصة بالقسط الهندي ـ والإثمد ، والكحل ، والمن ، واللدود ، والعجوة ،...

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب استعمال فضل وضوء الناس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ ، رقم (١١١).

(٢) انظر صحيح البخاري : كتاب المرضى ، وكتاب الطب ، ففيهما كثير من الصِّنْفين .

٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : نهيه ﷺ عن الحلق والخرق والسلق ، وضرب الخد وخمشه ، وشق الجيب ، والدعاء بالويل ، ونشر الشعر ، والنياحة ،... ونحو ذلك مما يُقال في حضرة المريض والميت ، لأن ذلك يضر بالمريض ، ولأن الملائكة تؤمِّن على ما يقوله الحاضرون ، لكن لا بأس بدمع العين ، وحزن القلب ، مع إكثار الدعاء والترحم على الميت ونحو ذلك . وأقتصر على ذكر بعض النصوص لكثرتها .

فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رحمه الله تعالى قال : وجع أبو موسى وجعاً فغشي عليه ـ ورأسه في حجر امرأة من أهله ـ فصاحت امرأة من أهله [هي امرأته أم عبد الله كما في الرواية الثانية عند مسلم] فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً ، فلما أفاق قال : أنا بَريءٌ مما بَرِئَ منه رسول الله ﷺ . فإن رسول الله ﷺ بَرِئ من الصالقة والحالقة والشاقة . متفق عليه[1].

وفي رواية عند مسلم : أن رسول الله ﷺ قال : « أنا بريءٌ ممن حلق وسلق وخرق ».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من ضرب الخدودَ ، وشقَّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة ـ ورواه تعليقاً ـ وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، رقم (١٦٧).

والصالقة ـ ويقال : السالقة : بالصاد والسين لغتان : هي التي تصرخ عند المصيبة وتضج .

والحالقة : هي التي تحلق شعرها عند المصيبة .

والشاقة : هي التي تشق ثيابها عند المصيبة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ليس منا من ضرب الخدود ، وفي غيرهما . وصحيح =

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : أُغمي على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أختُه عَمْرةُ تبكي ؛ واجَبَلاه ، واكذا ، واكذا . تعدّد عليه . فقال حين أفاق : ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي : أنتَ كذلك ؟ رواه البخاري[1].

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ ـ مع البيعة ـ أن لا ننوح ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وقد بيّن ﷺ سبب نهيه عن مثل تلك الأقوال .

فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصرُه ، فأغمضه ، ثم قال : « إن الروح إذا قُبض تبعه البصرُ » فضجَّ ناس من أهله ، فقال : « لا تدعوا على أنفسكم إلّا بخير ، فإن الملائكةَ يؤمِّنون على ما تقولون ». رواه مسلم[3].

٨ ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمريض : نهيه ﷺ أن يتمنى المريض الموت ، أو يدعو به . لأنه إن كان محسناً فإنه يزداد خيراً ، وإن كان مسيئاً فلعله أن يتوب ، وكلما طال عمرُ المسلم كثر خيرُه بإذن الله تعالى

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنّيَن أحدُكم الموت من ضُرٍّ أصابه ، فإن كان لابد فاعلاً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياةُ خيراً لي ، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي ». متفق عليه[4].

= مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦٥ ـ ١٦٦).

(١) صحيح البخاري : المغازي : باب غزوة مؤتة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ما ينهى من النوح والبكاء ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب التشديد في النياحة ، رقم (٣١ ، ٣٢).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر ، رقم (٦ ـ ٧).

(٤) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب تمني المريض الموت ، وفي غيرهما . وصحيح =

وعن قيس بن أبي حازم رحمه الله تعالى قال : دخلنا على خبّاب نعوده ـ وقد اكتوى سبعَ كيّات في بطنه ـ فقال : لوما أنَّ رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت ؛ لدعوتُ به . متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ...ولا يتمنَّين أحدُكم الموتَ ؛ إما محسناً فلعله أن يزدادَ خيراً ، وإما مسيئاً فلعلّه أن يستعتب ». متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري[2].

ولفظ مسلم : « لا يتمنّى أحدُكم الموتَ ، ولا يدعُ به مِن قبل أن يأتيَه ، إنه إذا مات أحدُكم انقطع عملُه ، وإنه لا يزيد المؤمنَ عملُه إلّا خيراً ».

٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : بكاؤه ﷺ عند من احتضر ـ أو كان في غيبوبة ـ من أصحابه رضي الله عنهم رحمةً بهم .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : اشتكى سعدُ بنُ عُبادة شكوى له ، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده ، مع عبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال : « قد قضى ؟ » فقالوا : لا ، يا رسول الله ، فبكى النبيُّ ﷺ ، فلما رأى القومُ بكاءَ النبيِّ ﷺ بكوا . فقال : « ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذِّب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذِّبُ بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو

= مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب تمني كراهية الموت لضر نزل به ، رقم (١٠ ـ ١١).

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٣).

يرحم ،... ». الحديث ، متفق عليه[1].

وكذا بكاؤه على عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وغيره[2].

ولما أرسلت ابنته ﷺ ورضي الله تعالى عنها : أن ابنها في النزع ؛ قام ﷺ ومعه سعد بن عبادة وأُبَيّ بن كعب رضي الله تعالى عنهما ، فلما رُفع إليه الصبيُّ ونفسُه تقعقع ؛ فاضت عيناه ﷺ ، فقال سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه : ما هذا يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده ، ولا يرحمُ الله من عباده إلا الرحماء ». متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما[3].

وحصل مثل ذلك بكاؤه ﷺ عند رؤيته لولده إبراهيم رضي الله عنه .

١٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : بكاؤه ﷺ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب البكاء عند المريض . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب البكاء على الميت ، رقم (١٢).

(٢) انظر : مسند أحمد (٦ : ٤٣ ، ٥٥ ـ ٥٦ ، ٢٠٦) ومصنف عبد الرزاق (٣ : ٥٩٦) ومسند الطيالسي (٢٠١ رقم ١٤١٥) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٣٨٥) ومسند عبد بن حُميد (٤٤١ رقم ١٥٢٦) والطبقات الكبرى (٣ : ٢٨٨) ومسند إسحق (٢ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز: باب في تقبيل الميت ، رقم (٣١٦٣) وسنن الترمذي : كتاب الجنائز : باب ما جاء في تقبيل الميت ، رقم (٩٨٩) والشمائل له (٥٣٥ رقم ٣٢٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في تقبيل الميت ، رقم (١٤٥٦) وحلية الأولياء (١ : ١٠٥ ـ ١٠٦) والمستدرك (١ : ٣٦١) وشرح السنة (٥ : ٣٠٢) والشمائل له (١ : ٢٢٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٤٠٧) والقُبَل والمعانقة (٦١ ـ ٦٢) وصححه الترمذي والحاكم ، وانظر مجمع الزوائد (٣ : ٢٠) لرواية أخرى أيضاً . وانظر بر الوالدين (١٢٣ ـ ١٢٤) فقد ذكرت شواهده .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب عيادة الصبيان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب البكاء على الميت ، رقم (١١).

عند نعيه لأمراء جيش مؤتة رضي الله تعالى عنهم .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابنَ رواحة للناس ، قبل أن يأتيَهم خبرُهم .

فقال : « أخذ الرايةَ زيدٌ فأصيب ، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب ، ثم أخذ ابنُ رواحة فأصيب » وعيناه تذرفان « حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ». رواه البخاري[1].

وقد ورد بنحوه عندهما .

١١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : دنوه ﷺ من المريض ، ووضع يده الشريفة على موضع الألم ، ثم يدعو الله تعالى له .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : تشكَّيتُ بمكة شكوى شديدة ، فجاءني النبيُّ ﷺ يعودني ... الحديث وفيه : ثم وضع [رسول الله ﷺ] يدَه على جبهته ، ثم مسح يدَه على وجهي وبطني ، ثم قال : « اللهم اشف سعداً ، وأتمم له هجرتَه » فما زلت أجد بردَه على كبدي فيما يُخال إليَّ حتى الساعة . رواه البخاري ، وقد رواه مسلم ، لكن لا يوجد فيه وضع اليد[2].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا عاد مريضاً يضع يدَه على المكان الذي يشتكي المريض [وفي رواية : مسح

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب وضع اليد على المريض ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الوصية : باب الوصية بالثلث ، رقم (٥ ـ ١٣).

بيده على وجهه وصدره] ثم يقول : « بسم الله ، لا بأس ، أذهب البأسَ ربَّ الناس ،... ». الحديث بطوله ، رواه الطيالسي وابن سعد وأحمد وأبو يعلى بإسناد حسن[1]. وأصله في الصحيحين . وقد مر عند رقم (٥).

١٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : حرصه ﷺ على هداية المريض إذا كان كافراً . فمن ذلك دعوته ﷺ لغلام يهودي كان يخدمه ، وعمه أبي طالب ، فأسلم الغلام اليهودي وأبى أبو طالب .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان غلام يهوديٌّ يخدم النبيَّ ﷺ ، فمرض ، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : « أسلِم » فنظر إلى أبيه وهو عنده . فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم . فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار ». رواه البخاري[2].

وعن المسيِّب بن حَزْن رضي الله تعالى عنهما قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛ جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بنَ هشام وعبدَ الله بنَ أبي أمية بن المغيرة . قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : « يا عم ؛ قل لا إله إلا الله ، كلمةً أشهد لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبدُ الله بنُ أبي أمية : يا أبا طالب ؛ أترغبُ عن ملةِ عبد المطلب ؟ فلم يزل رسولُ الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم : هو على

---

(١) مسند الطيالسي (٢٠٠رقم ١٤١٤) والطبقات الكبرى (٢ : ٢١٠) ومسند أحمد (٦ : ١٢٦) وعمل اليوم والليلة لابن السني (٣٣٣ رقم ٥٥١) ومسند أبي يعلى (٧ : ٤٣٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٣٨١) وشعب الإيمان (٦ : ٥٣٨) والآداب (٢١٦ ـ ٢١٧) ومجمع الزوائد (٢ : ٢٩٩) وفتح الباري (١٠ : ١٢١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلّى عليه ، وفي غيرهما .

ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾. متفق عليه[1].

١٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : حثه ﷺ على تلقين الإنسان المحتضر ـ إذا لم ينطق هو بها ـ (لا إله إلا الله) وقد تواتر ذلك عن رسول الله ﷺ ، حيث رواه أكثر من خمسة عشر صحابيّاً ، لكن من غير تشديد عليه[2]. لأن من كان آخر كلامه : لا إله إلّا الله دخل الجنة . فمن حرصه ﷺ على الأمة أن يقولوها .

فعن أبي سعيد الخدري ، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله ». رواه مسلم عنهما متفرقين[3].

زاد ابن حبان في روايته[4]: « فإنه من كان آخرَ كلمته لا إله إلا الله عند الموت : دخل الجنة يوماً من الدهر ، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه » ورواه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ،... رقم (٣٩ـ ٤٠).

(٢) انظر : الأزهار المتناثرة (١٩ ـ ٢٠رقم٤٠) وقطف الأزهار (١١٦رقم٤١) ولقط اللآلئ (٥٧ ـ ٥٩رقم ١٦) والنظم المتناثر (٧٧ ـ ٧٨ رقم ١٠٠) وإتحاف ذوي الفضائل (٩٥) ومجمع الزوائد (٢ : ٣٢٢ـ ٣٢٥) والتيسير شرح الجامع الصغير (٢ : ٢٩٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب تلقين الموتى لا إله إلا الله ، رقم (١ ، ٢).

(٤) صحيح ابن حبان (٧ : ٢٧٢) وكشف الأستار (١ : ١٠) والمعجم الأوسط (٤ : ١٢) والمعجم الصغير (١ : ٢٤١) ومجمع البحرين (١ : ٥٥ رقم ٤) ومجمع الزوائد (١ : ١٧) وحلية الأولياء (٥ : ٤٦).

البزار بنحوه ، برجال الصحيح .

وذلك لأن من خُتم له بالإيمان ، وكان آخر كلامه لا إله إلّا الله : فإنه يُبعث على ما مات عليه ، ثم يدخل الجنة ، مع ما كان عليه من العمل .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه ». رواه مسلم[1].

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، دخل الجنة ». رواه أحمد ـ بلفظ « وجبت له الجنة » ـ وأبو داود ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وحسّن النووي سند أبي داود ، وصحّح سند الحاكم[2].

١٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالمرضى : حثه ﷺ العائد على تحسين المريض الظن بالله تعالى ، لأن الله تعالى عند حُسن ظن العبد به .

وعلى وجود الأمل والرجاء في نفس المحتضر ، وتأمينه مما يخاف .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : « لا يموتنَّ أحدُكم إلّا وهو يحسن الظن بالله عز وجل ». رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة ونعيمها : باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، رقم (٨٣).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٢٣٣ ، ٢٤٧) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب في التلقين ، رقم (٣١١٦) والمستدرك (١ : ٣٥١ ، ٥٠٠) وشرح السنة (٥ : ٢٩٦) والمجموع (٥ : ٩٩) وخلاصة الأحكام (٢ : ٩٢٤) وانظر المطالب العالية (١ : ١٩١رقم ٦٨٥) لرواية أبي يعلى .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، رقم (٨١ ، ٨٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ،... ». الحديث ، متفق عليه[1].

فعلى حسب ظن العبد بربه تعالى كان .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في الموت فقال : « كيف تجدك ؟ » قال : أرجو الله يا رسول الله ؛ وأخاف ذنوبي . فقال رسول الله ﷺ: « لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في مثل هذا الموطن إلّا أعطاه الله ما يرجو ، وأمَّنه مما يخاف ». رواه النسائي وابن ماجه وابن السني ، وحسنه الترمذي والمنذري[2].

١٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : حثه ﷺ مغسِّل الميت أن يستر عما يراه من الميت ، مما فيه إساءة .

فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ورضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من غسَّل ميِّتاً فكتم عليه : غفر الله له أربعين مرة ، ومن كفَّن ميِّتاً كساه الله من السندس واستبرق الجنة ، ومن حفر لميت قبراً وأجنَّه فيه : أُجري له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القيامة ». رواه الحاكم وصححه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب الحث على ذكر الله تعالى ، رقم (٢).

(٢) سنن الترمذي : كتاب الجنائز: باب (١١) رقم (٩٨٣) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ١٠٦٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر الموت والاستعداد له ، رقم (٤٢٦١) وعمل اليوم والليلة لابن السني (رقم ٥٣٩) ومسند عبد بن حُميد (٤٠٤ رقم ١٣٧٠) وشرح السنة (٥ : ٢٧٤) وحلية الأولياء (٦ : ٢٩٢) وحسن الظن (رقم ٣١) والترغيب والترهيب (٦ : ٨٤) وانظر الدر المنثور وكنز العمال ففيهما زيادة عزو .

وأقره الذهبي ، ورواه الطبراني والبيهقي برجال الصحيح[1].

لأن من ستر مسلماً ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فكيف بالميت[2].

١٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : حرصه ﷺ على الصلاة على الميت ، لأن القبور مملوءة ظلمة على أصحابها ، وأن الله تعالى ينوِّرها عليهم بصلاته ﷺ عليهم .

وقد كان ﷺ لا يصلّي على من مات وعليه دَين ولا سداد له ، حرصاً منه ﷺ على أداء الحقوق لأربابها[3]. فلما فتح الله تعالى عليه البلاد ، صار يصلّي عليهم ، ويتحمَّل عنهم ديونهم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يُؤتى بالرجل الميت ، عليه الدَّين ، فيسأل : « هل ترك لدَيْنه من قضاء ؟ » فإن حُدِّث أنه ترك وفاءً صلّى عليه ، وإلّا قال : « صلّوا على صاحبكم ».

فلما فتح الله عليه الفتوح قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن

---

(١) المعجم الكبير (١ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤) والمستدرك (١ : ٣٥٤ ، ٣٦٢) والسنن الكبرى (٣ : ٣٩٥) وشعب الإيمان (٧ : ٩) ومعرفة السنن والآثار (٥ : ٢٢٨ ـ ٢٢٩) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١) والترغيب والترهيب للمنذري (٦ : ١٣٤) وللأصبهاني (٣ : ١٥٥ ـ ١٥٦) والمتجر الرابح (١٧١ ـ ١٧٢) والدراية (١ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(٢) انظر لحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما : صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٨) ولحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، رقم (٣٨).

(٣) انظر : صحيح البخاري : كتاب الحوالة : باب من أحال دَين الميت على رجل جاز ، وفي غيرهما ، لحديث سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه .

تُوُفِّيَ [من المؤمنين] وعليه دَيْنٌ فعليَّ قضاؤه ، ومن ترك مالاً فهو لورثته ». متفق عليه[1].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرٍ قد دُفن ليلاً ، فقال : « متى دُفن هذا ؟ » قالوا : البارحة . قال : « أفلا آذنتموني ؟ » قالوا : دفنّاه في ظلمة الليل ، فكرهنا أن نوقظك ، فقام ، فصففنا خلفه ـ قال ابن عباس : وأنا فيهم ـ فصلّى عليه . متفق عليه[2].

وعن يزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ، فرأى قبراً جديداً ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه فلانة ـ مولاة بني فلان ـ فعرفها رسول الله ﷺ ـ ماتت ظهراً ، وأنت نائمٌ قائِلٌ ، فلم نحب أن نوقظك بها . فقام رسول الله ﷺ ، وصفَّ الناسَ خلفه ، وكبَّر عليها أربعاً . ثم قال : « لا يموت فيكم ميّت ـ ما دمت بين أظهركم ـ إلا آذنتموني ، فإن صلاتي له رحمة ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والطحاوي ـ وسقط منه اسم الصحابي واستدركتُه من الإتحاف ـ والطبراني وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي برجال الصحيح[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب الدَّين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفرائض : باب من ترك مالاً فلورثته ، رقم (١٤ ـ ١٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الصلاة على القبر ، رقم (٦٨ ، ٦٩).

(٣) مسند أحمد (٤ : ٣٨٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الصلاة على القبر (٤ : ٨٤ ـ ٨٥) والسنن الكبرى له (١ : ٦٥١) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في الصلاة على القبر ، رقم (١٥٢٨) وشرح معاني الآثار (١ : ٥١٣) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٣٦ ـ ٢٣٧) والمعجم الكبير (٢٢ : ٢٣٩ ، ٢٤٠) =

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن امرأةً سوداء كانت تقمُّ المسجدَ (أو شابّاً) ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها (أو عنه) فقالوا : مات . قال : « هلّا كنتم آذنتموني ؟ » قال : فكأنهم صغَّروا أمرها (أو أمره) فقال : « دلّوني على قبره » فدلّوه ، فصلّى عليها . ثم قال : « إن هذه القبور مملوءةٌ ظلمةً على أهلها . وإن الله عز وجل ينوِّرُها لهم بصلاتي عليهم ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

١٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : بيانه ﷺ ثوابَ المصلي على الميت ، والمشيِّع له ، وانتفاع الميت بكثرة المصلّين عليه .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد الجنازةَ حتى يُصلّى عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تُدفن فله قيراطان » قيل : وما القيراطان ؟ قال : « مثل الجبلين العظيمين ».

وفي رواية : « أصغرهما مثلُ أُحد ». متفق عليه[2].

وعن ثوبان ـ مولى رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صلّى على جنازة فله قيراط ، فإن شهد دفنَها فله قيراطان ، القيراط مثلُ أُحد ». رواه مسلم[3].

= وصحيح ابن حبان (٧ : ٣٥٦ـ٣٥٧) والمستدرك (٣ : ٥٩١) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ٤٨) وإتحاف المهرة (١٣ : ٧٠٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب كنس المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الصلاة على القبر ، رقم (٧١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب من انتظر حتى تدفن ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها، رقم (٥٢ ـ ٥٦).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٧).

وأما انتفاع المتوَفّى من صلاة المصلّين عليه .

فعن كُرَيْب مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنه مات ابنٌ له بقُدَيد أو بعُسفان فقال : يا كُرَيب ؛ انظر ما اجتمع له من الناس ؟ قال : فخرجتُ فإذا ناسٌ قد اجتمعوا له ، فأخبرته فقال : تقول هم أربعون ؟ قال : نعم . قال : أخرجوه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل مسلم يموت ، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً ؛ لا يُشركون بالله شيئاً إلّا شفَّعهم الله فيه ». رواه مسلم[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن النبيِّ ﷺ قال : « ما من ميِّتٍ يُصلّي عليه أُمَّةٌ من المسلمين ، يبلغون مائةً كلُّهم يشفعون له : إلّا شُفِّعوا فيه ». رواه مسلم[2].

ويحمل اختلاف العدد على اختلاف حال المصلّين ، والله تعالى أعلم .

وقد سبق ذكر عدد من الأحاديث فيها قوله ﷺ : « أفلا آذنتموني » ولذا كان كثيراً ما يخرج ﷺ إلى البقيع لحضور دفن من مات من أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

١٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : حثّه ﷺ المشيِّعين على الدعاء والاستغفار للميت .

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان النبيُّ ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : « استغفروا لأخيكم ، وسلوا له بالتثبيت ، فإنه الآن يُسأل ». رواه أحمد وأبو داود والبزار وابن السنّي والبغوي والضياء ،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه ، رقم (٥٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه ، رقم (٥٨).

وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي ، وحسنه النووي[1].

وقد كثر قوله ﷺ : « استغفروا لصاحبكم »[2].

١٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : حثه ﷺ على زيارة القبور .

وقد كان النبي المصطفى الكريم ﷺ قد منع زيارة القبور على الرجال والنساء ، في بادئ الأمر ، فلما استأذن ربّه عز وجل في زيارة قبر أمه ، وأذن الله تعالى له في ذلك ، أذن في زيارة القبور ، وقد اتفقت كلمة العلماء على مشروعية ذلك للرجال ، وذهب الجمهور إلى مشروعية ذلك للنساء أيضاً ، بضوابط معينة ، وقد توسعت في بيان ذلك في غير هذا الموضع[3]. لذا فإني أقتصر على ذكر بعض الروايات ، فيها بيان الفائدة من الزيارة .

فعن بُريدة بن الحُصَيب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ... » الحديث بطوله ، رواه مسلم[4].

---

(١) الزهد لأحمد (١٢٩) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف ، رقم (٣٢٢١) والمستدرك (١ : ٣٧٠) والبحر الزخار (٢ : ٩١) وعمل اليوم والليلة (٥٣٨ رقم٥٨٥) والسنن الكبرى (٤ : ٥٦) وشرح السنة (٥ : ٤١٨) والمختارة (١ : ٥٢٢) وخلاصة الأحكام (٢ : ١٠٢٧ ـ ١٠٢٨).

(٢) انظر صحيح مسلم : كتاب الحدود : باب من اعترف على نفسه بالزنا ، رقم (٢٢) وكتاب السلام : باب قتل الحيات وغيرها ، رقم (١٣٩) وغيرهما .

(٣) انظر فضائل المدينة المنورة ـ الطبعة الأخيرة ـ ومختصره ، وتنبيه الذات بهادم اللذات . حيث ذكرت الأدلة على المنع وعلى الإباحة ، والجمع بينهما .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب استئذان النبيِّ ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ، رقم (١٠٦).

زاد الترمذي وغيره[1]. : « فقد أُذن لمحمد ـ ﷺ ـ في زيارة قبر أمه ، فزوروها ، فإنها تذكِّركم الآخرة ».

وقد ورد نحو ذلك من حديث أبي سعيد وأنس رضي الله تعالى عنهما بأسانيد صحيحة ، كما ورد من غير طُرقهم أيضاً ، والله تعالى أعلم .

٢٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : ردُّه ﷺ الثلثَ على ورثة الميت الذي أوصى به لرسول الله ﷺ .

فعن أبي قتادة رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ حين قدم المدينة ، سأل عن البراء بن معرور ، فقالوا : تُوُفِّي ، وأوصى بثلثه لك يا رسول الله ، وأوصى أن يُوجّه إلى القبلة لما احتضر .

فقال رسول الله ﷺ : « أصاب الفطرةَ ، وقد رددتُ ثلثَه على ولده » ثم ذهب فصلّى عليه ، فقال : « اللهم اغفر له ، وارحمه ، وأدخله جنّتَك ، وقد فعلتَ ». رواه الحاكم وصحّحه وأقره الذهبي ، ورواه البيهقي[2].

قال الحاكم : لا أعلم في توجّه المحتضر إلى القِبلة غير هذا الحديث.اهـ.

يعني مما يصح ، وقد سكت عليه الحافظان الذهبي وابن حجر .

٢١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : حثه ﷺ على أداء الحقوق عن الميت . سواء كانت حقوقاً لله تعالى ، أو حقوقاً للعباد ،

---

(١) سنن الترمذي : كتاب الجنائز : باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ، رقم (١٠٥٤) والمنتقى لابن الجارود (٢٩٢رقم٨٦٣) ومسند أحمد (٥ : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦١) وسنن النسائي : كتاب الأشربة : باب الإذن في شيء منها (٨ : ٣١١) ومسند أبي عوانة (٥ : ٨٣) والمستدرك (١ : ٣٧٦) وجاء عند النسائي والحاكم مختصراً .

(٢) المستدرك (١ : ٣٥٣ـ ٣٥٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٣٨٤) وانظر مختصره والتلخيص الحبير ، حيث سكتا عليه .

كالصيام ، والزكاة ، والحج ، والنذر ، والعتق ، والدَّين ، والوصية ،... وقد توسعت في بيان هذه المسألة في (بر الوالدين)[1]. فلا حاجة لإعادتها هنا ، فمن أراد معرفتها فلينظر في الكتاب المذكور .

لأن ذمة الـمُتوَفّى تبقى مشغولةً حتى يُقضى ما عليه ، وخاصة حقوق العباد ، لأنها مبنيةٌ على المشاحة ، والله تعالى أعلم .

٢٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : نهيُه ﷺ عن وطء القبور ، وعن عدم الاعتداء عليها ، وبيَّن ﷺ أن حرمة الإنسان بعد موته كحرمته في حال حياته ،...

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القبرُ ، وأن يُقعدَ عليه ، وأن يُبنى عليه . رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأَن يَجلس أحدُكم على جمرةٍ فتُحرق ثيابَه ، فتخلُصَ إلى جلده : خيرٌ له من أن يجلس على قبر ». رواه مسلم[3].

وعن أبي مَرْثَدٍ الغَنَويِّ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجلسوا على القبور ، ولا تُصلّوا إليها ». رواه مسلم[4].

وقد وردت عدة أحاديث في هذا الباب أيضاً ، وما ذكرته كاف .

---

(١) بر الوالدين (١٤١ ـ ١٧٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ، رقم (٩٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ، رقم (٩٦).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب الباب السابقين ، رقم (٩٧ ـ ٩٨).

٢٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : غرزُه ﷺ في القبر الذي يعذب صاحبُه جريدةً رطبة ، رجاء أن يخفَّفَ عن صاحبه من العذاب فترة اخضرارها .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : « إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة فشَقَّها نصفين ، فغرز في كل قبرٍ واحدةً . قالوا : يا رسول الله ؛ لم فعلتَ هذا ؟ قال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا ». متفق عليه[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال ـ في حديثه الطويل ـ : سرنا مع رسول الله ﷺ ، حتى نزلنا وادياً أفيح [أي واسع] فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجتَه ، فاتَّبعتُه بإداوةٍ من ماءٍ . فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستترُ به . فإذا شجرتان بشاطئ الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : « انقادي عليَّ بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش ، الذي يصانع قائده . حتى أتى الشجرةَ الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : « انقادي عليَّ إذن الله » فانقادت معه كذلك . حتى إذا كان بالمنصَّف مما بينهما لأَمَ بينهما [يعني : جمعهما] فقال : « الْتَئِما عليَّ بإذن الله » فَالْتَأَمَتا .

قال جابر : فخرجتُ أُحضِرُ مخافة أن يُحسَّ رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد . فجلستُ أُحدِّث نفسي . فحانت مني لفتةٌ ، فإذا برسول الله ﷺ مقبلاً ، وإذا

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب ما جاء في غسل البول ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، رقم (١١١).

الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كلُّ واحدة منهما على ساق . فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة ، فقال برأسه [يميناً ، وشمالاً] ثم أقبل . فلمّا انتهى إليَّ قال : « يا جابر ؛ هل رأيت مقامي ؟ » قلت : نعم ، يا رسول الله ، قال : « فانطلق إلى الشجرتين ، فاقطع من كلِّ واحدةٍ منهما غصناً . فأَقبل بهما ، حتى إذا قمتَ مقامي ، فأَرسل غصناً عن يمينك ، وغصناً عن يسارك ».

قال جابر : فقمتُ فأخذتُ حجراً فكسرتُه وحسرتُه ، فاندلق لي [أي صار حادّاً] فأتيتُ الشجرتَين ، فقطعتُ من كلِّ واحدةٍ منهما غصناً ، ثم أقبلتُ أجرُّهما ، حتى قمتُ مقامَ رسول الله ﷺ . أرسلتُ غصناً عن يميني ، وغصناً عن يساري . ثم لحقتُه . فقلتُ : قد فعلتُ ، يا رسول الله ، فعمَّ ذاك ؟ قال : « إني مررتُ بقبرين يُعذّبان ، فأحببتُ بشفاعتي أن يُرفَّه عنهما ، مادام الغصنان رطبين ». رواه مسلم[1].

٢٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالأموات : أمره ﷺ بدفن الميت ، ولو كان كافراً .كما فعل بصناديد قريش الذين قُتلوا في بدر ، وقتلى بني قريظة ، لكن أقتصر على رواية واحدة تعطينا دلالة أوضح في مدى رحمته ﷺ بالأموات ، ولو كانوا كفّاراً .

فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال : إن أبا طالب [وفي رواية : إن عمَّك الشيخَ] قد مات ، فقال : « اذهب فوارِه » قال : إنه مات مشركاً ؟ قال : « اذهب فوارِهِ » فلما واريتُه رجعتُ إليه ، فقال لي : « اغتسل ». رواه الشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والطيالسي وأحمد وابنه وأبو داود والنسائي وابن الجارود وأبو يعلى والبزار والبيهقي ـ بأسانيد صحاح وحسان ، وصححه ابن خزيمة .

(١) صحيح مسلم : كتاب الزهد : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليَسَر ، رقم (٣٠١٢).

وقال الإمام الرافعي رحمه الله تعالى : إنه حديث ثابت مشهور[1].

أسأله تعالى أن يكرمنا جميعاً بمحبة نبيّه الكريم ﷺ وطاعته واتباعه في الأخلاق والأفعال والأقوال والأحوال والصفات ، ويحشرنا تحت لوائه ، ويوردنا حوضه الكريم ، ويسقينا من يده الشريفة شربةً لا نظمأ بعدها أبداً ، ويدخلنا الجنة في صحبته ، إنه على ما يشاء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

*****

(١) الأم (٧ : ١٥١) ومسند الشافعي (٣٨٥) وبدائع المنن (١ : ٢٠٩) ومسند الطيالسي (١٩ رقم ١٢٠) ومصنف عبد الرزاق (٦ : ٣٩ ـ ٤٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٢٦٩ ، ٣٤٧) والمنتقى لابن الجارود (١٩٢) ومسند أحمد (١ : ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ـ ١٣٠ ، ١٣١) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب الرجل يموت له قرابة مشرك ، رقم (٣٢١٤) وسنن النسائي : كتاب الطهارة : باب الغسل من مواراة المشرك (١ : ١١٠) وكتاب الجنائز : باب مواراة المشرك (٤ : ٧٩) والسنن الكبرى له (١ : ١٠٧) والبحر الزخار (٢ : ٢٠٧) ومسند أبي يعلى (١ : ٣٣٤ ـ ٣٣٦) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٣٠٤ ، ٣٠٥) (٣ : ٣٩٨) والمحلى (٥ : ١١٧) وانظر نصب الراية (٢ : ٢٨١) والتلخيص الحبير (٢ : ١١٤ ـ ١١٥) والإصابة (٧ : ٢٣٩).

الفصل التاسع عشر
رحمته ﷺ بالحيوان

لا أعلم في الخليقة أحداً أرحم وأرفق بالحيوان من رسول الله ﷺ ، وقد برزت مظاهر تلك الرحمة بصور مختلفة ، ابتداء من الرفق بالحيوان ، وانتهاء بشكوى الحيوان إليه ﷺ ،... مروراً بنهيه ﷺ عن ضرب الوجه والخد ، ووسمِه في الوجه ، ولعنِه ، ووجوب الإحسان إليه ، وإبقاء بعض الحليب عند الحلب ، وتقليم الأظافر قبل الحلب ، وإعطائه حقّه من الكلأ ، وعدم إدامة الركوب ، والبدء بحل الركاب قبل التنفل في العبادة ، والتفريق في السير عليها بين الأرض الخصبة والأرض المجدبة ، والوصية بإطعامها وإسقائها ، ودخول النار لمن ظلمها ،... وغير ذلك كثير ، لكن أقتصر على بعض المظاهر للتذكير ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

١ـ فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : أمره ﷺ بالرفق به ، ووجوب الشفقة عليه ، وعدم ضربه ضرباً موجعاً ، وإن حرن .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنها ركبت بعيراً ، فكانت فيه صعوبةٌ ، فجعلت تردِّدُه ، فقال لها رسول الله ﷺ : « عليكِ بالرفق ، إن الرفق لا يكون في شيء إلّا زانه ، ولا يُنزع من شيء إلّا شانه ». رواه مسلم[1] .
فقد ذكر الفقرة الأولى ، ثم قال : ثم ذكر بمثله ، وهو بنفس السند .

وعن معدان الكلاعي رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل الرفق ، رقم (٧٩).

الله رفيق يحب الرفقَ ، ويرضاه ، ويُعين عليه ما لا يعين على العنف ، فإذا ركبتم هذه الدواب العُجم فانزلوا بها منازلَها ، وإن كانت الأرضُ جدبةً فانجوا عليها بنِقْيِها ، وعليكم بسير الليل ، فإن الأرض تُطوى بالليل ما لا تُطوى بالنهار ، وإياكم والتعريس على الطريق ، فإنه طريقُ الدّوابِّ ومأوى الحيّات ». رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور والطبراني وابن قانع وأبو نعيم ، برجال الصحيح[1]. لكن معدان مختلف في صحبته .

وقال ﷺ : « ...فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى »[2].

٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن ضرب وجه الحيوان أو خده[3] مثلما هو الحال بالنسبة للإنسان . لأن حُرمة البهائم وجوهها .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه ، وعن الوسم في الوجه . رواه مسلم[4].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥ : ١٦٣) وسنن سعيد بن منصور ـ النسخة الهندية ـ (٣ : ٢ : ٢٥٥) وسقط منه (عن أبيه) والمعجم الكبير (٢٠ : ٣٦٥) ومعجم الصحابة (٣ : ١٢٩) ومعرفة الصحابة (٥ : ٢٦٤٦ ـ ٢٦٤٧) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١٣) (٨ : ١٨ ـ ١٩) والإصابة (٦ : ١٧٧).

(٢) لقد ورد من حديث السيدة عائشة ، وابن عَمرو ، وجابر بن عبد الله ... رضي الله تعالى عنهم ، كما ورد من طرق مراسيل ، ومجموعها يدل على أن له أصلاً ، هو حسن لغيره . وأما أول الحديث « إن هذا الدين يسر » وَ « إن الدين متين » فهو في البخاري ، وغيره ، عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، كما سبق بيانه ، والله تعالى أعلم .

(٣) انظر مسند أحمد (٤ : ١٣١) لحديث المقدام رضي الله عنه ، في النهي عن ضرب الخد .

(٤) صحيح مسلم : كتاب اللباس : باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ، ووسمه فيه ، رقم (١٠٦).

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما ، أنه كره أن تُعلَم الصورة . وقال : نهى النبيُّ ﷺ أن تُضربَ الصورة . رواه البخاري وابن أبي شيبة وأحمد[1]. والمراد بالعَلَم : الكي ، وهو الوسم . والمراد بالصورة : الوجه .

يعني : نهى رسول الله ﷺ عن ضرب الوجه ، وعن الكيِّ في الوجه . وهذا ما سيأتي إن شاء الله تعالى بعد قليل ، والله تعالى أعلم .

٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن ضربها بالسوط ضرباً مبرحاً .

فعن عُبيد الله بن زياد البكري ، عن ابنَي بُسْر السُّلَمِيّين ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : دخلت عليهما ، فقلت : يرحمكما الله ، الرجلُ منّا يركب دابَّتَه ، فيضربها بالسَّوط ، ويكفحُها باللجام ، هل سمعتما من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً ؟ قالا : لا ، ما سمعنا في ذلك شيئاً .

فإذا امرأةٌ قد نادت من جوف البيت : أيُّها السائل ؛ إن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾[2]. فقالا : هذه أختُنا ، وهي أكبر منّا ، وقد أدركت رسول الله ﷺ . رواه أحمد بإسناد صحيح[3].

٤ ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : إخباره ﷺ

(١) صحيح البخاري : كتاب الذبائح والصيد : باب الوسم والعَلَم في الصورة . ومصنف ابن أبي شيبة (٥ : ٤٠٦ ـ ٤٠٧) ومسند أحمد (٢ : ٢٥ ، ١١٨) وانظر فتح الباري (٩ : ٦٧١).

(٢) سورة الأنعام (٣٨).

(٣) مسند أحمد (٤ : ١٨٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٠ ـ ٤٨١) ومجمع الزوائد (٨ : ١٠٦ ـ ١٠٧) وانظر الدر المنثور (٣ : ٢٦٧) فقد عزاه لآخرين .

عن دخول امرأة النار بسبب حبسها هرة ، لم تُطعمها إذ حبستها ، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأةٌ النارَ في هرَّةٍ حبستها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض ». متفق عليه[1].

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت امرأةٌ النارَ في هرة حبستها ، فلا هي أطعتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ». متفق عليه[2].

ورواه مسلم في صحيحه بنحوه[3] عن جابر بن عبد الله . كما رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم[4] عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهم . وقد رواه بعضهم مختصراً ، لم يسقه كاملاً لأنه في صلاة الكسوف .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ،... وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب تحريم قتل الهرة ، رقم (١٥٢) وكتاب البر : باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها ،... رقم (١٣٤ ، ١٣٥).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتابين والبابين السابقين ، رقم (١٥١) ورقم (١٣٣ ، ١٣٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الكسوف : باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ، رقم (٩).

(٤) مسند أحمد (٢ : ١٥٩ ، ١٨٨) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب من قال يركع ركعتين ، رقم (١١٩٤) والشمائل للترمذي (٥٣٠ ـ ٥٣٢) وسنن النسائي : كتاب الكسوف : باب نوع آخر (٣ : ١٣٧ ـ ١٣٨) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) وصحيح ابن حبان (٧ : ٧٩ ـ ٨٠) (١٢ : ٤٣٩ ـ ٤٤٠) والمستدرك (١ : ٣٢٩).

٥ ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : إخباره ﷺ أن الله تعالى يشكر للعبد الذي يُحسن إلى الحيوانات ، ويغفر له ذنوبه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما كلبٌ يُطيف برَكيَّةٍ ؛ قد كاد يقتله العطشُ ، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل ، فنزعت موقَها ، فاستقت له به ، فسقته إياه ، فغُفِر لها به ». متفق عليه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطشُ ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلبٌ يلهث ؛ يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثلُ الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر ، فملأ خفَّه ماءً ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلبَ ، فشكر الله له ، فغفر له ».

قالوا : يا رسول الله ؛ وإن لنا في هذه البهائم لأجراً ؟ فقال : « في كل كبدٍ رطبةٍ أجر ». متفق عليه[2].

٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : حثُّه ﷺ على اتقاء الله تعالى في هذه البهائم .

فعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال لبعض الأنصار ـ وقد جاء بعير له يشكوه إلى النبي ﷺ ، وأنه يُدئبُه في العمل ويُجيعه ـ : « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها ، فإنه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ، رقم (١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المساقاة : باب فضل سقي الماء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : الباب السابق ، رقم (١٥٣).

شكا إِلَيَّ أنك تُجيعه وتُدئبه ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وأبو عوانة بإسناد صحيح ، وصحّحه الحاكم ، وأقره الذهبي ، وصححه الضياء ، وعزاه الإمام النووي للبرقاني بإسناد مسلم[1].

وعن سهل بن الحنظلية رضي الله تعالى عنه قال : مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهرُه ببطنه فقال : « اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة ». رواه أحمد وأبو داود والطبراني بإسناد صحيح ، وصحّحه ابن خزيمة وابن حبان والنووي[2].

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ صلّى الظهرَ ، فوجد ناقةً معقولةً ، فقال : « أين صاحب هذه الراحلة ؟ » فلم يستجب له أحد ، فدخل المسجدَ فصلّى ، حتى فرغ ، وخرج ، فوجد الراحلةَ كما هي . فقال : « أين صاحبُ هذه الراحلة ؟ » فاستجاب له ، فقال : أنا يا نبيّ الله . فقال : « ألا تتّقي الله عز وجل فيها ؟ إمّا أن تعقِلها وتُطعمها ، وإمّا أن تُرسلها حتى تبتغي لنفسها ». رواه الطبراني بإسناد جيد[3].

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٩٣) ومسند أحمد (١ : ٢٠٤ ، ٢٠٥) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ، رقم (٢٥٤٩) ومسند أبي يعلى (١٢ : ١٥٧ ـ ١٥٩) ومسند أبي عوانة (١ : ١٦٨) والمستدرك (٢ : ٩٩ ـ ١٠٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٣) ودلائل النبوة (٦ : ٢٦) ورياض الصالحين (٤٠٤ ـ ٤٠٥) ورواه بعضهم مطوّلاً .

(٢) مسند أحمد (٤ : ١٨٠ ـ ١٨١) وسنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٥٤٨) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٤٣) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٠٢ ـ ٣٠٤) (٨ : ١٨٧ ـ ١٨٨) وموارد الظمآن (٢١٥ رقم ٨٤٤ ، ٨٤٥) والمعجم الكبير (٦ : ١١٧ ـ ١١٨) ومسند الشاميين (١ : ٣٣٢ ـ ٣٣٣) ورياض الصالحين (٤٠٤ رقم ٩٦٤).

(٣) مجمع الزوائد (٨ : ١٩٦) وتحرير الجواب (٤٥).

٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : عدم رضاه ﷺ عن فعل المرأة التي نذرت إن سلّمها الله تعالى من العدو أن تنحر الناقة التي سلمت عليها ، وأخبرها ﷺ أنها بئس ما جزتها على فعلها ، إذ نجّاها الله تعالى عليها ، فالواجب عليها إكرامُ الراحلة التي أوصلتها لا ذبحها .

فعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال : كانت ثقيف حلفاءَ لبني عُقَيل ، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأسر أصحابُ رسول الله ﷺ رجلاً من بني عُقَيل ، وأصابوا معه العضباء ، فأتى عليه رسولُ الله ﷺ وهو في الوثاق ، قال : يا محمد ؛ فأتاه فقال : « ما شأنك ؟ » فقال : بم أخذتني ؟ وبم أخذتَ سابقة الحاج ؟ فقال : (إعظاماً لذلك) « أخذتُك بجريرة حلفائك ثقيف » ثم انصرف عنه ، فناداه ، فقال : يا محمد ؛ يا محمد ـ **وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً** ـ فرجع إليه فقال : « ما شأنك ؟ » قال : إني مسلم . قال : « لو قُلتَها وأنت تملكُ أمرَك أفلحتَ كلَّ الفلاح » ثم انصرف . فناداه . فقال : يا محمد ؛ يا محمد ، فأتاه فقال : « ما شأنك ؟ » قال : إني جائع فأطعمني ، وظمآن فأسقني . قال : « هذه حاجتك » ففُدي بالرجلين .

قال : وأُسرت امرأةٌ من الأنصار ، وأُصيبت العضباء ، فكانت المرأة في الوثاق . وكان القوم يريحون نَعَمَهم بين يدي بيوتهم . فانفلتت ذاتَ ليلة من الوثاق ، فأتت الإبلَ ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه ، حتى انتهت إلى العضباء ، فلم ترغُ ـ قال : وناقة مُنَوَّقَةٌ ـ فقعدت في عجزها ثم زجرتها ، فانطلقت ، ونذِروا بها ، فطلبوها ، فأعجزتهم . قال : ونذرت لله ؛ إن نجّاها الله عليها لتنحرنّها .

فلما قدمت المدينةَ رآها الناسُ . فقالوا : العضباءُ ، ناقةُ رسول الله ﷺ .
فقالت : إنها نذرت ؛ إن نجّاها الله عليها لتنحرنَّها . فأتوا رسول الله ﷺ
فذكروا ذلك له . فقال : « سبحان الله ، بئسما جزتْها ، نذرت لله إن نجّاها
الله عليها لتنحرنَّها . لا وفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملكُ العبد ». رواه
مسلم[1].

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما ، أن امرأةَ أبي ذرٍّ جاءت
على القصواء - راحلةِ النبيِّ ﷺ - حتى أناخت عند المسجد ، فقالت : يا
رسول الله ؛ نذرت إن نجّاني الله عليها لآكلنَّ من كبدها وسنامها . قال : « بئس
ما جزيتِها ، ليس هذا نذراً ، إنما النذرُ ما ابتُغي به وجهُ الله عز وجل ». رواه
البيهقي[2]. وروى أبو داود وغيره ما يتعلق بالنذر .

**٨- ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : إخباره ﷺ
أن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء ، لذا يجب الإحسان إلى الحيوان
لأنه شيء . ويكون ذلك في إطعامه وإسقائه وذبحه وقتله .**

فعن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه قال : ثنتان حفظتُهما عن
رسول الله ﷺ . قال : « إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيء ؛ فإذا قتلتم
فأحسنوا القِتْلَةَ ، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذِّبحَ ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرتَه ،
فليرِح ذبيحتَه ». رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب النذر : باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد ، رقم (٨).

(٢) السنن الكبرى (١٠ : ٧٥) وروى بعضهم ما يتعلق بالنذر .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الصيد والذبائح : باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد =

٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : إخباره ﷺ أن من يرحم الذبيحة عند ذبحها فإن الله تعالى يرحمه يوم القيامة .

فعن قرة بن إياس رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ؛ إني لأذبحُ الشاةَ فأرحمها ـ أو قال : إني لأرحم الشاةَ أن أذبحها ـ قال : « والشاة إن رحمتَها رحمك الله » مرتين . رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني بإسناد صحيح[١].

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من رحم ـ ولو ذبيحة عصفور ـ رحمه الله تعالى يوم القيامة ». رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني والبيهقي والضياء بإسناد حسن[٢].

١٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : أمره ﷺ بإبقاء بعض الحليب للولد بعد الحلب ، كما على الحالب ألّا يحلب جميع ما في الضرع ، بل يُبقي داعي اللبن .

فعن ضرار بن الأزور رضي الله تعالى عنه قال : أهدينا لرسول الله ﷺ لِقحةً ، قال : فحلبتُها ، قال : فلما أخذتُ لأجهدها قال : « لا تفعل ، دع داعي اللبن » وفي رواية « دع دواعي اللبن » ودعا لي . رواه أحمد والدارمي

= الشفرة ، رقم (٥٧).

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٣٦) (٥ : ٣٤) والأدب المفرد (١٣٦رقم ٣٧٥) والمعجم الكبير (١٩ : ٢٢ ، ٢٣) والمعجم الصغير (١ : ١٩٠) وكشف الأستار (٢ : ٦٨من طريقين) وحلية الأولياء (٢ : ٣٠٢) (٦ : ٣٤٣) والمستدرك (٣ : ٥٨٦) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨١) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٢ـ٣٣).

(٢) الأدب المفرد (١٣٨ رقم ٣٨٣) والمعجم الكبير (٨ : ٢٧٩ من طريقين) وفوائد تمام (٢ : ٩٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٢) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٣) وكنز العمال (٦ : ٢٦٣).

وهناد ووكيع والطبراني في آخرين برجال ثقات ، وصحّحه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، وصححه الضياء[1].

ومعنى الحديث : أبق في الضرع قليلاً من اللبن ، ولا تستوعبه كلَّه ، فإن الذي تُبقيه فيه : يدعو وراءه من اللبن ، فيُنزله ، وإذا استقصى كل ما في الضرع : أبطأ درُّه على حالبه . اهـ من النهاية لابن الأثير رحمه الله تعالى[2].

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : مَرَّ رسولُ الله ﷺ برجُل يحلب شاةً ، فقال : « أي فلان ؛ إذا حلبْتَ فأبق لولدها ، فإنها من أَبَرِّ الدّواب ». رواه الطبراني وأبو نعيم برجال الصحيح ، غير عبد الله بن جنادة وهو ثقة[3].

١١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : أمره ﷺ بتقليم الأظفار قبل الذبح ، ولا يشدّدوا في عصر الضرع فيدموه .

فعن سَوادة بن الربيع رضي الله تعالى عنه قال : أتيتُ النبيَّ ﷺ فسألتُه . فأمر لي بذَودٍ ، ثم قال لي : « إذا رجعت إلى بيتك فمُرهم فليُحسنوا غِذاءَ رِباعِهم ، ومُرهم فليُقَلِّموا أظفارَهم ، لا يَعْبطوا بها ضروعَ مواشيهم إذا

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٧٦ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٩) وسنن الدارمي (٢ : ١٥) والتاريخ الكبير (٤ : ٣٣٨ـ ٣٣٩ ، ٣٩٩) والزهد لهنّاد (٢ : ٤٠٩رقم٧٩٥) ولوكيع (٣ : ٨٠٤ رقم ٤٩٥) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٦٥٤) والمعجم الكبير (٨ : ٣٥٤ ـ ٣٥٥ من طرق) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٩٠) والمستدرك (٣ : ٢٣٧ ، ٦٢٠) والسنن الكبرى (٨ : ١٦) والمختارة (٨ : ٩١ ـ ٩٤ من طرق) ومجمع الزوائد (٨ : ١٩٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢ : ١٢٠).

(٣) المعجم الأوسط (١ : ٢٧١) وحلية الأولياء (٨ : ١٧٦) ومجمع البحرين (٥ : ٢٢٦) ومجمع الزوائد (٨ : ١٩٦) وعزاه للكبير أيضاً .

حلبوا ». رواه أحمد وابن سعد والطبراني والبزار والبيهقي بسند جيد[1].

١٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن تهييج الطير من مكانه ، وليبقوه في عشه .

فعن أُم كُرزٍ رضي الله تعالى عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أَقِرُّوا الطيرَ على مكناتها ». رواه الشافعي والحميدي والطيالسي وأحمد وأبو داود وابن أبي عاصم والطحاوي والبيهقي بإسناد صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

ومعنى الحديث كما قال الإمام الشافعي[3] ـ عندما سأله الإمام سفيان ابن عُيينة رحمهما الله تعالى ـ : كان العرب إذا لم تر طائراً سانحاً ، فرأى طيراً في وكره ، حرَّكه من وكره ليطيِّرَه ، لينظر أيسلك طريقَ الأشائم ، أو طريقَ الأيامن ، فيشبه قول النبيِّ ﷺ : « أقرّوا الطيرَ في مكناتها » أي لا تحرِّكوها ، فإنَّ تحريكَها ، وما تعملون به من الطِّيَرَة ؛ لا يصنع شيئاً ، وإنما يصنع فيما

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٨٤) والطبقات الكبرى (٧ : ٤٨) والتاريخ الكبير (٤ : ١٨٤ مطوّلاً) والمعجم الكبير (٧ : ١١٤) وكشف الأستار (٢ : ٢٧٣) والسنن الكبرى (٨ : ١٤) ومجمع الزوائد (٥ : ١٦٨ ، ٢٥٩) (٨ : ١٩٦).

وقوله ﷺ : « لا يعبطوا بها ضروع ... » أي لا يخدشوا ضروع مواشيهم .

(٢) السنن (٢ : ٦٢رقم٤١٠) ومسند الحميدي (١ : ١٦٧رقم٣٤٧) ومسند الطيالسي (٢٢٧رقم ١٦٣٤) ومسند أحمد (٦ : ٣٨١) وسنن أبي داود : كتاب الأضاحي : باب في العقيقة ، رقم (٢٨٣٥) وشرح مشكل الآثار (٢ : ٢٥٨رقم ٧٨٨) والآحاد والمثاني (٦ : ٧٢) والمعجم الكبير (٢٥ : ١٦٧ ـ ١٦٨) وشرح السنة (١١ : ٢٦٥) والتمهيد (٤ : ٣١٥) وحلية الأولياء (٩ : ٩٤ ـ ٩٥) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٤٩٥) والمستدرك (٤ : ٢٣٧) والسنن الكبرى (٩ : ٣١١) والسنن الصغير (٢ : ٢٣١) ومجمع الزوائد (٥ : ١٠٦).

(٣) السنن (٢ : ٦٤).

تتوجّهون له : قضاءُ الله عز وجل.اهـ.

١٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن التمثيل بالبهائم ، ولعنه ﷺ من يفعل ذلك أيضاً .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لعن الله من مثَّل بالبهائم ». رواه البخاري ـ تعليقاً ـ وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد والدارمي والنسائي في آخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن عبد الله بن يزيد رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ أنه نهى عن النُّهبة والمثْلة . رواه البخاري[2].

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال : مرَّ رسول الله ﷺ على ناسٍ وهم يرمون كبشاً بالنبل . فكره ذلك ، وقال : « لا تُمَثِّلوا بالبهائم ». رواه النسائي بإسناد صحيح[3].

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من مثَّل بذي روح ، ثم لم يتب : مثَّل الله به يوم القيامة ». رواه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الذبائح والصيد : باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة . ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٤٥٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٥ : ٣٩٧ـ٣٩٨) ومسند أحمد (٢ : ١٣ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ١٠٣) وسنن الدارمي (٢ : ١٠) وسنن النسائي : كتاب الضحايا : باب النهي عن المجثِّمة (٧ : ٢٣٨) وشرح معاني الآثار (٣ : ١٨٢) ومسند أبي عوانة (٥ : ٥٣) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٤٣٤) والمستدرك (٤ : ٢٣٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٨٧).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٣) سنن النسائي : كتاب الضحايا : باب النهي عن المجثِّمة (٧ : ٢٣٨) والسنن الكبرى له (٣ : ٧٢).

أحمد ، وقال الحفاظ المنذري والهيثمي وابن حجر : رجاله ثقات[1].

وعن مالك بن نضلة رضي الله تعالى عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ ، وأنا قشف الهيئة ، فقال : « هل لك من مال ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « من أي المال ؟ » قال : قلت : من كلِّ المال ؛ من الإبل والرَّقيق والخيل والغنم . فقال : « إذا آتاك الله مالاً فلْيُرَ عليك ».

ثم قال : « هل تُنتَجُ إبلُ قومك صحاحاً آذانُها ، فتعمد إلى موسى فتقطع آذانَها ، فتقول : هذه بُحُر ، وتشقَّها أو تشقَّ جلودَها ، وتقول : هذه صُرُمٌ ، وتُحرِّمَها عليك وعلى أهلك ؟ » قال : نعم . قال : فإن ما آتاك الله عز وجل لك حِلٌّ . وساعدُ الله أشدُّ ، وموسى الله أحدُّ ». رواه عبد الرزاق والطيالسي والحميدي وأحمد والطحاوي والطبري في آخرين ، وصحّحه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٩٢ ، ١١٥) والمعجم الأوسط (٧ : ٢١١) والترغيب والترهيب (٢ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٢) (٦ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠) ومجمع البحرين (٤ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥) وفتح الباري (٩ : ٦٤٤).

(٢) مسند الطيالسي (١٨٤رقم١٣٠٣ ، ١٣٠٤) ومصنف عبد الرزاق (١١ : ٢٦٩) ومسند الحميدي (٢ : ٣٩٠ ـ ٣٩٢ مطولاً) ومسند أحمد (٣ : ٤٧٣) (٤ : ١٣٦ ـ ١٣٧) وتفسير الطبري (١١ : ١٢١ ـ ١٢٢ ، ١٢٢) وشرح مشكل الآثار (٨ : ٤٣ ـ ٤٦من طرق) وتفسير ابن أبي حاتم (٤ : ١٢٢٠) والمعجم الكبير (١٩ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، ٢٨٠ ـ ٢٨٣من طرق) وشرح السنة (١٢ : ٤٧ ـ ٤٨) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٤٣٢) والمستدرك (١ : ٢٤ ـ ٢٥) (٤ : ١٨١) والسنن الكبرى (١٠ : ١٠) وشعب الإيمان (٦ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٢) وانظر الدر المنثور (٣ : ٢١١) وقد روى أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم أول الحديث .

١٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن صبر الحيوانات ، وإتخاذها غرضاً ، ولعنه ﷺ من يفعل ذلك ، لأنه يعذِّب ذوات الأرواح من مخلوقات الله تعالى

فعن هشام بن زيد بن أنس قال : دخلت مع جدّي أنس بن مالك دارَ الحكم بن أيوب ، فإذا قومٌ قد نصبوا دجاجةً يرمونها . قال فقال أنس : نهى رسول الله ﷺ أن تُصبَرَ البهائمُ . متفق عليه(١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ قال : « لا تتخذوا شيئاً فيه الرُّوحُ غرضاً ». رواه مسلم(٢).

وعن سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى قال : مرَّ ابنُ عُمَر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً [دجاجةً] وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابنَ عُمَر تفرَّقوا . فقال ابنُ عُمَر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا . إن رسول الله ﷺ لعن من اتَّخذ شيئاً فيه الرُّوحُ غرضاً . متفق عليه(٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يُقتل شيءٌ من الدّواب صبراً . رواه مسلم(٤).

(١) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الصيد والذبائح : باب النهي عن صبر البهائم ، رقم (٥٨).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٨م) وذكره البخاري في الكتاب والباب السابقين ، تعليقاً ، ولم يسق لفظه .

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٩).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٠).

١٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : تحذيره ﷺ من قتل الحيوان المأكول اللحم بغير قصد أكله ، لأنه سيحاسبه يوم القيامة .

فعن الشريد بن سُويد رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قتل عصفوراً عبثاً ؛ عجَّ إلى الله عز وجل يوم القيامة منه ، يقول : يا ربّ ؛ إن فلاناً قتلني عبثاً ، ولم يقتلني لمنفعة ». رواه أحمد والنسائي وابن أبي عاصم والطبراني ، وصححه ابن حبان[1]. وشاهده الحديث التالي .

وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل عصفورةً فما فوقها بغير حقّها : سأله الله عز وجل عن قتلها » قيل : وما حقُّها يا رسول الله ؟ قال : « يذبحُها فيأكلُها ، ولا يقطعُ رأسَها فيرمي بها ». رواه الشافعي والطيالسي والحميدي وأحمد والدارمي والنسائي وصححه الحاكم وأقره الذهبي[2]. وشاهده الحديث السابق .

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٨٩) وسنن النسائي : كتاب الضحايا : باب من قتل عصفوراً بغير حقها (٧ : ٢٣٩) والسنن الكبرى (٣ : ٧٣) ومعجم الصحابة (١ : ٣٤٣) وشرح مشكل الآثار (٢ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠) والآحاد والمثاني (٣ : ٢١٤) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٢١٤) والمعجم الكبير (٧ : ٣٧٩ من طريقين) والكنى للدولابي (١ : ١٧٥) وتاريخ بغداد (٨ : ١١) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٣) والترغيب والترهيب (٢ : ٢٧٩).

(٢) الأم (٤ : ١٦١ ـ ١٦٢ ، ١٧٥) السنن له (٢ : ٢١١ رقم ٥٩١) والمسند (٣١٥) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٤٥٠) ومسند الطيالسي (٣٠١ رقم ٢٢٧٩) ومسند الحميدي (٢ : ٢٦٨) ومسند أحمد (٢ : ١٦٦ ، ١٩٧ ، ٢١٠) وسنن الدارمي (٢ : ١١) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٢٠٨ ، ٧٠٣) وسنن النسائي : كتاب الصيد : باب إباحة أكل العصافير ، وفي الكتاب والباب السابقين (٧ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ٢٣٩) والسنن الكبرى (٣ : ٧٣) والبحر الزخار (٦ : ٤٣٣) ومسند ابن الجعد (٢٤٥رقم١٦٢٠) وشرح مشكل الآثار (٢ : ٣٢٩) والمستدرك (٤ : ٢٣٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٨٦ ، ٢٧٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٣) وشرح السنة =

١٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : أمره ﷺ بركوب الدّواب سالمة ، أو تركها سالمة ، ولا يتخذوها منابر أو كراسي يجلسون عليها .

فعن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « اركبوا هذه الدّوابَ سالمةً ، أو ايتَدِعوها سالمةً ، ولا تتخذوها كراسي ». رواه أحمد والدارمي والطبراني والبيهقي ، وصححه الحاكم وابن خزيمة وأقره الذهبي[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إياكم أن تتخذوا ظهور دوابِّكم منابر ، فإن الله سخّرها لكم لتُبْلغَكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشق الأَنْفُس ، وجعل لكم الأرضَ ، فعليها فاقضوا حوائجَكم ». رواه أبو داود والطحاوي والبيهقي والبغوي بإسناد صحيح[2].

وقد مر حديث سهل بن الحنظلية رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله ﷺ :

= (١١ : ٢٢٥) والترغيب والترهيب (٢ : ٢٧٩) وانظر تعليقي على السنن .

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٣٩ ـ ٤٤١) (٤ : ٢٣٤) وسنن الدارمي (٢ : ١٩٧) وشرح مشكل الآثار (١ : ٣١رقم٤٠) والمعجم الكبير (٢٠ : ١٩٣رقم٤٣١ ـ ٤٣٢) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٤٢) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٤٣٧) والمستدرك (١ : ٤٤٤) (٢ : ١٠٠) والسنن الكبرى (٥ : ٢٥٥) والآداب (٤٢٨ رقم ٩٣٥) وبغية الباحث (٢ : ٨٣٨ ـ ٨٣٩) ومجمع الزوائد (٨ : ١٠٧) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٢١) وعزاه لأبي يعلى .

وقوله ﷺ : « ايتدعوها » أي اتركوها ، ورفِّهوا عنها إذا لم تحتاجوا إلى ركوبها . اهـ من النهاية لابن الأثير .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في الوقوف على الدّابة ، رقم (٢٥٦٧) وشرح مشكل الآثار (١ : ٣٠ ، ٣١ رقم ٣٨ ، ٣٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٥٥) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٤ ـ ٤٨٥) والآداب (٤٠٧ رقم ٩٣٤) وشرح السنة (١١ : ٣٢).

« ...فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة ».

والمراد بعدم جعلها منابر : بأن يستوطن الراكبُ دابَّتَه ، ويتخذها مقعداً ، من غير حاجة إلى ذلك ، فيتعبها ، أما إذا كان بقصد السير ، أو إعلام الناس ما يحتاج إلى إعلامه ، ولم يكن عنده منبر يصعد عليه فذاك جائز ، والله تعالى أعلم .

١٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : حثُّه ﷺ على إعطاء الدواب حقها من الكلأ والسير ، فإن سار في الخصب فليترك لها المجال في الرعي ، وإن سار في الجدب فليسرع ، حتى لا تنقطع لعدم وجود المرعى .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبلَ حظَّها من الأرض ، وإذا سافرتم في السَّنَةِ [فأسرعوا عليها السيرَ] وبادروا بها نِقْيَها ، وإذا عَرَّستُم فاجتنبوا الطريقَ ، فإنها طرُقُ الدَّوابِ ، ومأوى الهوامِّ بالليل ». رواه مسلم(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا أخصبت الأرض فانزلوا عن ظهركم ، فأعطوه حقَّه من الكلأ ، وإذا أجدبت الأرض فامضوا عليها بنِقْيِها ». رواه أبو داود والبزار وأبو يعلى والطحاوي في آخرين ، وصحّحه ابن خزيمة والحاكم والضياء(٢). وعند بعضهم تتمته

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب مراعاة مصلحة الدواب في السير ،... رقم (١٧٨).

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في سرعة السير والنهي عن التعريس في الطريق ، رقم (٢٥٧١) ومسند أبي يعلى (٦ : ٣٠١) والبحر الزخار (١٣ : ١٣٠) وكشف الأستار (٢ : ٢٧٥ ـ ٢٧٧) وشرح مشكل الآثار (١ : ١٠٦رقم ١١٣) وصحيح ابن خزيمة (٢ : =

فقط .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا سافرتم في الخصب فأمكنوا الرِّكابَ من أسنانها ، ولا تُجاوزا المنازل ، وإذا سرتم في الجدب فاستجدّوا ، وعليكم بالدُّلجة ،...». الحديث ، رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن خزيمة ، ورواه عبد الرزاق مرسلاً ، وروى ابن أبي شيبة قصة تغول الغيلان منه[1].

وقد ورد من حديث عبد الله بن عباس وعبد الله بن مغفَّل رضي الله تعالى عنهم أيضاً في آخرين .

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « استوصوا بهذه العجم خيراً ، أن تنزلوا بها منازلَها ، فإذا أصابتكم سَنَةٌ أن تنجوا عليها بنِقْيِها ». رواه الحارث برجال ثقات ، لكن فيه انقطاع ، وفي الحديث قصة ، وقد روى أحمد والبيهقي بعضها ـ من وجه آخر ، بسند

= ١٤٧) والمستدرك (١ : ٤٤٥) (٢ : ١١٤) وتاريخ بغداد (٨ : ٤٢٩) وحلية الأولياء (٩ : ٢٥٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٥٦) والمختارة (٢٦ : ١٢٣ ـ ١٢٤) (٧ : ١٩٤ ـ ١٩٥ ، ١٩٥) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٢٢ ـ ٢٣) والمطالب العالية (٢ : ٣٢٠) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١٣) (٥ : ٢٥٧).

(١) مصنف عبد الرزاق (٥ : ١٦٠ ـ ١٦١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٣٩٧) ومسند أحمد (٣ : ٣٠٥ ، ٣٨١ ـ ٣٨٢) وسنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٥٧٠) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ٩٥٥مختصراً) وسنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب النهي عن النزول على الطريق ، رقم (٣٧٧٢مختصراً) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٤٤ ، ١٤٥) ومسند أبي يعلى (٤ : ١٥٣) وعمل اليوم والليلة لابن السني (رقم ٥٢٣) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٢٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١٣).

حسن ـ مرفوعاً ، وشاهده ما سبق ، فهو به حسن[1].

ومعنى الحديث : الحث على الرفق بالدواب ، ومراعاة مصلحتها ، فإن سافروا في الخصب ، قلّلوا السَّيرَ ، وتركوها ترعى في بعض النهار ، وفي أثناء السير ، فتأخذ حظَّها من الأرض بما ترعاه منها . وإن سافروا في القحط عجَّلوا السَّيْرَ ليصلوا المقصد وفيها بقية من قوتها ، ولا يقلِّلوا السيرَ فيلحقها الضرر ، لأنها لا تجد ما ترعى فتضعف ويذهبُ نِقْيُها ، وربما كلَّت ووقفت .اهـ من شرح صحيح مسلم[2].

١٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن لعن الدابة ، وعدم موافقته أن ترافقهم دابَّةٌ ملعونة .

فعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وامرأةٌ من الأنصار على ناقة ، فضَجِرت فلعنتْها ، فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ ، فقال : « خذوا ما عليها ، ودعوها ، فإنها ملعونة ».

قال عمران : فكأني أراها الآن تمشي في الناس ، ما يَعرض لها أحد . رواه مسلم[3].

وعن أبي بَرزَة الأسلمي رضي الله عنه قال : بينما جارية على ناقة عليها

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٤٤١) وبغية الباحث (٢ : ٨٣٨ رقم ٨٨٥) وشعب الإيمان (٤ : ٣٠٢ـ ٣٠٣) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٢١) والمطالب العالية (٢ : ٣١٩) وانظر الجامع الصغير ، وفيض القدير (٥ : ٣٢١).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٣ : ٦٩).

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدّواب وغيرها ، رقم (٨٠ـ ٨١).

بعضُ متاع القوم ؛ إذ أبصرت بالنبي ﷺ ، وتضايق بهم الجبل ، فقالت : حَل ، اللهم العَنْها . قال : فقال النبيُّ ﷺ : « لا تصاحبنا ناقةٌ عليها لعنةٌ ». رواه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان النبيُّ ﷺ في سفرٍ يسير ، فلعن رجلٌ ناقةً . فقال : « أين صاحب الناقة ؟ » فقال الرجلُ : أنا . قال : « أخِّرْها ، فقد أُجِبتَ عليها ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي والطحاوي ، برجال الصحيح(٢).

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بَطْن بُواطٍ ، وهو يطلب المجدِيَّ بنَ عَمْرٍو الجهنيَّ ، وكان الناضح يعقُبُه منا الخمسةُ والسِّتَّةُ والسَّبعةُ ، فدارت عُقبةُ رجل من الأنصار على ناضح له ، فأناخه ، فركبه ، ثم بعثه فتلدَّن عليه بعضُ التَّلَدُّن . فقال له : شأ ، لعنك الله . فقال رسول الله ﷺ : « من هذا اللاعنُ بعيرَه ؟ » قال : أنا ، يا رسول الله ، قال : « انزِل عنه ، فلا تصحبنا بملعون ، لا تَدْعوا على أنفسكم ، ولا تَدْعوا على أولادكم ، ولا تَدْعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءٌ ، فيستجيبُ لكم ». رواه مسلم(٣).

والأحاديث في النهي عن لعن الدواب كثيرة .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٢ ـ ٨٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٦٧٣ ـ ٦٧٤) ومسند أحمد (٢ : ٤٢٨) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٢٥٢) وشرح مشكل الآثار (٩ : ١٧١) ومساوئ الأخلاق (٤٧ رقم ٧٣) ومجمع الزوائد (٨ : ٧٧).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الزهد : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليَسَر ، رقم (٣٠٠٩).

١٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن لعن أو سب أو حرق ما كان سبباً في نفع المسلمين ، فمن كان سبباً في ذلك فلا يجوز لعنه ، كالدّيك الذي يوقظ للصلاة ، فيقدِّم خدمةً جليلةً للمسلم .

فعن زيد بن خالد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبّوا الدِّيكَ ، فإنه يدعو إلى الصلاة ». رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حُميد والنسائي وابن حبان والبغوي .

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : لعن رجل ديكاً صاح عند رسول الله ﷺ ، فقال النبيُّ ﷺ : « لا تلعنه ، فإنه يدعو إلى الصلاة ». رواه عبد الرزاق والحميدي وأحمد وأبو داود والطبراني والبغوي ، بإسناد صحيح ، وصحّحه أبو حاتم وغيره[1].

وقد ورد نحو الروايتين عن عدد من الصحابة ؛ كابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله تعالى عنهم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ نزل

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١١ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣) ومسند الطيالسي (١٢٩رقم ٩٥٧) ومسند الحميدي (٢ : ٣٥٦ رقم ٨١٤) ومسند أحمد (٤ : ١١٥) (٥ : ١٩٢ ـ ١٩٣) ومسند عبد بن حُميد (١١٧رقم ٢٧٨) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في الدّيك والبهائم ، رقم (٥١٠١) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٢٣٤) وعمل اليوم والليلة له (٥٢٥ رقم ٩٤٥) والبحر الزخار (٩ : ٢٢٥) وكشف الأستار (٢ : ٤٣٣ ـ ٤٣٤) والمعجم الكبير (٥ : ٢٧٥ ، ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وحلية الأولياء (٦ : ٣٤٦) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٣٧ ـ ٣٨) والجعديات (٢ : ١٠٣٣) وشرح السنة (١٢ : ١٩٩) وشعب الإيمان (٤ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٢٩٩) وعلل الحديث (٢ : ٣٤٥) ورياض الصالحين (٦٥٥ رقم ١٧٢٨).

منزلاً ، فانطلق لحاجته ، فجاء ، وقد أحرق رجلٌ على قريةِ نملٍ ـ إما في شجرة ، وإما في الأرض ـ فقال رسول الله ﷺ : « من فعل هذا ؟ » فقال رجلٌ من القوم : أنا . فقال رسول الله ﷺ : « أطفئها ، أطفئها ».

زاد في رواية « إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلّا ربُّ النار ». رواه الطيالسي وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي والطبراني والشاشي بإسناد صحيح[1].

٢٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن وسم وجه الدابة ، ومن شدة انزعاجه ﷺ من ذلك الفعل لعنه من يُقدم على ذلك . لأن في ذلك تشويهاً لشكله ، وشدةَ إيذاء له أيضاً ، ثم لأن أكرم شيء في المخلوق وجهه ، وكرامة الدّابة وجهها .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ مر عليه حمارٌ قد وُسم في وجهه ، فقال : « لعن الله الذي وسمه ». رواه مسلم[2].

وعنه رضي الله تعالى عنهما ، أن النبيَّ ﷺ رأى حماراً قد وُسِم في وجهه ، فقال : « ألَمَ أَنْهَ عن هذا ؟ لعن الله من فعله ». رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود وأبو يعلى والبيهقي ، وصححه ابن حبان[3].

---

(١) مسند الطيالسي ، رقم (٣٤٥) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٢١٣) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في كراهية حرق العدو بالنار ، وكتاب الأدب : باب في قتل الذر ، رقم (٢٦٧٥ ، ٥٢٦٨) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ١٨٣) ومسند الشاشي (١ : ٣٢ رقم ٢٨٣) والمعجم الكبير (١٠ : ٢١٨) والبحر الزخار (٥ : ٣٧٨ مختصراً) ورواه بعضهم ضمن حديث الحُمَّرة ، الآتي في آخر الفصل ، إن شاء الله تعالى .

(٢) صحيح مسلم : كتاب اللباس : باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ، ووسمه فيه ، رقم (١٠٧).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٨٤٥١) ومسند أحمد (٣ : ٣٢٣) والأدب المفرد (٧٤ رقم ١٧٥) =

زاد البخاري في روايته ـ في الأدب المفرد ـ « لا يَسِمَنَّ أحدٌ الوجهَ ، ولا يضربَنَّه ».

ففي هذا النص : دلالةٌ على سبْق نهيه ﷺ عن ذلك . ويدل على ذلك :

عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : رأى رسول الله ﷺ حماراً موسومَ الوجه ، فأنكر ذلك . قال : فوالله ، لا أسمه إلّا في أقصى شيء من الوجه . فأمر بحمار له فكُوي في جاعرتيه ، فهو أول من كوى الجاعرتين . رواه مسلم[1].

وعنه رضي الله تعالى عنهما ، أن العباس رضي الله تعالى عنه وسم بعيراً أو دابةً في وجهه ، فرآه النبيُّ ﷺ ، فغضب . فقال عباسٌ : لا أسمه إلّا في آخره . فوسمه في جاعرتيه . رواه ابن حبان والبيهقي بإسناد صحيح[2].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[3]: أما الوسمُ في الوجه فمنهيٌّ عنه بالإجماع للحديث ،... وأما وسمُ غير الوجه من غير الآدمي : فجائزٌ بلا خلاف عندنا ، لكن يستحب في نعم الزكاة والجزية ، ولا يُستحب في غيرها ، ولا ينهى عنه.اهـ.

٢١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : نهيه ﷺ عن التحريش بين البهائم ، وتهييج بعضها على بعض ، لأن في ذلك إيلاماً

= وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب النهي عن الوسم في الوجه والضرب في الوجه ، رقم (٢٥٦٤) ومسند أبي يعلى (٢٠٩٩ ، ٢١٤٨) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٤٤٣) والسنن الكبرى (٧ : ٣٥).

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٨).

(٢) صحيح ابن حبان (١٢ : ٤٤٠ ـ ٤٤١) والسنن الكبرى (٧ : ٣٥ ـ ٣٦ ، ٣٦).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٤ : ٩٩).

وإتعاباً لها ، وتعليمها على العدوان ، فأين دعاة الحضارة والرفق بالحيوان ، من مصارعة الثيران ، ومصارعة الكباش والديوك ، ومقاتلة الكلاب ؟؟؟

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم . رواه أبو داود والترمذي والطبراني والبيهقي[1].

٢٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : إخباره ﷺ عن القصاص يوم القيامة بين الحيوانات ، بحيث يُقتص للشاة الجمّاء التي لا قرن لها من الشاة القرناء ، التي نطحتها في الدنيا ، فإذا كان هذا في الحيوانات فكيف بين الإنسان والحيوان ؟؟؟

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « لتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يومَ القيامة ، حتى يُقادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ». رواه مسلم[2].

وهذا القصاص بالنسبة للحيوان هو قصاص مقابلة ، لأنه لا تكليف عليها ، فكيف إذا كان الظالم هو الإنسان المكلَّف ، المأمور بالعدل ؟

٢٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : أنه ﷺ إذا كان في السفر وصلّى الصبح : مشى على قدميه ، ويترك الرواحل تمشي من غير ركوب عليها ، لأنه أنشط لها ، وأسهل عليها في الحركة ، كما أنه أنشط له من أن يبقى راكباً ، فيتحرّك الدم في رجليه وجسده ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في التحريش بين البهائم ، رقم (٢٥٦٢) وسنن الترمذي : كتاب الجهاد : باب ما جاء في كراهية التحريش بين البهائم ، رقم (١٧٠٨) والمعجم الكبير (١١ : ٨٥) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٢) وفي إسناده ضعف .

لكن قال الترمذي : وفي الباب عن طلحة وجابر وأبي سعيد وعكراش بن ذُؤيب. اهـ.

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٦٠).

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان إذا صلّى الغداة في السفر مشى . رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء بإسناد صحيح[1].

٢٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : أنه ﷺ كان يكرم الخيل ، فيمسح وجه الفرس ، ويلوي ناصيته بأصبعه ، كما كان يعطف على غيرها ويرحمها ويفهم كلامها ، ويأمر بذلك أيضاً .

فعن رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنه قال : أصبح النبيُّ ﷺ وهو يمسح عَرْف فرسه ،... رواه مسدد برجال ثقات[2].

وعن عروة البارقي رضي الله تعالى عنه قال : رُئي النبيُّ ﷺ يمسح خدَّ فرسه ،... رواه الطيالسي برجال ثقات[3].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : رأيت النبيَّ ﷺ يمسح وجه فرسه بكُمِّه . رواه الحارث ورجاله ثقات[4].[5].

---

(١) المعجم الأوسط (٧ : ٩٢) وحلية الأولياء (٨ : ١٨٠) السنن الكبرى (٥ : ٢٥٥) والآداب (٤٢٨رقم ٩٣٦) ومجمع البحرين (٣ : ١٩٨ ـ ١٩٩) والمختارة (٧ : ٢٧١ ، ٢٧١ ـ ٢٧٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١٥).

(٢) المطالب العالية (٢ : ٣٢٢) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٢٩٢).

(٣) مسند الطيالسي (١٤٢رقم ١٠٥٩) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٢٩٢) والمطالب العالية (٢ : ٣٢١) ورواه مالك والطيالسي من حديث يحيى بن سعيد مرسلاً ، لكن وصله الطيالسي في الطريق الثاني الذي ذكرتُه .

(٤) بغية الباحث (٢ : ٦٧٥ ـ ٦٧٦) والمطالب العالية (٢ : ٣٢٢) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧) وفيه خطأ .

(٥) انظر : مسند أحمد (٤ : ٣٤٥) وسنن النسائي : كتاب الخيل : باب ما يستحب من شية =

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال : ركب رسول الله ﷺ بغلتَه وأردفني خلفه ، وكان رسول الله ﷺ إذا تبرَّز كان أحبَّ ما تبرَّز فيه هدفٌ يستتر به أو حائش نخلٍ ، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار ، فإذا فيه ناضحٌ له ، فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ وذرفتْ عيناه ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه وسَراتَه ، فسكن ، فقال : « من ربُّ هذا الجمل ؟ » فجاء شابٌّ من الأنصار فقال : أنا . فقال : « ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها ، فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئبه ،... ». الحديث ، رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وأبو عوانة بإسناد صحيح ، وصحّحه الحاكم ، وأقره الذهبي ، وصححه الضياء ، وعزاه الإمام النووي للبرقاني بإسناد مسلم[1].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصيةَ الفرس بإصبعه ، وهو يقول : « الخيلُ معقود بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة ،... ». رواه مسلم[2].

= الخيل (٦ : ٢١٨) والسنن الكبرى له (٣ : ٣٧) والمعجم الكبير (٢٢ : ٣٨٠ ـ ٣٨١) ومسند أبي يعلى (١٣ : ١١٤ ـ ١١٥) والتمهيد (١٤ : ١٠٢) والكنى للدولابي (١ : ٥٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٣٣٠) لحديث أبي وهب ـ وكانت له صحبة ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ارتبطوا الخيلَ ، وامسحوا بنواصيها وأكفالها ،... ».

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٩٣) ومسند أحمد (١ : ٢٠٤ ، ٢٠٥) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ، رقم (٢٥٤٩) ومسند أبي يعلى (١٢ : ١٥٧ ـ ١٥٩) ومسند أبي عوانة (١ : ١٦٨) والمستدرك (٢ : ٩٩ ـ ١٠٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٣) ودلائل النبوة (٦ : ٢٦) ورياض الصالحين (٤٠٤ ـ ٤٠٥) وروى مسلم أول الحديث .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، رقم (٩٧).

٢٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : حثُّه ﷺ على الرفق بالسير بها ، وتنشيطها بالحداء ، حتى لا تمل ، ولا تشعر بالتعب والإرهاق .

فعن عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه ، أنه كان مع رسول الله ﷺ في مسير له . فقال له : « يا ابن رواحة ؛ انزل فحرِّك الرِّكاب » قال : يا رسول الله ؛ قد تركتُ ذاك . فقال عمر : اسمع وأطع . قال : فرمى بنفسه ، وقال :

اللهم لولا أنتَ ما اهتدينا — وما تصدَّقنا وما صلَّينا
فأنزلن سكينةً علينا — وثبِّتْ الأقدامَ إن لاقينا

وإن أرادوا فتنةً أبينا .

رواه النسائي وابن السني والبيهقي[1].

وقد سبق ذكر حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وغلامٌ أسود يقال له : أنجشة ، يحدو . فقال له رسول الله ﷺ : « يا أنجشة ، رُويدك ، سوقاً بالقوارير ». متفق عليه.

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : كان للنبي ﷺ حادٍ يقال له : أنجشة ، وكان حسنَ الصوت ، فقال له النبيُّ ﷺ : « رُويدك يا أنجشة ، لا

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (٥ : ٧٠) (٦ : ١٣٥ ـ ١٣٦) وعمل اليوم والليلة له (٣٦٠ ـ ٣٦١رقم٥٣٢) وعمل اليوم والليلة لابن السُّنّي (٣٠٦ رقم ٥١٢) والسنن الكبرى للبيهقي (١٠ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ورجاله ثقات ، لكن قيس بن أبي حازم رحمه الله تعالى من المخضرمين ، ويقال له رؤية ، لذا لم يلتق بابن رواحة رضي الله تعالى عنه الذي استشهد في مؤتة . لكن للحديث شواهد كثيرة ، ومنها ما يأتي ، فهو بها حسن .

تكسر القوارير ». يعني ضعفة النساء . متفق عليه .

٢٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : إخباره ﷺ بعدم الركوب على البقرة ، وأنها خلقت لغير الركوب ، إنما هو للحرث .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : صلى رسول الله ﷺ صلاةَ الصبح ، ثم أقبل على الناس فقال : « بينما رجل يسوق بقرة ، إذ ركبها ، فضربها [وفي رواية لهما : يسوق بقرة له ، قد حمل عليها ، التفتت إليه البقرة] فقالت : إنّا لَمْ نُخلق لهذا ، إنما خُلقنا للحرث ».

فقال الناس : سبحان الله [تعجُّباً وفزعاً] بقرةٌ تكلَّمُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ». متفق عليه[1].

٢٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : أمره ﷺ بحدِّ الشَّفرة عند الذبح ، لكن من غير أن تراه الدّابَّةُ ، وإراحتها عند الذبح ، وإجهازه عليها ، ولا يقطع بعض أوداجها ويتركها تتعذّب ، ولا يذبح بعض الدّواب أمام بعض .

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : ثنتان حفظتُهما عن رسول الله ﷺ . قال : « إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيء ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ ، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذَّبحَ ، وليُحِدَّ أحدُكم شفرتَه ، فليرِح ذبيحتَه ». رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه ، رقم (١٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصيد والذبائح : باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد =

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : مر رسول الله ﷺ على رجل واضعٍ رجلَه على صفحة شاة ، وهو يُحِدُّ شفرتَه ، وهي تلحظ إليه ببصرها . فقال النبيُّ ﷺ : « أفلا قبل هذا ؟ تريد أن تُميتها موتتين ».

وعند الحاكم : « أتريد أن تُميتَها موتات ؟ هلّا حددتَ شفرتَك قبل أن تضجعَها ». رواه الطبراني برجال الصحيح ، وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ أمر بحَدِّ الشِّفار ، وأن تُوارى عن البهائم . وقال : « وإذا ذبح أحدُكم فليُجهز ». رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والبيهقي[2]. وشاهده ما سبق .

وقد كان العرب ـ حتى صدر الإسلام ـ يجبّون أسنمة الإبل ويقطعون أَليات الغنم ، ويأكلونها ، مع تركهم الدّابة تتعذب وتتألم ، فنهاهم ﷺ ، وأعلمهم أن ما يقطعونه هو بمثابة لحم الميتة .

فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينةَ ، وهم يجبّون أسنمةَ الإبل ، ويقطعون أَليات الغنم ، ويأكلون ذلك . فقال رسول الله ﷺ : « ما يُقطعُ من البهيمة وهي حيَّةٌ ، فهو ميتةٌ لا يُؤكل ». رواه أحمد والدارمي أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والطحاوي وابن الجارود في

= الشفرة ، رقم (٥٧).

(١) المعجم الكبير (١١ : ٣٣٢ ـ ٣٣٣) والمعجم الأوسط (٤ : ٥٣ ـ ٥٤) والمستدرك (٤ : ٢٣٣ ، ٢٣١) والترغيب والترهيب (٢ : ٢٧٨) ومجمع الزوائد (٤ : ٣٣) ومجمع البحرين (٣ : ٣٢٠).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٠٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الذبائح : باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، رقم (٣١٧٢) والمعجم الكبير (١٢ : ٢٨٩) والسنن الكبرى (٩ : ٢٨٠) وشعب الإيمان (٧ : ٤٨٣).

آخرين ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[1].

وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

٢٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : ما تعلَّمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من فعله ﷺ بحيث إنهم إذا كانوا في سفر فإنهم يبدؤون بحل الرحال وتنزيل ما عليها قبل التنفل بالصلاة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنا إذا نزلنا منزلاً ؛ لا نُسبِّح حتى نُحِلَّ الرِّحال . رواه أبو داود بإسناد صحيح[2].

٢٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالحيوان : ما يحصل من الحيوانات ، حيث إنها تشتكي إلى رسول الله ﷺ ، سوء معاملة الناس ، سواء من كثرة العمل ، أو الجوع ، أو ممن أخذ أفراخها ، أو ممن أخذ بيضها ، وذلك لعلمها به وبرحمته وإنصافه لها من الناس ، وقد تكرّر ذلك عدة مرات ، أقتصر على ثلاثة نماذج .

* عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال لبعض الأنصار ـ وقد جاء بعير له يشكوه إلى النبي ﷺ ، وأنه يُدئبُه في العمل ويُجيعه ـ : « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إياها فإنه

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٢١٨) وسنن الدارمي (٢ : ٢٠) وسنن أبي داود : كتاب الصيد : باب في صيدٍ قُطع منه قطعة ، رقم (٢٨٥٨) وسنن الترمذي : كتاب الأطعمة : باب ما قطع من الحي فهو ميت ، رقم (١٤٨٠) ومسند على بن الجعد (٤٣٤ رقم ٢٩٥٢) وشرح مشكل الآثار (٤ : ٢٣٧) والمنتقى لابن الجارود (٢٩٥رقم ٨٧٦) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٩٢) والمعجم الكبير (٣ : ٢٨٠) ومسند أبي يعلى (٣ : ٣٦) والمستدرك (٤ : ١٢٣ ـ ١٢٤ ، ٢٣٩) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٢٣) (٩ : ٢٤٥).

(٢) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في نزول المنازل ، رقم (٢٥٥١).

شكا إِلَيَّ أنك تُجيعه وتُدئبه ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وأبو عوانة بإسناد صحيح ، وصحّحه الحاكم ، وأقره الذهبي ، وصححه الضياء . وقد سبق ذكره في الفقرة السادسة .

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فمررنا بشجرة فيها فرخا حمّرة ، فأخذناهما . قال : فجاءت الحمّرةُ إلى رسول الله ﷺ ـ وهي تصيح ـ فقال النبيُّ ﷺ : « من فجع هذه بفرخيها ؟ » قال : فقلنا : نحن . قال : « فردوهما ». رواه أبو داود والبيهقي ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

* وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ نزل منزلاً ، فأخذ رجلٌ بيضَ حُمَّرة ، فجاءت ترف على رأس رسول الله ﷺ فقال : « أيُّكم فجع هذه ببيضتها ؟ » فقال رجل : يا رسول الله ؛ أنا أخذتُ بيضتَها . فقال النبيُّ ﷺ : « أُردده ، رحمةً لها ». رواه الطيالسي والبخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي[2].

وهناك أمور كثيرة تدخل في رحمة البهائم ، لكني اقتصرت إيثاراً للاختصار ، كيف لا وهو ﷺ رحمة للعالمين ، والبهائم من جملة العالمين ، ولذا قرّر ﷺ قواعد عامة ، « الراحمون يرحمهم الرحمٰن ، ارحموا من في الأرض

(١) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في كراهية حرق العدو بالنار ، رقم (٢٦٧٥) وكتاب الأدب : باب في قتل الذر ، رقم (٥٢٦٨) والمستدرك (٤ : ٢٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٣٢ ـ ٣٣) والشمائل لابن كثير (٢٨٩).

(٢) مسند الطيالسي (٤٤ رقم ٣٣٦) والأدب المفرد (١٣٨ ـ ١٣٩رقم ٣٨٤) والبحر الزخار (٥ : ٣٧٨ ـ ٣٧٩) والمعجم الكبير (١٢ : ٢١٨ ـ ٢١٩) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٧٥٨ ـ ٧٥٩ رقم ٥٣٩) وللبيهقي (٦ : ٣٢) والشمائل لابن كثير (٢٨٩).

يرحمكم من في السماء » وَ « من لا يرحم لا يُرحم » وَ « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » وهي شاملة لجميع المخلوقات .

وصلى الله تعالى وسلّم على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة ، وعلى آله وصحبه ، كلما ذكره الذّاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

* * * * *

الفصل العشرون

رحمته ﷺ بالكفار والأعداء في الدنيا[1].

لا أعلم في تاريخ البشرية ـ على جميع المستويات قديماً وحديثاً ـ من عامل الكافرين المعاندين ، حتى لو كانوا أعداءه الألداء ـ معاملة النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم . ابتداء من كونه ﷺ أماناً للخليقة كلِّها من عذاب الاستئصال ـ حتى بعد طلبهم الهلاك ـ وانتهاء بعدم قتله ﷺ من أراد اغتيالَه أو قتلَه أو سمَّه أو سحرَه ، وكذا عدم موافقته ﷺ على قتل من أساء إليه أو اعتدى عليه ، أو أراد قتله أو اغتيالَه ، مروراً بدعائه ﷺ لهم بالهداية ، والرزق ، والعفو عنهم ، وعدم الدعاء عليهم بالهلاك ،... إنما أمر بقتل من أراد إهلاكَ المسلمين ، أو القضاء على الدِّين ، أو على المسلمين ، أو ارتكب ما يوجب القصاص لو كان من المسلمين ،...الخ.

وقد أفردت هذا الموضوع في كتاب مستقل ، وذكرت من الأدلة الكثير الدّالة على شمول الرحمة المهداة لجميع الخلق بما فيهم الكفار ، أقتصر ـ في هذا الفصل ـ على ذكر بعض ما يتعلق بالكفار ، سواء كانوا مشركين وثنيين ، أو كفّاراً من أهل الكتاب ، أو كانوا من المنافقين . لكن سأقتصر على ذكر بعض العناوين ، وعلى ذكر بعض النصوص لكثرتها ، ومن أراد معرفة التفاصيل

---

(١) لقد أفردت هذا الفصل في رسالة مستقلة ، بناء على طلب عدد من الأخوة المسلمين من أمريكا ، وقد طُبع مستقلاً في (٤٠٠) صفحة . وأبقيت المختصر هنا على حاله من غير تغيير . لذا من أراد معرفة التفاصيل فلينظره .

فلينظر في الكتاب الذي أفردته عن ذلك ، ومن أهم المظاهر :

١ـ فمن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : أن جعل الله تعالى وجودَ نبيِّه الكريم ﷺ أماناً لهم من عذاب الاستئصال ، الذي كان يقع على الأمم السابقة ، بمخالفتها وعصيانها وكفرانها بأنبيائها ، لذا لن يقع عليهم عذابٌ يستأصل شأفتَهم ، حتى لو طلبوا هم ذلك .

قال الله جل جلاله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ نزلت عندما قال أبو جهل : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] كما في حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه[2].

فقد صار وجودُه ﷺ أماناً للبشرية كلها من الهلاك الذي كان يقع على الأمم السابقة . فما أوسع رحمة الله تعالى التي شملت الكفار بهذه الهدية .

٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : عدمُ موافقته ﷺ على القضاء على الكفار ، وذلك بإطباق مَلَك الجبال جبلَي مكة عليها وعلى من فيها ، فلا يبقى فيها أحد . لأن مثل هذا الفعل يتنافى مع الرحمة المهداة ، كما يتنافى مع تطلعات النبي المصطفى الكريم ﷺ ، الذي يرجو هدايةَ الخلق وإيمانَهم ، ولو كان على حساب شخصه الكريم ، فهو لا يريد قتلَهم ، كما أنه ﷺ لم يكن متعطِّشاً إلى رؤية الدماء والدمار ،

---

(١) سورة الأنفال (٣٣ ، ٣٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأنفال : باب ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ...﴾. وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾ ، رقم (٣٧).

ولكنه يصبر على الأذى في سبيل هداية الناس . فإذا لم يؤمن الجيل المعاصر له فإنه يأمل من الأجيال القادمة ـ ولو تباعدت ـ أن يُخرج الله تعالى من أصلابهم من يؤمن بالله تعالى وحده ولا يشرك به شيئاً .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : يا رسول الله ؛ هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحدٍ ؟ فقال : « ...وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة . إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن كُلال . فلم يجبني إلى ما أردتُ . فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ؛ فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل . فناداني ، فقال : إن الله عز وجل قد سمع قولَ قومِك لكَ وما ردّوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم . قال : فناداني مَلَكُ الجبال ، وسلَّم عليَّ ، ثم قال : يا محمد ؛ إن الله قد سمع قولَ قومِك لكَ ، وأنا مَلَكُ الجبال ، وقد بعثني ربُّك إليكَ لتأمرني بأمرك ، فما شئتَ ؟ إن شئتَ أن أُطبِق عليهم الأخشبين » [يعني : جبلي مكة] فقال له رسولُ الله ﷺ : « بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحده ، لا يشركُ به شيئاً ». متفق عليه[1].

إن ساعة الانتقام حلت ، والجراح ما زالت مثخنة ، والدم ما زال يسيل ،... ومع هذا يأبى نبيُّ الرحمة المهداة ﷺ أن ينتقم ، أو يُعذِّب أعداؤه على الأقل ، بل يطلب أن يبقون على قيد الحياة ، فإن لم يُسلموا هم ، لعل

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب إذا قال أحدكم : (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، رقم (١١١).

الله تعالى يُخرج من أصلابهم من يؤمن . فما أوسع هذه الرحمة ، وما أشملها ، بحيث له من الأمل الكبير أن يؤمن ما في أصلاب الأعداء ، ويصبر هو على إيذاء الأعداء ، فصلوات ربي وسلامه عليه ، ما أحلمه وأصبره وأبعد نظره ، وشدة تحمله ،...

لقد تحقق ما أمله ورجاه ، فقد أسلم جميعُ من في مكة ، سواء قبل الفتح أو بعده ، سوى نحو (١٣٠) رجلاً تقريباً ، ممن قُتلوا في كل الغزوات ، كما بينتُه في غير هذا الكتاب ، كما أسلم أهل الطائف إلّا من قُتل منهم يوم حُنين ـ وهم قلة ـ فصلوات ربي وسلامه عليه ، ما أرحمه وأحلمه وأصبره ، وأبعد نظره ، وشدة تحمُّله ،...

ولكي تتضح مدى الرحمة يقارن بين قوله ﷺ : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم » حيث لم يخصَّ صُلبَ جيل معين ؛ أهو الأول أو الثاني ،... وبين قول نوح عليه السلام : ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نجد الفارق الكبير بينهما ، والله تعالى أعلم .

٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : عدمُ دعائه ﷺ على المشركين الأعداء بالفناء ، وقد صدُّوه وكذَّبوه وعاندوه وآذوه ، وآذوا أصحابه رضي الله تعالى عنهم أشد الأذى . ومع هذا لم يدع عليهم بالهلاك ، وكيف يدعو عليهم بالهلاك وقد رفض طلبَ ملَك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين لإهلاكهم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قيل : يا رسول الله ؛ ادع على المشركين . قال : « إني لم أُبعث لعَّاناً ، وإنما بُعثتُ رحمةً ». رواه مسلم(١).

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، رقم (٨٧).

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قدم طُفَيلُ بنُ عَمْرٍو الدوسيُّ وأصحابُه على النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ؛ إن دَوساً عصت [وعند مسلم : قد كفرت] وأبت ، فادع اللهَ عليها . فقيل : هلكت دَوسٌ [فظن الناسُ أنه يدعو عليهم] فقال « اللهم اهد دَوساً وائتِ بهم ». متفق عليه[1].

نعم هو نبيُّ الرحمة ﷺ ، كما أخبر عن نفسه ، وهو نبيُّ الهداية واليسر ، وأن دينَه دينُ السماحة واليسر ، لذا يدعو لهم لا عليهم ، والله تعالى أعلم .

٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : دعاؤه ﷺ يوم أُحد بالعفوِ والمغفرة عن قومه ، الذين أسالوا دمَه الشريف ، وكسروا رباعيتَه ، وشجّوا جبهتَه ، وأوقعوه في الحفرة ، وأرادوا قتلَه ،... وقتلوا سبعين من كرام أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، ومع كلِّ هذا لم يدع عليهم ، بل اعتذر عنهم ، ودعا لهم بالعفو والمغفرة ، وأن يسامحهم الله تعالى .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كأني أنظر إلى النبي ﷺ ؛ يحكي نبيّاً من الأنبياء ضربه قومُه ، وهو يمسح الدمَ عن وجهه ، ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ». متفق عليه[2].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل غفار ،... ودوس وطيء ، رقم (١٩٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب غزوة أحد ، رقم (١٠٥).

قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »رواه الطحاوي والفسوي وابن حبان والطبراني والبيهقي برجال الصحيح[1].

قال الحافظ رحمه الله تعالى[2]: المراد بالمغفرة في الحديث ...: العفو عما جنوه عليه في نفسه ، لا محو ذنوبهم كلها ، لأن ذنب الكفر لا يمحى ، أو المراد بقوله : « اغفر لهم » اهدهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة ، أو المعنى : اغفر لهم إن أسلموا ، والله تعالى أعلم.اهـ.

قلت : ولو قيل : سامحهم واعف عنهم عما فعلوا ، وذلك لجهلهم أنه ﷺ رسول الله ، كما قال سهيل بن عمرو ـ قبل إسلامه ، وقد جاء مفاوضاً النبي الكريم ﷺ عن قريش ـ وقت الْحُدَيْبِيَةِ ـ كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة كالبراء وأنس وغيرهما رضي الله تعالى عنهم[3] ـ : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك ، ولاتبعناك[4]. كما سيأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

لذا لما عرفوه أنه رسول الله ﷺ أسلم كثير منهم قبل الفتح .

٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : ما

---

(١) شرح مشكل الآثار (٦ : ٢٨٧) والمعرفة والتاريخ (٣ : ٣٣٨) وصحيح ابن حبان (٣ : ٢٥٤) والمعجم الكبير (٦ : ١٤٦) وشعب الإيمان (٢ : ١٦٤) ودلائل النبوة (٣ : ٢١٥) ومجمع الزوائد (٦ : ١١٧).

(٢) فتح الباري (١١ : ١٩٦).

(٣) انظر صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ،... وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبية في الحديبية ، رقم (٩٠ـ٩٣).

(٤) انظر : أمية النبي الكريم ﷺ .

حصل يوم الْحُدَيْبِيَة ، لما بركت راحلته ، وقال أصحابه رضي الله تعالى عنهم : خلأت القصواء . قال ﷺ : « ما خلأت ، وما ذلك لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل ـ ثم قال ـ : والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّةً يُعظِّمون فيها حرمات الله إلّا أعطيتهم إياها » . كما رواه البخاري[1] .

لما قدم سهيل بن عمرو ، ليفاوض رسول الله ﷺ على الصلح ، أعطاه رسول الله ﷺ كلَّ ما شرط ، مع أن ظاهر تلك الشروط كانت مجحفةً في حق المسلمين ، ولكن رسول الله ﷺ يتَّبع ما يوحى إليه ، وما كان ليخالف أمرَ ربه تعالى ، إضافة إلى أن رحمته غلبت على عقول كثير من المسلمين ، ممن أنكر تلك الشروط .

وإلا كيف أعطاهم الشروطَ التي طلبوها ـ وهو المنتصر الغازي ـ أن يرجع ذلك العام ولا يدخل مكة ، ويأتيها في السنة القادمة ولمدة ثلاثة أيام ، ولا يحملون من السلاح شيئاً ، إلا السيوف في القُرب ، وأن لا يُخرج معه من المسلمين ممن يسكن مكة أحداً ، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم في مكة ، وأن من أتى رسولَ الله ﷺ من قريش يُرد إليهم ، ومن أتى قريشاً من المسلمين ـ مرتدّاً ـ لا يُرد إليهم ،...

فمثل تلك الشروط المجحفة ، والتي لم يرض بها الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وقد عبّر الفاروق رضي الله تعالى عنه عن ذلك بقوله : (فلِمَ نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا) ولكنها الرحمةُ التي ظهرت وبرزت بأكمل صورها وأجمل حللها ، ليتألف القوم ، حتى أسلموا بعد أقل من عامين . وأن المؤيَّدَ بالوحي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .

لا يخالف أمر ربِّه عز وجل ، وينظر ما لا يراه الناظرون ، وإن كانوا مُلهَمين مُحَدَّثِين ، والله تعالى أعلم .

٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : أنه لم يَقتل الذين حاولوا الغدرَ بالمسلمين يوم الحديبية ، وكانوا ثمانين رجلاً ، جاؤوا يلتمسون غِرّةَ المسلمين ؛ ليغدروا بهم ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ ، فأخذ الله تعالى بأبصارهم ، وقَبض عليهم المسلمون ، ولم ينج منهم أحد ، فعفا عنهم ، ولم يَقتل أحداً منهم ، مع أنهم جاؤوا بغير عهد ولا ميثاق ولا جِوار ، بل إنهم حاولوا الغدرَ بالمسلمين ، وكان عددُهم نحواً من ثمانين رجلاً ، ونزل مصداق ذلك في سورة الفتح .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن ثمانين رجلاً من أهل مكة ؛ هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلِّحين ، يريدون غِرّةَ النبيِّ ﷺ وأصحابه [فدعا عليهم] فأخذهم سَلَماً [يعني أسرهم من غير قتال] فاستحياهم [يعني : أبقاهم أحياء ولم يقتلهم] فأنزل الله عز وجل : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ...﴾[1] رواه مسلم[2]. والأحاديث في ذلك كثيرة ، انظرها في الكتاب المذكور .

٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : ما حصل يوم الفتح ؛ حيث حصلت عدةُ مظاهر لتلك الرحمة المهداة . كل واحد منها يدل على مدى رحمته ﷺ ، وأنه مسالم ، لا يحب الانتقام ، وما كان متعطِّشاً

(١) سورة الفتح (٢٤).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب قول الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ ، رقم (١٣٣).

لسفك الدماء، مع ما فعل به كفار قريش، وبأصحابه رضي الله تعالى عنهم. أشير إلى بعض تلك المظاهر باختصار شديد.

أ ـ لما قال سعد بن عبادة لأبي سفيان رضي الله تعالى عنهما: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة) وأخبر أبو سفيان رسولَ الله ﷺ بما قال سعد، قال ﷺ: « هذا يومٌ يعظِّمُ الله فيه الكعبةَ، ويوم تُكسى فيه الكعبة » كما عند البخاري.

وعند أهل المغازي: « اليومُ يومُ المرحمة، اليوم يُعزُّ الله فيه قريشاً »[1].

ب ـ لما قال سعد رضي الله عنه ما قال، وأخبر أبو سفيان رسول الله ﷺ بمقالته: نزع رسول الله ﷺ الرايةَ من سعد، وأعطاها لولده قيس، ثم نزعها من قيس ـ بطلب أبيه سعد ـ وأعطاها للزبير، وقيل: لعليٍّ، رضي الله تعالى عنهم. رحمةً بقريش، وخوفاً أن يعمل فيهم السيف.

ج ـ لما قال العباس رضي الله تعالى عنه لرسول الله ﷺ عن حال أبي سفيان رضي الله تعالى عنه ما قال، قال رسول الله ﷺ: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن » الحديث، كما رواه مسلم[2].

د ـ لقد نهى رسول الله ﷺ عن القتال يوم دخول الجيش إلى مكة ـ مع أن الله تعالى أباحها له ـ لأنه ﷺ يريد تطهيرها من الشرك والوثنية، وعودة أهلها إلى ما كانوا عليه من الحنيفية السمحة، ولا يريد قتلَ أهلها، وسفك

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح. وانظر فتح الباري (٨ : ٩).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير: باب فتح مكة، رقم (٨٤، ٨٦).

دمائهم . وقد ورد ذلك في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة ، أقتصر على ذكر رواية واحدة .

فعن أبي شُرَيح الخزاعي رضي الله تعالى عنه ، أنه قال لعَمْرو بن سعيد ـ وهو يبعث البعوث إلى مكة ـ : ائذن لي أيها الأمير ، أحدْثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغدَ من يوم الفتح ، سمعتْه أُذناي ، ووعاه قلبي ، وأبصرتْه عيناي ، حين تكلَّم به . أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن مكةَ حرَّمها الله ولم يُحرِّمها الناسُ ، فلا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضِد بها شجرةً . فإن أحدٌ ترخَّص بقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحُرمتها بالأمس ،... ». متفق عليه[1].

هـ ـ بعد أن دخل رسول الله ﷺ مكة بعد الفتح ، وجمع قريشاً ـ وهم يتوقعون القتلَ لِما فعلوا به ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ـ قال ﷺ لهم : « ما تظنون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : أخٌ كريم وابن أخ كريم . قال ﷺ : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ولهذا سمى رسول الله ﷺ هذا اليوم بيوم المرحمة .

لقد قالوا مستعطفين مسترحمين . وهم يعلمون ما فعلوا به وبأهله ﷺ ، حيث قتلوا ابنَ عمه عُبيدة رضي الله تعالى عنه في بدر ، وعمَّه حمزة رضي الله تعالى عنه في أُحد ، وفعلوا فيه ما فعلوا يوم أحد . ولكن العفو من شيم الكرام ، لذا عفا ﷺ عنهم جميعاً باستثناء عشرة .

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ليبلِّغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٤٦).

و ـ لقد كان النبي المصطفى الكريم ﷺ قد أهدر دماءَ بعض كفار قريش ؛ إما لشدة إيذائهم للمسلمين ، أو لأنهم ارتدوا عن الإسلام ، أو لأنهم كانوا قد قتلوا بعضَ المسلمين غدراً ، لذا وجب قتلهم قصاصاً ، وكان عدد من أهدر دمَهم (٩) وقيل (١٠) وهم ثمانية رجال وامرأتان .

ولم يُقتل من العشرة إلا أربعة ، ثلاثة رجال وامرأة ، وهم : عبد الله بن خطل ، والحويرث بن نُقَيد ، ومِقيس بن صبابة ، وإحدى جاريتَيْ ابن خطل ، وأما الباقي فقد قَبل إعلانهم لإسلامهم ، كعكرمة ابن أبي جهل ، وهبّار بن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ،... وغيرهم[1].

فكل هذا دال على شمول تلك الرحمة لجميع الخلق بما فيهم الكفار ، والله تعالى أعلم .

وهناك أمور أخرى لم أذكرها هنا ، وذكرتها في الكتاب المذكور فانظرها .

٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : دعاؤه ﷺ للكفار بالإغاثة حين قحطوا ، وتوقعوا الموت جوعاً .

وذلك : لما اشتد أذى كفار قريش وتعذيبهم للمسلمين المستضعفين ، وحاولوا افتنانهم عن دينهم ، دعا النبي المصطفى الكريم ﷺ عليهم أن يصيبهم القحط والجوع ، ولم يدع عليهم بالهلاك ، فلما أصابتهم دعوته ـ حتى رأوا الدخان ، وأكلوا العظام من الجوع ، وأيقنوا بالهلاك ،... ـ جاءه أبو سفيان ـ قبل إسلامه ـ وسأله الدعاء لهم : أخذت النبيَّ الكريمَ ﷺ الشفقةُ ، وأدركتهم الرحمةُ ، فدعا ﷺ لهم بالغيث ، فسُقوا ، وأغيثوا ، وفرّج الله تعالى عنهم ، ورفع الكربَ عنهم ، بعد ما حل بهم العقاب .

---

(١) انظر فتح الباري (٨ : ١١).

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجَهدٌ ؛ حتى جعل الرجلُ ينظرُ إلى السماء ، فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، وحتى أكلوا العظام ، فأتى النبيَّ ﷺ رجلٌ ، فقال : يا رسول الله ؛ استغفر الله لمضر .

[وفي رواية لهما : فأتاه أبو سفيان فقال : أي محمد ؛ إن قومك قد هلكوا ، فادع الله أن يكشف عنهم ـ وفي أخرى عند البخاري : يا رسول الله ؛ استسق لمضر ؛ فإنها قد هلكت] فقال : « لمضر ؟ إنك لجريء » قال : فدعا الله لهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾[1].

قال : فمُطِروا [وفي رواية للبخاري : فاستسقى ، فسُقوا]. متفق عليه[2].

لو كان ﷺ يريد الانتقام لم يدع لهم ، ولم يستسق ، ولم تأخذه الشفقة والرحمة والرأفة فيهم ، بل لزاد في الدعاء عليهم وإهلاكهم ، ولكنها الرحمة المهداة ، التي ترغب في تخليص الناس من عذاب الدنيا والآخرة .

فما أرحمه وأشفقه وأحلمه وأرأفه وأصفحه ، حيث تناسى ما فعلوا به وبأصحابه رضي الله تعالى عنهم ، ودعا لهم بالنجاة ، فاستجاب الله تعالى له .

٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : **أنه لم يقتل من سمَّه أو سحره أو حاول قتله أو اغتياله أو أساء إليه ،... بل لم**

---

(١) سورة الدخان (١٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط ، وكتاب التفسير : سورة الدخان : من الباب الثاني حتى الخامس . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب الدخان ، رقم (٣٩ ، ٤٠).

يعنِّف أحداً منهم ، ولم يأذن لمن استأذنه بقتلهم أن يقتلهم ، بل عفا عنهم جميعاً ، سواء كانوا من العرب الكفار الأعداء ، أو من اليهود الحاقدين ، أو من المنافقين المارقين ، والنصوص في ذلك كثيرة ، أشير إلى ذكر بعضها .

أ ـ لم يقتل ﷺ لبيد بن الأعصم المنافق حليف اليهود الذي سحره . كما في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، المتفق عليه[1].

والسحر ليس عامّاً ، إنما هو في جزئية صغيرة ، وهي عدم إتيان السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في الفراش ، ولم يُقبض عن غيرها ، ولم يدم طويلاً ، لذا لم يشتهر عن غيرها ، لعدم علمهن به ، وقد أخبره الملَكان بذلك ، وبمن طبَّه ، وفي أي شيء ، وأين يوجد في البئر الذي دفنه فيه ، ولم يقتله ﷺ مع اعترافه به ، والحديث متواتر عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، ولي فيه رسالة خاصة[2].

ب ـ لم يقتل ﷺ اليهودية التي سمَّته .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك؟ فقالت : أردتُ لأقتلك . قال : « ما كان الله ليسلِّطكِ على ذلك » ـ قال : أو قال « عليَّ » ـ قالوا : ألا نقتلُها؟ قال : « لا ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

وقد ورد عن غيره أيضاً .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب صفة إبليس وجنوده ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب السحر ، رقم (٤٣ ، ٤٤).

(٢) انظر فتح الباري (١٠ : ٢٢٦ ، ٢٣١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب قبول هبة المشرك . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب السم ، رقم (٤٥).

ج ـ لم يقتل ﷺ الأعرابي الذي أراد اغتياله ﷺ وهو نائم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلةُ في وادٍ كثير العِضاهِ ، فنزل رسول الله ﷺ ، وتفرَّق الناس يستظلون بالشجر ، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ، وعلّق بها سيفَه ، ونمنا نومة ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، وإذا عنده أعرابيٌّ فقال : « إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم ، فاستيقظتُ وهو في يده صلتاً ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله (ثلاثاً) ولم يعاقبه ، وجلس . متفق عليه ، زاد مسلم في روايته : ثم لم يَعرِض له رسول الله ﷺ[1].

د ـ لم يقتل ﷺ من حاول اغتياله ، سواء في مكة أو الطائف ـ يوم غزوة حنين ـ أو في المدينة ؛ كأمثال : فَضالة بن عُمير الليثي ، وكان ذلك عند الكعبة المشرفة ، وشيبة بن عثمان بن طلحة الحجبي ، وكان ذلك يوم حنين ، وعُمير ابن وهب ، وكان ذلك في المدينة ، فأخبرهم ﷺ بما في نفوسهم وما نوَوا عليه ، ولم يقتلهم ، فأسلموا وحسن إسلامهم بعد ذلك .

كما لم يقتل اليهود من بني النضير الذين حاولوا اغتياله مرتين ، واكتفى بترحيلهم من المدينة .

هـ ـ لم يقتل ﷺ حبرَ اليهود زيد بن السعنة ، الذي أساء إليه بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ليكتشف خلتين لم يرهما في رسول الله ﷺ ،

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من علَّق سيفَه بالشجر في السفر عند القائلة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس ، رقم (١٣ ، ١٤).

فرآهما فيه ، فأسلم وحسن إسلامه ، وسيأتي ذكر حديثه بعد قليل .

كما لم يقتل ﷺ **أبا محذورة** الذي كان يستهزئ بالأذان ، مع حقده وبغضه وكفره ، فعفا عنه ، فأسلم وحسن إسلامه ، وعيَّنه ﷺ مؤذِّناً في المسجد الحرام .

و ـ كما لم يقتل ﷺ **المنافقين** الذين حاولوا اغتياله يوم تبوك ، وكذا لم يقتل كبيرَهم عبدَ الله بنَ أُبيٍّ ابنَ سلول ، الذي هيَّج الناس يوم غزوة بني المصطلق ، والذي تولى كِبرَه يوم حادثة الإفك .

فعن أبي الطُّفيل قال : كان بين رجل من أهل العقبة[1] وبين حذيفة بعضُ ما يكون بين الناس . فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره إذ سألك . قال [حذيفة] : كنا نُخبر أنهم أربعة عشر . فإن كنتَ منهم فقد كان القومُ خمسةَ عشر . وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله ﷺ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . وعذر ثلاثةً . قالوا : ما سمعنا مناديَ رسول الله ﷺ ، ولا علمنا بما أراد القومُ ،... الحديث ، رواه مسلم[2].

وذلك أن حُذيفة رضي الله تعالى عنه كان آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ وعمار يسوقها ـ أو العكس ـ يوم أراد المنافقون اعتراضه ليلقوه من فوق العقبة ، كما في حديثه ، وقد ذكرت الروايات في (رحمة النبيّ الكريم ﷺ

(١) ليس المراد بها العقبة الموجودة في منى ، والتي كانت عندها بيعة الأنصار المشهورة ، كما قد يتبادر إلى الذهن ، إنما المراد بها : العقبة الموجودة عند تبوك ، والتي حاول المنافقون اغتيال النبي الكريم ﷺ عندها ، عند عودته ﷺ من غزوة تبوك ، فعصمه الله تعالى منهم .

(٢) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين ، رقم (١١).

بالكفار) فانظرها .

قال عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ابنُ سلول ـ يوم بني المصطلق ـ : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : دعني يا رسول الله ؛ أضربُ عنقَ هذا المنافق . فقال النبيُّ الكريم ﷺ : « دعه ، لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمداً يقتلُ أصحابه » كما في حديث جابر رضي الله عنه ، المتفق عليه(١).

ولما قال رسول الله ﷺ ـ يوم حادثة الإفك ـ : « يا معشر المسلمين ؛ من يعذِرُني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ،... » قال سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه : أنا أعذِرك منه يا رسول الله ،... كما في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، المتفق عليه(٢).

ز ـ كما لم يقتل أسَّ الخوارج ، الذي أغلظ لرسول الله ﷺ بعد غزوة حنين ، وهو يقسم الغنائم ، فأساء إليه في منتهى الجلافة والغلظة ، وأقتصر على ذكر رواية واحدة ، لأن الروايات متعددة ، وفي بعضها زيادات .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : أتى رجلٌ رسول الله ﷺ بالجعرانة ـ منصرفَه من حُنين ـ وفي ثوب بلال فضةٌ ، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة المنافقين : باب ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، رقم (٦٢ ـ ٦٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النور : باب ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا...﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، رقم (٥٦ ـ ٥٨).

الناس . فقال : يا محمد ؛ اعدل . قال : « ويلك ، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : دعني يا رسول الله ؛ فأقتلَ هذا المنافق . فقال : « معاذ الله أن يتحدَّث الناسُ أني أقتلُ أصحابي . إن هذا وأصحابَه يقرؤون القرآن ؛ لا يجاوز حناجرَهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية ». متفق عليه[1].

وهناك أمور كثيرة تركت الإشارة إليها ، انظرها في الكتاب المذكور .

١٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : أن الله تعالى طلب من نبيّه الكريم ﷺ إذا استجاره مشرك من المشركين ؛ فليجره ، وليُسمعه كلام الله تعالى ، ويَذكر له أمورَ الدين ، ثم يُبلغه مأمنه بعد ذلك .

قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2].

والمشركُ لا يُغفر له ، وهو مخلَّدٌ في النار ، ومع هذا لم يقتله ، بل يُجيره ، ويُسمعه كلامَ الله تعالى ، ثم يُبلغه مأمنه ؛ في دياره أو بلده أو دولته ، بل يُمَكِّنه من البقاء في بلاد المسلمين لفترة محددة ، وهذا ما كان يفعله ﷺ مع الرُّسُل الذين يأتونه وفوداً ، فلو كان ﷺ متعطشاً ـ حاشاه ـ لقتل الكفار ما أبقاهم على قيد الحياة ، أما ترى تركه ﷺ لوفد مسيلمة الكذاب ، وقد جهروا أمام

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب من الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ما سأل هوازن النبيَّ ﷺ برضاعة فتحلّل من المسلمين . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، رقم (١٤٢).

(٢) سورة التوبة (٦).

رسول الله ﷺ بنبوة مسيلمة ، ولم يعترفوا بنبوة رسول الله ﷺ ، ومع هذا لم يقتلهم ، بل أعادهم إلى بلادهم .

١١ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : عيادتُه ﷺ لمرضى الكفار من الذميين ، وغير الذميين ، كمشركي العرب ، إذا كان ثمة مصلحة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كان غلام يهوديٌّ يخدم النبيَّ ﷺ ، فمرض ، فأتاه النبيُّ ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : « أسلِم » فنظر إلى أبيه وهو عنده . فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم . فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار ». رواه البخاري[١].

وعن المسيِّب بن حَزْن رضي الله تعالى عنهما قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛ جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بنَ هشام وعبدَ الله بنَ أبي أمية بن المغيرة . قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : « يا عم ؛ قل لا إله إلا الله ، كلمةً أشهد لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبدُ الله بنُ أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغبُ عن ملةِ عبد المطلب ؟ فلم يزل رسولُ الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾. متفق عليه[٢].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلّى عليه ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ،... رقم (٣٩ـ ٤٠).

لقد ضرب رسول الله ﷺ المثَل الأعلى في حرصه على هداية الناس ، وعلى دخولهم في الإسلام ، ولا أعلم من يجاريه أو يقاربه أو يدانيه في ذلك ، حتى إن الله تعالى صار يسليه ويصبِّره ، حتى لا يهلك نفسَه الشريفة عليهم ، وهذا دالٌّ على مدى رحمته ﷺ لهم ، وحرصه على هدايتهم ، خاصة ممن أسدى معروفاً .

والملاحظ أن في النص الأول : عيادته ﷺ لذمِّيٍّ ـ وهو يهودي ـ كان يخدمه ﷺ ، وفي النص الثاني : عيادته ﷺ لغير ذمي ، وقد حرص ﷺ على هدايتهم جميعاً ، فأسلم الأول ، ولم يسلم الثاني ، ومع هذا لم يتخلَّ عنه ، بل وعد بالاستغفار له ما لم ينه عن ذلك ، وقد نُهي . ومع هذا لم يتخل عنه ، بل شفع له في الآخرة ، كما أوضحته في المقارنة بين رسول الله ﷺ وإبراهيم عليه السلام ، وكذا في (رحمة النبيّ الكريم ﷺ بالكفار) وفي غيرهما .

١٢ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : أمره ﷺ بدفنهم إذا ماتوا أو قُتلوا . وإذا كان ﷺ قد أمر بدفن قتلى كفار قريش يوم بدر ، وقتلى اليهود من قريظة ، فإنه أمر بدفن من مات من الكفار في غير المعركة ، وأذكر حديثاً فيه دلالة أعمق إن شاء الله تعالى ، ومن غير تعليق .

فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال : إن أبا طالب [وفي رواية : إن عمَّك الشيخَ] قد مات ، فقال : « اذهب فوارِه » قال : إنه مات مشركاً ؟ قال : « اذهب فوارِه » فلما واريتُه رجعتُ إليه ، فقال لي : « اغتسل ». رواه الشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والطيالسي وأحمد وابنه وأبو داود والنسائي وابن الجارود وأبو يعلى والبزار والبيهقي ـ بأسانيد

صحاح وحسان، وصححه ابن خزيمة.

وقال الإمام الرافعي رحمه الله تعالى: إنه حديث ثابت مشهور[1].

١٣ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء: نهيُه ﷺ عن قتل النساء والصبيان أثناء الحرب، ما لم تباشر المرأةُ القتال.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، أقتصر على ذكر بعضها.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: وُجدت امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان. متفق عليه[2].

وعن ابن كعب بن مالك عن عمه، أن النبي ﷺ لما بعثه إلى ابن أبي الحُقَيق نهى عن قتل النساء والولدان. رواه الشافعي وعبد الرزاق والطيالسي ومسدّد وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وإسحٰق وسعيد بن منصور وأحمد بن

---

(١) الأم (٧ : ١٥١) ومسند الشافعي (٣٨٥) وبدائع المنن (١ : ٢٠٩) ومسند الطيالسي (١٩ رقم ١٢٠) ومصنف عبد الرزاق (٦ : ٣٩ ـ ٤٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٢٦٩، ٣٤٧) والمنتقى لابن الجارود (١٩٢) ومسند أحمد (١ : ٩٧، ١٠٣، ١٢٩ ـ ١٣٠، ١٣١) وسنن أبي داود: كتاب الجنائز: باب الرجل يموت له قرابة مشرك، رقم (٣٢١٤) وسنن النسائي: كتاب الطهارة: باب الغسل من مواراة المشرك (١ : ١١٠) وكتاب الجنائز: باب مواراة المشرك (٤ : ٧٩) والسنن الكبرى له (١ : ١٠٧) والبحر الزخار (٢ : ٢٠٧) ومسند أبي يعلى (١ : ٣٣٤ ـ ٣٣٦) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٣٠٤، ٣٠٥) (٣ : ٣٩٨) والمحلى (٥ : ١١٧) وانظر نصب الراية (٢ : ٢٨١) والتلخيص الحبير (٢ : ١١٤ ـ ١١٥) والإصابة (٧ : ٢٣٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب قتل النساء في الحرب، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الجهاد: باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، رقم (٢٤، ٢٥).

حنبل[1]. بإسناد صحيح .

وعن عطية القرظي رضي الله تعالى عنه قال : كنت فيمن حكم فيهم سعد بنُ معاذ ، فشكّوا فيَّ ؛ أمِن الذُّرِّيَّة أنا أمْ من المقاتِلة ؟ فنظروا إلى عانتي فلم يجدوها نبتت . فأُلقيت في الذُّرِّيَّة ، ولم أُقتل . رواه أحمد وعبد الرزاق والشافعي والطيالسي والحميدي وابن أبي شيبة وابن الجارود والأربعة ، وإسناد أغلبهم صحيح ، وصححه الترمذي وابن حبان[2].

(١) الأم (٤ : ١٥٦) والرسالة (٢٩٨) والسنن (رقم ٦٥٢) والمسند (٢٣٨ ، ٣١٤) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٠٢) ومسند الطيالسي (رقم ١٠٣٢ من الطبعة الجديدة لسقط مسند كعب من القديمة) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٨١ ـ ٣٨٢) وسنن سعيد بن منصور (٢ : ٢٥٧) وشرح معاني الآثار (٣ : ٢٢١) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٧٧ ، ٧٨) ومعرفة السنن والآثار (١٣ : ٢٢٥) والمطالب العالية (٢ : ٣١١) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) ومجمع الزوائد (٥ : ٣١٥) وفتح الباري (٦ : ١٤٧) وانظر الإصابة (٣ : ٢٠٥) وانظر تعليقي على هذا الحديث في السنن للإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

(٢) السنن (رقم ٦٥٣) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ١٧٩) ومسند الحميدي (٢ : ٣٩٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٥٣٩ ـ ٥٤٠) ومسند أحمد (٤ : ٣١٠ ، ٣٨٣) (٥ : ٣١١ ـ ٣١٢ ، ٣١٢) ومسند الطيالسي (١٨١ رقم ١٢٨٤) والطبقات الكبرى (٢ : ٧٦ ـ ٧٧) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب في الغلام يصيب الحد ، رقم (٤٤٠٤ ، ٤٤٠٥) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء في النزول على الحكم ، رقم (١٥٨٤) وسنن النسائي : كتاب الطلاق : باب متى يقع طلاق الصبي ، وكتاب قطع السارق : باب حد البلوغ ،... (٦ : ١٥٥) (٨ : ٩٢) والسنن الكبرى له (٥ : ١٨٥) والمنتقى لابن الجارود (٣٤٨ ـ ٣٤٩) والمعجم الكبير (١٧ : ١٦٣ ـ ١٦٥ من طرق) والمستدرك (٢ : ١٢٣) (٤ : ٣٨٩ ، ٣٩٠) وصحيح ابن حبان (١١ : ١٠٣ ـ ١٠٥ ، ١٠٩ من طرق) والسيرة النبوية لابن هشام (٣ : ٣٣٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٥٨) (٩ : ٦٣).

وعن الأسود بن سريع رضي الله تعالى عنه قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ ، ففتح الله لهم ، فتناول بعضُ الناس قتْلَ الولدان ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال : « ما بال أقوام تجاوز بهم القتلُ حتى قتلوا الذُّرِّيَّةَ » فقال رجل : يا رسول الله ؛ إنما هم أبناءُ المشركين ؟ فقال : « ألا إن خيارَكم أبناءُ المشركين . ألا لا تُقتل الذُّرِّيَّة . كلُّ نسمة تولد على الفطرة ، حتى يُعربَ عنها لسانُها ، فأبواها يهوِّدانها وينصِّرانها ». رواه مسدّد وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة والنسائي ، وصححه ابن حبان والحاكم وابن عبد البر ، وأقره الذهبي[1].

وعن رباح بن الربيع رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ، وعلى مقدمة الناس خالدُ بنُ الوليد ، فإذا امرأة مقتولة على الطريق ، فجعلوا يتعجّبون من خَلقها ، قد أصابتها المقدِّمة . فأتى رسولُ الله ﷺ فوقف عليها ، فقال : « هاه ، ما كانت هذه تقاتل . ثم قال : أدرك خالداً ؛ فلا تقتلوا ذرِّيَةً ولا عسيفاً » وفي رواية « قل لخالد لا يقتلن امرأةً ولا عسيفاً ». رواه أحمد وسعيد بن منصور وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي وابن ماجه والطحاوي والطبراني والبيهقي ، وصححه ابن حبان[2].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٣٥) (٤ : ٢٤) ومصنف عبد الرزاق (١١ : ١٢٢) وسنن الدارمي (٢ : ١٤١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٨٦) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب السير : باب النهي عن قتل ذراري المشركين (٥ : ١٨٤) والمستدرك (٢ : ١٢٣) وصحيح ابن حبان (١ : ٣٤١) والمعجم الكبير (١ : ٢٥٩ ـ ٢٦٢ من طرق) والمعجم الأوسط (٢ : ٢٨٠) وشرح مشكل الآثار (٤ : ١٣ ، ١٤) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٧٧ ، ١٣٠) ومعرفة السنن والآثار (١٣ : ٢٢٧) ومجمع الزوائد (٥ : ٣١٦) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٣٧٧ ـ ٣٧٨) وإتحاف المهرة (١ : ٣٦٧).

(٢) سنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٦٦٩) والسنن الكبرى للنسائي : =

١٤ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : أنه كتب إلى زعماء زمانه ؛ من ملوك ورؤساء وزعماء وولاة يدعوهم إلى الإسلام . ويحذرهم من مغبة إعراضهم ، وأنهم يتحمّلون المسؤولية عن أنفسهم وعن أقوامهم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار ؛ يدعوهم إلى الله تعالى . رواه مسلم[1] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى دعاهم . رواه أحمد وابن أبي شيبة والدارمي وعبد بن حُميد وأبو يعلى والطبراني برجال الصحيح ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بينما نحن في المسجد ؛ إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : « انطلقوا إلى يهود » فخرجنا معه ، حتى جئناهم ،

= كتاب السير : باب قتل العسيف (٥ : ١٨٦ ، ١٨٦ ـ ١٨٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الجهاد : باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان ، رقم (٢٨٤٢) وسنن سعيد (٢ : ٢٥٦) ومسند أحمد (٣ : ٣٨٨ ، ٤٨٨) (٤ : ١٧٨ ، ١٧٨ ـ ١٧٩ ، ٣٤٦) وشرح معاني الآثار (٣ : ٢٢١ ، ٢٢٢) والمعجم الكبير (٥ : ٦٩ ـ ٧١ من طرق) وصحيح ابن حبان (١١ : ١١٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٨٢ ، ٩١).

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب كتابة النبيّ ﷺ إلى ملوك الكفار ،... رقم (٧٥).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٣١ ، ٢٣٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٣٦٥) وسنن الدارمي (٢ : ١٣٦) ومسند عبد بن حُميد (٢٣١ ـ ٢٣٢) وشرح معاني الآثار (٣ : ٢٠٧) ومسند أبي يعلى (٤ : ٣٧٤ ، ٤٦٢) والمعجم الكبير (١١ : ٩٥ ، ١٣٢من طرق) والمستدرك (١ : ١٥) والتمهيد لابن عبد البر (٢ : ٢١٦ ـ ٢١٧) والسنن الكبرى (٩ : ١٠٧) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٣٣١ ـ ٣٣٢) ومجمع الزوائد (٥ : ٣٠٤) وانظر مصنف عبد الرزاق (٥ : ٢١٨) وقارن معه نصب الراية (٣ : ٣٧٨) والدراية (٢ : ١١٤).

فقام رسول الله ، فناداهم فقال : « يا معشر يهود ؛ أسلِموا تسلَموا » قالوا : قد بلَّغتَ يا أبا القاسم ،... الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

وانظر الفقرة التالية :

١٥ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : حثُّه ﷺ قادة الجيوش على دعوة العدو إلى الإسلام قبل القتال ، وألّا يقاتلوا قوماً كفّاراً حتى يدعوهم إلى الإسلام أولاً ، فإن أجابوا إليه لا يقاتلهم .

فعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية : أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً . ثم قال : « اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تَغُلّوا ، ولا تغدُروا ، ولا تَمْثُلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين ؛ فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتُهُن ما أجابوك فاقبل منهم ، وكفَّ عنهم . ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم . ثم ادعُهم إلى التحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين . وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين . فإن أبَوا أن يتحوَّلوا منها ، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكمُ الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ . إلا أن يجاهدوا مع المسلمين . فإن هم أبَوا فسَلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم . فإن هم أبَوا فاستعن بالله وقاتلهم ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب إجلاء اليهود من الحجاز ، رقم (٦١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ، رقم (٢ ـ ٥).

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يوم خيبر : « انفُذ على رِسْلِك ، حتى تنزلَ بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النَّعَم ». متفق عليه[1].

وعن أبي البَخْتَري رحمه الله تعالى ، أن جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرَهم سلمانُ الفارسي - رضي الله تعالى عنه - حاصروا قصراً من قصور فارس ، فقالوا : يا أبا عبد الله ؛ ألا ننهدُ إليهم ؟ قال : دعوني أدعُهم كما سمعتُ رسول الله ﷺ يدعوهم .

فأتاهم سلمان فقال لهم : إنما أنا رجلٌ منكم ؛ فارسيٌّ ، ترون العربَ يطيعونني ، فإن أسلمتم فلكم مثلُ الذي لنا ، وعليكم مثلُ الذي علينا ، وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه ، وأعطونا الجزية وأنتم صاغرون - قال : ورطن إليهم بالفارسية ، وأنتم غيرُ محمودين - وإن أبيتم نابذناكم على سواء .

قالوا : ما نحن بالذي نعطي الجزية ، ولكنّا نقاتلُكم .

فقالوا : يا أبا عبد الله ؛ ألا ننهدُ إليهم ؟ قال : لا ، فدعاهم ثلاثةَ أيام إلى مثل هذا . ثم قال : انهدوا إليهم . قال : فنهدنا إليهم ، ففتحنا ذلك القصر . رواه الترمذي وحسنه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل من أسلم على يديه رجل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رقم (٣٤).

(٢) سنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء في الدعوة قبل القتال ، رقم (١٥٤٨).

١٦ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : نهيه ﷺ عن قتل الكافر إذا نطق بالشهادتين ، حتى لو فعل بالمسلمين ما فعل ، لأن من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، فقد عصم دمَه ومالَه وعرضَه . وفي هذا دلالة على حرصه ﷺ على هداية الناس ، وليس على قتلهم .

فعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَة من جهينة ، فصبَّحنا القومَ ، فهزمناهم ، ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكفَّ عنه الأنصاريُّ ، وطعنتُه برمحي حتى قتلته . قال : فلما قدمنا ، بلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال لي : « يا أسامةُ ؛ أقتلتَه بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال : قلت يا رسول الله ؛ إنما كان متعوِّذاً . قال : [« أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا »] « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قال : فما زال يكرِّرُها عليَّ حتى تمنَّيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم . متفق عليه(١).

وعن جندب بن عبد الله البَجَلي رضي الله تعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين ، وإنهم التقَوْا ، فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله . وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلتَه ـ قال : وكنا نحدَّث أنه أسامةُ بنُ زيد ـ فلما رفع عليه السيفَ قال : لا إله إلا الله ، فقتله . فجاء البشير إلى النبيِّ ﷺ . فسأله ، فأخبره ، حتى أخبره خبرَ الرجل كيف صنع . فدعاه ، فسأله فقال :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، رقم (١٥٨ ـ ١٥٩).

« لِـم قتلتَه ؟ » قال : يا رسول الله ؛ أَوجعَ في المسلمين ، وقَتل فلاناً وفلاناً ، وسَمّى له نفراً . وإني حملت عليه ، فلما رأى السيفَ قال : لا إله إلا الله . قال رسول الله ﷺ : « أقتلتَه ؟ » قال : نعم . قال : « فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ » قال : يا رسول الله ؛ استغفر لي . قال : « وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ » قال : فجعل لا يزيده على أن يقول : « كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟ ». رواه مسلم[1].

بل أصرح من ذلك : نهيُه ﷺ صراحةً عن قتل من أسلم ، وقال : لا إله إلا الله ، أثناء المعركة ، ولو قطع يدَ المسلم المقاتل .

فعن المقداد ابن الأسود رضي الله عنه قال : يا رسول الله ؛ أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفار ، فقاتلني ، فضرب يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة ، فقال : أسلمتُ لله [وفي لفظ : فقال : لا إله إلا الله] أفأقتُله يا رسول الله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله ﷺ : « لا تقتله » قال : فقلت يا رسول الله ؛ إنه قد قطع يدي ، ثم قال ذلك بعد أن قطعها ، أفأقتله ؟ قال رسول الله ﷺ : « لا تقتُلْه ، فإن قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن تقتلَه ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمتَه التي قال ». متفق عليه[2].

فلو كان الهدفُ من الجهاد العدوانَ لما نهى ﷺ المقدادَ رضي الله تعالى عنه عن قَتل من قطع يده ، ولَـمَا لامَ أسامةَ رضي الله تعالى عنه على قتل من أعلن إسلامه ، مع احتمال كون القائل غيرَ صادق ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب (١٢) حدثنا خليفة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥٥ ـ ١٥٧).

١٧ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : وصيته ﷺ بأهل الذِّمَّة خيراً .

فعن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستَفتحون أرضاً يُذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمَّةً ورحماً ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة ، فاخرج منها » .

قال : فمر بربيعة وعبد الرحمٰن ابنَي شُرَحبيل بن حسنة ، يتنازعان في موضع لبنة ، فخرج منها .

وفي رواية ثانية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون مصرَ ، وهي أرضٌ يُسمّى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمَّةً ورحماً ـ أو قال : ذمةً وصهراً ـ فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة ؛ فاخرج منها » .

قال : فرأيت عبدَ الرحمٰن بن شُرحبيل بنِ حسنة وأخاه ربيعةَ ؛ يختصمان في موضع لبنة ، فخرجتُ منها . رواهما مسلم[1] .

فالذي حمل على الوصية بهم : الذِّمَّةُ والرحمُ والصهرُ ، فإذا كان الرحم والصهر لهما تأثير ، فالذِّمَّة لها ما يوجبه الرحم والمصاهرة من حُرمة وذمام وحق ، لذا راعى ﷺ هذا الحق وتلك الحرمة ؛ رحمةً بالناس وشفقةً عليهم ، والله تعالى أعلم .

١٨ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : إباحته ﷺ للمسلمين صلة أقاربهم الكفار ، ليعلموا أن في ديننا فسحة .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب وصية النبيِّ ﷺ بأهل مصر ، رقم (٢٢٦ـ ٢٢٧).

ولأن البر والتوادد والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله سبحانه وتعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1] لأنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل ، والله تعالى أعلم[2].

فإذا لم تكن موادة ، وليس ممن يقاتلون المسلمين فجائزٌ صلتُهم .

فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت : قَدِمَت عَلَيَّ أُمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيتُ رسول الله ﷺ . قلت : إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصلُ أمي ؟ قال : « نعم ، صِلي أُمَّك ». متفق عليه[3].

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال : رأى عمر حُلَّةً على رجلٍ تُباع ، فقال للنبي ﷺ : ابتع هذه تلبسْها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود . فقال : « إنما يلبس هذه من لا خلاقَ له في الآخرة » فأُتِي رسولُ الله ﷺ منها بحُلَل ، فأرسل إلى عمر منها بواحدة . فقال عمر : كيف ألبسُها وقد قلتَ فيها ما قلتَ ؟ قال : « إني لم أكسكها لتلبسَها ، تبيعُها أو تكسوها ». فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يُسلم . متفق عليه[4].

وهذا من باب البر والصلة المأذون بهما شرعاً ـ طالما أنهم لم يقاتلوا المسلمين ، ولم يخرجوهم من ديارهم ولم يظاهروا على ذلك ، كما قال تعالى :

---

(١) سورة المجادلة (٢٢).

(٢) انظر فتح الباري (٥ : ٢٣٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب الهدية للمشرك ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ،... ولو كانوا مشركين ، رقم (٤٩ ، ٥٠).

(٤) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ،... رقم (٦).

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1] ، والله تعالى أعلم .

١٩ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : نهيه ﷺ عن الاعتداء على المعاهد والذِّمِّيِّ ، أو قتلهما بدون سبب موجب . طالما هو قائم بحق العهد والذِّمَّة ، ولم ينقضه بأي صورة من الصُّور .

إن الكفار في بلاد المسلمين ينقسمون إلى معاهدين وذميين ومستأمنين . وقد جاءت نصوص كثيرة ، أقتصر على ذكر بعضها .

أ ـ أما المستأمن ، فيجار ـ إذا استجار ـ حتى يسمع كلام الله تعالى ، ثم يبلغ مأمنه ، سالماً غير معتدى عليه .

قال الله عز وجل : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2] .

ب ـ وأما المعاهد فهم نوعان ؛ من له عهد إلى أجل ، ومن له عهد مطلق ، فمن كان له عهد إلى أجل فعهده إلى مدته ، ومن كان له عهد مطلق فله أربعة أشهر ، يسيح في الأرض حيث يشاء ، ولا يُتعرض له ، ولا تُخفر ذمته ، شريطة ألا يَنقض عهدَه ، ولم يظاهر على المسلمين أحداً .

فعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهِداً لم يَرَح رائحةَ الجنة ، وإن ريحَها توجد من مسيرة أربعين عاماً ». رواه البخاري[3].

---

(١) سورة الممتحنة (٨).

(٢) سورة التوبة (٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجزية والموادعة : باب إثم من قتل معاهداً بغير جُرم ، وفي غيرهما .

وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قتل معاهداً في غير كنهه [بغير حقها] حرَّم الله عليه الجنة ». رواه أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والدارمي وابن الجارود وأبو داود والنسائي في آخرين ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

لأن الغدر ليس من صفات المؤمنين .

ج ـ وأما الذِّمِّيُّ ـ الذي أعطى المسلمين الجزية ، مقابل حمايته والدفاع عنه ، وإبقائه في بلاد المسلمين ـ فهذا له حقوق كثيرة ، ولا يجوز إيذاؤه ، أو الاعتداء عليه ، أو خفر ذمته .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل قتيلاً من أهل الذِّمّة لم يجد ريحَ الجنة . وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً ». رواه أحمد والنسائي والبيهقي بإسناد صحيح ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي[2].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠ : ١٠٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٩ : ٤٢٥ ـ ٤٢٦) ومسند أحمد (٥ : ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢) والمنتقى لابن الجارود (٣٨٥ رقم ١٠٧٠) وسنن الدارمي (٢ : ١٥٣ رقم ٢٥٠٧) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته ، رقم (٢٧٦٠) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب تعظيم قتل المعاهد (٨ : ٢٤ ، ٢٥) والسنن الكبرى له (٤ : ٢٢١) (٥ : ٢٢٦) وصحيح ابن حبان (١١ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ـ ٢٤١) (١٦ : ٣٩١ ، ٣٩٢) والمستدرك (١ : ٤٤) (٢ : ١٤٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٣٣) (٩ : ٢٠٥ ، ٢٣١) والمعجم الأوسط (١ : ١٣٧).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٨٦) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب تعظيم قتل المعاهد (٨ : ٢٥) والسنن الكبرى له (٤ : ٢٢١) (٥ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والمستدرك (٢ : ١٢٦ ـ ١٢٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٢٠٥).

وعن القاسم بن مُخَيْمِرَة رحمه الله تعالى ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل رجلاً من أهل الذِّمَّة ؛ لم يجد ريحَ الجنة ، وإن ريحَها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً ». رواه أحمد والنسائي بإسناد صحيح[1].

ومن أراد التفاصيل فلينظر في (رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار).

٢٠ـ ومن مظاهر رحمة النبي المصطفى الكريم ﷺ بالكفار والأعداء : أنه لم يقتل من أراد الاعتداء عليه ، إنما أمر بقتل من أراد الإسلام والمسلمين والأمة ، أو ارتد وقتل بعضَ المسلمين ، فيكون قتلُه قصاصاً ، ومن هؤلاء :

ـ **كعب بن الأشرف** فهو ـ بعد نقضه العهد ـ حرَّض كفار قريش على رسول الله ﷺ ، وصار يبكي أصحاب القليب من قريش ، وهو المحرّض الكبير في غزوة أحد ، ورجع إلى المدينة فصار ينشد الأشعار في هجاء النبي المصطفى الكريم ﷺ ، ويشبِّب بنساء المسلمين .

ـ **وسلام بن أبي الحقيق** ، فهو الذي حزّب الأحزاب على رسول الله ﷺ يوم غزوة الخندق وكان معه حيي بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبي الحُقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في آخرين ، مع نقضه العهد ، وهجائه لرسول الله ﷺ والمسلمين ، وإعلان عداوته لهم .

ـ **وعبد الله بن خطل** ، فقد كان قد أسلم ، وأرسله رسول الله ﷺ مصدّقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له مسلم ، يصنع لهم الطعام ، فتأخر عن صنع الطعام له ، فغضب عليه فقتله ، ثم ولّى إلى مكة هارباً ، وارتد

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٢٣٧) (٥ : ٣٦٩) وسنن النسائي : في الكتاب والباب السابقين (٨ : ٢٥) والسنن الكبرى له (٤ : ٢٢١).

عن الإسلام ، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين .

ـ **ومِقيس بن صبابة** ، فقد قدم المدينة مظهراً الإسلام ، وأخذ ديةَ أخيه الذي قتله أحدُ المسلمين خطأً ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم ولّى إلى مكة هارباً ، وارتد عن الإسلام ، وصار يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين .

ـ **والحُويرث بن نقيد** ، فقد كان يؤذي رسول الله ﷺ بمكة ، ولما تحمّل العباس رضي الله تعالى عنه بفاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله ﷺ رضي الله عنهما ليذهب بهما إلى المدينة يُلحقهما برسول الله ﷺ في أول الهجرة ، نخس بهما الحويرث بنُ نقيد الجملَ الذي هما عليه ، فسقطتا إلى الأرض ، وصار يؤذي المسلمين .

ـ **وخالد بن سفيان بن نُبيح الهذلي** ، فقد كان يجمع القبائل ـ بجوار مكة ـ لغزو رسول الله ﷺ والمسلمين في المدينة ، فأمر عبدَ الله بنَ أُنيس رضي الله تعالى عنه بقتله .

ـ **واليُسير بن رِزام** ـ من خيبر ـ كان يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ ، فأرسل ﷺ إليه نفراً من أصحابه ، فأقنعوه بالمجيء إلى رسول الله ﷺ ، فخرج مع بعض اليهود ، فلما وصل القرقرة من خيبر ندم على مسيره ، وأراد الغدر بمن معه من المسلمين ، فقتلوه ومن معه ، وفر واحد منهم .

ـ **ويهود بني قريظة** ، قد نقضوا العهد ، وحاربوا رسول الله ﷺ مرتين ، وانضموا إلى الأحزاب في قتالهم للمسلمين يوم الخندق ، لذا عُوملوا بمثل ما في كتابهم ، في مثل حالهم . وهذا ما حكم به سعد بن معاذ رضي الله عنه .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما ، أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسولَ الله ﷺ ، فأجلى رسولُ الله ﷺ بني النضير ، وأقر قريظة ، ومنَّ

عليهم ، حتى حاربت قريظة بعد ذلك ، فقتل رجالَهم ، وقسم نساءَهم وأولادَهم وأموالَهم بين المسلمين ، إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : نزل أهلُ قريظة على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فأتاه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد[2]. قال رسول الله ﷺ للأنصار : « قوموا إلى سيدكم ـ أو خيركم ـ ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك » قال : تَقتل مقاتلتَهم ، وتَسبي ذرِّيتَهم . فقال النبيُّ ﷺ : « قضيت بحكم الله ـ وربما قال : بحكم الملِك ـ ». متفق عليه[3].

ورويا[4] من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، بنحوه .

لقد كان في حكم التوراة أن الذين يغدرون : أن يُقتلوا وتُسبى نساؤهم وذراريهم ، وتؤخذ أموالهم ، فكان حكمُ سعدٍ رضي الله عنه مطابقاً لما هو

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب حديث بني النضير ، ومخرج رسول الله ﷺ في دية الرجلين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب إجلاء اليهود من الحجاز ، رقم (٦٢).

(٢) المراد به : المسجد الذي اتخذه رسول الله ﷺ ، ليصلي فيه عند حصاره لبني قريظة ، وبقي ﷺ يصلي فيه نحواً من (٢٥) يوماً ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، ويُعرف هذا المسجد بمسجد بني قريظة ، وقد أزيل قبل سنتين تقريباً من كتابة هذا البحث .

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب جواز قتال من نقض العهد ،... رقم (٦٤).

(٤) في الصحيحين ، في الكتابين والبابين السابقين ، ورقمه عند مسلم (٦٥).

موجود في أصل كتابهم ، فكان موافقاً لحكم الله تعالى ، والله تعالى أعلم[1] .

(١) جاء في سفر التثنية ، من العهد القديم ، الإصحاح الثالث عشر ، ما لفظه : إن سمعتَ عن إحدى مدنك ـ التي يعطيك الربُّ إلهُك لتسكن فيها ـ قولاً ، قد خرج أناسٌ بنو لئيم من وسطك وطوَّحوا سكان مدينتهم قائلين : نذهب ونعبد آلهةً أخرى لم تعرفوها ، وفحصْتَ وفتَّشتَ وسألتَ جيِّداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عُمل ذلك الرجسُ في وسطك ، **فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف ، وتحرِّمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع كلَّ أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكلّ أمتعتها كاملةً للرب إلهك ، فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعد** ، ولا يلتصق بيدك شيء من المحرَّم لكي يرجع الرب من حموِّ غضبه ويعطيك رحمة .

وجاء في سفر التثنية ، من العهد القديم ، الإصحاح العشرين ، ما لفظه : حين تقرب من مدينة لكي تحاربها ؛ استدعها إلى الصلح ، **فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكلُّ الشَّعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويُستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الربُّ إلهُك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكلُّ ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهُك ، هكذا تفعل بكل المدن البعيدة منك جدّاً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الربُّ إلهُك نصيباً فلا تَسْتَبْقِ منها نسمةً ما ، بل تحرّمها تحريماً** ؛ الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الربُّ إلهُك ،...إلخ. هكذا لفظ التوراة ، وعلى العاقل المقارنة .

ففي هذين النصين ما يلي :

١ـ استعباد الشعب الذي ينزلون على حكمه من غير قتال ، ويفتحون البلد له سلماً .

٢ـ قتل جميع الرجال بالسيف ، إذا رفضوا فتح البلد سلماً ، وفتحها عنوة .

٣ـ استرقاق جميع النساء والأطفال والأموال ، فيكون الجميع غنيمة له .

٤ـ البلاد التي تخالفه في الفكر والعقيدة ، يقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم ، ويجمع جميع الأموال في وسط البلد ويحرقها . وهكذا يفعل في جميع المدن إذا حاصرها أو فتحها .

هذه هي عقيدة اليهود ، لذا كان حكم سعد رضي الله عنه مطابقاً لما هو في شريعتهم ،... =

وانظر إلى المجزرة الرهيبة التي قام بها اليهود في تعاملهم مع أعدائهم من أهالي فلسطين ؛ أصحاب الأرض الأصليين .

جاء في سفر الملوك الأول / الإصحاح العشرين ، الفقرات (٢٧ـ٣١) ما يلي :

(وعند تمام السنة عدَّ ينهدد الآراميين ، وصعد إلى أُفيق ليحارب إسرائيل . وأُحصي بنو إسرائيل وتزودوا وساروا للقائهم فنزل بنو إسرائيل مقابلهم نظير قطيعين صغيرين من المِعزى ، وأما الآراميون فملأوا الأرض . فتقدَّم رجُل الله وكلَّم مَلِكَ إسرائيل وقال : هكذا قال الرب من أجل أن الآراميين قالوا : إن الرب إنما هو إلهُ جبال وليس هو إلهَ أودية ، ادفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك فتعلمون أني أنا الرب . فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام **وفي اليوم السابع اشتبكت الحربُ فضرب بنو إسرائيل من الآراميين مائة ألف راجل في يومٍ واحد . وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين وهرب ينهدد ودخل المدينة من مخدع إلى مخدع** ❊)

هكذا قتلوا في يوم واحد ، والنص من كتبهم المعتمدة بعد تحريفها ، فمن هو الإرهابي والمتطرِّف يا ترى ؟؟؟ .

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

= ثم لينظر إلى الفارق الكبير بين هذه النظرة ، وبين معاملة النبي المصطفى الكريم ﷺ للشعوب والقبائل التي يريد غزوها ، حيث يدعوها إلى الإسلام أولاً ، فإن أسلمت كان حكمُها حكمَ المسلمين ، وإن أبت فالجزية ، ولا يسمح للصحابة رضي الله عنهم باستباحة جميع الخلق ، كما هي نظرة اليهود الموجودة في النص الذي ذكرته ، والله تعالى أعلم .

الفصل الحادي والعشرون
شمول رحمته ﷺ للخلق جميعاً يوم القيامة

لا أعلم في الأنبياء والرسل عليهم السلام من يداني رسول الله ﷺ أو يقاربه في رحمته بالخلق ، وإذا كان قد ظهر ذلك في الدنيا ، بما ذكرتُ من مظاهر رحمته ﷺ بالخلق ـ من إنسان وحيوان وجان ـ من أمته وصحابته ، ومن أطفال ، وجهال ، وأعراب وأرامل وأيتام ،...الخ، حتى شملت الكفّار والأعداء ،... فإنها ستبقى حتى تظهر في الآخرة ، ابتداء من تخلّي الرسل عليهم السلام عن أممهم ،... حتى شفاعته ﷺ بهم .

إن أعظم ما يظهر به هذا الشرف في عموم هذه الرحمة : هو وقت الشفاعة العظمى ، يوم يجمع الله تعالى الأوَّلين والآخِرين ، ويرون من الهول والشدة مع طول ذلك اليوم ، وتقوم الملائكة صفوفاً ، ويكون الثقلان وسطهم ، ويموج بعضُهم في بعض من شدة ما هم فيه ، يوم تدنو الشمس فوقهم ثلاثةَ أميال ، ويغرق الناسُ في العرق النازل منهم كلٌّ على حسب ذنوبه وآثامه ، مع طول الزمن ، فيطلبون من يشفع لهم فيحاسبوا ـ ليستريحوا من ذلك الكرب ـ فيؤولوا إما إلى جنة ، أو إلى نار ، إذ يرون أن النارَ أسهلُ عليهم مما هم فيه ، فيقصدون أكابر الأنبياء نبيّاً نبيّاً على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، فيُحيل بعضُهم على بعض ، ويعتذرون بأعذار مختلفة ، وكلٌّ واحد منهم يقول : لستُ لها ، حتى يأتوه ﷺ فيقول : « أنا لها ، أنا لها » فيقوم ﷺ ومعه لواء الحمد ، فيبعثه الله تعالى المقام المحمود ، الذي يغبطه به

الأوَّلون والآخِرون ، ويُشفِّعه الله تعالى في الخلق جميعاً[1].

وأذكر في هذا الفصل مختصراً لبعض مظاهر تلك الرحمة ، مبتدئاً بالأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ثم الأمم السابقة ، ثم موقفه ﷺ من أمته ، ورحمته بها .

١ـ لا أعلم أحداً من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام من يقاربه أو يدانيه ﷺ في رحمته بالبشرية بما فيهم الكفار والأعداء المعاندون ، بل حتى الذين آذوه ، أو حاولوا قتله واغتياله[2]،... وقد ذكرت في الفصل الثالث بعض المفارقات بين النبي المصطفى الكريم ﷺ وبين كلٍّ من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فليحسن الرجوع إليه ليتضح الفارق الكبير ، حيث دَعَوا أو تخلّوا عن أممهم ، بخلافه هو ﷺ حيث لم يَدْعُ على أمته ـ حتى في ساعة العدوان ـ بالهلاك ، ولم يرض أن يُهلَكوا بإيقاع الجبلين عليهم ، وعفا عنهم ما فعلوا به ،...الخ.

٢ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أن الأنبياء الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كلهم يرغبون إليه يوم القيامة ليشفع للخلائق ، فيستجيب ﷺ لهم ، ويحقّق لهم مطلبهم .

فعن أُبيٍّ بن كعبٍ رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ في المسجد فدخل رجلٌ يصلي ، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءةً سوى قراءةِ صاحبه ، فلما قضينا الصلاةَ ، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه ، ودخل آخرُ فقرأ سوى قراءة صاحبه ،

---

(١) انظر : نظم الدرر (١٢ : ٥٠٩).

(٢) انظر : رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار ، فقد خصّصته لهذه الجزئية .

فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ ، فحسَّن النبيُّ ﷺ شأنَهما ، فسَقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية . فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما قد غشيني : ضرب في صدري ، ففضتُ عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً .

فقال لي : « يا أُبيُّ ؛ أُرسل إليَّ : أن أقرأ القرآنَ على حرف ، فرددتُ إليه : أن هوِّن على أُمتي ، فردَّ إليَّ الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددتُ إليه أن هوِّن على أمتي ، فردَّ إليَّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، فلك بكل ردةٍ رددْتُكها مسألةٌ تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثةَ ليوم يرغبُ إليَّ الخلْقُ كلُّهم ، حتى إبراهيم ﷺ ». رواه مسلم[1].

٣ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أنه أوَّلُهم بعثاً يوم القيامة ، ومعنى هذا أنه سيكون بمثابة الفَرَط لهم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأولُ من ينشق عنه القبرُ ، وأولُ شافعٍ ، وأولُ مشفَّع ». رواه مسلم[2].

وعن واثلةَ بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانةَ من ولدِ إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم .

زاد ابن حبان بإسناد مسلم[3] « فأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأولُ من

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، رقم (٢٧٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، رقم (٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبيِّ ﷺ ، رقم (١) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٣٥ ، ٣٩٢).

تنشق عنه الأرضُ ، وأول شافع ، وأول مشفَّع ».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ، وما من نبيٍّ يومئذٍ : آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، وأنا أولُ شافع ، وأولُ مشفَّع ، ولا فخر ». رواه أحمد والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن خزيمة[1].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : أصبح رسولُ الله ﷺ ذات يوم ، فصلى الغداة ، ثم جلس ،... ـ الحديث بطوله في قصة العرض يوم القيامة ، وانتقال الناس من نبيٍّ إلى نبيٍّ ، حتى يصلوا إلى عيسى عليه السلام فيقول ـ : « ليس ذاكم عندي ، ولكن انطلقوا على سيد ولد آدم ، فإنه أولُ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، انطلقوا إلى محمد ـ ﷺ ـ فليشفع لكم إلى ربكم ... » الحديث وفيه : فيقول ﷺ : « أي ربِّ ؛ جعلتني سيدَ ولد آدم ولا فخر ، وأولَ من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ... ». الحديث ، رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والبزار وأبو عوانة وابن أبي عاصم وابن خزيمة والمروزي والدولابي في الكُنى ، ورجالهم ثقات .

وقال إسحاق بن راهويه : هذا من أشرف الحديث[2].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي ﷺ ، رقم (٣٦١٥) وكتاب التفسير : تفسير سورة بني إسرائيل ، رقم (٣١٤٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب في الشفاعة ، رقم (٤٣٠٨) وكتاب التوحيد (٢ : ٦٢١) ولم يسق لفظه ، وكنز العمال (١٤ : ٣٩٤ـ٣٩٥).

(٢) مسند أحمد (١ : ٤ ـ ٥) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٩٣ـ ٣٩٥) وموارد الظمآن ، رقم =

٤ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أن الأنبياء عليهم السلام قد أُخذ عليهم العهد بالإيمان به ﷺ ونصرته ، وأقرّوا بذلك ، وشهد الله تعالى عليهم به ، لذا كانوا بمثابة أتباعه ، ولهذا سيكونون تحت لوائه يوم القيامة ، وإذا كان هُمُ القوم لا يشقى بهم جليسهم ، فكيف بمن كان تحت لواء النبي الكريم ﷺ ، وفي صحبته ؟

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[١] .

وعن عبادةَ بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ما من أحدٍ إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإن معي لواء الحمد ، أنا أمشي ويمشي الناسُ معي ، حتى آتي باب الجنة ، فأستفتح : فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيقال : مرحباً بمحمدٍ ، فإذا رأيتُ ربي ، خررتُ ساجداً أنظر إليه ». رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي[٢]. وشواهده كثيرة ولله الحمد .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

= (٢٥٨٩) ومسند أبي عوانة (١ : ١٧٥ ـ ١٧٨) ومسند أبي يعلى (١ : ٥٦ ـ ٥٩) والبحر الزخار (١ : ١٤٩ ـ ١٥١) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٨ ـ ٥٣) وكشف الأستار (٤ : ١٦٨ ـ ١٧٠) والسنة (٢ : ٣٤٩ ، ٣٨١ ـ ٣٨٢) وكتاب التوحيد (٢ : ٧٣٥ ـ ٧٣٧) والكنى للدولابي (١ : ١٥٥ ـ ١٥٦) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(١) سورة آل عمران (٨١).

(٢) المستدرك (١ : ٣٠).

« أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ،... وما من نبيٍّ يومئذ : آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ... ». رواه أحمد والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن خزيمة . وقد مر مطوّلاً قبل قليل . والأحاديث في ذلك كثيرة ذكرتها في الخصائص ومختصره .

٥ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أنه ﷺ سيكون إمامَ الأنبياء عليهم السلام ، وخطيبَهم ، ولا شك أن من كان إمام قوم فإنه سيرفق بهم ، ويرحمهم .

فعن أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة كنتُ إمامَ النبيّين ، وخطيبَهم ، وصاحبَ شفاعتهم غير فخر ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم وابن ماجه ، وصحّحه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا أوَّلُهُم خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا قائدُهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعُهم إذا حُبسوا ، وأنا مبشِّرُهم إذا أيسوا ، لواءُ الكرامة ، ومفاتيحُ الجنة ، ولواءُ الحمد يومئذٍ بيدي ، وأنا أكرمُ ولد آدم على ربي ، يطوف عليَّ ألفُ خادم ، كأنهم بَيضٌ مكنونٌ ، أو لؤلؤٌ منثورٌ ». رواه الترمذي ـ وحسنه ـ

---

(١) مسند أحمد (٥ : ١٣٧ ـ ١٣٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣١) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي ﷺ ، رقم (٣٦١٣) وانظر تحفة الأشراف (١ : ١٩) والنهاية لابن كثير (١ : ٢٣٧) لتصحيح الترمذي ، وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب في الشفاعة ، رقم (٤٣١٤) والسنة (٣٦٦) والمستدرك (١ : ٧١) (٤ : ٧٨) وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٨٠ ـ ٤٨١).

والدارمي وأبو نعيم والبيهقي بأسانيد حسان[1].

٦ـ **ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أنه ﷺ أولى بالأنبياء عليهم السلام من أممهم في الدنيا والآخرة** ، فمن كان أولى به فكيف تكون رحمته به ؟

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

والذي هو أولى الناس بإبراهيمَ عليه السلام ـ وهو أبو الأنبياء بعده ـ هو أولى الناس بالرسل من ذريته أيضاً .

ولما كان موسى وعيسى عليهما السلام من أولي العزم ، وهما أشهرُ أنبياءِ بني إسرائيل ، لذا فقد بَيَّنَ رسولُ الله ﷺ أنه هو أولى بهما مِنْ أتباعهما ، بل جعل أمَّته ﷺ أولى بهما من أتباعهما أيضاً ، وأنهما عليهما السلام يبرءان إلى الله سبحانه وتعالى مما ادعاه أتباعُهما ، لهما أو عليهما ، وهما منه براء .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ المدينةَ ، فوجد اليهودَ يصومون يومَ عاشوراءَ ، فسُئِلوا عن ذلك ، فقالوا : هذا اليومُ الذي أظهر اللهُ فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ، فنحن نصومُه تعظيماً له . فقال النبيُّ ﷺ : « نحن أولى بموسى منكم ».

وفي لفظ : « نحن أحقُّ وأولى بموسى منكم ».

وفي لفظ : « أنا أولى بموسى منهم ». متفق عليه[3].

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي ﷺ ، رقم (٣٦١٠) وسنن الدارمي (١ : ٣٠) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

(٢) سورة آل عمران (٦٨).

(٣) كتاب البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة . =

وفي لفظ للبخاري[1] : « أنتم أحق بموسى منهم ».

فإذا كانت أُمَّتُه ﷺ أحقَّ بموسى منهم فكيف يكون هو ؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بعيسى ابنِ مريمَ في الدنيا والآخرة ... ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

وكيف لا ، وقد حرَّف اليهودُ والنصارى كتابيهما ، وادّعَوا عليهما ولهما عليهما السلام ما لم يقولاه ، وخالفوا أوامرَهما ، والتي فيها الإيمانُ برسوله الكريم سيدنا محمد ﷺ ، واتِّباعُه ونُصرتُه ، والله تعالى أعلم .

٧ ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أنه سيكون شهيداً للأنبياء على أممهم ، وشاهداً للأنبياء على تأديتهم رسالاتهم .

قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[3].

وقال الله جل شأنه : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[4].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ

= وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب صوم يوم عاشوراء ، رقم (١٢٧ ـ ١٢٨).

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : تفسير سورة يونس : باب ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾.

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضائل عيسى ابن مريم عليه السلام ، رقم (١٤٣).

(٣) سورة الأحزاب (٤٥ ـ ٤٦).

(٤) سورة الفتح (٨ ـ ٩).

هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[1].

وقال الله عز شأنه : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغتَ ؟ فيقول : نعم يا رب ، فتُسأل أمتُه : هل بلَّغَكُم؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول : مَنْ شهودُك ؟ فيقول : محمدٌ وأمتُه ، فيُجاء بكم ، فتشهدون » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾. رواه البخاري[3]. وله روايات عند غيره أيضاً ، فيها زيادات لطيفة .

فقوله : « ﴿وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً » هو مرفوع من الحديث ، كما بيَّنه الحافظُ رحمه الله تعالى في الفتح[4] ، حيث جاء في كتاب التفسير من صحيح البخاري « والوسط : العدل ».

٨ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أنه سيكون أولَ شافع ، وأولَ مشفَّع . والشفاعة العظمى لبدء الحساب تكون أول ما يبدأ به

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا سيد

---

(١) سورة النساء (٤١).

(٢) سورة النحل (٨٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

(٤) فتح الباري : (٨ : ١٧٢).

ولد آدم ، وأولُ من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ومشفَّع ». رواه مسلم[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا أولُ الناس يشفعُ في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً ». رواه مسلم[2].

وفي لفظ له عنه رضي الله عنه[3] قال : قال النبيُّ ﷺ : « أنا أولُ شفيع في الجنة ».

وعن واثلةَ بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى كنانةَ من ولدِ إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم .

زاد ابن حبان بسند مسلم[4]. « فأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأولُ من تنشق عنه الأرضُ ، وأول شافع ، وأول مشفَّع ».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأول مشفَّع ولا فخر ،... ». رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة ، ورواه الترمذي ، وصححه من غير ذكر هذا الحرف فيه صراحة[5] ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، رقم (٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب قول النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً »، رقم (٣٣٠).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٣٢).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبيِّ ﷺ ، رقم (١) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٣٥ ، ٣٩٢).

(٥) مسند أحمد : (٣ : ٢) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب : ومن سورة بني إسرائيل ، رقم (٣١٤٨) وفي كتاب المناقب : باب فضل النبي ﷺ ، رقم (٣٦١٥) وسنن ابن ماجه : =

٩ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أنه سيكون مبشِّرَ الناس إذا أيسوا يوم القيامة .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولُهم خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا قائدُهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبُهم إذا أنصتوا ، وأنا شافعُهم إذا حُبسوا ، وأنا مُبشِّرُهم إذا أيسوا ... ». رواه الترمذي ، وحسنه ، والدارمي وأبو نعيم والبيهقي[١] بأسانيد حسان .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : حدثني نبيُّ الله ﷺ : « إني لقائمٌ أنتظرُ أُمَّتي يعبرون على الصراط ، إذا جاءني عيسى ـ عليه السلام ـ فقال : يا محمد ؛ هذه الأنبياءُ قد جاءتك يسألونك أن يجتمعوا إليك ، فتدعو اللهَ عز وجل أن يفرِّقَ جمعَ الأمم إلى حيث يشاء الله ، لِغَمِّ ما هم فيه ، والخلقُ مُلجَمون في العَرَق ، وأما المؤمن فهو عليه كالزُّكمة . وأما الكافرُ فيغشاه الموتُ قال : قال[٢]: عيسى انتظر حتى أرجع إليك ، قال : فذهب نبيُّ الله ﷺ ، حتى قام تحت العرش ، فلقي ما لم يَلْقَ مَلَكٌ مصطفى ولا نبيٌّ مرسَلٌ ، فأوْحى اللهُ عز وجل إلى جبريل : اذهب إلى محمد ، فقل له : ارفع رأسَكَ ، سَلْ تُعطَ ، واشفع تُشفَّع ،... » الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن خزيمة وسعيد بن منصور ،

= كتاب الزهد : باب في الشفاعة ، رقم (٤٣٠٨) وكتاب التوحيد (٢ : ٦٢١) ولم يسق لفظه .

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي ﷺ ، رقم (٣٦١٠) وسنن الدارمي : المقدمة : باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل (١ : ٣٠ رقم٥٠) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٢). ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

(٢) القائل ـ والله تعالى أعلم ـ هو النبي ﷺ ، ويكون المعنى : قال أنس : قال النبي ﷺ : « يا عيسى انتظر ،... ».

برجال الصحيح[1].

١٠ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أن الله تعالى يبعثه مقاماً محموداً ، يحمده أهلُ الجمع كلُّهم ، وهو الشفاعة العظمى للخلق .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ [زاد البخاري في رواية : من الأنبياء] قبلي : كان كلُّ نبيٍّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً ، وبُعثتُ إلى كلِّ أبيض وأسود (وعند البخاري : وبُعثتُ إلى الناس عامة) وأُحلت لي الغنائمُ ، ولم تَحلَّ لأحدٍ قبلي ، وجُعلتْ ليَ الأرضُ طيِّبةً : طهوراً ومسجداً ، فأيّما رجلٍ أدركتْه الصلاةُ ، صلى حيثُ كان ، ونُصرتُ بالرعب بين يَديَّ مسيرةَ شهرٍ ، وأُعطيتُ الشفاعة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً ، كلُّ أمة تتبع نبيَّها ، يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه اللهُ المقامَ المحمودَ ». رواه البخاري[4].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٧٨) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ : ٦١٦ ـ ٦١٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٣ ـ ٣٧٤) والترغيب والترهيب (٦ : ٢١٨ ـ ٢١٩) وكنز العمال (١٤ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وفتح الباري (١١ : ٤٣٦).

(٢) سورة الإسراء (٧٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التيمم : الباب الأول ، وصحيح مسلم : كتاب المساجد ، رقم (٣).

(٤) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الإسراء : باب ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ .

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « إن الشمسَ تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ العرقُ نصفَ الأذن ، فبينا هم كذلك ، استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ ، فيشفع ، ليُقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذَ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ؛ يحمدُه أهلُ الجمع كلهم ». رواه البخاري[1].

وقد مرَّ حديثُ أنس رضي الله تعالى عنه قبل قليل ، رواه أحمد وابن خزيمة وسعيد بن منصور برجال الصحيح ، فانظره .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : يُجمع الناسُ في صعيد ، ولا تكلم نفس ، فأولُ مدعوٍّ محمدٌ ﷺ ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهديُّ من هديت ، وعبدُك وابنُ عبديك ، وبك وإليك ، ولا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، تباركت وتعاليتَ » فهذا قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ رواه النسائي والطيالسي وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم والطبراني والبزار ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، وصححه الحافظ في الفتح أيضاً[2].

والأحاديث في ذلك كثيرة .

فمن رحمته ﷺ التي خصّه الله تعالى بها أن يشفع للخلائق جميعاً بما فيهم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب من سأل الناس تكثراً ، وفي غيرهما .

(٢) تفسير النسائي (٢ : ٦٦٠) ومسند الطيالسي (٥٥رقم ٤٤٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٨٤) والسنة (٣٦٧) وكشف الأستار (٤ : ١٦٧) وحلية الأولياء (١ : ٢٧٨) والمستدرك (٢ : ٣٦٣ ـ ٣٦٤) وانظر (٤ : ٥٧٣) وفتح الباري (٨ : ٣٩٩ ـ ٤٠٠) والدر المنثور (٥ : ٣٢٥) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٧) وانظر كنز العمال (١١ : ٤٣٤).

الكفار ، وللأمم جميعاً ، في بدء الحساب ، لأنه ﷺ يرى ما حل بالخلق ، فلم تطب نفسه أن يبقوا مدة أخرى أطول ، وهم في العذاب ، لذا يشفع ﷺ لهم ، ليتميّز الناس ، إما إلى الجنة وإما إلى النار .

١١ـ ومن مظاهر رحمته ﷺ بالخلق جميعاً يوم القيامة : أن الأنبياء عليهم السلام سيتخلون عن أممهم ، فضلاً عن غيرهم . ولا يتقدم أحدٌ لطلب بدء الحساب إلّا هو ﷺ ، فيُجيب الله تعالى طلبه ، ويقبل شفاعته .

إن الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ينظرون يوم القيامة إلى موقفين ؛ غضب الله تعالى في ذلك اليوم ، وما صدر منهم في حال الحياة الدنيا ، لذا لا يستطيعون أن يتقدّموا بين يدَي الله تعالى ليشفعوا للخلق ، خشية المؤاخذة عما صدر منهم ، وخجلاً من الله تعالى ، لذا فإنهم يسألون نجاةَ أنفسهم ، ويتخلون عن الخلق جميعاً .

أما النبي المصطفى الكريم ﷺ ؛ فقد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ـ لذا لا يُسأل ولا يؤاخذ عن شيء ـ وحفظه الله تعالى من كل صغير وكبير ،... وجعله لا يتحرك إلا بالوحي الذي يوحيه إليه ،... وأكرمه بما لم يُكرم أحداً من خلقه ، وخصّه بما لم يخص أحداً من أنبيائه ورسله ، فجعله رحمةً مهداةً ورؤوفاً رحيماً ،... واستعلاه على الخُلُق العظيم ،... لذا كما كان ﷺ مفوِّضاً أمر نفسه إلى ربه تعالى في الدنيا ـ لأنه بأعين الله عز وجل ـ فهو مفوِّضٌ أمر نفسه لربه تعالى في الآخرة ، وعلى الحالتين ؛ فهو رحمة ، وهو رحيم رؤوف ، وكيف يكون رحمةً رؤوفاً رحيماً ولا يظهر أثرُ تلك الرحمة في ذلك الموقف الرهيب ، الذي لا أحوج للخلق للرحمة منه . لذا فإنه ﷺ يتقدّم للشفاعة ، لأن الله تعالى أعطاه إياها ، وجعله رحمةً للخلق جميعاً ، كما هو ﷺ رسولٌ لهم

جميعاً ، فيعرفون فضلَه ثانية ، كما عرفوه في الدنيا ليلة الإسراء ، حيث صلّى الأنبياءُ عليهم السلام خلفه مأمومين ، وهم مؤتمّون به ﷺ .

والأحاديثُ النبوية الشريفة في بيان تخلي أولي العزم من الرسل عليهم السلام يوم العرض عن الخلق جميعاً ـ بما فيهم أممهم ـ وتقدُّمه هو ﷺ بالشفاعة ، فيُقضى بين الناس : كثيرةٌ جدّاً . أقتصر على ذكر ثلاثة منها .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أُتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم ، [وفي رواية : كنا مع رسول الله ﷺ في وليمة] فرُفعت إليه الذراعُ ـ وكانت تعجبه ـ فنهس منها نهسة ، فقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخِرين في صعيدٍ واحد ، فيُسمعهم الدّاعي ، ويَنفُذُهم البصر ، وتدنو الشمسُ ، فيبلغُ الناسَ من الغمِّ والكرب ما لا يطيقون ، وما لا يحتملون ، فيقول بعضُ الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفعُ لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعضُ الناس لبعض : ائتوا آدم .

فيأتون آدمَ ، فيقولون : يا آدم ؛ أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكةَ فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا . فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ؛ أنت أولُ الرسل إلى الأرض ، وسمّاك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ، ولن

يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ .

فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبيُّ الله وخليلُه من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ، ولا يغضب بعده مثلَه ، وذكر كذباته . نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ﷺ ، فيقولون : يا موسى ؛ أنت رسولُ الله ، فضلَّك الله برسالاته ، وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ، ولن يغضب بعده مثلَه ، وإني قَتلتُ نفساً لم أُومر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى عيسى ﷺ .

فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى ؛ أنت رسولُ الله ، وكلّمتَ الناس في المهد ، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم ، وروحٌ منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ، ولن يغضب بعده مثلَه ـ ولم يذكر له ذنباً ـ نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتوني ، فيقولون : يا محمد ؛ أنت رسولُ الله ، وخاتمُ الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليَّ ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفَّع ، فأرفع

رأسي فأقول : يا ربِّ أمَّتي ، أمَّتي . فيقال : يا محمد ؛ أدخل الجنةَ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر - أو كما بين مكة وبُصرى ». متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : حدثنا محمد ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ماج الناسُ بعضهم إلى بعض .

فيأتون آدم فيقولون له : اشفع لذريتك . فيقول : لستُ لها [ولكن ائتوا نوحاً أولَ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض .

قال : فيأتون نوحاً ، فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئتَه التي أصاب ، فيستحي ربَّه منها][2] ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام ، فإنه خليل الله .

فيأتون إبراهيم ، فيقول : لستُ لها ، ولكن عليكم بموسى عليه السلام ، فإنه كليم الله .

فيُؤتى موسى ، فيقول : لستُ لها ، ولكن عليكم بعيسى عليه السلام ، فإنه روح الله .

فيؤتى عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﷺ .

فأُوتى ، فأقول : أنا لها ، فأنطلق فأستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه ، فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن ؛ يلهمنيه الله ، ثم أخرُّ له ساجداً ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الإسراء : باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ...﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٢٧).

(٢) يعني - والله تعالى أعلم - : فيستحي من ربِّه منها .

فيقال لي : يا محمد ؛ ارفع رأسَك ، وقل يُسمع ، وسل تعطه ، واشفع تُشفَّع . فأقول : يا ربِّ أمتي أمتي ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناسَ . فيقوم المؤمنون حتى تُزلفَ لهم الجنةُ . فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنةَ . فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئةُ أبيكم آدم ! لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليلِ الله . قال : فيقول إبراهيم : لستُ بصاحب ذلك ، إنما كنتُ خليلاً مِن وراء وراء ، اعمِدوا إلى موسى ﷺ الذي كلَّمه الله تكليماً . فيأتون موسى ﷺ فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله وروحِه . فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذلك . فيأتون محمداً ﷺ . فيقوم ، فيُؤذن له ـ وترسلُ الأمانة والرَّحمُ ، فتقومان جنبتي الصراط ؛ يميناً وشمالاً ـ فيمر أولُكم كالبرق » قال : قلت بأبي أنت وأمي ، أي شيء كمر البرق ؟ قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمرِّ الريح ، ثم كمرِّ الطير وشدِّ الرجال ؛ تجري بهم أعمالُهم . ونبيُّكم قائم على الصراط يقول : ربِّ ، سلِّم سلِّم . حتى تعجزَ أعمالُ العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيعُ السيرَ إلا زحفاً . قال : وفي حافَتَي الصراط كلاليبُ معلَّقةٌ ، مأمورةٌ بأخذ مَن أُمرتْ به ؛ فمخدوشٌ ناجٍ ، ومكدوسٌ في النار ». رواه مسلم[2].

ففي هذه الأحاديث الشريفة ـ وغيرها مما لم أذكره ـ دلالةٌ صريحةٌ على

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : الباب السابق ، رقم (٣٢٩).

تخلي أولي العزم عليهم السلام عن الشفاعة للخلق في ذلك اليوم ، كما فيه دلالة على تخليهم أيضاً عن أممهم ، كما فيه دلالة على سؤال كلِّ واحد منهم مصلحة نفسه ، لما يرى من الهول وخطورة الموقف ، لذا يقول كلُّ واحد منهم : « نفسي نفسي ».

أما النبي المصطفى الكريم ﷺ فعلى العكس من ذلك ، فله موقفان ، موقف بالنسبة للخلق جميعاً ولو كانوا كافرين ، وموقف متعلق بأمته . ومن كمال رحمته في الموقفين فإنه ﷺ قد فوَّض أمر نفسه لربه تعالى ،... وسأل الخلاصَ للخلق .

ـ **أما بالنسبة للخلق جميعاً** ؛ فقد سأل ربّه عز وجل بدءَ الحساب لهم جميعاً ، لأنه الرحمة المهداة لهم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فكيف يتخلّى عنهم وهم في هذا الموقف الرهيب ، ويعانون من العذاب النفسي ، الذي لا يدري أحدُهم ما مصيره بعد قليل ؟ ولا يدري متى يتبين مصيره ، ولا أشد ولا أصعب من الانتظار ، مع تخلي أنبيائهم عليهم السلام عنهم .

بل إن الأنبياء عليهم السلام أنفسهم يرغبون إليه ﷺ في ذلك اليوم ـ كما في حديث أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ، الذي في آخره قوله ﷺ : « فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخّرتُ الثالثةَ ليومٍ يرغب إِلَيَّ الخلقُ كلُّهم ، حتى إبراهيم ﷺ ». رواه مسلم[1]. كما مر قبل قليل .

فإذا كان إبراهيم عليه السلام ـ وهو أفضلُ الخلق بعد رسول الله ﷺ ـ يرغبُ إليه ، فكيف بمن دونه من الرسل والأنبياء عليهم السلام ؟ وكذا كيف بمن هو دون الرسل والأنبياء عليهم السلام ؟

---

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، رقم (٢٧٣).

إن كلّ نبيّ يرى في نفسه تقصيراً عن مقام الشفاعة ـ مع وجود ما صدر منه في الدنيا ، لذا هو مُشفِقٌ من المؤاخذة ـ أو أن كلَّ واحد منهم يعلم أنه ليس هو صاحب الشفاعة ـ بخلاف نبينا الكريم ﷺ في ذلك كله ، ومن ثَمّ احتج عيسى عليه السلام بأنه ﷺ صاحب الشفاعة ، لأنه ﷺ قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، بمعنى أن الله تعالى أخبر أنه لا يؤاخذه بذنب ، لذا يخاطبه عيسى عليه السلام بذلك ، وأن الأنبياء يسألونه في ذلك[1].

فآدم عليه السلام أكل من الشجرة ، ونوح عليه السلام دعا على قومه بالهلاك ، فهلكوا جميعاً ، إلا من آمن وهم قلة ، وإبراهيم عليه السلام ذكر ما حصل له من التورية ، وموسى عليه السلام قتل نفساً بريئة بغير ذنب ، وعيسى عليه السلام عُبد من قومه مع الله تعالى ، لذا لعنهم كما قال الله عز وجل : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴾[2].

أما هو ﷺ فلم يحصل له شيء من ذلك ، ولم يصدر منه شيء يُنقم عليه فيه ، ومع هذا فقد غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر ، وجعله الله تعالى رحمةً للعالمين ، وأعطاه الشفاعة وهو في الدنيا ، لذا يتقدّم هو ﷺ للشفاعة ، لأن ذلك من آثار الرحمة الكاملة ، التي خصه الله تعالى بها ، والله تعالى أعلم .

لذا لما يأتيه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ كمندوبين عن الخلق ـ وأطلب السماح عن هذا التعبير ـ كما مر في حديث أنس رضي الله تعالى عنه ـ

---

(١) انظر فتح الباري (١١ : ٤٣٦).

(٢) سورة المائدة (٧٨).

يسألونه أن يشفع للخلق جميعاً ـ مع تخليهم عن أممهم ، يقول ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ : « أنا لها ، أنا لها ».

هذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

أما بالنسبة لأمته ﷺ :

١٢ـ فمن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة : أن الله عز وجل سيرضيه في أمته يوم القيامة ، ولا يسوؤه . بخلاف ما يحصل للأمم السابقة .

قال الله تعالى له : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[2].

وعن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ...﴾ الآية[3] وقال عيسى عليه السلام : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[4] فرفع يديه وقال : « اللهم أمتي أمتي ، فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسلْه : ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمد ، فقل : إنّا سنُرضِيك في أُمَّتِك ولا نسوؤك ». رواه مسلم[5].

---

(١) سورة الإسراء (٧٩).

(٢) سورة الضحى (٥).

(٣) سورة إبراهيم (٣٦).

(٤) سورة المائدة (١١٨).

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب دعاء النبي ﷺ لأمته ، رقم (٣٤٦).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « عُرِضت عليَّ الأنبياءُ الليلةَ بأممها ، فجعل النبيُّ يمرُّ ومعه الثلاثة ، والنبيُّ ومعه العصابةُ ، والنبيُّ ومعه النفر ... » الحديث ، وفيه : « ثم قيل لي : انظر عن يسارك ، فنظرتُ ، فإذا الأفقُ قد سُدَّ بوجوه الرجال ، فقيل : لي أرضيتَ ؟ فقلت : رضيتُ يا رب ، رضيتُ يا رب ،... ». الحديث ، رواه أحمد وعبد الرزاق والطبراني والبزار وأبو يعلى وصحّحه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، وصححه ابن كثير وابن القيم والحافظ ابن حجر ، ورجال أحمد وأبي يعلى والبزار رجال الصحيح[1] أيضاً .

وعن حذيفةَ رضي الله تعالى عنه قال : غاب عنا رسولُ الله ﷺ يوماً ، فلم يخرج حتى ظننّا أنه لن يخرج ، فلما خرج سجد سجدةً ، فظننا أن نَفْسَه قد قُبضت منها ، فلما رفع رأسَه قال : « إن ربي تبارك وتعالى استشارني في أمتي ، ماذا أفعلُ بهم ، فقلت : ما شئتَ أي رب ، هم خلقُك وعبادُك ، فاستشارني الثانيةَ ، فقلت له كذلك ، فقال : لا أحزنك ـ وفي مجمع الزوائد : لا نخزيك ـ في أمتك يا محمد ، وبشَّرني أن أولَ من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً ، ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إليَّ فقال : ادع تُجَبْ ، وسَلْ تُعْطَ ، فقلتُ لرسوله : أوَ مُعْطي ربي سؤْلي؟ فقال :

(١) مسند أحمد (١ : ٤٠١ ـ ٤٠٢) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ٤٠٨ ـ ٤٠٩) والمعجم الكبير (١٠ : ٥ ـ ٨) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٣١ ـ ٢٣٣) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١١٥ ـ ١١٦) (٩ : ٢٢٠) والمستدرك (٤ : ٥٧٧ ـ ٥٧٨) وتفسير ابن كثير (١ : ٣٩٢ ـ ٣٩٣) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥) (١٠ : ٤٠٥ ـ ٤٠٦) وفتح الباري (١١ : ٤٠٧) وحادي الأرواح (٨٩ ـ ٩٠).

ما أرسلني إليك إلا ليعطيك . ولقد أعطاني ربي عز وجل ولا فخر ، وغَفر لي ما تقدَّم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حيّاً صحيحاً ، وأعطاني أن لا تجوع أُمتي ، ولا تُغلب ، وأعطاني الكوثر ـ وهو نهر من الجنة ، يسيل في حوضي ـ وأعطاني العِزَّ والنصرَ ، والرعبَ يسعى بين يَدَي أُمتي شهراً . وأعطاني أني أوَّلُ الأنبياء أدخل الجنةَ ، وطيَّب لي ولأمتي الغنيمةَ ، وأحلَّ لنا كثيراً مما شدَّدَ على مَنْ قبلنا ، ولم يجعل علينا من حرج ». رواه أحمد بسند حسن[1]. وحسنه ابن كثير أيضاً . ولكل فقراته شواهد متعددة .

١٣ـ ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة : أن الله عز وجل جعله فرطاً لأمته . وهذا من رحمة الله تعالى بهذه الأمة .

وذلك لأن الله تعالى إذا أراد رحمةَ أمَّةٍ قبض نبيَّها قبلها ؛ ليكون لها فرطاً ، أما إذا أراد تعذيب أمَّة قبضها قبل نبيِّها ، ليُقِرَّ عينَه بهلكتها .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله عز وجل إذا أراد رحمةَ أُمَّةٍ من عباده ؛ قبض نبيَّها قبلها ، فجعله لها فَرَطاً[2]، وسَلَفاً بين يديها ، وإذا أراد هَلَكَةَ أُمَّةٍ ؛ عذَّبها ونبيُّها حيٌّ ، فأهلكها وهو ينظرُ ، فأَقرَّ عينَه بِهَلَكَتِها حين كذّبوه وعَصَوا أمرَه ». رواه مسلم[3].

(١) مسند أحمد : (٥ : ٣٩٣) ومجمع الزوائد (١٠ : ٦٨ ـ ٦٩) والنهاية (٢ : ١٥).

(٢) قوله : « فرطاً » الفرط بفتح الفاء والراء . من فرط يفرط فهو فارط . وفَرَط : إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ، ويهيء لهم الدلاء والأرشية.اهـ. من النهاية (٣ : ٤٣٤) فالمعنى : فقبضه ليكون متقدمهم إلى رحمة الله عز وجل ، وكما في قوله ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض ». أي متقدمكم إليه ، والله تعالى أعلم .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إذا أراد الله سبحانه وتعالى رحمة أمةٍ قبض نبيها قبلها ، رقم (٢٤).

وعن عقبَة بن عامرٍ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً ، فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : « إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني ـ والله ـ لأنظرُ إلى حوضي الآن ، وإني قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني ـ والله ـ ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها ». متفق عليه[1].

لقد ذُكر في هذا الحديث أمران متنافيان من حيث الظاهر : الفَرَط وهو الذي يتقدمُ قومَه ليُصلِحَ لهم ويُهَيِّءَ لهم ما يلزمهم ، وهنا هو ﷺ فَرَطٌ على الحوض . والثاني : الشهادةُ على أمته ، وهذا يقتضي تأخره وحضوره حتى يشهد عليهم .

قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى[2] : قد أخبر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بأمرين : كونه فَرَطاً لهم يتقدمهم بعمل مصلحتهم . وشهيداً عليهم ، يشهد عليهم بأعمالهم ، فكأنه باقٍ فيهم لم يتقدمهم ، بل يبقى بعدهم حتى يشهدَ بأعمال آخرهم ، فجمع اللهُ تعالى له ما بين هاتين الصفتين اللتين تتنافيان في حقِّ غيره .

فهو عليه الصلاة والسلام قائمٌ بأمرهم في الدّارَين ، في حالتي حياتِه وموتِه ﷺ .اهـ.

وذلك بعرض الأعمال عليه ﷺ فيشهد بذلك ، والله تعالى أعلم . وقد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهيد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، رقم (٣٠).

(٢) طرح التثريب (٣ : ٢٩٧).

توسعت في بيان ذلك في غير هذا الكتاب .

١٤ـ ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة : اشتراطه ﷺ على ربه عز وجل ؛ أن يجعل كلَّ دعوة دعا بها على أحد من أمته ـ وهو ليس لها بأهل ـ وكذا إذا سبَّ أحداً أو جلده أو آذاه ، وهو غيرُ أهل لذلك حقيقة ، أن يجعلها اللهُ سبحانه وتعالى له رحمة وزكاةً وصلاةً وقربةً يقرِّبه الله سبحانه وتعالى بها إليه يوم القيامة .

قال ﷺ : « اللهم إنما أنا بشر ، وإني اشترطت على ربي عز وجل ».

وفي رواية : « اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تُخْلِفنِيه ، فإنما أنا بشر ؛ فأيّ المؤمنين آذيتُه ، شتمتُه ، لعنتُه ، جلدتُه ،... » [زاد في رواية : « دعوتُ عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل »] فاجعلها له صلاةً وزكاةً [ورحمةً] وقربةً تُقرِّبه بها إليك يوم القيامة ». متفق عليه من حديث أبي هريرة ، ورواه مسلم من حديث السيدة عائشة وجابر وأنس رضي الله تعالى عنهم .

وزاد أبو داود وأحمد والطبراني في الكبير من حديث سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه : « وإنما بعثني رحمةً للعالمين »[1].

١٥ـ ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة : شهادتُه ﷺ لأمته يوم القيامة ، وهي نوعان :

أ ـ شهادته ﷺ لها على أعمالها ، لأنها خاتمةُ الأمم ، ونبيها الحبيب ﷺ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب قول النبي ﷺ : « من آذيته فاجعلها زكاة ورحمة » وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه ، رقم (٨٨ ـ ٩٥) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ، رقم (٤٦٥٩) ومسند أحمد (٥ : ٤٣٧) والمعجم الكبير (٦ : ٣١٨ـ ٣١٩).

خاتم الأنبياء عليهم السلام ، لذا فلا أحد يشهد عليها سواه ﷺ . ولأن أعمالها تُعرض عليه . فالأممُ كلها مفضوحة أمام هذه الأمة ، أما هذه الأمة فلا تنفضح عند أحد ، لأن الذي يشهد عليها هو رسول الله ﷺ لا غير .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ، ثم يقول : « أيهم أكثرُ أخذاً للقرآن؟ » فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : « أنا شهيد على هؤلاء ، يوم القيامة ،... » الحديث ، رواه البخاري(١).

وعن عقبَة بن عامرٍ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ خرج يوماً ، فصلّى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر ، فقال : « إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني ـ والله ـ لأنظرُ إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيتُ مفاتيحَ خزائن الأرض ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه . وقد سبق ذكره قبل قليل .

ب ـ شهادته ﷺ لها عندما تشهد للأنبياء عليهم السلام على أممهم . وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام عندما يُسألون عن تبليغهم أممهم ؛ تُنكر أممُهم ، ويقولون : ما جاءنا من بشير ولا نذير . فتكون هذه الأمة شاهدةً للأنبياء عليهم السلام على أممهم ، وأنهم قد بلّغوا أممَهم . فيكون ﷺ الشاهدَ على أمته بصدق ما قالوا ، من تبليغ الرسل عليهم السلام .

قال الله عز وجل : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٢).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهيد ، وفي غيرهما .

(٢) سورة الحج (٧٨).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له : هل بلغتَ؟ فيقول : نعم يا رب ، فتُسأل أمتُه : هل بلَّغكُم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول : مَنْ شهودُك ؟ فيقول : محمدٌ وأمتُه ، فيُجاء بكم ، فتشهدون » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. رواه البخاري[١]. وقد سبق ذكره قبل .

١٦ـ ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة من الله تعالى لهذه الأمة في الحياة الآخرة : تأخير دعوته الخاصة ، لتكون شفاعة لأمته يوم القيامة . وهذا من رحمة الله تعالى بهذه الأمة . والأحاديث في ذلك كثيرة ، منها :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة ، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أُمَّتي لا يشرك بالله شيئاً ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[٢].

وعن أنسٍ رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لكل نبيٍّ دعوةٌ دعاها لأُمَّته ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[٣].

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لكل نبيٍّ دعوةٌ لقد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾.

(٢) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب لكل نبي دعوة مستجابة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، رقم (٣٣٤ـ ٣٤٠).

(٣) في الصحيحين : في الكتابين والبابين السابقين .

دعا بها في أمته ، وخبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ». رواه مسلم[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : طلبتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً ، فوجدته قائماً يصلّي ، فأطال الصلاة ، ثم قال : « أوتيتُ الليلة خمساً لم يُؤتها نبيٌّ قبلي ، أُرسلتُ إلى الأحمر والأسود ، ونُصرتُ بالرعب ؛ فيرعب العدوُّ وهو على مسيرة شهر ، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً ، وأُحلّت ليَ الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وقيل لي : سل تعطه ، فاختبأتُها شفاعةً لأمتي ، فهي نائلةٌ من لم يشرك بالله شيئاً ». رواه أحمد والطيالسي والبزار وابن المبارك في آخرين ، وصحّحه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

ورواه أحمد وابن أبي شيبة ومسدد وعبد بن حُميد والبزار والطبراني من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وإسناد أغلبهم حسن[3].

والأحاديث في ذلك كثيرة ، ذكرت في الخصائص وفي الشفاعة جملةً صالحةً منها .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين .

(٢) مسند الطيالسي (٦٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وسنن الدارمي (٢ : ١٤٢ ـ ١٤٣) ومسند أحمد (٥ : ١٤٨ ، ١٦١ ـ ١٦٢) والزهد والرقائق (٣٧٧ ، ٥٦٣) والتاريخ الكبير (٥ : ٤٥٥) وحلية الأولياء (٣ : ٢٧٧) والمستدرك (٢ : ٤٢٤) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٧٥) ودلائل النبوة (٥ : ٤٧٣). وكسف الأستار (٤ : ١٦٦ ـ ١٦٧) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٩) وعزاه لأحمد برجال الصحيح (١٠ : ٣٧١) وعزاه للبزار بسندين حسنين . وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ٦٢ ، ٦٣).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣) ومسند أحمد (١ : ٢٥٠ ، ٣٠١) ومسند عبد ابن حُميد (٢١٥ ـ ٢١٦) والمعجم الكبير (١١ : ٦١ ، ٧٣) وكشف الأستار (٤ : ١٦٦) والسنن الكبرى (٢ : ٤٣٣) ودلائل النبوة (٥ : ٤٧٣ ـ ٤٧٤) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٥٨) (١٠ : ٣٧١) وإتحاف الخيرة المهرة (١ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤) (٦ : ٣٩٩) وكنز العمال (١١ : ٤٣٨).

١٧ـ ومن أهم مظاهر هذه الرحمة : شفاعاتُه ﷺ المتعدِّدةُ لأمته ، وإذا كان الأنبياء عليهم السلام يشفعون لأممهم ، فإنما هي شفاعة واحدة ، أما هو ﷺ فله شفاعات كثيرة ، إضافة إلى أن الناجين من هذه الأمة يشفعون لإخوانهم الذين دخلوا النار ، وقد ذكرتُ كثيراً من الأحاديث في كتاب (الخصائص) وَ (عظيم قدره ﷺ) وأفردت الباب الثالث من كتاب الشفاعة للأحاديث التي وردت في ذلك . أشير إلى ثلاثة أحاديث ، إضافة لما مر ذكره ، ومن أراد معرفة الأحاديث فلينظرها في الكتب المذكورة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ...فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليَّ ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسَك ، سل تعطه ، اشفع تشفَّع ، فأرفع رأسي فأقول : يا ربِّ أمَّتي ، أمَّتي . فيقال : يا محمد ؛ أدخل الجنةَ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر ـ أو كما بين مكة وبُصرى ». متفق عليه[1].

وعن أنسٍ رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة ماجَ الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ ، فيأتون آدمَ ، فيقولون له : اشفع لذريتك ،... ثم يذكر إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم يأتونه ﷺ ، قال : فيقال لي : ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعطه ، واشفع تُشفَّع ، فأقول :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الإسراء : باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ...﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٢٧).

يا رب أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حَبَّة من بُرّةٍ أو شعيرةٍ من إيمان فأخرجه منها ... فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حَبّة من خردل من إيمان ، فأخرجه منها .. فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حَبّة من خردل من إيمان ، فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل ». متفق عليه[1].

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال : قال ﷺ : « ...ثم يُقال لي : ارفع رأسَك ، وسل تعطه ، وقل يُسمع ، واشفع تُشفّع ، فأرفعُ رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يُعلِّمني ، ثم أشفع ، فيحدُّ لي حداً ، ثم أخرجهم من النار ، وأُدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً ، مثله في الثالثة أو الرابعة ، حتى ما يبقى في النار ، إلا من حبسه القرآن ». متفق عليه[2].

قوله : « حبسه القرآن » أي وجب عليه الخلود في النار .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ، يُسمَّوْن الجَهَنَّميين ». رواه البخاري[3].

والشفاعات التي أكرم الله تعالى بها نبيّه الكريم ﷺ ومنحها إياه كثيرة ، أوصلها بعضهم إلى ثلاث عشرة شفاعة بل أكثر[4]. وقد ذكرتها في كتابَيَّ :

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢٢ ـ ٣٢٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار .

(٤) انظر : فتح الباري (١١ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩) وانظر كتابَيْ (الخصائص) وَ (الشفاعة).

(الشفاعة) وَ (الخصائص) وذكرت أدلتها ، وهذه عناوينها :

١ـ شفاعته ﷺ في إراحة الخلق جميعاً من هول الموقف .

٢ـ شفاعته ﷺ في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب .

٣ـ شفاعته ﷺ في إدخال قوم من هذه الأمة حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يُعذّبوا .

٤ـ شفاعته ﷺ في إخراج من أُدخل النار من عصاة هذه الأمة .

٥ـ شفاعته ﷺ في رفع درجات أقوام ممن دخلوا الجنة .

٦ـ شفاعته ﷺ فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ، وهم أهل الأعراف في أرجح الأقوال ، والله تعالى أعلم .

٧ـ شفاعته ﷺ في إدخال أمته الجنة قبل سائر الناس .

٨ـ شفاعته ﷺ فيمن قال : لا إله إلّا الله ، ولم يعمل خيراً قط .

٩ـ شفاعته ﷺ لأهل المدينة المنورة خاصة ، وهي نوعان بل ثلاثة . من صبر على لأوائها ، ومن مات فيها ، وهم أول من يشفع ﷺ لهم .

١٠ـ شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب ، وهذه من خصائصه ﷺ .

١١ـ شفاعته ﷺ لأهل القبرين عندما غرز في كل قبر جزءاً من السعفة .

١٢ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته .

١٣ـ شفاعة أمته ﷺ بعضهم في بعض .

وهناك غيرها ، لكن أقتصر على نوعين منها .

أ ـ شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب ، مع أنه لم ينطق بالشهادتين .

لقد حرص رسول الله ﷺ أشد الحرص على إيمان أبي طالب ، ولكن الهداية بيد الله تعالى ، فلم ينطق بالشهادين عند موته ، ومع هذا فإنه ﷺ لم

يتخلّ عنه ، وأكرم الله تعالى رسولَه الكريمَ ﷺ فقبل شفاعته فيه .

فعن المسيِّب بن حَزْن رضي الله تعالى عنهما قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛ جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بنَ هشام وعبدَ الله بنَ أبي أمية بن المغيرة . قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : « يا عم ؛ قل لا إله إلا الله ، كلمةً أشهد لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبدُ الله بنُ أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغبُ عن ملةِ عبد المطلب ؟ فلم يزل رسولُ الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾. متفق عليه[1].

لقد امتنع ﷺ عن الاستغفار له ، لأن المغفرة لا تكون إلّا للمؤمنين ، لكنه لم يتخلّ عنه ، بل شفع فيه ، وقَبِل الله تعالى شفاعتَه ﷺ فيه .

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أنه قال : يا رسول الله ؛ هل نفعتَ أبا طالب بشيء ؟ فإنه كان يحوطك ويغضبُ لك ؟ قال : « نعم ، هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ،... رقم (٣٩ـ٤٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب كنية المشرك ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب شفاعة النبيِّ ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببها، رقم (٣٥٧ـ٣٥٩).

وفي رواية لمسلم[1]: « نعم ، وجدتُه في غمراتٍ من النار ، فأخرجتُه إلى ضحضاح ».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله ﷺ **ذُكِر** عنده عمُّه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار ، يبلغ كعبيه ،... ». متفق عليه[2].

لذا صار أهونَ أهل النار عذاباً بشفاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أهونُ أهل النار عذاباً أبو طالب ،... ». الحديث ، رواه مسلم[3].

ولولا أن دخولَ المشرك الجنةَ مستحيلٌ شرعاً ، بعد أن حرَّمها الله تعالى عليهم ، وجاء النصُّ القرآنيُّ صريحاً في ذلك : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾[4]. لما بعُد أن يدخلها ، ولكن النصَّ القرآني والنص النبوي منع . لذا صار أخفَّ أهل النار عذاباً ، تكريماً له ﷺ ، والله تعالى أعلم .

ب ـ شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته .

إذا كان ﷺ يشفع لبعض أفراد هذه الأمة فيخفَّف عنهم العذاب ، أو يدخلون الجنة بلا حساب ، أو ترفع درجاتُهم في الجنة ، أو ممن وجب لهم الخلود

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٥٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٦٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أهون أهل النار عذاباً ، رقم (٣٦٢).

(٤) سورة المائدة (٧٢).

فلا يخلَّدون ، أو لأهل الصغائر ،... فإن هذا مع أهميته ومكانته وخطورته لكنه ليس كشفاعته ﷺ لأهل الكبائر من هذه الأمة ، إلا لمن وجب له الخلود في النار ، والله تعالى أعلم .

والكبائر أعظم الذنوب ، مثل الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وشهادة الزور ، وقتل النفس المسلمة بغير سبب ، والزنى ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وقذف المحصنات ، وشتم الرجل والديه ،... وغير ذلك كثير[١]. وكل هؤلاء سيكون مصيرهم النار .

وكلهم تشملهم شفاعة النبي الكريم ﷺ ، باستثناء الشرك بالله تعالى ، لأن الله تعالى لا يغفر لمن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». رواه أحمد والطيالسي وأبو داود وابن أبي عاصم والبزار والطبراني ، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وابن كثير ، والضياء[٢].

---

(١) انظر : الكبائر للحافظ الذهبي ، والزواجر عن اقتراف الكبائر للعلامة ابن حجر المكي ، وهو من أجود ما كُتب في ذلك .

(٢) مسند الطيالسي (٢٧٠) ومنحة المعبود (رقم٢٠٢٦) ومسند أحمد (٣ : ٢١٣) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في الشفاعة ، رقم (٤٧٣٩) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب ما جاء في الشفاعة ، رقم (٢٤٣٥) والسنة (٢ : ٣٩٩) وكتاب التوحيد (٢ : ٦٥١ ـ ٦٥٣ ، ٦٥٦) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٨٦) والمستدرك (١ : ٦٩) حلية الأولياء (٧ : ٢٦١) والشريعة (٣٣٨ ، ٣٣٩) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤٠) (٧ : ١٣٩ ـ ١٤٠ ، ١٤٧ ، ٢٨١) والمعجم الكبير (١ : ٢٣١ ـ ٢٣٢) والمعجم الأوسط (٤ : ٤٣) (٨ : ٢٤١) والمعجم الصغير (١ : ٢٧٢) (٢ : ٢٤٤) والبحر الزخار (١٣ : ٣٤٠) وكشف الأستار (٤ : ١٧٢) =

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». رواه الطيالسي والترمذي وحسنه ، وابن ماجه وابن خزيمة ، في آخرين ، وصحّحه ابن حبان والحاكم[1].

وقد رواه كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فإذا كانت شفاعته ﷺ لأهل الكبائر فما حال من هو خير منهم ؟

أسأله تعالى أن يكرمنا جميعاً بفضله وكرمه ، ويجعلنا من أهل شفاعة نبيه الحبيب ﷺ .

وصلى الله تعالى على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

* * * * *

= وبغية الباحث (رقم ١١٣٢) والسنن الكبرى (٨ : ١٧) (١٠ : ١٩٠) ومجمع البحرين (٨ : ١١٤) والمختارة (٤ : ٣٨٢) (٦ : ٦٧ ـ ٦٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥) (٥ : ٢١ ، ٢٢ ، ١٧٠ ، ١٧١) وتفسير ابن كثير (١ : ٤٨٧) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٧٨) وهذا مما يستدرك لأنه في السنن .

(١) مسند الطيالسي (٢٣٣رقم ١٦٩٩) سنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤٣٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر الشفاعة ، رقم (٤٣١٠) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٣٨٧) والمستدرك (١ : ٦٩) (٢ : ٣٨٢) وكتاب التوحيد (٢ : ٦٥٤ ، ٦٥٥) والشريعة (٣٣٨) وحلية الأولياء (٧ : ٢٦١) والبعث والنشور (٥٥) وانظر النهاية لابن كثير رحمه الله تعالى (٢ : ١٧٩ وما بعد).

الفصل الثاني والعشرون
رسول الله ﷺ في أعين أهل الكتاب

لما أخذ الله تعالى العهدَ على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أن إذا بعث رسول الله ﷺ وأحدٌ منهم على قيد الحياة : يلزمه أن يؤمن به ويتبعه وينصره .

كما أخذ الله سبحانه وتعالى عليهم أيضاً أن يأخذوا هذا العهدَ على جميع أممهم ، إن بُعث محمدٌ ﷺ يجبُ على هذه الأمم أن تؤمنَ به وتتبعه وتنصره وتؤيده ، فإن لم تفعل فقد خالفت أمرَ الله عز وجل .

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[1] .

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ حيث يشمل كلَّ نبي وكلَّ رسول . وذلك لأن كل رسول هو نبيٌ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً ، فلما قال : ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كان شاملاً للأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، والله تعالى أعلم .

ولهذا قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله تعالى عنهم ، وقتادة والسديُّ ـ وقريب منه قول الحسن ، وطاووس ـ كما ذكر ذلك الطبري وابن كثير وغيرُهما من أهل التفسير : ما بعث اللهُ نبياً من الأنبياء ـ من لدن نوح ـ

---
(١) سورة آل عمران (٨١).

إلا أَخذ ميثاقَه ، ليؤمنن بمحمد ﷺ ، ولينصرنه إن خرج وهم أحياء .

وحتى لا تكون لواحد منهم ـ فيما لو أدرك زمان رسول الله ﷺ ـ حجة في عدم معرفته ، لأنهم لم يعلموا صفاته ، لذا جعل الله تعالى أوصاف نبيه المصطفى الكريم ﷺ الخَلْقية والخُلُقِيَّة ، الظاهرة والخفية : موجودةً عندهم .

وقد كثرت الآيات القرآنية في بيان وجود ذكره وأوصافه في الكتب السابقة ، كما ذكر ذلك الأحبار والرهبان الذين أدركوا زمانه ﷺ ، أو ماتوا قُبيل ظهوره . بل ورد وصفُ أُمتهِ ﷺ أيضاً في كتبهم ، حتى لا تكون لهم حجةٌ أثناء إنكارهم .أقتصر على ذكر بعضها ، لأني ذكرت كثيراً من ذلك في غير هذا الكتاب ، ثم أذكر أقوال بعض أحبار يهود ـ من أسلم منهم ، وممن عاند ـ ثم أقوال بعض الرهبان من النصارى ، ثم أقوال بعض الزعماء والملوك من النصارى ، ثم أختم الفصل بذكر بعض الأقوال التي جاءت في كتابهم الموسوم بالمقدّس بعهديه القديم والجديد ، بما فيه إنجيل برنابا ، لكن بشكل مختصر جدّاً ، إن شاء الله تعالى .

أولاً : في ذكر بعض الآيات القرآنية :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى

(١) سورة البقرة (٨٩).

﴿كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ...﴾[1].

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[2].

وعن عبد الله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، حينما سُئل عن وصفِ النبيِّ ﷺ ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ وحرزاً للأُمِّيِّين ، فأنت عبدي ورسولي ، سمَّيتُك المتوكِّل ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفعُ السيئةَ بالسيِّئةِ ، ولكن يعفو ويغفرُ ، ولن يقبضَه اللهُ حتى يقيم به الملَّةَ العوجاءَ ، بأن يقولوا : لا إله إلا اللهُ ، فيفتحُ به أعيناً عمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غلفاً ،... رواه البخاري[3].

وقال الله تعالى : ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[4].

بل ورد وصف أمته ﷺ في التوراة والإنجيل .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) سورة البقرة (١٤٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب كراهية السخب في الأسواق ، وكتاب التفسير : تفسير سورة الفتح .

(٤) سورة الصف (٦).

ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[1].

ولهذا ما من نبيٍّ من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ؛ إلا عنده علمٌ به ﷺ ، وبمبعثه ، وزمانه ، ومهاجَرِه ، وعلاماته وأوصافه ﷺ ،...

وقد اتضح أخذُ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء عليهم السلام بأمور كثيرة ، ذكرتها في غير هذا الكتاب ؛ كإمامته ﷺ بهم في بيت المقدس ، وقولهم له ﷺ : « مرحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالحِ » إلا ما كان من آدم وإبراهيم عليهما السلام حيث قالا : « مرحباً بالنبيِّ الصالح ، والابن الصالح »[2]...إلخ.

وأما ما جاء عن الأحبار والرهبان فالأحاديث في ذلك كثيرة[3]. أذكر هنا بعض النصوص للتدليل والتقريب ، وليس للاستيعاب ، لأنه يطول لكثرته .

ثانياً : ما جاء عن أحبار يهود . أقتصر على نصين عمن أسلم ، ونصين عمن لم يُسلم .

أ ـ أما من أسلم :

١ ـ فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، بلغ عبدَ الله بنَ سلام مقدمُ النبي ﷺ

---

(١) سورة الفتح (٢٩).

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ ، وكتاب الصلاة : باب كيف فرضت الصلاة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله ﷺ ، رقم (٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٣) ذكرت كثيراً من ذلك في كتابي « سيرة رسول الله ﷺ ». كما ذكرتُ جملةً صالحةً منها في أوائل (أُمِّيَّة النبي الكريم ﷺ) فانظره .

المدينةَ ، فأتاه ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي . قال : ما أولُ أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهلُ الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولدُ إلى أبيه ، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟

فقال رسول الله ﷺ : « خبّرَني بهن آنفاً جبريل » قال : فقال عبد الله : ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة .

فقال رسول الله ﷺ : « أما أولُ أشراط الساعة ؛ فنارٌ تحشر الناسَ من المشرق إلى المغرب ، وأما أولُ طعام يأكله أهلُ الجنة : فزيادةُ كبد حوتٍ ، وأما الشَّبهُ في الولد ؛ فإن الرجلَ إذا غشي المرأةَ فسبقها ماؤهُ كان الشَّبهُ له ، وإذا سبق ماؤها كان الشَّبهُ لها » .

وفي رواية له : « إذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعتِ الولدَ » .

قال : أشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأنك رسول الله .

قال : يا رسول الله ؛ إن اليهود قومٌ بُهتٌ ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهود : فقال النبيُّ ﷺ : « أي رجل عبدُ الله بنُ سلام فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابنُ خيرنا ، وأفضلنا وابنُ أفضلنا . فقال النبيُّ ﷺ : « أرأيتم إن أسلم عبدُ الله بن سلام ؟ » قالوا : أعاذه الله من ذلك . فأعاد عليهم ، فقالوا مثلَ ذلك . فخرج إليهم عبدُ الله فقال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله . قالوا : شرُّنا وابنُ شرِّنا . وتنقَّصوه . قال : هكذا كنتُ أخاف يا رسول الله . رواه البخاري[1] .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب خلق آدم وذريته ، وكتاب مناقب الأنصار : باب (٥١) حدثني حامد بن عمر . وفي غيرها .

وفي رواية عوف بن مالك رضي الله عنه : فقال ذلك الرجل [عبدُ الله ابن سلام] أيَّ رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود ؟ قالوا : ما نعلم أنه كان فينا رجلٌ أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك من قبلك ولا من جدِّك قبل أبيك . قال : إني أشهد له بالله أنه نبيُّ الله الذي تجدونه في التوراة . قالوا : كذبتَ ، ثم ردّوا عليه وقالوا له شرّاً ،... الحديث ، رواه أحمد والطبري والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي[1].

٢ـ وعن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال : إن الله تبارك وتعالى لما أراد هُدَى زيد بن سعْنَة ، قال زيد بنُ سعنة : إنه لم يبق من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه ، إلا اثنتين لم أَخبَرهما منه : يسبقُ حلمُه جهلَه ، ولا يزيده شدَّةُ الجهل عليه إلا حلماً . فكنتُ أتلطَّف له لأن أخالطه فأعرف حلمَه وجهله .

قال : فخرج رسول الله ﷺ من الحجرات ، ومعه عليُّ بنُ أبي طالب ، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي ، فقال : يا رسول الله ؛ قريةُ بني فلان قد أسلموا ، ودخلوا في الإسلام ، وكنتُ أخبرتُهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزقُ رغداً ، وقد أصابهم شدةٌ وقحطٌ من العيش ، وأنا أخشى يا رسول الله ، أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً ، فإن رأيتَ أن ترسلَ إليهم من يُغيثُهم به فعلتَ . قال : فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل إلى جانبه ، أُراه عمر ، فقال : ما بقي منه شيء يا رسول الله .

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٢٥) وتفسير الطبري (٢٢ : ١٠٦ ـ ١٠٧) والمعجم الكبير (١٨ : ٤٦ ـ ٤٧) ومسند الشاميين (٢ : ٧٧ ـ ٧٨) وصحيح ابن حبان (١٦ : ١١٨ ـ ١٢٠) والمستدرك (٣ : ٤١٥ ـ ٤١٦) ومجمع الزوائد (٧ : ١٠٦) برجال الصحيح .

قال زيد بن سعنة : فدنوت إليه ، فقلت : يا محمد ؛ هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا ؟ فقال : « لا ، يا يهودي ؛ ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجلِ كذا وكذا ، ولا أسمّي حائطَ بني فلان » قلت : نعم ، فبايعني ﷺ ، فأطلقتُ همياني ، فأعطيتُه ثمانين مثقالاً من ذهب في تمرٍ معلومٍ إلى أجلِ كذا وكذا . قال : فأعطاها الرجلَ ، وقال : « اعجل عليهم ، وأغثهم بها ».

قال زيد بنُ سعنة : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة ، خرج رسول الله ﷺ في جنازةِ رجل من الأنصار ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفرٌ من أصحابه ، فلما صلّى على الجنازة ، دنا من جدارٍ ، فجلس إليه ، فأخذتُ بمجامع قميصه ، ونظرتُ إليه بوجه غليظ ، ثم قلت : ألا تقضيني يا محمد حقّي ؟ فوالله ما علمتُكم بني عبد المطلب إلا مطل ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم . قال : ونظرتُ إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلَك المستدير ، ثم رماني ببصره ، وقال : أي عدوَّ الله ؛ أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ، وتفعل به ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوتَه لضربتُ بسيفي هذا عنقَك . ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ، ثم قال : « إنا كنا أحوجَ إلى غير هذا منك يا عمر . أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التِّباعة ، اذهب به يا عمر ، فاقضه حقَّه ، وزده عشرين صاعاً من غيره ، مكانَ ما رعتَه ».

قال زيد : فذهب بي عمر ، فقضاني حقي ، وزادني عشرين صاعاً من تمر . فقلت : ما هذه الزيادة ؟ قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتُك . فقلت : أتعرفني يا عمر ؟ قال : لا ، فمن أنت ؟ قلت : أنا زيدُ بنُ

سعنة . قال : الحبر ؟ قلتُ : نعم ، الحبرُ .

قال : فما دعاك أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلتَ ، وتفعلَ به ما فعلتَ ؟ فقلت : يا عمر ؛ كلُّ علامات النبوة قد عرفتُها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه ، إلا اثنتين ؛ لم أخبرهما منه : يسبقُ حلمُه جهلَه ، ولا يزيدُه شدةُ الجهل عليه إلا حلماً ، فقد اختبرتُهما ، فأُشهدك يا عمر أني قد رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيّاً . وأُشهدك أن شطرَ مالي ـ فإني أكثرها مالاً ـ صدقةٌ على أمة محمد ﷺ . فقال عمر : أو على بعضها ، فإنك لا تسعهم كلَّهم . قلت : أو على بعضهم .

فرجع عمر وزيدٌ إلى رسول الله ﷺ فقال زيدٌ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ . فآمن به وصدَّقه ، وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة ، ثم تُوُفِّي في غزوة تبوك ، مقبلاً غير مدبر . رواه ابن حبان والحاكم وصححاه ، وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل ، والطبراني برجال ثقات ، وأبو الشيخ وغيرهم ، وحسنه الحافظ المزي ، وللحديث شاهدان[1] .

ب ـ وأما من لم يُسلم :

١ ـ فعن الفلتان بن عاصم رضي الله تعالى عنه قال : كنا قعوداً مع النبيِّ ﷺ فشخص ببصره إلى رجل في المسجد ، فقال : « يا فلان » فقال : لبيك يا

---

(١) صحيح ابن حبان (١ : ٥٢١ ـ ٥٢٤) والمستدرك (٣ : ٦٠٤ ـ ٦٠٥) والمعجم الكبير (٥ : ٢٥٣ ـ ٢٥٥) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ١٠٨ ـ ١١٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٧٨ ـ ٢٨٠) وأخلاق النبيّ ﷺ : باب ما ورد في كظمه الغيظ وحلمه ﷺ (٧٢ ـ ٧٤) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠) والإصابة (١ : ٥٦٦) وتهذيب الكمال (٧ : ٣٤٤ ـ ٣٤٧) والاستيعاب (٢ : ١٢٢) وأسد الغابة (٢ : ١٣٦ ـ ١٣٧) وانظر : دلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٨٠ ـ ٢٨١) والطبقات الكبرى (١ : ٣٦١) لبيان الشاهدين .

رسول الله ـ قال : ولا ينازعه في الكلام إلا قال : يا رسول الله ـ فقال النبيُّ ﷺ : « أتشهد أني رسول الله ؟ » قال : لا . قال : « أتقرأ التوراة ؟ » قال : نعم ، والإنجيل . قال : « والقرآنَ ؟ » قال : والذي نفسي بيده لو أشاء لقرأْتُه .

قال : ثم ناشده « هل تجدني في التوراة والإنجيل ؟ » قال : أجد مثلَك ، ومثلَ هيأتك ، ومثل مخرجك ، وكنا نرجو أن يكون منا ، فلما خرجتَ ؛ تحيَّرنا أن يكون أنتَ ، فنظرنا فإذا ليس أنت هو . قال : « ولمِ ذاك ؟ » قال : إن معه سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ومعك يسير . قال : « فو الذي نفسي بيده ، لأنا هو ، وإنهم لأمتي ، إنهم لأكثرُ من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً ». رواه الطبراني والبزار برجال ثقات ، ورواه ابن حبان بإسناد حسن ، وابن أبي شيبة والبيهقي[١].

٢ـ وعن صفيّة بنتِ حُيَيٍّ رضي الله تعالى عنها ـ في قصة ذهاب أبيها حُيي ابن أخطب ، وعمها أبي ياسر إلى النبيّ الكريم ﷺ عندما قدم المدينة ، وذلك قبل إسلامها ـ قالت : فلما رجعا ، سمعتُ عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيَيٍّ بن أخطب : أهوَ هوَ ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبتُه ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوتُه والله ما بقيتُ أبداً . رواه ابن إسحق وأبو نعيم والبيهقي[٢]. وهناك نصوص كثيرة من الطرفين .

(١) المعجم الكبير (٨ : ٣٣٢ ـ ٣٣٤ رقم ٨٥٤ ، ٨٥٥) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٧ ـ ٢٠٨) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٥٤١ ـ ٥٤٢) ودلائل النبوة (٦ : ٥٧٣) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٤٢) (١٠ : ٤٠٧ ـ ٤٠٨) والمطالب العالية (٤ : ٢١٧رقم ٣٨٥٩) وإتحاف الخيرة المهرة (١ : ١٥٦) (٩ : ٤٣ ـ ٤٤) وعزاه لابن أبي شيبة برجال ثقات .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٨٩ ـ ٩٠) وللبيهقي (٢ : ٥٣٣).

هكذا شأن كافة أحبار يهود ؛ الذين عرفوا الحقَّ ثم تنكّبوا عنه ، وكفروا وأعرضوا ، حسداً وبغضاً وعداوة ، مع علمهم به ، ويقينهم أنه هو ، وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، لكن قاتلهم الله أنى يؤفكون .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(١) .

وقال عز وجل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٢) .

ثالثاً : وأما الرهبان النصارى فالنصوص كثيرة . أقتصر على ذكر نصين :

١ ـ هذا سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه الذي انتقل من راهب إلى راهب ، حتى كان عند صاحب عمورية ، فلما حضرت الراهب الوفاة ، أوصى سلمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ بقوله : [... أيْ بُنَي ؛ والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحدٌ من الناس ؛ آمرك أن تأتيَه ، ولكنه قد أظلَّكَ زمان نبيٍّ ؛ هو مبعوثٌ بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُه إلى أرضٍ بين حرَّتين ، بينهما نخلٌ ، به علامات لا تخفى : يأكل الهديةَ ، ولا يأكلُ الصدقةَ ، بين كتفيه خاتمُ النُّبوَّة ، فإن استطعتَ أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل ،... ومات صاحب عمورية] ثم ذكر قصة انتقاله إلى الحجاز ، والغدر به من قبل قطّاع الطرق ، وشراء اليهودي له ، وانتقاله إلى المدينة ، وسماعه خبر مجيء رسول الله ﷺ إلى المدينة من صديق لمولاه ، الحديث بطوله ، وفيه قصة اكتشافه الخصلتين ،...

قال سلمان : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيتُ أخذتُه ، ثم

---

(١) سورة البقرة (٨٩).

(٢) سورة البقرة (١٤٦).

ذهبتُ به إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء ، فدخلتُ عليه ، فقلت له : إنه بلغني أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ، ذو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتُكم أحقَّ به من غيركم . قال : فقرَّبتُه إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « كُلوا » وأمسك يدَه ، فلم يأكل . قال : فقلتُ في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفتُ عنه ، فجمعتُ شيئاً ـ وتحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة ـ ثم جئتُ به ، فقلت : إني رأيتُك لا تأكل الصدقة ، وهذه هديةٌ أكرمتُك بها . قال : فأكل رسولُ الله ﷺ منها ، وأمر أصحابَه فأكلوا منها . قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان .

قال : ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد ، وقد تبع جنازةً من أصحابه ، عليه شملتان له ، وهو جالس في أصحابه ، فسلَّمتُ عليه ، ثم استدبرتُه ، أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتمَ الذي وصف لي صاحبي . فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرتُه ؛ عرف أني استثبتُ في شيءٍ وُصف لي . قال : فألقى رداءَه عن ظهره ، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه . فانكببتُ عليه أُقبِّلُه وأبكي ، فقال لي رسول الله ﷺ : « تحوَّل » فتحوَّلتُ ، فقصصتُ عليه حديثي ،... الحديث بطوله ، وفيه قصة مكاتبته وإعتاقه ، رواه أحمد وابن إسحاق وابن سعد وابن أبي شيبة وابن حبان والطبراني في الكبير والبزار وأبو نعيم والبيهقي بأسانيد صحيحة ، وغيرهم[1].

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٤٣٨ ، ٤٤١ ـ ٤٤٤) بأسانيد ، والمعجم الكبير (٦ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧ رقم ٦٠٦٥) والسير والمغازي (٨٧ ـ ٩١) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٣٢١ ـ ٣٢٤) والطبقات الكبرى (٤ : ٧٥ ـ ٨٠) والسيرة لابن هشام بشرح الروض (١ : ٢٤٧ ـ ٢٥٢) والشمائل =

وقوله : « بين حرَّتين » واحدتها حَرَّة : وهي أرض ذات حجارة سوداء . والمدينة بين حرَّتين : شرقية وغربية .

٢ـ الراهب بَحيرا ، وهو من كبار الرهبان النصارى الذين أعلنوا رسالة رسول الله ﷺ وهو ما زال غلاماً .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه رسولُ الله ﷺ ، وأشياخٌ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب : هبطوا ، فحلّوا رحالَهم ، فخرج إليهم الراهبُ ـ وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت إليهم ـ قال : فهم يحلّون رحالَهم ، فجعل يتخلّلُهم ، حتى جاء ، فأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فقال : هذا سيدُ العالمين ، هذا رسولُ رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين .

فقال له أشياخٌ من قريش : ما علمُك ؟

فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة ؛ لم يبق شجرٌ ولا حجرٌ إلّا خرَّ ساجداً ، ولا يُسجد إلّا لنبيٍّ . رواه ابن أبي شيبة ـ واللفظ له ـ والترمذي وحسنه ،

= للترمذي (٩١ ـ ١٠٠) وتاريخ بغداد (١ : ١٦٤ ـ ١٦٩) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٣٩ ـ ٣٤٧) وحلية الأولياء (١ : ١٩٠ ـ ١٩٣بنحوه) وصحيح ابن حبان (٩ : ١٢٧ ـ ١٢٨) والسيرة النبوية له (٢٤١ ـ ٢٤٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٨٢ ـ ١٠٠) وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (١ : ٥١ ـ ٥٤ ، ٢٠٩ ـ ٢١٧) وكشف الأستار (٣ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩) وسير أعلام النبلاء (١ : ٥٠٦ ـ ٥١١) وغيرها ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ : ٣٣٦) إسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالهما رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالسماح ، ورجال الرواية الثانية : انفرد بها أحمد ، ورجالها رجال الصحيح غير عمرو ابن أبي قرة الكندي ، وهو ثقة . وانظر أسد الغابة (٢ : ٢٦٥ ـ ٢٦٧) والسيرة النبوية لابن كثير (١ : ٢٩٦ ـ ٣٠٧).

وأبو نعيم ، والحاكم وصححه ، والتيمي والبيهقي ، وكلهم من طريق قُراد ـ وهو ثقة ـ عن يونس ـ وهو صدوق من رجال مسلم ـ عن أبي بكر بن أبي موسى ـ وهو ثقة ـ عن أبيه ، وقواه الحافظ في الفتح ، ووثق إسناده في الإصابة[1].

ويأتي جواب صاحب رُومِية ـ وهو من علمائهم لهرقل .

* ـ إذا كان هذا القسيس الذي تكلَّم ما تكلَّم يقتفي أثر ما عليه أسياده القدامى من الأحبار والرهبان والقسيسين ، وأنه على قدمهم ، وأنه لا يخرج عما كانوا عليه ، فلينظر إلى حال هؤلاء الأحبار والرهبان ؛ عندما أتوا رسولَ الله ﷺ ، وقرأ عليهم القرآن الكريم ، حيث بلّلوا لحاهم ، بل بلَّلوا الأرض من دموعهم ، لما عرفوا من الحق .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب ما جاء في بدء نبوة النبيّ ﷺ ، رقم (٣٦٢٠) ودلائل النبوة للتيمي (٤٥) ولأبي نعيم (١ : ٢١٧ ـ ٢١٨) وللبيهقي (٢ : ٢٤ ـ ٢٦) والمستدرك (٢ : ٦١٥ ـ ٦١٦) والإصابة (١ : ٣٥٣) وفتح الباري (١ : ٣٥٣) والحديث مشهور عند أهل السير كما قال الإمامُ البيهقي رحمه الله تعالى ، وهو موجود في عامة كتب السير . وانظر : محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد (٣٧ ـ ٤٠) لبيان الجواب على الإشكال في رواية الترمذي ومن بعده ، ولبيان معنى السجود له ﷺ من قبل الحيوان والشجر والجماد .

ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[1].

هؤلاء هم أتباع المسيح عليه السلام حقيقة ، وهم أنصاره الحقيقيين ، وعلى منهاجه ، فإذا سمعوا القرآن الكريم ، ووَصْفَ النبي الكريم ﷺ الذي وُجد في الإنجيل ، فاضت عيونُهم من الدمع ، مما عرفوا من الحق الذي جاءهم به عيسى عليه السلام ، وكيف لا يؤمنون بالنبي الكريم ﷺ وعيسى عليه السلام هو الذي بشّر به ، وهو موجود في إنجيل برنابا ، في أكثر من موضع ، بل توجد الإشارة إليه ﷺ في الأناجيل الأخرى أيضاً . كما هو موجود في كثير من أسفار العهد القديم ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

فإذا كان عيسى عليه السلام ـ نبيُّ النصارى ـ قد بشَّر به ، ونادى بأعلى صوته بأن محمداً ﷺ رسول الله ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ فهل يصح وصفُ ذلك الرسول بأنه إرهابي ؟ إلا إذا كذّب ذلك القسيسُ ـ ومن على شاكلته ـ عيسى عليه السلام .

لذا فبدلاً من طاعة عيسى عليه السلام ـ إن كانوا مطيعين صادقين ـ فيؤمنوا بهذا النبي الكريم ﷺ ، يقولون هذا القول ! هذا هو البهتان المبين .

رابعاً : ما جاء عن الزعماء السياسيين :

لما بُعث رسول الله ﷺ توجد عدة دول يحكمها زعماء نصارى ، فالشام فيها يحكمها هرقل ملك الروم ، والحبشة فيها النجاشي ، ومصر فيها المقوقس . وأشهرهم هرقل والنجاشي ، لذا فإني أقتصر عما ورد عنهما.

* فعن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قال : انطلقت في المدة التي كانت

---

(١) سورة المائدة (٨٢ـ٨٦).

بيني وبين رسول الله ﷺ . قال : فبينا أنا بالشام ، إذ جيء بكتابٍ من رسول الله ﷺ إلى هرقل - يعني : عظيمَ الروم ،... الحديث بطوله ، وفيه :

قال : فدُعيت في نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلَسنا بين يديه ،... فقال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ،... قال : فهل يغدر؟ قلت : لا ،... قال : وسألتُك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمتَ أن لا ، فقد عرفتُ أنه لم يكن لِيدع الكذبَ على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ،... وسألتُك : هل يغدر ؟ فزعمتَ أنه لا يغدر ، وكذلك الرُّسُلُ لا تغدر ،...

قال : **إن يكن ما تقول حقّاً ، فإنه نبيٌّ . وقد كنتُ أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظنّه منكم ، ولو أني أعلم أني أخلص إليه ، لأحببتُ لقاءَه ، ولو كنتُ عنده لغسَلْتُ عن قدميه ، ولَيَبْلغَنَّ ملكُه ما تحت قدمَيَّ** ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

زاد البخاري في روايته : ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومِيَة - وكان نظيرَه في العلم - وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرِم حمصَ حتى أتاه كتابٌ من صاحبه ، يوافق رأيَ هرقل ، على خروج النبيِّ ﷺ وأنه نبيٌّ ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقت ، ثم اطَّلع فقال : يا معشر الروم ؛ هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبُت ملكُكم فتبايعوا هذا النبيِّ ﷺ ؟...إلخ.

هذا قول هرقل عظيم الروم ، وقد ذكرتُ رسالته لرسول الله ﷺ في

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي : الباب (٧) وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب كتاب النبيِّ ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، رقم (٧٤).

(رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفّار) فانظرها .

* وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة جاورنا بها خيرَ جار ؛ النجاشيَّ ، أَمِنّا على ديننا ، وعَبَدنا ربَّنا ، لا نُؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه ،... الحديث بطوله في قصة هجرة الحبشة ، وإرسال قريش عَمْرَو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة لاستردادهم ، وفي آخره ، قالت : ثم أرسل - أي النجاشي - إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا ، ثم قال بعضُهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبيُّنا ﷺ ، كائن في ذلك ما هو كائن .

فلما جاؤوه ، وقد دعا النجاشيُّ أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال : ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في دين أحد من هذه الأمم ؟

قالت : فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ؛ كنا قوماً أهلَ جاهلية ، نعبد الأصنام ،...

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت : فقال له جعفر : نعم . فقال له النجاشيُّ : فاقرأه عليَّ . فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قالت : فبكى والله النجاشيُّ حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفَهم حين سمعوا ما تلا عليهم . ثم قال النجاشي : إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ،...

قال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا ؛ هو عبد الله ورسولُه وروحُه وكلمتُه ألقاها إلى

مريم العذراء البتول . قالت : فضرب النجاشيُّ يدَه إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : ما عدا عيسى ابنُ مريم ما قلتَ هذا العودَ ،... الحديث بطوله ، رواه ابن إسحٰق وأحمد وابن خزيمة وأبو نعيم والبيهقي ، وإسناد أغلبهم صحيح[1].

زاد في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : **قال ـ أي النجاشي ـ : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ؛ والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ﷺ ، فإنه الذي نجد في الإنجيل ، وإنه الرسول الذي بشّر به عيسى ابن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك ؛ لأتيتُه حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه وأُوَضِّئه** ،... الحديث، رواه أحمد والطيالسي والطبراني ، وصححه الحاكم ، وحسنه الحافظ ، وقال ابنُ كثير : هذا إسناد جيد قوي ، وسياق حسن[2].

ورواه الطبراني بإسناد صحيح ـ وصححه الحاكم والبيهقي ـ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه[3].

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٠١ ـ ٢٠٣) (٥ : ٢٩١ ـ ٢٩٣) والسيرة النبوية لابن هشام (١ : ٤١٣ ـ ٤١٨) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٣ولم يتمه) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٢٣ ـ ٣٢٥ رقم ١٩٤) وحلية الأولياء (١ : ١١٥ ـ ١١٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٣٠١ ـ ٣٠٤) والسنن الكبرى له (٩ : ٩ ولم يسقه كاملاً) ومجمع الزوائد (٦ : ٢٤ ـ ٢٧).

(٢) مسند أحمد (١ : ٤٦١) ومسند الطيالسي (٤٦رقم ٣٤٦) والمستدرك (٢ : ٦٢٣ مختصراً) ودلائل النبوة (٢ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨) والبحر الزخار (٥ : ١٦٨) والسنن الكبرى (٢ : ٣٦١) ولم يسوقاه كاملاً ، ومجمع الزوائد (٦ : ٢٤) والسيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٩ ـ ١١) وفتح الباري (٧ : ١٨٩).

(٣) المستدرك (٢ : ٣٠٩ ـ ٣١٠) ودلائل النبوة (٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠١) ومجمع الزوائد (٦ : =

لذا لما مات رضي الله تعالى عنه صلّى عليه رسول الله ﷺ صلاةَ الغائب، في المدينة، في اليوم الذي مات فيه، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وجابر وغيرهما، رضي الله تعالى عنهم.

خامساً: ما جاء في الكتاب الموسوم بالمقدّس بعهديه القديم والجديد.

لقد كنت قرأت ـ قبل أكثر من خمسين سنة ـ ما يسمى بالكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، بما فيه الأناجيل الخمسة، الأربعة التي تمثل عامة العهد الجديد، وهي إناجيل (لوقا، يوحنا، متى، ومرقس) بالإضافة إلى إنجيل برنابا في طبعته المصرية الأولى، ترجمة خليل سعادة، ووجدت فيها من التناقض والأغاليط والكذب والتشويه، ما لا تقبله العقول السامية، والفطر السليمة ـ خاصة في الأربعة التي تمثل العهد الجديد ـ وكنت بدأت بكتابة (التناقض بين الأناجيل) قبل أكثر من ثلاثين سنة ولـمّا يتم، ولست هنا بصدد نقض الأناجيل، فذاك له وقت آخر إن مدّ الله تعالى في العمر.

لكن أنقل من هذه الكتب ما فيه نص صريح ـ أو متضمن ـ مما بقي فيه، ولم يحوّر ولم يبدّل، أو غُيِّر لكن بقي منه ما يدل على الغرض، مما يتعلق بنظرة أنبياء بني إسرائيل من موسى حتى المسيح عليهم السلام تجاه النبي الكريم ﷺ، سواء من باب الإخبار عن مجيئه ﷺ، أو الثناء والإطراء عليه والإشادة فيه، أو التنويه به ﷺ، وليس لي إلا نقل النص، من غير تعليق، اللهم إلّا بيان موطن الشاهد، وذكر المقصود إن كان النص فيه غموض.

لكنني سأقتصر على مورد الشاهد ولا أذكر كل العبارة، لأنه يطول، ومن

= ٣٠ ـ ٣١) وانظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣١٧ ـ ٣٣١) وللبيهقي (٢ : ٢٩٨ ـ وما بعد) والسيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٣ ـ ٣١).

أرادها كاملة ، فلينظر في الترجمة المذكورة . ولن أعلِّق على تلك النقول ، بل أنقلها بنصها كما هي من غير تعليق ، وعلى القارئ الفطن استخلاص العِبر والدروس .

وأبدأ بأسفار العهد القديم ، ثم العهد الجديد ، ثم أنهي بإنجيل برنابا ، ولا أزيد عن ثلاثة نصوص من كل سِفر ، إلّا ما كان من إنجيل برنابا فقد ذكرت منه أكثر ، لما فيه من التصريح .

أ ـ ما جاء في أسفار العهد القديم[1].

* جاء في سفر التَّكوين ، الإصحاح (١٧) الفقرة (٢٠) ما يلي : وأما إسماعيل ، فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره كثيراً جدّاً ، اثني عشر رئيساً بلد ، وأجعله أمةً كبيرة .اهـ.

وفي الإصحاح (٢١) الفقرة (١٦ـ ٢١) وهي تتحدث عن إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر ، عندما قدم بهما إبراهيم عليه السلام ، وقد نفذ ماؤها : ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد . جلست مقابله ورفعت صوتَها وبكت * فسمع الله صوتَ الغلام ، ونادى ملاكُ الله هاجر من السماء وقال لها : مالكِ يا هاجَر ؟ لا تخافي ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو * قومي احملي الغلامَ وشدّي يدَكِ به ،

---

(١) لقد كثرت النسخ المترجمة من الكتاب المقدس بعهديه ، من قِبل الأفراد والمنظمات ، وعلى قدر خيانة وأمانة المترجم يقع التحريف والتزييف ، وهذا ما نلاحظه بين ما ينقله العلامة الشيخ رحمة الله العثماني والدكتور عبد الأحد ـ الذي كان من كبار رجال الدين النصارى ثم أسلم ـ رحمهما الله تعالى ، وهما يعرفان اللغات اليونانية والعبرية وغيرهما ، وبين ما هو موجود بين يدي من ترجمة .

لأني سأجعله أمةً عظيمةً * وفتح الله عينيها ، فأبصرت بيرَ ماء ، وذهبت وملأت القربةَ ماء ، وسقت الغلام * وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس * وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر) زاد في ترجمة أخرى : (ومن ولده الأول قيدار انحدر الأحفاد العرب الذين سكنوا منذ ذلك الحين في قفار فاران ، واتخذوها موطناً لهم.اهـ.

فاران : هي مكة ، وقيدار : هو عدنان بن إسماعيل ، والأمة العظيمة : هي أمة النبي المصطفى الكريم ﷺ .

وفي الإصحاح (٤٩) فقرة (١٠) ما يلي : لا يزول قضيبٌ من يهوذا ومشترع من بين رجليه[1]. حتى يأتي شيلوة .

فالمراد بـ (شيلوة) هو الذي له الكل ، وتنتظره الشعوب والأمم ، ولا يكون ذلك إلّا رسول الله ﷺ ، لأن ملك يهوذا زال منذ أيام بختنصر ، ولم يقم لهم قائم .

* جاء في سفر التثنية ، الإصحاح الثالث ، الفقرة (٢٠) ما يلي : قال موسى : سيبعث الله ربنا من بين إخوتكم نبيّاً مثلي ، فاستمعوا إليه في جميع ما يقول لكم ، ومن لم يستمع لذلك النبيّ يُستأصل من بين الشعب.اهـ.

وفي الإصحاح (١٨) الفقرة (١٨) : أُقيم لهم نبيّاً من وسط أخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به.اهـ.

---

(١) في ترجمة الدكتور عبد الأحد : لايزول صولجان من يهوذا أو مشرّع من بين قدميه ، حتى يأتي شَيْلُوه.اهـ. وفي نسخ العلامة رحمة الله رحمه الله تعالى (لا يزول القضيب من يهوذا والمدير من فخذه حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم) (٢ : ٣٤٧ ، ٣٨٠).

قارن بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

وفي الإصحاح (٣٣) الفقرة (٢) ما يلي : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وجاء معه عشرة آلف قدّيس ، ومن يده اليمنى برزت نارُ شريعةٍ لهم.اهـ.

فرسول الله ﷺ بُعث في مكة (وهي فاران) ودخل مكة يوم الفتح ومعه عشرة آلاف مقاتل من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

* وفي مزامير داود عليه السلام ، المزمور (٤٥) الفقرة (من ١ ـ ١٨) : فاض قلبي كلمة صالحة أنا أقول أعمالي للملك . لساني قلم كاتب سريع الكتابة . بهي في الحسن أفضل من بني البشر . انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الدهر . تقلّد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك . استلَّه وأنجح وأملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك . نبلُك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملِك الشعوب تحتك يسقطون ،... سأذكر اسمك في كل جيل وجيل من أجل ذلك تعترف لكَ الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الداهرين.اهـ.

هذه صفات من يبشِّر به داود عليه السلام لا تنطبق إلّا على رسول الله ﷺ[2][3].

* ما جاء في سفر إشعيا ، الإصحاح (٢١) فقرة (١٣ ـ ١٧) ما يلي : وحيٌ من جهة بلاد العَرَب ، في الوعر في بلاد العرب ، تبيتين يا قوافل الدّادانيين ،

---

(١) سورة النجم (٣ ، ٤).

(٢) انظر إظهار الحق (٢ : ٣٨٤ ـ ٣٩٢) حيث ذكر أدلة كل فقرة من تلك الفقرات .

(٣) وانظر فيه : المزمور (١٤٩) الفقرات (من ١ ـ ٩).

هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرضِ تيماء ، وافوا الهاربَ بخبزه ، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ، ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب ، فإنه هكذا قال لي السيد ، في مدة سنةٍ كسنةِ الأجير ، يفنى كلُّ مجد قَيدار ، وبقيةُ عدد الأقواس من أبطال بني قيدار تضمحل.اهـ.

فهذه تتحدث عن نور الحق القادم من أرض العرب ـ من مكة ـ موطن أحفاد قيدار ـ وهو عدنان بن إسماعيل عليه السلام ـ والهجرة التي عطش فيها رسول الله ﷺ ، وبعد عام كانت غزوة بدر ، ثم تلاشى مجد قريش يوم الفتح .

وفي الإصحاح (٤٢) فقرة (٩ ـ ١٧) ما يلي : يقول أشعيا عليه السلام : التي قد كانت أُولاها قد أتت ، وأنا مخبرٌ أيضاً بأحداث قبل أن تحدث ، وأُسمعكم إيّاها : سبِّحوا للرب تسبيحةً جديدةً حَمْدَه من أقاصي الأرض ، راكبين في البحر ، وملؤه الجزائر وسكانهن ، يرتفع البرية ومدتها في البيوت ، نحل قيدار ، سبّحوا يا سكان الكهف من رؤوس الجبال يصيحون ، يجعلون للرب كرامة ، وحمده يخبرون به في الجزائر . الربُّ كجبّارٍ ، يخرج مثل رجلٍ مقاتل يهوش الغير بصوتٍ ، ويصيح على أعدائه يتقوّى ، سكت دائماً ، صمت صبرت صبراً فأتكلم مثل الطائفة ما بدد وابتلع معاً . أخرب الجبال والآكام وكل نباتهن أجفف واجعل الأنهار جزائر ، والبحيرات أجففهن . وأقيد العمى في طريقٍ لم يعرفوها ، والسبل لم يعلموا أسيرهم فيها ، أصير أمامهم الظلمةَ نوراً ، والعقب سهلاً . هذا الكلام صنعته لهم ولا أخذلهم . اندبروا إلى ورائهم والمتكلمون على المنحوتة القائلون للمسبوكة إنكم آلهتنا

ليخزوا خزياً.اهـ.

هذه البشارة تتحدّث عن النهج الجديد في العبادة، وتعميمها على عموم سكان الأرض، وإلى عموم رسالته ﷺ، وإلى التلبية في الحج، وإلى الأذان الذي يخبر به الألوف يومياً، وإلى مضمون الجهاد ومشروعيته، وإلى خروج رسول الله ﷺ، وإلى تأييد شريعته، وإلى الخزي والعار الذي يلحق عبدة الأصنام والأوثان من مشركي العرب وعبّاد الصليب،...

وفي الإصحاح (٥٤) فقرة (١ ـ ١٧) ما يلي: ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض، لأن بني المتوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب. أوسعي مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك. لا تمسكي، أطيلي أطنابك، وشدّدي أوتادك. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة، لا تخافي لأنك لاتخزين، ولا تخجلي لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزي صباك، وعارَ ترملك، لا تذكرينه بعد، لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليُّك قدّوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح، دعاك الربُّ، وكزوجة الصبا إذا رُذلت قال إلهك. لُحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمعك. يفيضان الغضبَ حجبت وجهي عنك لحظةً، وبإحسانٍ أبديٍّ أرحمك قال وليُّك الرب. لإنه كمياه نوح هذه لي. كما حلفتُ أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك. فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمُك الرب. أيتها الذليلة المضطربة غير المعزية ها أنذا أبني بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أوسّيك. وأجعل شُرَفك

ياقوتاً وأبوابك حجارةً بهرمانية ، وكل تخومك حجارة كريمة . وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً . بالبر تثبتين بعيدةً عن الظلم فلا تخافين ، وعن الاتعاب فلا يدنو منك . هاأنتم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي . من اجتمع عليك فإليك يسقط . ها أنذا قد خلقت الحدّاد الذي ينفخ الفحم في النار ، ويخرج آلةً لعمله ، وأنا خلقت المهلك ليخرب . كل آلة صوّرت ضدك لا تنجح ، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب.اهـ[1].

فهذه البشارة تتحدّث عن مكة (العاقر) وعن أولاد هاجر (الموحشة) التي بمنزلة المطلقة[2]، وأولادها أكثر من أولاد سارة زوجة إبراهيم ، ثم تتحدّث عن مكة ، والنبي الكريم ﷺ ، وغلبة الإسلام شرقاً وغرباً ، وأن من أراد مكة بسوء فإنه سيهلك ، حتى آخرهم .

* وجاء في سفر أرميا ، الإصحاح (٢٨) الفقرة (٨ ، ٩) ما يلي : إن الأنبياء الذين كانوا قبلي وقبلك منذ القديم وتنبأوا على أراض كثيرة وعلى ممالك عظيمة بالحرب والشر والوباء . النبي الذي تنبأ بالسلام ، فعند حصول كلمة النبيّ عُرف ذلك النبيُّ أن الرب قد أرسله حقّاً.اهـ.

وفي نسخة : إن النبيَّ الذي تدور نبوءاتُه حول الإسلام كلما وردت كلمة النبيِّ ، فإن ذلك النبيّ هو المعروف بأنه المرسل من قِبَل الله بالحق.اهـ.

وإذا علمنا أن أرميا هو النبيّ الوحيد الذي استعمل كلمة شالوم بمعنى الدين ، واستخدمها لإثبات صدق أحد الرسل ، وقد تنبأ بالسلام مع أنه

(١) وانظر الإصحاح (٦٠) الفقرة (١ ـ ٢٢) من نفس السفر .

(٢) انظر : سفر التكوين ، في وصف إسماعيل عليه السلام بأنه سيكون إنساناً وحشيّاً .

طيلة حياته يتنبأ بالكوارث القومية العظيمة ، فكانت هذه النبوءة التي أخبر بها النبيُّ أرميا واحدةً من النصوص الذهبية الباقية في الكتاب العبراني التي لم تحرّف[1].

* وجاء في سفر دانيال ، الإصحاح (٢) الفقرة (١ ـ ٤٩) قصة رؤيا بختنصر وتعبير النبي دانيال لها ، وفي آخر التعبير : وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض إبداً ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتُفني كل هذه الممالك ، وهي تثبت إلى الأبد ، لأنك رأيت أنه قد قطع حجرٌ من جبل لا بيدين ، فسحق الحديدَ والنحاسَ والخزفَ والفضةَ والذهبَ ، الله العظيمُ قد عرّف الملكَ ما سيأتي بعد هذا ، الحلمُ حقٌّ ، وتعبيرُه يقين.اهـ[2].

لقد وُلد رسول الله ﷺ في أيام أنوشروان ، وأعطاه الله تعالى السلطتين ، وقضى أتباعه على الدولتين الفارسية والرومية ، وعلى بقية الممالك الأخرى بفترة وجيزة ، ولا يزال سلطان الإسلام باقياً إلى قيام الساعة .

* وجاء في سفر حبقوق ، الإصحاح (٣) فقرة (٣ ـ ٤) ما يلي : الله جاء من تيمان ، والقدّوس من جبل فاران ، سلاه جلالُه غطى السموات ، والأرضُ امتلأت من تسبيحه.اهـ.

تتحدث هذه الكلمة من النبيِّ حبقوق عن مجيء الرسول من مكة ، الذي ملأ الأرض بتحميده وتسبيحه .

* ما جاء في سفر حَجِّي ، الإصحاح (٢) فقرة (٧ ـ ٩) ما يلي : أزلزل

---

(١) انظر محمد في الكتاب المقدس (١٢٧ ـ ١٣٢) فقد أطال النفس في بيان صحة النص .

(٢) وانظر الإصحاحين السابع والثامن ، ففيهما رؤيتان أخريان ، وفيهما تأويلهما .

كلَّ الأمم ، ويأتي مشتَهى كلِّ الأمم ، فأملأ هذا البيت مجداً قال ربُّ الجنود . لي الفضة ولي الذهب يقول ربُّ الجنود . مجدُ هذا البيت الأخير أعظم من مجد الأول قال ربُّ الجنود . وفي هذا المكان أُعطي السلامَ قال ربُّ الجنود.اهـ.

وفي ترجمة ثانية : ولسوف أزلزل كلَّ الأمم ، وسوف يأتي « حَمِدا » لكلِّ الأمم ،... والباقي بنحوه .

ومعنى « حَمِدا » أي أحمد ، وهو الذي بشَّر به عيسى عليه السلام ، وأنه ﷺ بعث لكل الأمم ، إذ هو النبيُّ العالميُّ الوحيد ، بخلاف من سبقه من الرسل عليهم السلام ، فكلهم قوميّون محلِّيون . ثم سيكون البيت العتيق أرفع مجداً من هيكل سليمان الذي دُمر عند خراب بيت المقدس .

ثم إن تسمية عبد المطلب رسولَ الله ﷺ (أحمد أو محمد) وهو اسم لا يعرف في جزيرة العرب بل في البشر آنذاك ، يعتبر أكبر معجزة جاءت مطابقة لما هو موجود في العهد القديم ، مما لم يحوّر ، والله تعالى أعلم .

* وجاء في سفر ملاخي ، الإصحاح الثالث ، فقرة (١ ، ٢) ما يلي : ها أنذا أُرسل رسولي ، فيمهّد الطريقَ أمامي ، ويأتي بغتةً إلى هيكله السيِّدُ الذي تطلبونه ، وملاك العهد الذي تُسرّون به [وفي هذا المكان سوف أُعطي السلام](١) هو ذا يأتي قال ربُّ الجنود.اهـ.

هذا النص يتحدَّث عن إسراء النبي المصطفى الكريم ﷺ ، إذ سيأتي فجأة ، وكان كذلك ، وهو أول من جلب السلام إلى بيت المقدس ، بخلاف السيد المسيح عليه السلام فقد كانت زياراته تنتهي بالجدل المرير والنقاش الحاد مع الكهنة والفريسيين الكفرة ، بل تنبأ بخراب الهيكل الذي تحقق

(١) مابين الحاصرتين سقط من نسخة ترجمة بيروت .

بعد أربعين عاماً من رفعه ، على أيدي الرومان[1] .

ب ـ ما جاء في أسفار العهد الجديد .

* جاء في إنجيل متّى ، الإصحاح (٣) فقرة (١ـ٢) ما يلي : جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية . قائلاً : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.اهـ.

تكرر ذكر ذلك على لسان المسيح عليه السلام في الإصحاح (٤) فقرة (١٧ ، ٢٣) وفي الإصحاح (٦) فقرة (١٠) وفي الإصحاح (١٠) فقرة (٧) وفي الإصحاح (١٣) فقرة (٣١ ـ ٣٤).

وفي الإصحاح (١١) الفقرة (٢ ـ ٤ ، ١١ـ ١٤) : أما يوحنا فلما سمع في المسجد بإعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه . وقال له : أنت هو الآتي أم تنتظر آخر ؟ فأجاب اليسوع ... : الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه ،... لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا . وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي.اهـ.

وفي الإصحاح (٢١) فقرة (٤٣ ، ٤٤) يقول عيسى عليه السلام : لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمةٍ تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضرض ، ومن سقط هو عليه يسحقه.اهـ.

فقد بشّر يحيى وعيسى عليهما السلام ، وكذا من الحواريين والتلاميذ ، بملكوت السموات ، وأنه قد اقترب ، وكلٌّ منهم مُبشِّرٌ به ، ومُخبرٌ عنه ، ومُترجٍّ

(١) انظر إنجيل متى ، الإصحاح (١٠) وإنجيل متى ، الإصحاح (٢٢٦) وإنجيل لوقا ، الإصحاح (٢١) وإنجيل مرقس ، الإصحاح (١٣) في مناقشاته عليه السلام .

لمجيئه ، وظاهر الألفاظ يدل على أن هذا الملكوت يكون في صورة السلطنة لا في صورة المسكنة ، كما أن مبنى قوانينه كتاباً سماويّاً ، وأن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله ، وكل ذلك ينطبق على الشريعة المحمدية[1]. ويلح علينا قول عيسى عليه السلام : (إن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره.اهـ) وهذا قريب من قول دانيال عليه السلام ، وقد سبق ذكرُ قوله .

وكل ذلك دالٌّ على أن المراد به هو طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة سيدنا محمد ﷺ .

* جاء في إنجيل لوقا ، الإصحاح (٩) فقرة (١ ـ ٢) ما يلي : ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين ، وشفاء أمراض . وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى.اهـ.

وفي الإصحاح (١٠) الفقرة (٨ ـ ١١) ما يلي : وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يُقدَّم لكم . واشفوا المرضى الذين فيها . وقولوا لهم : قد اقترب منكم ملكوت الله ، وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا : حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم ، ولكن اعلموا هذا أنه قد اقترب منكم ملكوت الله.اهـ.

فظهر أيضاً أن كلاً من يحيى وعيسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السموات ، كما أن هذا الملكوت لم يظهر في عهد يحيى عليه السلام كذلك لم يظهر في عهد المسيح عليه السلام ، ولا يكون هذا الملكوت إلا الطريقة المحمدية التي بُعث بها رسول الله

---

(١) انظر : إظهار الحق (٢ : ٤٠٨ ـ ٤١٦).

ﷺ وبشّر بها هؤلاء الأنبياء عليهم السلام[1].

* جاء في إنجيل يوحنا، الإصحاح (١) فقرة (١٩ ـ ٢٨) ما يلي: هذه شهادة يوحنا حين أَرسل اليهود من أورشليم كهنةً ولاويين ليسألوه: من أنتَ؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر إني لستُ أنا المسيح. فسألوه إذاً ماذا؟ إيليا أنتَ؟ فقال: لست أنا. النبي أنتَ؟ فأجاب لا. فقالوا له: من أنتَ؟ لنعطي جواباً للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوتٌ صارخ في البرّيَّة؛ قوِّموا طريقَ الربِّ كما قال أشعيا النبيُّ. وكان المرسلون من الفريسيين. فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمِّد إن كنتَ لستَ المسيحَ ولا إيليا ولا النبيَّ؟ أجابهم يوحنا قائلاً: أنا أُعمِّد بماءٍ. ولكن في وسطكم قائمٌ الذي لستم تعرفونه. هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدّامي الذي لست بمستحقٍّ أن أحل سيورَ حذائه.اهـ.

إن إخبار يحيى عليه السلام، بأنه ليس هو المسيح ولا النبيّ التي يأتي بعده، مع أنه وعيسى في نفس الفترة.

ثم إن الألف واللام في لفظ النبيِّ للعهد، والمراد النبيُّ المعهود الذي يعرفونه وبشّر به موسى ومن بعد.

ثم قارن بين ما في هذا النص وما يأتي من قول عيسى عليه السلام في إنجيل برنابا.

وفي الإصحاح (١٤) فقرة (١٥ـ ١٦ ، ٢٥ـ ٢٦) عن السيد المسيح عليه السلام قال: إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليطاً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد،... وأما الفارقليط الروح القدس الذي سيرسله فهو يعلمكم كلَّ شيء، ويذكِّرُكم بكل ما قلتُه لكم.اهـ.

(١) انظر إظهار الحق (٢ : ٤٠٨ ـ ٤١١).

وفي الإصحاح (١٥) فقرة (٢٦) ومتى جاء الفارقليط الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الرب ينبثق فهو يشهد لي.اهـ.

وفي الإصحاح (١٦) فقرة (٧ ـ ١١) ما يلي : لكني أقول لكم الحقَّ : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط ، ولكن إن ذهبتُ أُرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكِّت العالَمَ على خطيئته وعلى برٍّ وعلى دينونة . أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي ، وأما على برٍّ فلأني ذاهبٌ إلى أبي ولا ترونني أيضاً ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دِين.اهـ.

ويقول في الإصحاح (١٦) فقرة (١٠ ـ ١٤ مايلي : إن لي أقوالاً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روحُ الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلّم من عند نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلّم به ، ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدني.اهـ.

فمن هو الفارقليط ؟ علماً بأنه يأتي بعد ذهاب المسيح عليه السلام ، كما هو مصرَّح به في الإصحاحات (١٤ ـ ١٦) كما مر .

ومن أراد معرفة ما جاء في هذه النقول وغيرها مما في الأناجيل الأربعة وغيرها من العهد القديم والجديد ، فلينظر ما كتبه العلامة الشيخ رحمة الله العثماني رحمه الله تعالى في كتابه (إظهار الحق) خاصة في المجلد الثاني ، وكتبه بطلب من السلطان عبد العزيز ورئيس الوزراء خير الدين باشا رحمهما الله تعالى ، عام (١٢٨٠هـ) بعد مناظرته لكبير المبشرين في القارة الهندية (القسيس فندر) وجماعته . وكذا ما كتبه الكاهن الخبير الأستاذ في علم اللاهوت ، وقسيسُ الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحِّدة ، الدكتور دافيد بنجامين كلداني ، والذي صار اسمه بعد إسلامه (أ.د. عبد الأحد داود) في كتابه

الذي كتبه بعد إسلامه[1]. (محمد في الكتاب المقدس) وقد استفدت منهما كثيراً .

ج ـ ما جاء في إنجيل برنابا[2]:

في الفصل السادس والثلاثين : قد جاءت الأنبياء كلهم إلا رسول الله ، الذي سيأتي بعدي ، لأن الله يريد ذلك ، حتى أُهيءَ طريقه.اهـ.

في الفصل التاسع والثلاثين : لما انتصب آدم على قدميه ، رأى في الهواء كتابةً تتألق كالشمس ، نصُّها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ففتح حينئذ آدمُ فاه ، وقال : أشكرك أيها الرب إلهي ، لأنك تفضّلت فخلقتني ، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات (محمد رسول الله) فأجاب الربُّ : مرحباً بك يا عبدي آدم ، وإني أقول لك : إنك أولُ إنسان خلقتُ . وهذا الذي رأيتَه إنما هو ابنُك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة ، وسيكون رسولي ، الذي لأجله خلقتُ كلَّ الأشياء ، الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم ،...الخ.

في الفصل الثاني والأربعين : لست أحسب نفسي نظيرَ الذي تقولون عنه ، لأني لستُ أهلاً أن أحلَّ رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله ، الذي تسمونه مسيا ، الذي خُلق قبلي ، وسيأتي بعدي ، وسيأتي بكلام الحق ،

---

(١) لقد أسلم بعد نقاش استمر عدة جلسات بينه وبين شيخ الإسلام جمال الدين أفندي وعلماء آخرين رحمهم الله تعالى ، في اسطانبول . أثناء عودته من بريطانيا إلى إيران . وكان قد سبق له التفكر فيما يقرأ مما لا يدخل في عقل العاقل الفطن ، ولا يسلِّم به اللبُّ المنوَّر .

(٢) هذا الإنجيل كان مشهوراً في القرن الثاني والثالث بعد الميلاد . لذا فهو من أصدقها وأقربها للصواب . انظر إظهار الحق (٢ : ٤٤١).

ولا يكون لديه نهاية.اهـ.

وقوله : مسيا : أي رسول ، ومسيا الله ، أي رسول الله .

وفي الفصل الثالث والأربعين : الحق أقول لكم ، إن كلَّ نبيٍّ متى جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامةَ رحمة الله ، ولذلك لم يتجاوز كلامُهم الشَّعبَ الذي أُرسلوا إليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصاً ورحمةً لأمم الأرض ؛ الذين يقبلون تعليمَه ، وسيأتي بقوةٍ على الظالمين ، ويُبيدُ الأصنامَ ، بحيث يخزي الشيطان ،...اهـ.

وفي الفصل الرابع والخمسين إلى الفصل السادس والثلاثين بعد المائة ، يتحدَّث عن شفاعة النبي الكريم ﷺ يوم القيامة ، أشير إلى بعض العبارات التي فيها التصريح باسم رسول الله ﷺ ، يقول يسوع : ...ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الملائكة الذين يأتون كالنحل ، ويحيطون برسول الله ، ثم يحيي الله بعد ذلك سائرَ أنبيائه الذين سيأتون جميعهم تابعين لآدم ، فيُقَبِّلون يدَ رسول الله ، واضعين أنفسهم في كنف حمايته ، ثم يحيي الله بعد ذلك سائرَ الأصفياء الذين يصرخون : أذكرنا يا محمد . فتتحرك الرحمةُ في رسول الله لصراخهم ،...

ثم قال يسوع : أرجو الله أن لا أرى هذه الهولة في ذلك اليوم . إن رسول الله وحده لا يتهيّب هذه المناظر ، لأنه لا يخاف إلا الله وحده .

ويذهب رسول الله ليجمع كلَّ الأنبياء ؛ الذين يكلمهم راغباً إليهم أن يذهبوا معه ليضرعوا إلى الله لأجل المؤمنين ، فيعتذر كلُّ أحدٍ خوفاً ولعمر الله أنا لا أذهب إلى هناك ، لأني أعرف ما أعرف ، وعندما يرى اللهُ ذلك يذكر رسولَه كيف أنه خلق كلَّ الأشياء محبةً له ، فيذهب خوفه ويتقدم إلى

العرش بمحبة واحترام ،... ثم ذكر ما يفتح الله تعالى على رسوله الكريم ﷺ ، وتشفيعه ﷺ بالخلائق ،... ثم يقول :

وبعد هذه السنين يجيء الملاكُ جبريل إلى الجحيم ، ويسمعهم يقولون : يا محمد ؛ أين وعدُك لنا أنَّ من كان على دينك لا يمكث في الجحيم إلى الأبد ... فحينئذ يكلّم الرسولُ اللهَ ويقول : ربي وإلهي ، اذكر وعدَك لي ، أنا عبدُك ، بأن لا يمكث الذين قَبِلوا دِيني في الجحيم إلى الأبد ، فيجيب الله : اطلب ما تريد يا خليلي ، لأني أهبك كل ما تطلب ،... فيأمر الله حينئذ الملائكةَ الأربعةَ المقربين لله أن يذهبوا إلى الجحيم ، ويخرجوا كلَّ من كان على دِين رسوله ويقودوه إلى الجنة ، وهو ما سيفعلونه ، ويكون من مبلغ جدوى دين رسول الله ؛ أن كلَّ من آمن به يذهبُ إلى الجنة بعد العقوبة التي تكلّمتُ عنها ، حتى ولو لم يعمل عملاً صالحاً ، لأنه مات على دينه.اهـ.

وفي الفصل الثاني والسبعين : أجاب يسوع : لا تضطرب قلوبكم ، ولا تخافوا ، لأني لست أنا الذي خلقكم ، بل الله الذي خلقكم يحميكم . أما من خصوصي فإني قد أتيت لأهيء الطريقَ لرسول الله ، الذي سيأتي بخلاص العالَم ،... إنه لا يأتي بزمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين ، حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمناً ، في ذلك الوقت يرحم الله العالَمَ فيرسل رسولَه ، الذي تستقر على رأسه غمامةٌ بيضاء ، يعرفه أحد مختاري الله ، وهو سيظهره للعالم ، وسيأتي بقوة على الفجار ، ويبيد عبادةَ الأصنام من العالم.اهـ.

وفي الفصل الثامن والتسعين : أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مسيا ،... لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل

أنت مسيا الله الذي ننتظره ؟

أجاب يسوع : حقّاً إن الله وعد هكذا ، ولكني لستُ هو ، لأنه خُلق قبلي ، وسيأتي بعدي .

أجاب الكاهن : ...أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حبّاً في الله بأية كيفية سيأتي مسيا ؟

أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي إني لست مسيا الذي تنتظره كلُّ قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم ،... ولكن عندما يأخذني الله ،... يرحم الله العالَمَ ، ويُرسلُ رسولَه ، الذي خلق كلَّ الأشياء لأجله ، الذي سيأتي من الجنوب بقوة ، وسيبيد الأصنام وعبدةَ الأصنام ، وسينتزع من الشيطان سلطتَه على البشر ،...الخ.

وفي الفصل السابع والتسعين : ومع أني لست مستحقّاً أن أَحلَّ سير حذائه... ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كلَّ رأي كاذب فيَّ ، وسيمتد دينُه ، ويعم العالَمَ بأسره ، لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ،...

قال الكاهن : ماذا يُسمى مسيا ؟ وما هي العلامة التي تعلن مجيئَه ؟

أجاب يسوع : إن اسم مسيا عجيب ، لأن الله نفسه سمّاه لما خلق نفسَه ووضعها في بهاء سماوي . قال الله : اصبر يا محمد ، لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنةَ والعالَمَ وجمّاً غفيراً من الخلائق ،... ومتى أرسلتك إلى العالم ؛ أجعلك رسولي للخلاص ،...

وفي الفصل الثاني عشر بعد المائة : اعلم يا برنابا إنه لأجل هذا يجب التحفظ عليَّ ، وسيبيعني أحدُ تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود ، وعليه فإني على يقين من أن مَنْ يَبيعني يُقتل باسمي ، لأن الله سيُصعِدني من الأرض ،

وسيغيِّر منظرَ الخائن ، حتى يظنَّه كلُّ أحد إيايَ ، ومع ذلك فإنه لما يموت شرَّ مِيتة ؛ أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدّسُ ، تُزال عني هذه الوصمة ، وسيفعل الله هذا لأني اعترفتُ بحقيقة مسيا الذي سيعطيني هذا الجزاء .

وفي الفصل الثالث والستين بعد المائة : أجاب التلاميذ : يا معلم ؛ من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه ، الذي سيأتي إلى العالم ؟

أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله ، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعةً للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها ،...

وقال في الفصل الثامن بعد المائتين : أجاب يسوع : إن غَيْرَةَ شَرَفِك يا الله تؤجحني ، ولا أقدر أن أسكت ، الحق أقول : إن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مسيا الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كلُّ قبائل الأرض.اهـ.

وقال في الفصل الثاني عشر بعد المائتين : أيها الرب الجواد والغني في الرحمة ؛ امنح خادمك أن يكون بين أمة رسولك يوم الدين ، وليس أنا فقط ، بل كل من قد أعطيتَني مع سائر الذين سيؤمنون بي بواسطة بشيرهم.اهـ.

هذا بعض ما في كتابهم الموسوم بالمقدس ، بعهديه القديم والجديد ، فماذا يقول القسيس بعد ذلك ؟ أيكذِّب المسيحَ ومن قبله من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام فيكون كافراً بدينه ، أم يصدِّقُ المسيحَ ومن قبله من أنبيائهم عليهم السلام فيما يقولون فيلزمه الإيمان بالنبي المصطفى الكريم ﷺ ، وبطاعته ومحبته واتباعه ،... وعدم الخروج عن منهجه ، والعنود عن مذهبه ،... ؟ فليختر لنفسه ما يصطفي .

*****

إشكال

الجمع بين هذه الرحمة وإرساله ﷺ بالجهاد والسيف

إذا سأل سائلٌ : إذا كان رسولُ الله ﷺ رحمةً للعالمين ، وهو نبيُّ الرحمة ، وأُرسل بالرحمة ، وانحصرت رسالتُه بالرحمة ، وهو الرحمةُ المهداة ، وهو الرؤوف الرحيم ...: فكيف أُرسل ﷺ بالسيف ، وبُعث بالجهاد ، وأَمر بقتل بعض الكفار ، سواء كانوا جماعة أو أفراداً ؟

والجواب على ذلك من وجوه[1]:

١ـ نعم إن رسول الله ﷺ هو رحمة للعالمين ، وأنه رؤوف رحيم ، ولكنه في الوقت نفسه جاء بالسيف لمن عاند واستكبر ، ولم يتفكر ، ولم يتدبر ، أو نقض العهد وتكبر .

ونظيرُ ذلك : أن من أوصاف الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2] وأنه تعالى أرحم بعباده منهم ، وأنه تعالى رؤوف غفور ، وأنه أرحم بعباده منهم بأنفسهم ، وأنه تعالى جعل الرحمة مائة جزء ، أنزل منها جزءاً واحداً إلى الأرض ، ليتراحم الخلق به ، وأنه يعيد هذا الجزء ليرحم عباده بالمائة يوم القيامة ، بل لو علم الكافر بكل ما عند الله تعالى من الرحمة ما أيس من الجنة البتة ،...

---

(١) انظر تفسير الرازي (٢٢ : ٢٣٠ ـ ٢٣١) والكشاف (٣ : ٢٢ ـ ٢٣) فقد ذكرا بعض الأجوبة .

(٢) فقد ورد لفظ الرحمٰن (٥٧) ولفظ الرحيم (١١٥) عدا عن البسملة ، التي وردت (١١٣) مرة في أوائل السور .

ومع هذا كله فإن الله تعالى شديد العقاب ، منتقم من العصاة . بل لو علم المسلم بما عند الله تعالى من العذاب لم يأمن من النار ، ولم يطمع بالجنة[1]، والله تعالى أعلم .

٢ـ إن أسماء الله تعالى قسمان :

ـ جمالية : كالرحمٰن ، الرحيم ، الرؤوف ، الودود ، السلام ، المؤمن ، الغفّار ، الوهاب ، الرّزّاق ، الباسط ، الرافع ، المعز ، اللطيف ، الحليم ، الشكور ، الواسع ، التواب ، العفو ، المغني ، النافع ، الهادي ،... وغيرها .

ـ وجلالية : كالعزيز ، الجبّار ، المتكبّر ، القهّار ، القابض ، الخافض ، المذِل ، الحكم ، العظيم ، العلي ، الكبير ، الرقيب ، القوي ، المانع ، القادر ، المقدِّم ، المؤخِّر ، المتعال ، الضّار ، المنتقم ، مالك الملك ،... وغيرها .

فبقدر ما في الأولى من جمال ، في الثانية من الجلال والقهرية ما يقصم الظهر .

٣ـ إذا كان الله عز وجل خلق لمن يرحمهم الجنةَ ، ودعا عبادَه إليها ، ورغَّبهم فيها ، وأن من دخلها لا يخرج منها ، وأنه تكفّل بملئها ، وفيها من النعيم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فإنه تعالى ـ بنفس الوقت ـ خلق لمن عصاه وكفر به النارَ ، وحذّرهم منها ، وتكفّل بملئها ، وفيها من ألوان العذاب ما تشيب له نواصي الرّضع .

٤ـ إن كل نبي قبل نبينا المصطفى الرحيم ﷺ كان إذا كذَّبه قومُه ولم يُؤمنوا به ،... أهلكهم الله سبحانه وتعالى ، بمختلف أنواع العذاب ؛ بالخسف

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الرجاء مع الخوف . وصحيح مسلم : كتاب التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه ، رقم (٢٣).

أو المسخ أو الغرق ،...

كما قال الله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

ويلاحظ بعد تعداده تعالى لأنواع الهلاك والعذاب الذي حل بالأمم السابقة ؛ بيّن تعالى أنه جل شأنه ما ظلمهم ، ولكن كانوا هم الظالمين ، حيث ظلموا أنفسهم ، فلم يؤمنوا به تعالى ، ولم يطيعوا رسله عليهم السلام ، ولم يرتدعوا بما حصل بمن سبقهم من العذاب ، كما أنهم ركبوا رؤوسَهم ، واتبعوا الشيطان وأطاعوه ، لذا هلكوا ، كما أراد ، لأنه ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[2] ، والله تعالى أعلم .

أما بعد بعثة النبي المصطفى الكريم ﷺ فإن الله عز وجل أخَّر عذابَ من كذَّب رسولَه الكريم ﷺ ولم يؤمن به ؛ إما إلى الموت ، أو إلى يوم القيامة ، وأن الله تعالى أمَّنهم بسببه ﷺ من عذاب الاستئصال ؛ الذي كان تعالى يوقعه على الأمم السابقة عند تكذيبها لرسلها ، فقال تعالى مخاطباً حبيبه وصفيه الكريم ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾ .

٥ـ ما تقدم من الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ من بيان عداوة الشيطان وغوايته لبني آدم ، ومن تحذير الله عز وجل والرسل جميعاً عليهم السلام من عداوة الشيطان ،... وإخبار الله تعالى عنه أنه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

(١) سورة العنكبوت (٤٠).

(٢) سورة فاطر (٦).

فمن خالف وتنكب وعصى ؛ فمصيره ما كان قد حُذِّر منه . فيكون هو السبب في هلاك نفسه ، لسبق التحذير له .

٦- إن الله تعالى قد أخذ العهد على البشرية كلها - قبل خلقها في الدنيا - وهي في عالَم الذر ؛ أن إذا بُعِث النبي المصطفى الكريم ﷺ يلزمهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ، وبيَّن الله تعالى لهم ثوابَ من آمن به وأطاعه واتبعه ؛ وهو المغفرة والرحمة ، ومحبة الله تعالى للمتبع ، وأن عقوبة العاصي الذي لم يُؤمن ولم يُطع ولم يتَّبع : هي النار .

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1] .

وقال الله جل شأنه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾[2] .

لذا فمن خالف وتنكب فهو مستحقٌّ لما كان قد أُخِذ عليه .

٧- إن هذه الرحمة المهداة جاءت لإسعاد البشرية كلها ونجاتها ؛ إن اتبعوه وأطاعوه ، لأنه يحدو بقلوب الخلق في غياهب بيداء الدنيا ، وتعرجات سبلها ويقول : ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾ لذا فمن أطاعه واتبعه ؛ سلِم ونجا ووصل إلى شاطئ السلامة . ومن عصاه وخالف أمره وسلك غير

(١) سورة آل عمران (٨١) وانظر عظيم قدره ﷺ ، والأمانة العظمى ، ومكانة النبي الكريم ﷺ .

(٢) سورة آل عمران (٣١) وانظر مكانة النبي الكريم ﷺ ، لبيان معنى الاتباع ، والفرق بينه وبين الطاعة .

سبيله ضل وتاه في تلك البيداء ، وأهلك نفسه بيده ، ويكون قد أتى من عند نفسه .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي ومثل الناس ؛ كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفَراش وهذه الدوابُّ التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يَزَعُهُنَّ ويغلبنه فيتقَحَّمْنَ فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحَّمون فيها ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

فمن خالف وعصى وأدبر ولم يؤمن يكون هو الذي ألقى نفسه في النار ، ولم يرض بالنجاة .

٨ـ لقد جعل الله عز وجل نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ نذيراً وبشيراً للبشرية ، والمنذِرُ لا يُنذر إلا من خطرٍ داهِمٍ ،... والمبشِّرُ إنما يبشر من يطيعه ويتبعه . والنصوص في كونه ﷺ مبشِّراً ونذيراً كثيرة جدّاً ، ذكرتها في فصل سابق ، لذا فمن لم يطع النذير ـ في أمور الدّين ـ خسر آخرته ، كما يخسر من لم يطع مَن ينذر في أمور الدنيا دنياه ، وقد يخسر حاله ونفسه أيضاً .

وقد نبَّه النبي المصطفى الكريم ﷺ أمتَه ـ والبشريةَ كلها من بعدها ـ أنه هو النذير العريان ، الذي لا يدل أمته إلا على الخير المحقَّق ، ولا يحذِّرها إلا من الشر والخطر المتيقن .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً ، فقال : رأيتُ الجيشَ

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الانتهاء عن المعاصي . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ، رقم (١٧ ، ١٨).

بعَيني ، وإني أنا النذير العُريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفةٌ فأدلجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفة [فأصبحوا مكانهم] فصبَّحهم الجيشُ ؛ فاجتاحهم ». متفق عليه[1].

فمن لم يتبعه ﷺ فقد ضيَّع نفسه وأهلكها ، فحاله كحال من أصبح مكانه ولم يسمع كلام النذير ، فجاءه العدوُّ فقضى عليه ، وأما من سمع قوله فأدلج فقد نجا ، وقد قام ﷺ بتبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة . لأنه ﷺ بشَّر وأنذر .

٩ـ لقد جعل الله تعالى نبيَّه الكريمَ ﷺ رحمةً للعالمين ، ونبيَّ الرحمة ، ورؤوفاً رحيماً ، ويقابل الرحمةَ العذابُ ، والرحمةُ نافعةٌ جدّاً ، لمن تعرَّض لها واقترب منها وسعد بصحبتها ونيلها ، أما من أعرض عنها ؛ ولم يقترب منها ، ولم ينلها ، فإنه لا يسعد بها ، ولا تشمله ، فيكون المعرِضُ هو السبب في عدم نوله لها ، وليست هي السبب ،...

مثاله : أن يفجر الله سبحانه وتعالى عيناً غديقةً ، فيسقي بعضُ الناس زروعَهم ومواشيهم بمائها العذب ؛ فتروى مواشيهم ، وتنبت زروعهم وقد تزيد ، فيفلحوا . ويبقى ناسٌ آخرون مفرطون عن السقي ، فتعطش مواشيهم ـ وقد تموت ـ وتذبل زروعهم ـ وقد تموت ـ فيضيعوا .

فالعين المتفجرة في نفسها نعمةٌ من الله تعالى ، ورحمةٌ للفريقين ، وهي موجودة ، ولكن الكسلان هو محنةٌ على نفسه ؛ حيث حرمها ما ينفعها . وهذا حال من لم يُطع رسول الله ﷺ ، ولم يتعرّض للرحمة التي جاء بها ، فهو المفرِّط

(١) صحيح البخاري ، وصحيح مسلم : في الكتابين والبابين السابقين ، ورقمه عند مسلم (١٦).

في نفسه ، لذا يهلَك مع الهالكين ، والله تعالى أعلم .

١٠ـ إن الإنسان يولد على الفطرة سليمها ، كما يولد كاملَ الأعضاء سليمها ، وكما يسري عليه الخلل بالنسبة لأعضائه من عضو مصاب ، كذلك يسري عليه الخلل على فطرته فينقلها إلى غير الفطرة التي فُطر عليها ـ وهذا خلل يقع على الفطرة ، وقد ينقلها كليّاً عنها . والإنسان هو الذي يخترمها ،...

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه ، كما تُنتَج البهيمةُ بهيمةً جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ». متفق عليه[1].

فإذا وقع مرض خطير ـ لا سمح الله تعالى ، كالسرطان مثلاً ـ في عضو من الأعضاء ، وصار موضعَ ضرر بالنسبة لسائر الأعضاء ، ماذا يفعل هذا الإنسان المصاب ؟ إن بقاءه على قيد الحياة مرهون بسلامة ذلك العضو ، فإذا تقرر استحالة البرء ، وأن وجوده صار خطراً على حياة الإنسان ، فإن الإنسان يُقدم على الموافقة على قطع ذلك العضو ، لكي يبقى بقية الجسد سليماً ، ولفترة من الحياة أطول . وإلا فقد ينتقل الخطر إلى سائر أعضاء الجسد ، كما هو ملاحظ ، والعياذ بالله تعالى .

وكمثل صندوق من الفاكهة السليمة الغالية ، فسدت فيه واحدة ، فإن صاحب الصندوق ـ أو البائع ـ يلقيها ـ مهما كانت غالية ـ ليسلم له بقية ما في الصندوق ، وإلا لو بقيت أفسدت جميع ما في الصندوق ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا أسلم الصبيُّ فمات هل يُصلّى عليه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب القدر : باب كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين ، رقم (٢٢ ـ ٢٥).

وهكذا يقال فيمن يقام عليه الحدُّ ، إن بقاءَه فسادٌ لبقية المجتمع ، وأن التخلصَ منه حياة وسلامة للآخرين ، لذا وجب التخلص منه .

١١ـ لقد جعل الله جل شأنه الحدودَ والقصاصَ حياةً للنفس البشرية ؛ للفرد أو المجتمع . لأن القاتلَ إذا علم أنه سيُقتل إذا قَتل ، فإنه سيمتنع عن القتل ، ولهذا اشتُهر قولهم : القتلُ أنفى للقتل .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

فمن يقدم على القتل فهو لا يريد حياته ، وكذا لو فعل ما يستحق عليه الحد ، فهو الذي يُلام ، وليس الشرع ، لأن الشرعَ حذَّره من مغبة فعله ، وبيّن له عقوبةَ ذلك الفعل ، فمن أقدم عليه ـ وهو عارف بالتحذير بالعقوبة ـ يكون هو الذي ألقى بنفسه إلى تهلكة العقوبة والقتل ، والله تعالى أعلم .

١٢ـ إن عذاب الدنيا ـ مهما كان شديداً في ظاهره ـ هو أخف بكثير من عذاب الآخرة ، لأن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة ـ كما في الصحيحين وغيرهما ـ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[2]. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ﴾[3].

فإذا رحم الله تعالى العبد الجاني أُقيم عليه الحد في الدنيا ، لأن إقامةَ الحد على مرتكِبِه كفارةٌ له في الدنيا ، وكان حاجزاً له ، فلا يقام عليه في الآخرة ، ولا يطالب به . لذا كانت الرحمة في إقامة الحدِّ ، وليس في تأخيره .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ـ في قصة البيعة ، وفيه قوله

---

(١) سورة البقرة (١٧٩).

(٢) سورة طه (١٢٧). وانظر سورة الزمر (٢٦) وسورة فصلت (١٦).

(٣) سورة الرعد (٣٤). وانظر سورة القلم (٣٣).

ﷺ ـ : « ...ومن أصاب من ذلك شيئاً [وفي رواية لمسلم : ومن أصاب منكم حدّاً فأقيم عليه] فعوقب عليه في الدنيا ، فهو كفارة له ». متفق عليه[1].

١٣ـ إن الرسولَ هو مبلِّغٌ عمن أرسله ، وقد قام رسول الله ﷺ بأداء الرسالة كما أُنزلت عليه ، وبلَّغها كما جاءت ، ولم يكتم منها شيئاً ، وقد شهد الله تعالى له بالبلاغ والأداء ،...

ومع هذا فقد أشهد رسولُ الله ﷺ على تبليغه ربَّه عز وجل ـ في مرات متعددة ـ وأشهد المسلمين على ذلك أيضاً ، فيقول : « اللهم هل بلَّغتُ ؟ » فشهدوا بذلك دائماً .

فمن أعرض بعد ذلك فقد قامت الحجة عليه ، واستحق العقوبة ، والله تعالى أعلم .

١٤ـ لقد أمر الله تعالى جميع العباد بالإيمان به تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]. ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ⦗٧⦘ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾[3].

كما أمر الله عز وجل جميع العباد بطاعته تعالى وطاعة رسوله الكريم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب (١١) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب الحدود كفارة لأهلها ، رقم (٤١ ـ ٤٣).

(٢) سورة الأعراف (١٥٨).

(٣) سورة التغابن (٧ـ٨).

ﷺ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ في عشرات الآيات .

كما أمر الله سبحانه وتعالى باتباع رسوله الكريم ﷺ ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١).

فمن آمن بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، وأطاع الله تعالى ورسولَه الكريم ﷺ ، واتبع رسولَه الكريم ﷺ ؛ فقد سعد في الدارين .

ومن لم يؤمن بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ومن لم يطع ولم يتبع رسوله الكريم ﷺ كان عاصياً . والعاصي له نار جهنم ، لأنه خالف أمر الله تعالى ، وعصاه . ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾(٢).

فيكون هو المسؤول عن عقابه وعذابه ، لأنه هو الذي ألقى نفسه إلى التهلكة ، بعصيانه لربه عز وجل .

١٥- إن الله تعالى خلق الخلق ليرحمهم ويحبهم ويقربهم ، ولم يخلقهم ليبعدهم ، حيث سبقت رحمتُه غضبه ، وقد وسعت رحمته تعالى كلَّ شيء ، وأرسل رسولَه الكريم ﷺ رحمةً بهم ، كما سبق في الفصل الأول والثاني ، فمن أطاعه تعالى بالإيمان به وطاعته وبالإيمان برسوله الكريم ﷺ وطاعته واتباعه ؛ فقد سعد ونجا ، ومن خالف وعصى ولم يتبع ، ولم ينطو تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ فلا تشمله الرحمة ، وله عقوبة العاصي المخالف في الدّارين ، لأنه هو السبب في كراهته وتعذيبه وإبعاده وعقوبته ،... ولا حجة له بالاحتجاج بالقدر ، لأنه غير معلوم له قبل وقوعه ، إنما يحاسب

(١) سورة آل عمران (٣١).

(٢) سورة النساء (١٤) في آيات كثيرات .

حسب طاعته ومعصيته لأمر الله تعالى .

١٦ـ لقد طلب الله تعالى من رسوله الكريم ﷺ أن يعلن لجميع الناس أنه مرسَلٌ إليهم ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ فمن أطاع المرسَل وهو رسول الله ﷺ فقد أطاع المرسِل وهو الله تعالى ، ومن عصى المرسَل فقد عصى المرسِل ، فيكون العاصي هو المسؤول عن عصيانه ، وما يترتب على العصيان من عقوبة في الدارين ، والله تعالى أعلم .

١٧ـ إن رسول الله ﷺ لم يَدْعُ على أمته ، بل حتى على أعدائه من الكفار بالهلاك العام الذي يستأصل شأفتهم ، حتى في أحلك الظروف المؤلمة التي مرت به ﷺ ، بخلاف الأنبياء السابقين عليهم السلام ، حيث دعوا على أممهم بالهلاك ، فاستجاب الله تعالى دعواتهم ، وأهلك أقوامهم ، ومن أراد أن يعرف سعة رحمته ﷺ وشمولها لأعدائه فلينظر إلى موقفه ﷺ الشريف المشرِّف يوم الطائف ، وموقفه ﷺ الكريم النبيل يوم أحد ، وموقفه ﷺ المشرّف يوم الخندق ، حيث لم يدع عليهم بالهلاك ، مع ما حصل له في تلك المواقف .

١٨ـ ليس من فطرة النبي المصطفى الكريم ﷺ أن يدعو على قوم بالهلاك ، بل قد يدعو عليهم بالتشديد عليهم ، ليرعووا ، ويرجعوا عن غيهم ، وهذا ما حصل بالنسبة لقريش وغيرها .

فقد دعا ﷺ على قريش بما هو دون الهلاك العام حتى يرجعوا إلى ربهم تعالى ، فلما أصابهم الجوع والعطش ، وأيقنوا بالهلاك ، شملتهم رحمة الرحيم ، وكرم الكريم ، ودعا لهم ﷺ بالإنقاذ ، واستسقى ﷺ لهم ، فسُقوا ـ كما مر ـ وهذا بخلاف ما حصل مع الأنبياء السابقين عليهم السلام ، حيث هلكت أممهم وهم ينظرون .

١٩ـ إن رسول الله ﷺ لم يقتل من حاول قتله ، أو اغتياله ، أو سحره ، أو سمّه ،... من اليهود والمنافقين والكفار ـ كما مر ـ مع أن عقوبة هؤلاء في مختلف الأنظمة والقوانين غالباً الإعدام ، ولكنه ﷺ أسقط حقه الشخصي ، فلم يقتلهم . ابتداء من سراقة بن مالك ، وانتهاء بالمنافقين الذين أرادوا قتله ﷺ يوم تبوك ، مروراً باليهودي الذي سحره ، وباليهودية التي سمته ، وبني النضير الذين حاولوا قتله ، وبالأعرابي الذي أراد اغتياله ، وغيرهم كثير مر ذكرُ بعضهم من قبل ، ومن أراد معرفتَهم على التفصيل فلينظر في (**رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار**) حيث خصصته لهذه الجزئية ، وهو كتاب حافل بإذن الله تعالى .

إنما أمر ﷺ بقتل من كان خطراً على الدين والأمة ، الذي أراد القضاء على الإسلام والمسلمين ، سواء بدأ يجمِّع القبائل لغزو المدينة ، ويؤلِّب القبائل على قتل رسول الله ﷺ ، أو كان مسلماً فارتدَّ وقتل أحدَ المسلمين ، أو كان عدوّاً لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ وللمسلمين ، وصدر منه الخسَّةُ والذلَّة ؛ من تشبيب بالمسلمات ، والحض على انتهاك العرض ، وانظر الفصل العشرين ؛ فقد ذكرت عامة من أمر النبي المصطفى الكريم ﷺ بقتلهم ، وسبب قتل كل واحد منهم ، كبني قريظة ، وابن أبي الحقيق اليهودي ، والهذلي عند مكة ، وأمثالهم .

وقد بينت أن الأمر بقتل هؤلاء هو أسهل بكثير من الآثار التي تترتب على غزوهم للمدينة .

٢٠ـ إن أنظمة جميع الدول تحكم على المجرمين بالعقوبات الجسدية ، حسب ضخامة الجريمة ، من الإعدام حتى السجن ، بالإضافة إلى الغرامات

المالية، فما الذي حملها على قتل القاتل عمداً، وعلى الخارج الخطر على الأمة؛ المتعاون مع العدو، الخائن لوطنه، والجاسوس الذي يفشي الأسرار الخطيرة للعدو،... فلِمَ تُقدم تلك الدول بأنظمتها على قتل هؤلاء المجرمين أو سجنهم عشرات السنين؟ أليس لِما ترى في فعلهم من الخطورة على المجتمع،... وأن طهارة المجتمع لا تتم إلا بالتخلص من هذا المجرم؟ مع أن كثيراً من الدول تتشدق بالحرية والعدالة وَ(الديمقراطية) ولكنها الحرية التي تجاوزت الحدود المتفق عليها عند العقلاء.

٢١ـ لقد نهى الله عز وجل المؤمنين أن تأخذهم رأفةٌ ورحمةٌ في إقامة الحدود ـ حتى لو كانت على المسلمين ـ مع أن الله تعالى هو الرحمٰن الرحيم الرؤوف الغفور الودود اللطيف،... وأنه تعالى جعل المؤمنين إخوة، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وجعلهم في موادّتهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثلُ الجسدِ الواحد، إذا شتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمّى». متفق عليه[2].

ومع هذا فقد نهى عن الرأفة والرحمة في إقامة الحد عليهم إذا ارتكبوا ما يقتضي الحد أو القصاص، لأنه نكال منه تعالى بالعصاة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات (١٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب: باب رحمة الناس والبهائم. وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٦٦).

(٣) سورة النور (٢)

فالكافر المعاند الذي ينقض العهد والميثاق الذي وقعه مع المسلمين ؛ بالتزامه وعدم الخروج عنه ، فإن خرج عنه بانتقاضه استُحل دمُه ومالُه ، والكافر الذي يريد القضاء على الإسلام والمسلمين فهو من باب أولى ألّا تأخذ المؤمنين رأفة ورحمة معه .

٢٢ـ إن الله عز وجل الرؤوف الرحيم أمر جميع الخلق بالإيمان بهذا النبي الكريم ﷺ ، وأخذ تعالى هذا العهد على الأنبياء عليهم السلام بذلك ، وأمرهم أن يأخذوه على أُممهم ـ كما مر ـ ومع هذا فإنه تعالى أمر المؤمنين بأخذ الجزية من أهل الكتاب مع إقرارهم على دينهم ، مع أنهم كفّار ، وأنهم مخلَّدون في النار ، لشركهم وكفرهم بربهم ، وعدم طاعتهم أنبياءهم بالإيمان بهذا النبي المصطفى الكريم ﷺ ، ومع هذا فقد أقرَّهم على بقائهم في ديار المسلمين ، شريطةَ التزامهم بالعهد الذي يجرونه مع المؤمنين ، فإذا نقضوا العهد فلا أمان لهم .

٢٣ـ لقد أرسل الله تعالى نبيَّه الكريم ﷺ شاهداً على الخلق جميعاً ، ومبشِّراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافرين ، وأمر الله تعالى الناسَ جميعاً بالإيمان به تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، وتعظيم رسوله وتوقيره واحترامه وتبجيله.

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[1].

وأهلُ الكتاب جميعاً لا يؤمنون به ، ولا يصدِّقونه ، وأن اليهود لا يؤمنون بعيسى عليه السلام ، ولا يصدِّقونه . ومع هذا فقد أمر الله تعالى بأخذ الجزية من أهل الكتاب ، وهم في حال كونهم لا يؤمنون بالنبي الكريم ﷺ . والنبيُّ

(١) سورة الفتح (٨ـ٩).

المصطفى الكريم ﷺ يعلم ذلك منهم ، ومع هذا فقد جعلهم ﷺ أهلَ ذمة ، ومعاهَدين ، ومستَأمنين .

وإذا امتنعوا من تطبيق شرط الإيمان ، فلن يسقط الشطر الآخر ، وهو التوقير والاحترام والتبجيل والتعظيم ، لأن هذا لا يمثل الحقَّ الشخصيَّ لرسول الله ﷺ فقط ، بل هو حقٌّ لله تعالى ، وللدِّين ، وللأمة . لذا فلن يسقط أبداً ، وعهدُ الذِّمَّة يسقط عمن طعن أو سبَّ رسول الله ﷺ أو نال منه ، لأن هذا يمثل الحق العام ، ولا يسقط بحال . وكانت عقوبة الفاعل القتل بالاتفاق[1].

وقد وُجد في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ بعضُ أهل الكتاب من سبَّ رسول الله ﷺ أو شتمه ، فقتلهم بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، من غير أمر النبي المصطفى الكريم ﷺ ، فلما بلغه قتلهم وعرف السبب أهدر ﷺ دمَاءهم .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، أن يهودية كانت تشتم النبيَّ ﷺ وتقع فيه ، فخنقها رجلٌ حتى ماتت ، فأبطل رسول الله ﷺ دمَها . رواه أبو داود برجال الصحيح[2].

---

(١) انظر معالم السنن (٦ : ١٩٩ ـ ٢٠٠) فإن كان مسلماً فقد ارتد ، وأهدر دمه ، وإن كان ذمّيّاً فيقتل عند الجمهور ، بما فيهم مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى .

وانظر : رحمة النبيّ الكريم ﷺ بالكفار ، حيث توسّعتُ في ذلك ، ثم انظر : واجب الأمة نحو نبيّ الرحمة ﷺ ، حيث ذكرتُ مواقف الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في دفاعهم عن رسول الله ﷺ .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الحدود : باب الحكم فيمن سب النبيّ ﷺ ، رقم (٤٣٦٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٢٠٠).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبيَّ ﷺ وتقع فيه ، فينهاها ، فلا تنتهي ، ويزجرها فلا تنزجر ، قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبيّ ﷺ وتشتمه ، فأخذ المِغْولَ فوضعه في بطنها ، واتكأ عليها فقتلها ،...الحديث ، وفيه ، فقال النبيُّ ﷺ : « ألا اشهدوا أن دمَها هدر ». رواه أبو داود والنسائي والطبراني ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، ووثق الحافظ رجاله[1].

وعن غَرَفَة بن الحارث الكندي رضي الله تعالى عنه ، أنه مر به نصرانيٌّ فدعاه إلى الإسلام ، فتناول النصرانيُّ النبيَّ ﷺ وذكره ، فرفع غَرَفَةُ يدَه فدقَّ أنفه ، فرفع إلى عَمْرِو بن العاص . فقال عَمْرو : أعطيناهم العهد . فقال غَرَفة : معاذ الله أن نكون أعطيناهم على أن يُظهروا شتمَ النبيِّ ﷺ ، إنما أعطيناهم على أن نخلّي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم ، وأن لا نحملهم ما لا يُطيقون ، وإن أرادهم عدوٌّ قاتلناهم مِن ورائهم ، ونخلّي بينهم وبين أحكامهم ، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا ، فنحكمُ بينهم بحكم الله وحكم رسوله ، وإن غيبوا عنا لم نعرض لهم فيها . قال عَمْرو : صدقت . رواه البخاري في تاريخه ، والبيهقي وابن الأثير ، وعزاه الحافظ لابن السكن[2].

(١) سنن أبي داود : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٣٦١) وسنن النسائي : كتاب تحريم الدم : باب فيمن سب النبيّ ﷺ (٧ : ١٠٧ ـ ١٠٨) والسنن الكبرى له (٢ : ٣٠٤) من كتاب المحاربة ، والمعجم الكبير (١١ : ٣٥١) وسنن الدارقطني (٣ : ١١٢ ، ١١٢ ـ ١١٣) (٤ : ٢١٦ ، ٢١٧) والمستدرك (٤ : ٣٥٤) وبلوغ المرام (٢٢٣) وانظر نيل الأوطار (٧ : ٣٧٩ ـ ٣٨١).

(٢) التاريخ الكبير (٧ : ١٠٩ ـ ١١٠) والسنن الكبرى (٩ : ٢٠٠) وأسد الغابة (٤ : ٣٨) والإصابة (٥ : ٣٠٩)

وهناك نصوص كثيرة في بيان نقض العهد بمثل هذا الفعل ، ذكرتها في (رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار) كما سبق ذكرُ فصلٍ من هذه الرسالة وفيه ذكرُ عدة نصوص من إنجيل برنابا وغيره ؛ فيها تعظيم المسيح عليه السلام لرسول الله ﷺ ، ذلك أن تعظيم النبي المصطفى الكريم ﷺ مطلوب من جميع الخلق ، كالإيمان به ، وبضده ينتقض العهد ، والله تعالى أعلم .

٢٤- إن جميع الرسل السابقين عليهم السلام دعوا على أممهم ، بعد عصيانهم وكفرهم وعدم طاعتهم ، فعوقبت أممهم في الدنيا ، مع مالهم في الآخرة ، وقد توسعت في بيان ذلك في عدة كتب لي ، كما أنهم سيتخلّون عنهم يوم القيامة ، كما سبق ذكره ، وأوضحته في (رحمة النبيّ الكريم ﷺ بالكفار) وفي غيره . إلا النبي المصطفى الكريم ﷺ ، فإنه لم يدع على قومه بالهلاك ، بل صار أماناً للبشرية من عذاب الاستئصال ، كما أنه أكثر من سؤاله ربه تعالى لأمته ، كما أنه سيشفع للخلائق جميعاً يوم يتخلى عنهم رسلهم عليهم السلام ، كما سبق بيانه في الفصل قبل الماضي .

٢٥- أهمس بأذن أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن النبي المصطفى الكريم ﷺ قد غزا (٢٧) سبعاً وعشرين غزوة ، ولم يقتل بيده الشريفة سوى شخص واحد ، وهو أُبيُّ بن خلف ، ولو جمعنا عدد الذين قُتلوا من الكفار في جميع تلك الغزوات نجدها لا تعادل إلّا أقل من عُشر ما حصل في غزوة واحدة قام بها يوشع عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل[1].

فهو ﷺ لا يريد قتل الناس وإبادتهم ، ولكن يريد هدايتهم ، بدلالة نهيه ﷺ عن قتل النساء والصبيان والكبار ، ومن أعلن إسلامه ، وأمره لقواده

(١) انظر : قصص الأنبياء (٤٤١) ومحمد في الكتاب المقدس (٢٦٢).

بدعوة العدو للإسلام قبل القتال ،...الخ.

فهو ﷺ الرحيم في قوته ، وهو القوي في رحمته ، وهو الشديد في عطفه وحنانه ، وهو الرفيق الشفوق في شدته وجهاده .

٢٦ـ قبل إنهاء هذا الفصل أحب أن أُبيِّن أن جميعَ من أمر النبي الكريم ﷺ بقتلهم ـ كما مر ـ لم يكن اعتداؤهم على شخصه الكريم ﷺ ، لأن الذين اعتدوا على شخصه الكريم ﷺ أو حاولوا الغدر به ، أو اغتيالَه ، أو سمَّه ، أو أساؤوا إليه ،... لم يقتلهم ، بل عفا عنهم ، كأمثال لبيد بن الأعصم اليهودي ، واليهودية التي سمَّته ، والأعرابي الذي أراد اغتياله ﷺ وهو نائم ، وفَضالة ابن عُمير ، وشيبة بن عثمان بن طلحة ، وعمير بن وهب ، وزيد بن السعنة ، وعبد الله بن أبيٍّ ابن سلول ، ويهود بني النضير الذين أرادوا اغتياله ، والمنافقين الذين حاولوا اغتياله يوم تبوك ، وعامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ،... في آخرين ، فأسلم من أسلم منهم ، كفضالة وشيبة وعُمير وزيد . وهلك من كُتبت عليه الشقاوةُ فلم يُسلم .

كما لم يقتل صفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وعتّاب بن أسيد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأبا سفيان بن حرب ، وأبا سفيان بن الحارث ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ،... وغيرهم كثير ، ممن كانوا ألدَّ الأعداء ، فمنّ عليهم فأسلموا ، وعفا عنهم ما كان منهم ، فصار ﷺ أقربَ إلى نفوسهم من عيونهم . وأكرمهم فصاروا يفدونه بكل غال ورخيص .

إنما أمر بقتل كعب بن الأشرف ، وسلام بن أبي الحقيق ، والهذلي ، وابن خطل ، والحويرث بن نُقيد ، ومقيس بن صبابة . ولكل واحد منهم سبب

في قتله ، يستحق بموجبه القتل ، ولو وُجد ذلك الشخص في أي بلد سيُؤمر بقتله لفعله المشين ـ كما مر بيانه في الفصل الماضي ـ والله تعالى أعلم .

* * * * *

الخاتمة (أحسن الله تعالى ختامنا جميعاً)

قبل أن أنهي هذا المختصر أحب أن أنبه على بعض الأمور ، تكون خاتمةً لهذه الرسالة ، ومنبهة للخلق جميعاً ، على أن رسول الله ﷺ لم يكن أحدٌ من الخلق يقاربه أو يدانيه في رحمته التي شملت جميعَ الخلق ؛ بما فيهم الكفار ، والأعداء ، ذلك أن الرحمة التي أُكرم بها ﷺ إنما هي من الله تعالى ، أَكرمه بها ، وجبله عليها ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ليكون المظهر الكامل لرحمة الله تعالى في خلقه . وأذكر بعض الفقرات للتنبيه .

أولاً : سعة رحمة الله عز وجل ، فهو الرحمٰن الرحيم ، الرؤوف الكريم ، وأنه عز وجل جعل الرحمة مائة جزء ، أنزل منها جزءاً ليتراحم الخلق فيه ، وادّخر عنده تسعة وتسعين جزءاً ، حتى يرحم بها الخلق يوم القيامة ، بعد ضم الجزء إليها ، كما مر .

ثانياً : لقد جعل الله تعالى الرحمةَ في نبيه الكريم ﷺ منه تعالى ، وليست من صنع البشر ، أو نالها ﷺ باجتهاد منه ، أو تخلّق ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ فهي منه تعالى ، جبله عليها ، وأرسله بها ، بل جعله هو رحمة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ كما جعله تعالى رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ثالثاً : لقد جعل الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ رحمةً تامة ؛ كاملةً في جزئياتها ، شاملةً في فروعها ، عامةً في تعلقاتها ،... وأهداها للعالمين ، لذا

قال ﷺ : « إنما أنا رحمة مهداة » كما مر .

رابعاً : لقد جعل الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ أماناً للبشرية ؛ من عذاب الاستئصال ، الذي كان تعالى يوقعه على الأمم السابقة ، حتى لو كذّبوا رسول الله ﷺ ، ولم يؤمنوا به ، حيث يؤخِّر عذابهم إما إلى الموت أو إلى يوم القيامة ، بخلاف الأمم السابقة ، فقد كان الله تعالى يوقع عليهم العذاب ، ورسلُهم عليهم السلام أحياء ينظرون ،...الخ.

خامساً : إن كلَّ نبي من الأنبياء السابقين عليهم السلام إذا كذَّبه قومُه ، ولم يؤمنوا به ، أهلكهم الله تعالى ، وعاقبهم بمختلف أنواع العذاب ، من خسف ، أو مسخ ، أو صيحة ، أو غرق ،... إلا هو ﷺ ، كما مر قبل قليل .

سادساً : إن رسول الله ﷺ سيد المخلوقات ، فضلاً عن كونه ﷺ سيد ولد آدم ، كيف وقد أخذ الله تعالى له العهد ـ قبل وجوده ﷺ في عالم الدنيا ـ على جميع الأنبياء عليهم السلام بالإيمان به واتباعه ونصرته ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

كما جعله تعالى شاهداً وشهيداً على جميع الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[2].

والخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام : كثيرةٌ

(١) سورة آل عمران (٨١).

(٢) سورة النساء (٤١) وانظر الأمانة العظمى ونبيها ﷺ فقد توسعت في بيان هذه المسألة .

جدّاً ، ذكرتُ الثابتَ منها في (الخصائص) وَ (عظيم قدره ﷺ) وَ (الأمانة العظمى) فمن أراد معرفتها فلينظر فيها .

وقد أخبر ﷺ أنه أفضل الخلق ، وسيد الناس .

فعن واثلةَ بنِ الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الله اصطفى كنانةَ من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبيِّ ﷺ في دعوة ، فرُفعتْ إليه الذّراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسةً ، وقال : « أنا سيدُ الناس يوم القيامة ،... ». الحديث بطوله ، في الشفاعة العظمى ، متفق عليه[2] .

والنصوص في هذا كثيرة .

ومع هذا فإنه ﷺ لم يرض أن يُفضَّل على الأنبياء عليهم السلام .

فعن أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا ينبغي لعبدٍ أن يقول : أنا خيرٌ من يونس بن متى ». متفق عليهما[3] .
كما ورد من حديث غيرهما أيضاً في البخاري وغيره .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : استب رجلٌ من المسلمين ،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب نسب النبيِّ ﷺ ، رقم (١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾.
وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧ ، ٣٢٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب في ذكر يونس عليه السلام ،... رقم (١٦٦ ، ١٦٧).

ورجل من اليهود ،... الحديث ، فقال [رسول الله ﷺ] : « لا تُخيِّروني على موسى ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

لذا على متَّبع هذا النبي المصطفى الكريم ﷺ ألا يتفاخر على الخلق ، اللهم إلا إذا علم نجاته في الآخرة ، ويكون قد اطّلع على إحدى المكرمتين ـ السابقة ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ الآيات[2]. أو اللاحقة ـ وهي حسن الختام ـ لأن المرء يبعث على ما مات عليه . كما بينتُه في (تنبيه الذات بهادم اللذات) فانظره .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه ». رواه مسلم[3].

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ، دخل [وجبت له] الجنة ». رواه أحمد وأبو داود ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وحسّن النووي سند أبي داود ، وصحّح سند الحاكم[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الخصومات : باب ما يُذكر في الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهود ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل موسى عليه السلام ، رقم (١٦٠) وانظر مكانة النبي الكريم ﷺ (٩ ـ ١٢) لبيان الجواب عن هذه الأحاديث .

(٢) سورة الأنبياء (١٠١ ـ ١٠٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنة ونعيمها : باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، رقم (٨٣).

(٤) مسند أحمد (٥ : ٢٣٣ ، ٢٤٧) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب في التلقين ، رقم (٣١١٦) والمستدرك (١ : ٣٥١ ، ٥٠٠) وشرح السنة (٥ : ٢٩٦) والمجموع (٥ : ٩٩) وخلاصة الأحكام (٢ : ٩٢٤) وانظر المطالب العالية (١ : ١٩١رقم ٦٨٥) لرواية أبي يعلى .

فإذا لم يعلم المرء تلك النتيجة فعلام يفخر ؟؟؟

سابعاً : لقد خلق الله تعالى جميع البشر من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبثّ منهما الرجال والنساء .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1] وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] .

فلا تفاضل في أصل الخلق ، اللهم إلا بما يقدّمه الإنسان بين يدي ربّه عز وجل ، من تقوى وعمل صالح ، لأن الفضل الحقيقي ما كان من عند الله تعالى ، فهو الذي يكرم به العبد .

قال رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع : « أيها الناس ؛ ألا إن ربَّكم واحدٌ ، وإن أباكم واحد ، ألا لافضل لعربيٍّ على أعجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ؛ إلا بالتقوى ،... ». رواه أحمد بإسناد صحيح[3]. وقد ورد نحوه بكثرة .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم [وفي رواية : أجسادكم] وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ». رواه مسلم[4].

والناس قسمان ؛ شقي وسعيد .

---

(١) سورة النساء (١).

(٢) سورة الحجرات (١٣).

(٣) مسند أحمد (٥ : ٤١١) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٦٦) وانظر فيه (٨ : ٨٣ـ ٨٤).

(٤) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم ظلم المسلم وخذله ،... رقم (٣٣ـ ٣٤).

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾(1) .

والله تعالى يحب الإيمان ، وحبّبه في قلوب المؤمنين ، ويحب المؤمنين : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ وَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ وَ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... ﴾ في آيات متعددة ، في أجزاء الإيمان .

والله تعالى لا يحب الكفر والشركَ به ، وكرَّهه في نفوس المؤمنين ، وأنه تعالى يكره الكافرين ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ ﴾ وَ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وَ ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ ﴾ .

والشرك والكفر : رجس ونجس ـ نجاسة حكمية ـ وظُلمة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ وَ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ .

بينما الإيمان طيّب وطاهر ونور من الله يسعى بين يدي صاحبه : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ وَ ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ وَ ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ وَ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ

(1) سورة هود (١٠٥ ـ ١٠٨)

مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن لا ينجس »[2].

فإذا أسلم العبد ، وانتقل من الكفر إلى حظيرة الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، يكون قد انتقل من الظلمة إلى النور ، ومن النجاسة إلى الطهارة ، ومن البعد إلى القرب ، ومن الكراهية إلى المحبة ،... فإذا زاد في الطاعة والتقوى في العبادة والسلوك : نال درجة الكرامة عند الله عز وجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ ، والله تعالى أعلم .

لذا فإن المؤمن لا يُحب الكفار ولا يوادّهم ، لأن الله تعالى لا يحبهم ، ولا يرضى بفعلهم ، كما أن المؤمن يكره فعل الكفر ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ فإذا أسلموا كانوا من أحب الناس إليه ، أما ترى قولَ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن عُمير بن وهب : لقد قدم وإنه لأبغض إليَّ من الخِنزير ، ثم رجع وهو أحبُّ إليَّ من ولدي . وذلك عندما قدم لقتل النبي المصطفى الكريم ﷺ ، فلما جابهه رسول الله ﷺ بما في نفسه ، وما حصل بينه وبين صفوان بن أمية أسلم[3]. نعم لقد كان أبغض إليه من

---

(١) سورة إبراهيم (٢٤ ـ ٢٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الغسل : باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب الدليل على أن المسلم لا ينجس ، رقم (٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، كما ورد من حديث غيره أيضاً .

(٣) انظر (رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار) فقد ذكرتُ قصة مجيئه إلى المدينة المنورة لاغتيال رسول الله ﷺ ، فلما فاتحه رسول الله ﷺ بما اتفق عليه هو وصفوان بن أمية : أسلم ، ونطق بالشهادة بين يدي رسول الله ﷺ .

الخنزير فصار أحب إليه من ولده .

وهكذا شأن المؤمن يكره الكفرَ والمعصية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ ولا يكره الذوات لأنها خلق الله تعالى ، فإذا اتصفت بالإيمان كانت محبوبة لديه .

ثامناً : لا أعلم أحداً من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام من يقارب أو يداني رسولَ الله ﷺ في رحمته بالبشرية بما فيهم الكفار والأعداء المعاندون ، بل حتى الذين آذوه ، أو حاولوا قتله واغتياله ،... وقد ذكرت في الفصل الثالث بعض المفارقات بين النبي المصطفى الكريم ﷺ وبين كلٍّ من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فليحسن الرجوع إليه ليتضح الفارق الكبير ، حيث دعوا أو تخلّوا عن أممهم ، بخلافه هو ﷺ حيث لم يدع على أمته ـ حتى في ساعة العدوان ـ بالهلاك ، ولم يرض أن يُهلكوا بإيقاع الجبلين عليهم ، وعفا عنهم ما فعلوا به ،...الخ.

تاسعاً : لم يقتل ﷺ أحداً من المشركين أو من أهل الكتاب أو المنافقين ؛ ممن حاول قتله ، أو اغتياله ، أو آذاه ،... ولو حصل ذلك الإيذاء بمحضر أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، بل عفا عنهم جميعاً ، إلا ما كان من قتله لأُبي بن خلف ، وظاهر أنه من باب الدفاع عن النفس ، وإن كان قتله يعتبر معجزة له ﷺ .

وذلك أن أبيّاً كان يقول لرسول الله ﷺ في مكة : إنه يعلف فرسه ليقتل عليها رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى ».

فلما كان يوم أحد وجلس رسول الله ﷺ على الصخرة ومعه عدد من

أصحابه ؛ أقبل أُبيٌّ بن خلف وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، فتناول رسول الله ﷺ الحربة من يد الحارث بن الصمة ، ثم طعن أبيّاً في ترقوته ، فتهدهد عدو الله ، ثم ولّى هارباً ، حتى وصل قومه وهو يقول : قتلني محمد ،... فلما وصل إلى سرف ؛ مات عدو الله[1].

فهو يعلم أن رسول الله ﷺ إذا قال قولاً فإنه يتحقق ، وأنه لا يتخلف قوله ، ومع هذا فقد كان يعاند ، حتى ساقه قدره إلى حتفه .

فظاهرٌ من السياق أن رسول الله ﷺ أخذ الحربة من الحارث وضرب بها أُبيّاً من باب الدفاع عن النفس ، والله تعالى أعلم .

مع أن مثل تلك الجرائم توجب عقوبة القتل في عامة قوانين الدول ، ولكنه ﷺ أسقط حقَّه ، وهذا واضح فيمن عفا عنهم ؛ من اليهودي الذي سحره ، واليهودية التي سمّته ، إلى المنافقين الذين حاولوا اغتياله ﷺ يوم عودتهم من تبوك ، مروراً بسراقة وشيبة بن عثمان وفضالة بن عمير وعمير بن وهب ،... وغيرهم ، إنما أمر بقتل من كان خطراً على الإسلام والمسلمين ، أو ارتكب جريمة عقوبتها الإعدام ، والله تعالى أعلم .

عاشراً : لم يكن رسول الله ﷺ يدعو على أعدائه بالاستئصال ، إنما قد يدعو عليهم بالتشديد ، لعلهم يرجعوا إلى صوابهم ورشدهم ، فإذا ضاقت عليهم السبل ، وظنوا الهلاك فإنه ﷺ يدعو لهم بالنجاة ، كما حصل مع قريش ، حين دعا عليهم بالسنين ، فلما أيقنوا بالهلاك ، دعا لهم فسقوا .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن قريشاً لما استعصت على

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٢١ ـ ١٢٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٣ : ٢١١ ـ ٢١٢). وانظر عامة كتب السير .

النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد ،... الحديث ، فأتاه أبو سفيان ، فقال : يا رسول الله ؛ استسق لمضر ؛ فإنها قد هلكت فقال : « لمضر ؟ إنك لجريء » قال : فدعا الله لهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾[1].

قال : فمُطِروا [وفي رواية للبخاري : فاستسقى ، فسُقوا]. متفق عليه[2].

الحادي عشر : لم يكن رسول الله ﷺ يحب قتل الناس أو إهلاكهم ، إنما كان يدعوهم ليؤمنوا ، ويسعدوا ويسلموا . مع ما يلاقيه ﷺ من عنت وصلف من المدعوين .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي ومثل الناس ؛ كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفَراشُ وهذه الدوابُّ التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يَزَعُهُنَّ ، ويغلبنه ، فيتقَحَّمن فيها ، فأنا آخذٌ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحَّمون فيها ». متفق عليه[3].

فالذي يحرص على ألّا يقعوا في النار هو أحرص على نجاتهم ؟ لذا فمن خالف وعصى يقع في النار برغبته واختياره ، والعياذ بالله تعالى .

---

(١) سورة الدخان (١٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاستسقاء : باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط ، وكتاب التفسير : سورة الدخان : من الباب الثاني حتى الخامس . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب الدخان ، رقم (٣٩ ، ٤٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الانتهاء عن المعاصي . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ، رقم (١٧ ، ١٨).

الثاني عشر : ومما يدل على أن رسول الله ﷺ لم يكن يحب قتل الكفار : أمره ﷺ قوادَ جيوشه رضي الله تعالى عنهم أن يدعو الأعداءَ ـ قبل بدء المعركة ـ إلى الإسلام ، فإن أسلموا نالوا حكمَ المسلمين ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، لأنه ﷺ أُرسل لإخراج الناس من عبادة الشيطان إلى عبادة الرحيم الرحمٰن . لذا قال ﷺ : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مِن أن يكون لك حُمُر النعم ». متفق عليه[1].

فمن كان هذا وصفه هل يعقل أن يقال عنه : إرهابي ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

الثالث عشر : ومما يدل على أن رسول الله ﷺ لم يكن يحب قتل الكفار : كونه ﷺ لم يُجِز قتلَ من نطق بالشهادتين ، ولو قتلَ مسلماً أو قطع يدَه ، كما مر في حديثي أسامة بن زيد والمقداد ابن الأسود رضي الله تعالى عنهم . المتفق عليهما ، وحديث جندب عند مسلم .

الرابع عشر : حرصه ﷺ وهو الرحيم على هداية الكفار وإسلامهم ، وعطفه عليهم ، فإن ماتوا أو قُتلوا كفّاراً فإنه يتأثر على ذلك ،...

أما ترى مخاطبته ﷺ لقتلى قريش وهم في القليب يوم بدر ، وكذا قوله ﷺ لأبي سفيان عندما أبطأ في إسلامه ، وقوله ﷺ لحكيم بن جبير في أبيه ؛ الذي مات ولم يسلم ؟ وقد توسعت في (رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار) في بيان ذلك كله ، فانظره .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب علي بن أبي طالب ،... رضي الله عنه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رقم (٣٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما .

الخامس عشر : ومما يدل على عدم رغبته ﷺ في قتل الكفار ، وعلى حسن معاملته لهم بالحسنى : حثه ﷺ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ومَن بعدهم من أئمة هذه الأمة على اليسر والسماحة ، والتبشير ، والعفو والصفح ، والابتعاد عن التعسير والتعقيد .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يسِّروا ولا تُعسِّروا ، وبشِّروا ولا تُنفِّروا ». متفق عليه .

وروياه[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه . وقد سبق ذكرهما ، والتعليق عليهما .

السادس عشر : إن مهمة رسول الله ﷺ التي رسمها الله تعالى له ، وجعله تعالى قائماً بها : هي هداية الخلق ، وذلك بإنذارهم وبشارتهم ، وقد قام ﷺ بها خير قيام ، وشهد الله تعالى له بذلك ، لذا كان حريصاً على هداية الكفار لا على قتلهم والقضاء عليهم ، والله تعالى أعلم .

السابع عشر : هذه الرحمة المهداة إنما أُرسلت لإسعاد البشرية ونجاتها من الهلاك ، بشرط اتباعه وإطاعته ، لذا جعله الله تعالى حادياً يحدو بقلوب العباد ، في غياهب بيداء الدنيا وشعابها ... : ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ .

فمن تبعه وأطاعه سلِم ونجا ، ووصل شاطئ السلامة ، وهذا الكافر الذي تنكب وعارض إنما يريد ألّا يحدو هذا الدليل بقلوب العباد ، فصار

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ما كان النبيُّ ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، وكتاب المغازي : باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ، رقم (٦ ـ ٨).

قاطعاً للطريق ، لذا لا بد من إقناعه ليطيع ويتبع فيَسلَم ، وإن أبى فلا مناص من إزاحته لتسير القافلة ، والله تعالى أعلم .

الثامن عشر : لقد كان رسول الله ﷺ كثير التحمل ، شامل الرحمة بالخلق ، طويل الصبر ، واسع الصدر ، لذا كان ﷺ حريصاً على هداية الخلق ، لا على إفنائهم ، وقد ظهر صبرُه وتحمُّلُه في كثرة من آمن به مع قصر المدة ، بينما لو نظرنا إلى الرسل السابقين عليهم السلام فقد عاشوا أضعاف عمره الشريف ، ولم يؤمن معهم إلا القليل النادر .

التاسع عشر : إن قوانين جميع الدول المختلفة تحكم على المجرم بالعقوبة الجسدية حسب ضخامة الجريمة ، فما الذي حملها على قتل القاتل العمد ؟ أو على الخائن لبلده المتعاون مع عدوه في خيانة وطنه ؟ وعلى الجاسوس الذي يفشي الأسرار الهامة الخطيرة للعدو ؟ فلِم تُقدم هذه الدول على قتله أو سجنه عشرات السنين ؟ أليس لما في فعله من خطورة على المجتمع ؟ مع دعوى كثير من تلك الدول بالحرية والعدالة والمساواة (والديمقراطية) ولكنها الحرية التي تجاوزت الحد المتفق عليه بين العقلاء .

بينما النبي المصطفى الكريم الرحيم بالخلق ﷺ يعمل على عدم وقوع الناس في الجريمة أولاً ، وذلك بتكريهها ، وبيان قبحها وشؤمها ، ثم ذكر عقوبتها ،... وفي الأخير إقامة الحد على الفاعل ، فمن سلك إلى آخر الطريق في الضلال ، وأصر على ذلك يكون هو السبب في إقامة الحد عليه .

العشرون : إن رسول الله ﷺ لم يقطع رجاءه من الكفار في هدايتهم وإسلامهم ، حتى لو بلغوا الغرغرة ، كما مر في قصة الغلام اليهودي ، وفي قصة أبي طالب وغيرهما . فإذا كان كذلك فكيف هو معهم ؟ اللهم إلا أن

يكون قد أُخبر من ربه تعالى ألا فائدة من ذلك الكافر ، لذا كانت الراحة منه راحة ، والتخلص منه سعادة ، والله تعالى أعلم .

الحادي والعشرون : لا أعلم من يدانيه ﷺ في الرحمة العامة والخاصة ، لذا جعله الله تعالى رحمةً للعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ بل لا يقاربه أحد في هذه الرحمة ، لذا جعله الله عز وجل رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ .

الثاني والعشرون : ومن مظاهر هذه الرحمة المهداة بالبشرية : رضاءُ رسول الله ﷺ بأخذ الجزية من أهل الكتاب ، واكتفى بذلك منهم رحمةً بهم ولم يقتلهم ، مع أن كل الديانات نُسخت ببعثته ﷺ ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[1] وقال : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾[2].

ثم إن أهلَ الكتاب غيّروا وبدّلوا وحرّفوا في دينهم وكتبهم ،... سواء في العقيدة أو العبادة أو التشريع أو الكتاب ،... ولم يسلم من دينهم إلا النادر ، كما قال تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾[3]. ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ

---

(١) سورة التوبة (٣٣) وسورة الفتح (٢٨) وسورة الصف (٩).

(٢) سورة المائدة (٤٨).

(٣) سورة البقرة (٧٩).

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1].

لذا أُمر ﷺ أن يقاتِل الناسَ حتى يؤمنوا بالله تعالى وحده وبرسول الله ﷺ نبيّاً ورسولاً ، فقال ﷺ : « أُمرتُ أن أُقاتِل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي ، وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك ؛ فقد عصموا مني دماءَهم وأموالَهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله ». متفق عليه[2].

وقد ورد في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم .

كما أُمر ﷺ أن يقاتِل الكفارَ ليجدوا في المومنين غلظة وشدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[3].

ومع هذا كله فقد أقرَّهم على دينهم ، وأبقاهم في ديار المسلمين ، وتركهم بين ظهراني المؤمنين ، مع كفرهم ، وشركهم بربهم تعالى ، ومع عدم إيمانهم بالنبي الكريم ﷺ ، مع أنهم قد أُخذ عليهم العهد بالإيمان به ، واتباعه ، وترك ما هم عليه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[4] كلُّ ذلك لوجود شبهة الكتاب عندهم ـ مع أنه منسوخ ـ وشبهة الدِّين ـ مع أنه منسوخ ـ ولم يقتلهم ـ لكفرهم ـ ولم

---

(١) سورة المائدة (١٣). وانظر سورة النساء (٤٦) وسورة البقرة (٧٥) وسورة المائدة (١٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب دعاء النبيّ ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ،... وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٣ ـ ٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٣) سورة التوبة (١٢٣).

(٤) سورة الأعراف (١٥٧).

يصلبهم ـ لشركهم ـ وأبقاهم في بلاد المسلمين ـ مع مخالفتهم لدينهم ورسلهم الذين يأمرونهم بالإيمان برسول الله ﷺ ، واتباعه ، وترك ما هم عليه ـ وأقر عليهم الجزية عن يد وهم صاغرون ، للدفاع عنهم إذا دهمهم عدو ، وإبقائهم في بلاد المسلمين على دينهم ، وعدم التدخل في شؤونهم الخاصة ، شريطة التزامهم بالعهود والمواثيق التي يلتزمون بها . لذا جاءت الوصاية بهم ، والتشديد على الاعتداء عليهم ـ كما أوضحتُه في (رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار) ـ فإن خالفوا فقد نقضوا العهد ، وجاز لولي المسلمين أن يعاملهم حسب المصلحة العامة ، كما ذكرت سابقاً ، والله تعالى أعلم .

الثالث والعشرون : هذا فعل الرحمة المهداة ﷺ مع الكفار ، فكيف يُعامِل ـ بأبي هو وأمي ـ المسلمين من أمته الصالحين ؟ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ .

هذا فعله ﷺ مع الأعداء الألداء ، فكيف يعامِل أحبابَه ومحبيه المطيعين المتبعين ؟ ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ .

هذا فعله ﷺ مع المعاندين المستكبرين ، فكيف يعامِل المخلصين ـ ولو كانوا مقصِّرين ؟ ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ .

لذا على المسلمين الذين يدّعون الطاعة والمحبة والاتباع أن يتَّبعوه ﷺ في حسن معاملة المسلمين أولاً ، فلا يخرجونهم من الملة ، وفي حسن التعامل مع الكفار ثانياً ، فلا يصدوهم عن دين الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

الرابع والعشرون : هذه الرسالة :

* هي للمسلمين المطيعين المتبعين ، لتنبههم : إذا كانت هذه رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، فكيف يتعامل المسلمون فيما بينهم ؟ والله تعالى يقول : ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقول : ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ حتى لو كانوا عصاة ، كما في

قوله ﷺ ـ للذي أُتي به وهو سكران ، وأَمَر ﷺ بإقامة الحد عليه ـ وكان قد تكرَّر ذلك منه ، ويقام الحد عليه في كل مرة ، ولعنه بعضهم ـ : « لا تلعنوه ، فوالله ما علمتُ أنه يحب الله ورسوله » وقال ﷺ : « لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم ». رواهما البخاري[1].

* هي للكفار ، حتى يعلموا أن رسول الله ﷺ كله رحمة ، وبُعث بالرحمة ، ودعا إلى العدل والرحمة والتيسير والسماحة والعفو والصفح ،... وقدَّم الأيسر . لا كما قال قسيسُهم ، عامله الله تعالى بعدله .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين ، إلا أخذ أيسرَهما ، ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط ، إلا أن تُنتهك حُرمةُ الله ، فينتقم لله بها . متفق عليه[2].

وانظر الفصل السابع (الإسلام دين السماحة واليسر) ففيه نصوص كثيرة على هذا المعنى .

هذا هو رسول الله ﷺ ، ليس كما زعم قسّيسُهم ، وإلا فليقارنوا بين ما ذكرتُ بعضَه ولم أستوعب ، وما فعلتْه وتفعله الدولُ النصرانية واليهودية ، وخير مثال : ما يوجد في جوانتنامو ، وصربيا ، وروسيا ، وسجن أبي غريب ، وإسرائيل ، والحبشة ـ يوم هيلاسيلاسي ـ وسجون أوربا الشرقية التي تُشرِف

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب ما يكره من لعن الشارب وأنه ليس بخارج من الملة ، وباب الضرب بالجريد والنعال .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب صفة النبيّ ﷺ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب مباعدته ﷺ للآثام ، رقم (٧٧ ، ٧٨).

عليها مخابرات القطب المتنمرد ، وغيرها من السجون المخفية .

أسأله جل شأنه أن أكون قد وُفِّقتُ في إظهار الصورة الحقة للرحمة المهداة ، وشمولها للبشرية كلها حتى الكفّار والأعداء ، ليظهر زيف أعداء الله عز وجل وأعداء رسوله ﷺ ، فإن ظهرت وفيها نفع لقارئها ؛ فهذا ما أريد ، وإلا فحسبي ما كتبتُ ، راجياً منه تعالى قبولَها ، وأن تكون دالّة على المقصود ، وأن ينفع بها عباده .

كما أسأله تعالى المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها ، المديمها علينا بإفضاله مع تقصيرنا ، الجاعلنا في خير أمة أُخرجت للناس ؛ أن يأخذ بأسماعنا وأبصارنا وألسنتنا وجميع جوارحنا إلى طاعته ، وأن يملك لنا أنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا عمّا يخالف طاعتَه ، ومتابعة نبيه الكريم ﷺ ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك .

كما أسأله تعالى الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، والنجاح في المقصد ، وأن يكرمنا برضاه ، ويجعل سائرَ أعمالي خالصةً لوجهه الكريم ، ويتقبلها مني ، ويحفظني فيما بقي من العمر ، ويحضرني عند حلول الأجل بالحفظ والتوفيق وحسن الختام ، من غير ابتلاء ولا محنة ، ويجعل مثوانا في هذه البقعة المباركة ، ويغفر لي ولوالِدَيّ ولوالِد والِدَي وزوجي وإخواني وأهلي وأولادي وأحفادي ومشايخي ومن يلوذ بي ، وأن يحفظنا جميعاً بعنايته ، ويتولانا برحمته ، ويشملنا برعايته ، ويحشرنا جميعاً تحت لواء النبي الكريم ﷺ ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله

الطّيبين الطّاهرين ، وصحابته الكرام المبجّلين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين ، وسلّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذّاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم مُلّا خاطر العَزّامي

نزيل المدينة المنورة

* * * * *

مصادر الكتاب

ـ القرآن الكريم .

ـ الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم ، ت فيصل الجوابرة ، دار الراية ، الرياض .

ـ الآداب ، للإمام البيهقي ، ت محمد عبد القادر عطا ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة .

ـ إتحاف الخيرة المهرة ، للإمام البوصيري ، ت عبد الرحمٰن سعد والسيد محمود إسماعيل ، مكتبة الرشد ، بالرياض .

ـ إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة ، للسيد عبد العزيز الغماري ، ط مع الأزهار .

ـ إتحاف السادة المتقين ، شرح إحياء علوم الدين ، للإمام الزبيدي .

ـ إتحاف المهرة ، للحافظ ابن حجر ، مركز خدمة السنة ، بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

ـ الأحكام الوسطى ، للإمام الإشبيلي ، ت حمدي السلفي والسيد صبحي السامرائي ، مكتبة الرشد ، الرياض .

ـ أخلاق النبيّ ﷺ وآدابه ، لأبي الشيخ ، ت أحمد محمد موسى ، القاهرة .

ـ أدب الإملاء والإستملاء ، للإمام السمعاني ، ت أحمد محمد محمود ، جدة .

ـ الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للحافظ السيوطي ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة .

ـ الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، ت كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت .

ـ الاستيعاب ، للحافظ ابن عبد البر ، ت على معوض وعادل عبد الموجود ، مؤسسة مناهل العرفان .

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، دار الفكر ، بيروت .

ـ الأسماء والصفات ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ محمد زاهد الكوثري ، القاهرة .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، ت البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

ـ إظهار الحق ، للعلامة رحمة الله العثماني ، نشر إدارة الشؤون الدينية ، قطر .

ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار ، للإمام الحازمي ، ت محمد راغب الطباخ ، المطبعة العلمية ، بحلب .

ـ إعراب القرآن ، لأبى جعفر النحاس .ت . د . زهير غازي زاهد ، عالم الكتب .
ـ أعلام الحديث ، للإمام الخطابي ، ت . د . محمد سعد عبد الرحمٰن ، مركز إحياء التراث ، مكة المكرمة .
ـ إكمال المعلم ، للقاضي عياض ، ت . د . يحيى إسماعيل ، دار الوفاء ، المنصورة .
ـ الأم ، للإمام الشافعي ، طبعة دار الشعب ، القاهرة .
ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
ـ الأمثال ، للإمام الرامهرمزي ، ت أمة الكريم القرشية ، باكستان .
ـ الأموال ، لأبي عُبيد ، ت محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية .
ـ أمية النبي الكريم ﷺ ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ إنجيل برنابا ، ترجمة خليل سعادة ، وتحقيق سيف الله أحمد فاضل ، دار القلم بالكويت .
ـ الأوسط ، لابن المنذر ، ت . د . صغير حنفي ، نشر دار طيبة .
ـ أوضح المسالك ، لابن هشام الأنصاري ، ت الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، م السعادة ، بمصر .
ـ البحر الزخار = مسند البزار ، ت . د . محفوظ الرحمٰن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم .
ـ بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن ، للبنا الساعاتي ، دار الأنوار ، مصر .
ـ بر الوالدين ، خليل إبراهيم ملا خاطر . دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
ـ بصائر ذوي التمييز ، للفيروزأبادي ، ت الأستاذ محمد علي النجار ، تصوير المكتبة العلمية ، بيروت .
ـ البعث والنشور ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ عامر حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت
ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للحافظ الهيثمي ، ت . د . حسين الباكري ، مركز السنة ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .
ـ بيان الوهم والإيهام ، للإمام ابن القطان ، ت . د . حسين آية أحمد ، نشر دار طيبة ، الرياض
ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، الخانجي ، مصر .
ـ تاريخ جرجان ، لحمزة السهمي ، ت محمد حبيب الله القادري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

ـ التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ تاريخ مدينة دمشق ، للحافظ ابن عساكر الدمشقي ، ت . عمر العمروي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ تحرير الجواب ، للحافظ السخاوي ، ت هادي المري ، دار ابن حزم ، بيروت .
ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمة .
ـ الترغيب والترهيب ، للأصبهاني ، ت أيمن صالح شعبان ، دار الحديث ، القاهرة .
ـ الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، دار الفكر ، بيروت .
ـ تفسير الإمام البغوي ، ت خالد العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت .
ـ تفسير ابن أبي حاتم ،ت أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة .
ـ تفسير الإمام الخازن = لباب التأويل ، دار الفكر ، بيروت .
ـ تفسير الإمام الرازي ، تصوير دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ تفسير الإمام الطبري ، ت الشيخين أحمد ومحمود شاكر ، وتتمتها .
تفسير الإمام ابن كثير . دار الفكر ، بيروت .
ـ تفسير الإمام الماوردي ، ت السيد بن عبد المقصود ، مكتبة المؤيد ، الرياض
ـ تفسير الإمام النسائي . ت سيد الجليمي ، وصبري الشافعي ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، ت الشيخ محمد عوامة ، دار الرشيد ، حلب .
ـ التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، نشر السيد عبد الله هاشم يماني .
ـ تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .
ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ، بالمغرب .
ـ تنبيه الذات بهادم اللذات ، خليل إبراهيم مُلا خاطر (تحت الطبع)
ـ تهذيب تاريخ دمشق ، لابن بدران ، دار المسيرة ، بيروت .
ـ تهذيب الكمال ، للحافظ المزي ، ت . د. بشار عواد ، مؤسسة الرسالة .
ـ التواضع والخمول ، لابن أبي الدنيا ، ت محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية .
ـ التيسير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض .

- جامع الأصول ، لابن الأثير الجزري ، ت الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .
- الجامع الصغير ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
- جامع العلوم والحكم، للعلامة ابن رجب الحنبلي ،ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة .
- جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام ، للعلامة ابن القيم ، دار الطباعة المحمدية ، مصر .
- الجهاد ، لابن أبي عاصم ، ت مساعد الحميد ، مكتبة دار العلوم والحكم .
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، للعلامة ابن القيم ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- حسن الظن ، لابن أبي الدنيا ، ت مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة .
- حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، مكتبة الخانجي ، ومطبعة السعادة ، مصر .
- حياة الأنبياء ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ محمد الخانجي ، مطبعة التضامن الأخوي ، مصر
- الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، خليل إبراهيم ملا خاطر .
الخصائص الكبرى ، للحافظ السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- خلاصة الأحكام ، للإمام النووي ، ت حسين الجمل ، مؤسسة الرسالة .
- الدر المصون ، للسمين الحلبي ، ت . د . أحمد خراط ، دار القلم ، دمشق .
- الدر المنثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، للحافظ ابن حجر ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
- دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت . د . عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- دلائل النبوة ، للإمام التيمي ، ت محمود الحداد ، الرياض .
- دلائل النبوة ، للحافظ أبي نعيم ، ت . د . رواس القلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .
- الدولة العثمانية ، عوامل النهوض والسقوط ، د . علي محمد الصلابي .
- ذكر أخبار أصبهان ، للحافظ أبي نعيم ، نشر الدار العلمية ، الهند .
- رحمة النبيّ الكريم ﷺ بالكفار ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
- الرسالة ، للإمام الشافعي ، ت الشيخ أحمد شاكر ، مصطفى البابي الحلبي .
- رياض الصالحين ، للإمام النووي ، ت عبد العزيز رباح ، وأحمد الدقاق ، دار المأمون ، دمشق .

ـ الزهد ، لأحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الزهد والرقائق ، للإمام اابن المبارك ، ت العلامة حبيب الرحمن الأعظمي .
ـ الزهد ، لهناد بن السري ، ت عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، دار الخلفاء ، الكويت .
ـ الزهد ، لوكيع بن الجراح ، ت . د . عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة .
ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر ، للإمام ابن حجر المكي .
ـ سبل الهدى والرشاد ، للإمام الصالحي ، ت عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ السنة ، للإمام ابن أبي عاصم ، ت الشيخ محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت
ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، المكتبة الإسلامية ، بيروت
ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم يماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن الدارمي ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .
ـ سنن سعيد بن منصور ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، الهند .
ـ سنن سعيد بن منصور ، ت . د . سعد عبد الله آل حُميد ، نشر دار الصميعي .
ـ السنن الصغير ، للإمام البيهقي ، ت . د . عبد المعطي القلعجي .
ـ السنن ، للإمام الشافعي ، ت خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن
ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت . د . عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي ، دار إحياء التراث العربي .
ـ سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
ـ السير والمغازي ، للإمام ابن إسحٰق ، ت . د . سهيل زكار ، دار الفكر .
ـ السيرة النبوية ، للإمام ابن حبان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ السيرة النبوية ، للإمام ابن كثير ، ت مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت .

ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح أبي ذر ، ت . د . همام سعيد ، ومحمد عبد الله أبو صُعيليك ، مكتبة المنار .
ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ شرح الشفا ، للقاضي ملا علي القاري ، بحاشية شرح الخفاجي .
ـ شرح صحيح البخاري ، لابن بطال ، ت ياسر إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، مطبعة حجازي ، القاهرة .
ـ شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت الشيخ شعيب أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ شرح معاني الآثار ، للإمام لطحاوي ، ت محمد زهدي النجار .
ـ الشريعة ، للإمام الآجري ، ت . د عبد الله الدميجي ، دار الوطن ، والطبعة القديمة .
ـ شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ شمائل الرسول ﷺ ، لابن كثير ، نشر دار القبلة .
ـ الشمائل المحمدية = الأنوار في شمائل النبيِّ المختار ﷺ ، للإمام البغوي ،بيروت .
ـ الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، ت سيد الجليمي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان ، خليل إبراهيم ملا خاطر .
ـ صحيح البخاري ، بشرح فتح الباري ، ط السلفية ، القاهرة .
ـ صحيح ابن حبان ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ صحيح ابن خزيمة ، ت . د . محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .
ـ صحيح مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي .
ـ صفة الجنة ، للحافظ أبي نعيم ، ت علي رضا عبد الله ، دار المأمون للتراث .
ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت . د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
ـ طبقات المحدثين بأصبهان ، لأبي الشيخ ، ت عبد الغفور البلوشي ، مؤسسة الرسالة .
ـ طرح التثريب ، للحافظ العراقي ، دار الفكر العربي .
ـ العداوة بين الإنسان والشيطان ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ عِشرة النساء ، للإمام النسائي ، ت عَمْرو علي عَمْرو ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، خليل إبراهيم ملا خاطر .

ـ علل الحديث ، للإمام ابن أبي حاتم ، تصوير مكتبة المثنى ، بغداد .
ـ عمل اليوم والليلة ، لابن السني ، ت . د . عبد الرحمٰن كوثر البرني ، دار الأرقم ، بيروت .
ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام النسائي ، ت . د . فاروق حمادة ، الرباط .
ـ فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ، للعلامة محمد بن علان الصديقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ فردوس الأخبار ، للحافظ الديلمي ـ المسندة ـ ت فواز الزمرلي ، ومحمد المعتصم البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
ـ فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ت وصي الله محمد عباس .
ـ فضائل الصحابة ، للإمام النسائي ، ت . د . فاروق حمادة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء .
ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ فضائل النبيّ الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ فضل الصلاة على النبيّ ﷺ ، للقاضي إسماعيل ، ت الشيخ محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي .
ـ فوائد تمام ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، ط القاهرة .
ـ القبل والمعانقة ، للإمام ابن الأعرابي ، ت مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة الساعي ، الرياض .
ـ قصص القرآن ، للإمام ابن كثير ، نشر دار القلم ، بيروت .
ـ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، للحافظ السيوطي، المكتب الإسلامي ، بيروت
ـ الكامل ، للحافظ ابن عدي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ الكبائر ، للحافظ الذهبي ،المكتبة الثقافية ، بيروت .
ـ كتاب التوحيد ، لابن خزيمة ، ت . د . عبد العزيز الشهوان ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ كتاب الدعاء ، للإمام الطبراني ، ت . د . محمد سعيد البخاري ، دار البشائر الإسلامية .
ـ كتاب العيال ، لابن أبي الدنيا ، ت . د . نجم عبد الرحمن خلف ، دار ابن القيم ، الدمام .

ـ كتاب المرض والكفارات ، لابن أبي الدنيا ، ت عبد الوكيل الندوي ، الدار السلفية ، الهند .
ـ الكتاب المقدس ـ بعهديه القديم والجديد ـ عند النصارى .
ـ كشف الأستار بزوائد البزار ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، بيروت .
ـ الكشاف ، للإمام الزمخشري ، دار المعرفة .
ـ الكفاية ، للخطيب البغدادي ،مراجعة عبد الحليم عبد الحليم وآخر ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
ـ الكنى ، للإمام الدولابي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ كنز العمال ، للعلامة علي المتقي الهندي ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .
ـ لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للإمام الزبيدي ، بيروت .
ـ المتجر الرابح ، لللإمام الدمياطي ، ت . د . عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .
ـ مجمع البحرين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، دار الكتاب ، بيروت .
ـ المجموع ، للإمام النووي ، ت محمد نجيب المطيعي ، المكتبة العالمية ، القاهرة .
ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، خليل إبراهيم ملا خاطر
ـ المحدِّث الفاصل ، للإمام الرامهرمزي ، ت . د . محمد عجاج الخطيب .
ـ محمد في الكتاب المقدس ، أ . د . عبد الأحد داود ، الشؤون الدينة ، قطر .
ـ المحلى ، للإمام ابن حزم الظاهري ، ت الشيخ أحمد شاكر ، المكتب التجاري ، بيروت .
ـ المختارة ، للحافظ الضياء المقدسي ، ت . د . عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .
ـ مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، دار الفكر ، دمشق .
ـ مختصر زوائد البزار ، للحافظ ابن حجر ، ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية .
ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة .
ـ مساوئ الأخلاق ، للإمام الخرائطي ، ت مصطفى الشلبي ، مكتبة السوادي ، جدة .
ـ المستدرك ، للإمام الحاكم ، تصوير أمين دمج ، بيروت .

ـ مسند أحمد ، المكتب الإسلامي ، ودار صادر ، بيروت . ورجعت إلى النسخة بشرح الشيخ أحمد شاكر في عدة مواضع .
ـ مسند إسحٰق بن راهويه ، ت . د . عبد الغفور البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة .
ـ مسند ابن أبي أوفى ، ليحيى بن صاعد ، ت سعد الحميد ، مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، باكستان .
ـ مسند الشاشي ، للهيثم بن كليب الشاشي ، ت . د . محفوظ الرحمٰن زين الله ، نشر مكتبة العلوم الحكم ، المدينة المنورة .
ـ المسند ، للإمام الشافعي ، ط بيروت .
ـ مسند الشاميين ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة .
ـ مسند الشهاب ، للإمام القضاعي ، ت حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة .
ـ مسند الطيالسي ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق ، بيروت .ورجعت إلى النسخة الجديدة في موضعين .
ـ مسند عبد بن حُميد = المنتخب ، ت السيد صبحي السامرائي .
ـ مسند علي بن الجعد ، ت . د . عبد المهدي عبد الهادي ،مكتبة الفلاح ، الكويت .
ـ مسند أبي عوانه ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ مسند أبي يعلى ، ت الأستاذ حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق .
ـ مصباح الزجاجة على زوائد ابن ماجه ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، الدار العربية ، بيروت .
ـ مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة .
ـ مصنف ابن أبي شيبة ، الدار السلفية ، الهند .
ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ النسخة المسندة ـ للحافظ ابن حجر .
ـ معاني القرآن وإعرابه ، للإمام الزجاج ، ت . د . عبد الجليل شلبي ، نشر جامعة أم القرى .
ـ المعجم ، لابن الأعرابي ، ت . د . أحمد البلوشي ، مكتبة الكوثر .
ـ المعجم الأوسط ، للإمام الطبراني ، ت طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة .

ـ معجم الصحابة ، للإمام البغوي ، ت محمد أمين الجكني ، مكتبة البيان ، الكويت .
ـ معجم الصحابة ، لابن قانع ، ت صلاح المصراتي ، المدينة المنورة .
ـ المعجم الصغير . للإمام الطبراني = الروض الداني ، ت محمد شكور إمرير ، المكتب الإسلامي ، ودار عمار .
ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي .
ـ معرفة السنن والآثار ، للإمام البيهقي ، ت سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ معرفة الصحابة ، للحافظ أبي نعيم ، ت . د . محمد راضي عثمان ، مكتبة الدار ، ومكتبة الحرمين .
ـ المعرفة والتاريخ ، للإمام الفسوي ، ت . د . أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة .
ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، للحافظ العراقي ، بحاشية إحياء علوم الدين .
ـ المقصد العلي ، للحافظ الهيثمي ، ت . د . الشريف نايف دعيس . جدة .
ـ مكارم الأخلاق ، للإمام الخرائطي ، ت . د . سعاد الخندقاوي ، مطبعة المدني ، القاهرة .
ـ مكانة الصحيحين ، خليل إبراهيم مُلا خاطر ، دار القبلة .
ـ مكانة النبيّ الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة .
ـ المنتقى ، لابن الجارود ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ منحة المعبود بترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، للشيخ البنا الساعاتي ، الفاهرة .
ـ المهذب في اختصار السنن الكبير ، للحافظ الذهبي ، دار المشكاة للبحث العلمي .
ـ موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ عبد الرزاق حمزة ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ الموطأ ، للإمام مالك ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .
ـ الموطأ ـ رواية محمد بن الحسن ـ ت الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية .
ـ ميزان الاعتدال ، للحافظ الذهبي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
ـ نسيم الرياض = شرح الشفا ، للعلامة الخفاجي ، تصوير بيروت .
ـ نصب الراية ، للإمام الزيلعي ، ط القاهرة .

ـ نظم الدرر ، للإمام البقاعي ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ النظم المتناثر في الحديث المتواتر ، للسيد محمد بن جعفر الكتاني ، تصوير دار الكتب العلمية
ـ النهاية في غريب الحديث ، للعلامة ابن الأثير ، ت . د . محمود الطناحي ، والأستاذ طاهر الزاوي .
ـ النهاية (الفتن والملاحم) للإمام ابن كثير ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري ، مؤسسة النور ، الرياض .

* * * * *

فهرس الرسالة

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة الحادية عشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . الطبعة الثانية ، وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الرابعة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . الطبعة الثانية .

١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).
٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثالثة . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).
٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . طبعة ثانية .
٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).
٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ (بين يديك).
٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).
٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ والمدينة المنورة) ، نشر دار القبلة . طبعة ثالثة
٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).
٢٨ ـ رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، نشر دار القبلة .
٢٩ ـ واجب الأمة نحو نبيّ الرحمة ﷺ ، نشر دار القبلة .
٣٠ ـ مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٣١ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٣٢ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٣ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .
٣٤ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٥ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٦ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٣٧ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٨ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٣٩ ، ٤٠ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).

٤١ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .

٤٢ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض

٤٣ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).

٤٤ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٥ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .

٤٦ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٤٧ ـ شرح أربعين حديثاً مما في الصحيحين (تحت الطبع).

٤٨ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٤٩ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق ، نشر دار القبلة .

٥٠ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٥١ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة .

٥٢ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٣ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥٤ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة . طبعة ثانية .

٥٥ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٦ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٧ ـ الحديث المتواتر .

٥٨ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .

٥٩ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٦٠ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٦١ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٦٢ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٣ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

٦٤ ـ خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع . نشر دار القبلة .

٦٥ ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦٦ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٦٧ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٦٨ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ الحديث الموضوعي :

٦٩ ـ من صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية .

٧٠ ـ الجهاد في ضوء السنة النبوية .

٧١ ـ تحريم الخمر والمسكرات في ضوء السنة النبوية .

٧٢ ـ تنبيه الذات بهادم اللذات (الموت والقبر في ضوء السنة النبوية).

٧٣ ـ علاج الإسلام لمشكلة البطالة في ضوء السنة النبوية .

٧٤ ـ صلة الأرحام في ضوء السنة النبوية .

٧٥ ـ الرفق بالحيوان في ضوء السنة النبوية .

ز ـ بين الإنسان والجماد :

٧٦ ـ الإدراك عند الجمادات .

٧٧ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٧٨ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٧٩ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ح ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٨٠ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٨١ ـ حقوق الزوجين .

٨٢ ـ المرأة في القرآن .

٨٣ ـ الإحسان في القرآن .

٨٤ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٨٥ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٨٦ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

ط ـ الفتن وأشراط الساعة :

٨٧ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة . (تحت الطبع).

٨٨ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٨٩ ـ أشراط الساعة .

٩٠ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٩١ ـ أخبار الدجال .

٩٢ ـ الردة قديمها وحديثها .

٩٣ ـ الردة قديمها وحديثها (المحاضرة).

٩٤ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

* * * * *